مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثاني عشر

١٣٣ - ١٧٩ هـ

حققوا هذا الجزء وعلقوا عليه

أنور طالب   فادي المغربي   عمار ريحاوي   رضوان مامو

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان

في تواريخ الأعيان

(١٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

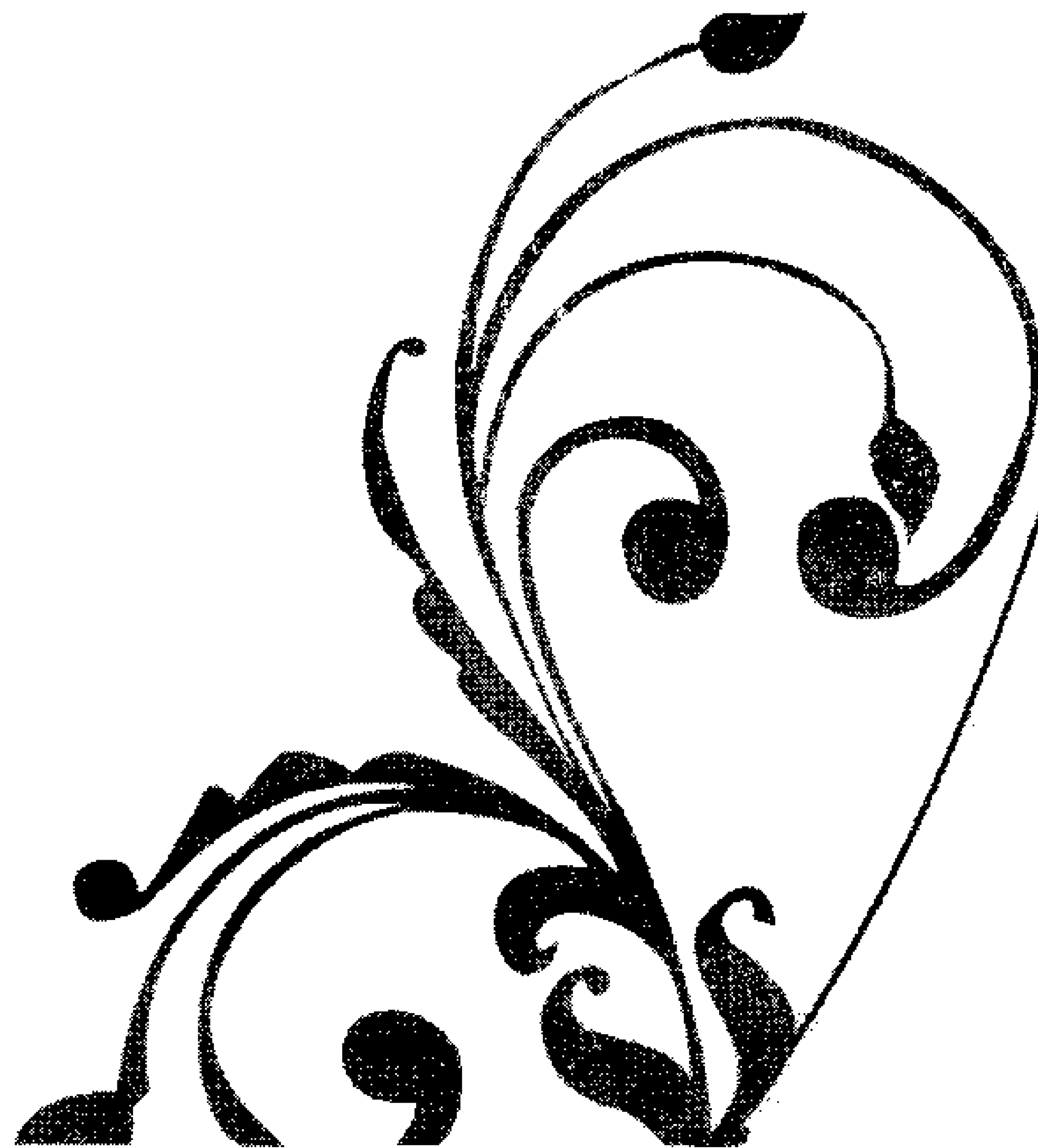
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic


info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



النسخ الخطية المعتمدة في السنوات (١٣٣ - ٤٩٩ هـ)

١ـ نسخة الخزائنية، ورمزها (خ) وتتألف من عدة أجزاء متتابعة:

أـ الجزء السابع وفيه السنوات (١١١ـ١٧٩هـ).

ب ـ الجزء الثامن (١٨٠ـ٢٣٦هـ).

جـ ـ الجزء التاسع (٢٣٧ـ٣٠٩هـ).

د ـ الجزء العاشر (٣١٠ـ٣٨٩هـ).

هـ ـ الجزء الحادي عشر (٣٩٠ـ٤٦٢هـ).

وـ الجزء الثاني عشر (٤٦٣ـ٥٦٠هـ).

٢ـ جزء من نسخة أحمد الثالث، فيه السنوات (١١٥ـ١٤٢هـ)، ورمزها (د).

٣ـ أجزاء من نسخة باريس، ورمزها (ب)، وهي:

أ ـ جزء فيه السنوات (٩٦ـ١٤٩هـ).

ب ـ جزء فيه السنوات (١٩٠ـ٢٨١هـ).

جـ ـ جزء فيه السنوات (٣٥٨ـ٤٠٠هـ).

د ـ جزء فيه السنوات (٤٤٠ـ٤٦٧هـ).

هـ ـ جزء فيه السنوات (٤٦٤ـ٥١٧هـ).

٤ ـ أجزاء من نسخة المتحف البريطاني، ورمزها (ف)، وهي:

أ ـ جزء فيه السنوات (٢١٨ـ٢٧٨هـ).

ب ـ جزء فيه السنوات (٢٨٢ـ٤٦٠هـ).

جـ ـ جزء فيه السنوات (٤٠٥ـ٤٦٣هـ).

٥ ـ نسخة مجهولة رمزها (م) وتتألف من جزأين:

أ ـ جزء فيه السنوات (٣٢٧ـ٤٤٨هـ).

ب ـ جزء فيه السنوات (٤٥٠ـ٥٦٨هـ).

٦ـ جزء من نسخة أخرى مجهولة رمزها (م١) فيه السنوات (٢٨٢ـ٤٦٥هـ).

وانظر وصفاً مفصلاً لهذه النسخ في مقدمة الجزء الأول من الكتاب.



أبوابٌ في ذِكْر بني العباس

البابُ الأول في خلافة أبي العباس السفاح

واسمه عبد الله بنُ محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف.

وأُمُّه رَيْطة[(١)] بنت عُبَيد الله [بن عبد الله][(٢)] بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان، من بني الحارث بن كعب، وكانت قبل أن يتزوَّجها محمد عند عبد الملك بن مروان، فأولدها الحجَّاج بن عبد الملك، فهو أخو السفاح لأُمِّه[(٣)].

وقال ابنُ الكلبي: أراد محمد أن يتزوَّج رَيْطة، فمنعه منها بنو أميَّة؛ الوليد وسليمان؛ لأنه قيل لهم: زوالُ مُلككم على يد رجلٍ أمُّه حارثية، فلما قدم عمر بنُ عبد العزيز رحمه الله شكا إليه محمد، فقال: تزوَّج من شئت، فتزوَّجها، فأولَدَها أبا العباس، وعُبَيد الله، وداود، وآمنة[(٤)].

وقيل: إن محمداً تزوَّجها بعدما طلَّقها [الحجاج بن][(٥)] عبد الملك، وكان صديقه فتنكر على محمد وعابه.

وولد له السفاح بالشراة سنة خمس، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ثمان ومئة، وولي الخلافةَ وهو ابنُ سبع وعشرين سنة. وكان أصغرَ من أخيه أبي جعفر، وكان

---

(١) ويقال في اسمها كذلك رائطة. انظر تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ١٠٥.

(٢) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٩٠.

(٣) كذا قال المصنف، وهو خطأ تابع فيه المسعوديَّ في مروج الذهب ٦/ ٨٨، والصواب أن ريطة كانت عند عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ثم مات عنها، فتزوجها بعده الحجاج بن عبد الملك، فأولدها عبد العزيز ابن الحجاج، ثم طلقها، فعبد العزيز بن الحجاج هو أخو السفاح لأمه. انظر: أنساب الأشراف ٣/ ٩٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٠٧، وتاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٣٠١، وتراجم النساء منه ص ١٠٥، والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٧٣.

(٤) في مروج الذهب ٦/ ٨٨: ميمونة، بدل: آمنة.

(٥) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٩٠.

أبيض، طوالاً، وقيل: معتدل القامة، جَعْداً، [له][(١)] وَفْرةٌ، حسنَ الوجه واللحية، جميلاً، أشبه الناس بأبيه محمد، ويقال: إنه كان بينه وبين أبيه محمد في السِّن أربع عشرة سنة.

وسُمِّي السَّفَّاح لما سفَحَ من دماء المُبْطِلين، وقيل: السفَّاح: هو القادر على الكلام. وكان لَسِناً فصيحاً، لم يكن في الخلفاء أفصح منه. ويلقَّب بالمرتضى والقائم، والسفَّاحُ أشهر ألقابه.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء: الصِّديقُ، والفاروق، وذو النورين، ثم لم يتسمَّ أحدٌ من خلفاء بني أمية بلقب، وإنما كان يُقال لهم: الخلائف، حتى قام أبو العباس فسُمِّي السفَّاح، ثم المنصور، وهما أول من تسمَّى بهذا الاسم، ثم المهديُّ محمد بنُ المنصور، وأول ما سُمِّي به محمد ابن الحنفية، ثم محمد بنُ عبد الله بن الحسن، ثم من بعدُ جماعةٌ من أمراء المغرب.

وقد أخرج الخطيب أحاديث في «تاريخه» منها: عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يخرجُ رجلٌ في انقطاعٍ من الزمن، وظهورٍ من الفتن، يُسمَّى السفَّاح، يكون عطاؤه المالَ حَثْياً»[(٢)].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنَّا السفَّاح، والمنصور، والمهديُّ»[(٣)].

وهذه الأخبار لا تثبتُ مرفوعةً ولا موقوفة.

ذكر خروجهم من الشام إلى الكوفة

لما حُمِل إبراهيمُ الإمام إلى حرَّان نعى نفسَه إلى أهله حين شيَّعوه، وأمرهم بالمسيرة من الحِمَّة إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس؛ خوفاً عليهم من مروان.

قال المصنف رحمه الله: في عامَّة النسخ: الحِمَّة، وهو وهمٌ؛ لأن الحِمَّة مكانٌ بحوران، والمكان الذي كان فيه بنو العباس يقال له: الحُمَيْمة، بالبلقاء، وهي قرية

(١) ما بين حاصرتين من التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٨. وأخرجه أحمد (١١٧٥٧).

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٨.

بالشَّراة بأرض الشَّوْبَك، بينها وبين الشَّوْبَك مقدار يوم.

فخرجوا، وهم: أبو العباس وأبو جعفر ويحيى بنو محمد بن علي، وداود وصالح وإسماعيل وسليمان وعبد الله وعيسى وعبد الصمد بنو عليِّ بن عبد الله بن عباس، وموسى بنُ داود، وعيسى بنُ موسى، ويحيى بنُ جعفر بنُ تمام بن العباس، وعبد الوهاب بن إبراهيم الإمام(١).

وقال ابنُ أبي الدنيا: خرج أبو العباس من الحِمَّة يريد العراق ومعه أخوه عبد الله بن محمد، وعبد الله، وعيسى، وموسى وأمه أم موسى بنت عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب بدُومة الجَنْدَل، فقال لهم داود: أين تريدون؟ قالوا: الكوفة؛ فإنَّ لنا بها شيعةً، وقد كاتبنا أبو سلمة، فقال لهم داود: أتأتون الكوفة وشيخُ بني مروان بحرَّان مُطِلٌّ على العراق والشام والجزيرة ـ يعني مروان ـ وشيخُ العرب في سادات العرب ـ يعني: يزيد بنَ عمر بن هبيرة ـ فقال أبو العباس: يا عمّ، من أحبَّ الحياة ذلَّ، ثم تمثَّل بقول الأعشى(٢):

فما ميتةٌ إن متُّها غيرَ عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى من معه وقال: صدق ابنُ أخي، ارجعوا بنا معه نعيشُ أعزَّاء، أو نموت كراماً، فرجعوا معه، فكان عيسى بنُ موسى يقول: إن أربعة عشر نفراً خرجوا من الحِمَّة يريدون العراق يطلبون ما طلبنا لعظيمةٌ هممُهم، كبيرةٌ نفوسُهم، شديدةٌ قلوبُهم(٣).

قال الهيثم: فمرُّوا على ماء عليه حيٌّ من العرب، فنظرت امرأةٌ من الحيِّ في وجوههم، فقالت: تالله ما رأيتُ وجوهاً كاليوم، هذا خليفةٌ ـ وأشارت إلى أبي العباس ـ وهذا خليفةٌ ـ وأشارت إلى أبي جعفر ـ وهذا خارجي ـ وأشارت إلى عبد الله بن عليّ ـ فكان كما قالت.

قال الواقديُّ: فقدموا الكوفةَ في صفر، فأنزلهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد في

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٣، والمنتظم ٧/ ٢٩٨؛ ففيهما بعض الاختلاف في ذكر من خرج مع أبي العباس.

(٢) ديوانه ص ٢٢٧.

(٣) والخبر كذلك في أنساب الأشراف ٣/ ١٤٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٤٢٨، ومروج الذهب ٦/ ٩١-٩٢.

بني أَوْد، وكتَمَ أمرهم عن القوّاد من الشيعة أربعين يوماً، وكتب إلى المدينة إلى آل أبي طالب، وأقام منتظراً جوابهم. وكان أبو العباس كلما أرسل إليه في ظهورهم يقول: ما آن لكم أن تخرجوا بعدُ. وكان أهل خراسان إذا سألوه عن الإمام يقول: نحنُ في انتظاره.

ولمَّا طال الأمر على أبي العباس أرسل إلى أبي سلمة يقول: أنا الليلةَ آتيك، فقال أبو سلمة لأسد بن المرزبان وسَلْم مولى قحطبة: إذا أتاني الليلة رجلٌ من صفته كذا وكذا، فتحدَّث معي، وقمتُ وتركته، فاقتلوه؛ فإنه يريد أن يفسد علينا ما قد عزَمنا عليه، وجاءه أبو العباس فقال له: ما السببُ في كونك أقدَمْتنا وتُماطلُنا؟ وتناظرا ساعةً، فغضب أبو سلمة وأشار إلى القوم، ففهم أبو العباس، فتعلَّق بثوبه وضاحَكَه، وقام فخرج معه، ولما عاد أبو العباس إلى أهله قال: الآن أفلتُّ منه، وفي عزمه صَرفَ الأمر إلى غيرنا، فقال داود بنُ علي وأخوه عبد الله: الرأيُ أن تخرج فتعلم الشيعة والقوّاد بك(١).

ذِكْر ظهورهم

لما قوي أمرُ الدعاة بخراسان وشارفوا العراق استدعى أبو سَلَمة بني العباس إلى الكوفة، وصيَّرهم في منزله في سرداب، وكان يراعي الأخبار، وكان الدُّعاة يُؤمرون بقصده إذا ظهروا على الكوفة؛ ليُعرِّفهم الإمامَ فيسلِّمون الأمر إليه.

فلما أوقع قحطبة بابن هُبَيرة الوقعة العظيمة على الفرات، وغرق قحطبةُ، وانهزم ابنُ هبيرة إلى واسط، ودخل ابنا قحطبة الكوفةَ، وطلبا أبا سلمة وخرج إليهما، قالا: أين الإمام؟ أخرِجه إلينا، فقال: لم يحضر الوقتُ الذي يجوز فيه ظهورُه، وأخفى الأمر عن بني العباس، وعزم على نقل الأمر إلى بني فاطمة على نبيِّنا وعليها الصلاةُ والسلام، وكاتَبَ جماعةً منهم، فتأخَّروا عنه.

وساء ظنُّ بني العباس به، فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب، وقالوا: اعرفْ لنا الأخبارَ، فخرج وعاد، فعرَّفهم أن قحطبة غرق، وأن

(١) انظر أنساب الأشراف ٣/ ١٥٦.

ابنَيه دخلا الكوفة، وأن ابنَ هُبَيرة هرب إلى واسط، فقالوا: اخرُجْ، فتعرَّض لابني قحطبة، وعَرِّفهما مكانَنا، ومُرْهما أن يكبسا الدارَ علينا، فخرج العبدُ، وكان حُمَيد بن قحطبة يعرفُه، فتعرَّض له، فلما رآه أكبر رؤيتَه، وقال: ويحكَ! ما فعل ساداتُنا؟ فأخبره بمكانهم، وأدَّى إليه الرسالةَ.

فركب في طائفة من الجيش، وهجم الدار وأبو سلمة غافلٌ، وأراه العبدُ موضعَ السِّرداب، فدخل حُمَيد فقال: السلامُ عليكم أهلَ البيت ورحمةُ الله وبركاته، فردُّوا عليه، فقال: أيُّكم ابنُ الحارثية؟ وكانت أمُّ أبي العباس [عبد الله بن](١) محمد بن عليٍّ حارثيةً، وكان إبراهيمُ الإمام لما بثَّ الدعاةَ قال: الإمامُ بعدي ابنُ الحارثية الذي معه العلامة، والعلامة قولُه تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٥]، ولم يُسِرَّها إبراهيمُ إلا إلى أبي العباس، فلما قال ابنُ قحطبة: أيُّكم ابنُ الحارثية؟ ابتدَرَ أبو العباس وأبو جعفر كلٌّ واحدٍ يقول: أنا ابنُ الحارثية(٢)، فقال ابنُ قحطبة: فأيُّكم معه العلامة؟ قال أبو جعفر: فعلمتُ أنِّي قد أُخرجتُ من الخلافة؛ لأني لم يكن معي علامة، فقرأ أبو العباس الآيةَ، فسلَّم عليه ابنُ قحطبة بالخلافة، ثم انتضى سيفه، وقال: بايعوا أميرَ المؤمنين، فبايعه أخوتُه وأهلُه الذين كانوا معه في السِّرداب، وأخرجه في الحال إلى المسجد، وأصعَدَه المنبر، فحُصِر عن الكلام، فتكلَّم دونه داود بنُ علي، وقام دونه بمِرْقاة.

وجاء أبو سلمة وقد استوحَشَ، فدفع حُمَيد بن قحطبة في صدره وقال: أما زعمتَ أن الإمامَ لم يَقْدَمْ؟ فقال: إنما أردتُ أن أدفع ظهورَه حتى يهلك مروان، فقبل منه أبو العباس ذلك، وأجلسه إلى جانبه.

قال الصُّولي: قدم أبو العباس وأهلُه الكوفةَ على أبي سلمة، فسترهم، وعزم على أن يجعلها شورى بين بني عليٍّ وبني العباس حتى يختاروا، ثم قال: أخاف أن لا يتَّفقوا، فعزم على أن يعدل بها إلى ولد فاطمة عليها السلام.

---

(١) في (د) و(خ): وكانت أم أبي العباس حارثية، وأم محمد بن علي حارثية. وهو خطأ، والمثبت من الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) سيرد في الباب الثاني أن أم أبي جعفر بربرية، وأن اسمها سلامة، وهو ما اتفقت عليه مصادر ترجمته.

فكتب إلى جعفر بن محمد، وعبد الله بن حسن، وعُمر بن علي بن الحسين، وبعث بالكتب مع رجلٍ من مواليهم، فبدأ بجعفر، فأحرقَ كتابَه ولم يقرأْه، وقال للرسول: قل له: أنتَ شيعةٌ لغيرنا، وهذا جوابُه. وأما عبد الله فقبل الكتابَ، وركب إلى جعفر، فقال: هذا كتابُ أبي سلمة يدعوني إلى الأمر، ويرى أنِّي أحقُّ الناس به، وقد جاءته شيعتُنا من خراسان، فقال له جعفر: ومتى صاروا شيعتَكَ؟ وهل تعرفُ أحداً منهم. أنتَ بعثتَ أبا مسلم إلى خراسان؟ وأغلَظَ له، فقال عبد الله: هذا الكلامُ منك لشيء. فقال: النصحُ واجبٌ على كلِّ مسلم لكلِّ مسلم، فكيف أدَّخره عنك، فلا تُمنينَّ نفسك الأباطيل؛ فإنَّ هذه الدولة لهؤلاء القوم وليست لأحدٍ من ولد أبي طالب، وقد جاءني كتابُه بمثل ذلك فحرَّقتُه، فانصرف عبد الله غيرَ راضٍ، وأما عُمر فردَّ الكتاب، وقال: ما أعرفُ كاتبَه فأُجيبَه.

وأبطأ الأمر على أبي سلمة وعلى أبي العباس إلى أن لقي حُميد بنُ قحطبة ومحمد ابنُ صول مولى من مواليهم فدلّهما عليهم، فأخرجهم كما ذكرنا(١).

وقال أبو اليقظان: كان أبو الجهم بنُ عطية، وأبو حُمَيد الطوسيُّ من كبار الشيعة الخراسانيين، فسألا أبا سلمة عن الإمام، فقال: لم يَقْدَم بعد، فلقي أبو حُميد مولى لأبي العباس يقال له: سابق الخوارزمي، فسأله عنهم، فقال: هم بالكوفة، قد أمرهم أبو سلمة أن يُخفوا أمرهم، فجاء أبو حُميد إلى أبي الجهم فأخبره.

وقال البلاذُري: خرج صالح بنُ الهيثم رضيعُ أبي العباس ومعه سابقٌ، فلقيهما أبو حُمَيد وكان يعرفُهما؛ لأنه كان يتردَّد إلى الإمام، فقال لصالح: ألستَ رضيعَ ابن الحارثية؟ وقال لسابق: ألستَ مولاه؟ قالا: بلى. قال: فما تصنعان هاهنا؟ فأخبراه، فجمع الشيعةَ ودخل عليهم، فبكى أبو العباس وقال: تركَنَا أبو سلمة هاهنا ولم يُعلمكم بنا، وبلغ أبا سلمةَ، فجاء فسلَّم على أبي العباس بالخلافة، فقال له أبو حُمَيد: على رَغْم أنفك يا ماصَّ بَظْر أُمِّه الخلالة! فقال له أبو العباس: مَهْ. ثم أخرج أبو العباس على بِرْذَون أبلَقَ، وقد أحدَقَ به أهلُه ومواليه، وداود بنُ عليٍّ إلى جانبه، والناسُ

(١) انظر مروج الذهب ٦/ ٩٣-٩٨، والبدء والتاريخ ٦/ ٦٧-٦٩.

يقولون: من هو أميرُ المؤمنين؟ ولا يعرفونه، فقصَّر داودُ دون أبي العباس، فعرف الناسُ أنه الخليفة، وأبو الجهم وأبو حُمَيد يمشيان بين يديه، وأبو سَلَمة خلفَه على فرس[١].

وبُويع ليلةَ الجمعة لثلاث عشرة مضت من ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر. وقيل: في نصف جمادى الآخرة. وقال هشام: ظهَرَ يوم الأربعاء ويوم الخميس، وصلى بالناس الجمعةَ، وأولُ من بايعه موسى بنُ كعب التميميُّ الذي ألجمه أسد بنُ عبد الله بلجام حمار، وجذبه فكسر أسنانَه.

وقال خليفة: بُويع بالكوفة في دار الوليد بن سَعْد مولى هاشم في بني أَوْد.

وقال المغيرة: رأيتُ أبا العباس حين خرج إلى الجمعة على بِرْذَون أشهب بين عمِّه داود بن علي وأخيه أبي جعفر شاباً جميلاً، تعلوه صفرةٌ، دخل المسجد فَصَعِدَ المنبر، وصَعِدَ داود فوقف على عتبتين من المنبر، فحمد داودُ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس والله ما علا منبرَكم هذا خليفةٌ بعد عليِّ بن أبي طالب غير ابن أخي هذا. قال: ثم إني رأيتُه الجمعةَ الأخرى كأنَّ وجهه ترسٌ، وعنقَه إبريق فضة، وقد ذهبت الصُّفرة[٢].

ذكر خطبة أبي العباس

قال: الحمدُ لله الذي اصطفى الإسلامَ لنفسه ديناً، وارتضاه وأيَّده بنا، وجعلنا أهلَه وحِصْنَه، والقوَّام به، والذابِّين عنه، والناصرين له، وألزَمَنا كلمةَ التقوى وجعلنَا أحقَّ بها وأهلَها، وخصَّنا برسول الله ﷺ وقرابته، وأنبتَنا من شجرته، واشتقَّنا من نبعته[٣]؛ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨] وأحلَّنا من الإسلام بالمنزل الرفيع، وخصَّنا بالتقديس والتطهير، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣] وقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فاللهُ فضَّلَنا، وأوجَبَ على الناس حقَّنا ومودَّتنا.

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٥٦-١٥٧.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) النَّبع: واحدته نَبْعة، وهو شجر تتخذ منه القِسِيّ. اللسان: (نبع).

وذَكَر السبئية وعابَهم؛ حيث جعلوا الرياسةَ والخلافةَ في غيرنا[١].

ثم قال: فلما قبض الله رسوله قام بالأمر من بعده أصحابه، فحووا مواريث الأمم، وعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها، فجاروا فيها، وظلموا أهلها، واستأثروا بها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فانتقم منهم بأيدينا، وردَّ علينا حقَّنا، وتولَّى نصرَنا والقيامَ بأمرنا ليمُنَّ بنا على الذين استُضعفوا في الأرض، وختَمَ بنا كما افتتَحَ بنا، وأنا السفَّاح المُبيح، والثائر المُبِير.

ثم أثنى على أهل الكوفة، وزادهم في أعطياتهم مئةَ درهم مئة درهم، فدعوا له.

وكان موعوكاً، فاشتدَّ به الوَعْكُ، فجلس على المنبر وقام داود دونه بمرقاتين فقال:

الحمد لله الذي أهلك عدوَّنا، وأصار إلينا ميراثَنا من نبينا ﷺ.

أيها الناس، أقشعت حَنادِسُ[٢] الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضُها وسماؤها، وطلعت شمسُها من مطلعها، وبزغ قمرها، ورجع الحقُّ إلى نصابه في أهل بيت نبيِّكم؛ أهلِ الرأفة لكم، والعطف عليكم.

أيها الناس، إنَّا والله ما خرجنا لنُكثر مالاً، ولا لنحفر نهراً، ولا لنبني قصراً، ولقد كانت أموركم تُمِضُّنا[٣]، ويعزّ علينا سوءُ سيرة بني مروان فيكم، واستذلالُهم لكم، واستئثارُهم بفيئكم ومغانمكم، والآن لكم ذمَّة الله، وذمَّة رسوله، وذمَّة العباس أن نحكم فيكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فتباً لبني حرب وبني مروان؛ حيث آثروا [العاجلةَ على الآجلة، والدار الفانية على الباقية، فركبوا][٤] الآثامَ، وظلموا الأنامَ، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم[٥]، وجاروا على العباد، وأفسدوا في البلاد، وركضوا في

(١) كذا في (د) و(خ)، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٥ وغيره: وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا.

(٢) الحنادس، مفردها الحِنْدس: وهي الظلمة، والحنادس: ثلاث ليال من الشهر؛ لظلمتهن. اللسان: (حندس).

(٣) مضّه الشيء وأمضّه: بلغ من قلبه الحزن به. القاموس: (مضض).

(٤) ما بين حاصرتين من (د).

(٥) في (د) و(خ): وعبثوا بالجرائم، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٧.

ميادين الغيِّ جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمَكْرِه، فبُعداً للقوم الظالمين.

أيها الناس، إنَّ أمير المؤمنين إنَّما عاد إلى الخطبة بعد الصلاة لأنه كَرِه أن يخلِطَ بكلام الجمعة غيرَه، وإنما قطَعَه عن الكلام ما هو فيه من الوَعْك، فادعوا الله له بالعافية؛ فقد أبدلكم الله بمروان عدوِّ الرحمن، وخليفةِ الشيطان، الشابَّ المكتهل، والفتى المتمهِّل[1]، المقتفي بسَلَفِهِ الأخيار، وأهله الأبرار. ثم أثنى على أهل خراسان، ونزل.

وقيل: إنه قال: وإن هذا الأمر فينا، وليس بخارج عنَّا، فظنَّ الناس أنه يدعو لنفسه، ففطِنَ، فقال: واعلموا أنه ما صَعِدَ المنبرَ بعد أمير المؤمنين عليٍّ مثلُ خليفتكم هذا، ففرح الناسُ ودعوا له، وأيقنوا أنَّ الخليفة هو أبو العباس.

وكان بنو أميةَ يخطبون قعوداً؛ تكبُّراً منهم، ومخالفةً للسنة، فقام السفاحُ وخطبَ قائماً؛ اقتداءً برسول الله ﷺ والخلفاء من بعده ﷺ، فضجَّ الناسُ له بالدعاء، وقالوا: أحييتَ السنةَ يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ.

ولما صَعِدَ أبو العباس المنبرَ كان بيده عصاً، فوقعت من يده، فتطيَّر من ذلك، فناوله إيَّاها داود بن عليٍّ، وأنشده: [من الطويل]

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[2]

وقال هشام الكلبي: بينا أبو العباس في خطبته بالكوفة، وهي أول خطبة خطَبَها، إذ قام إليه رجلٌ وفي عنقه مصحفٌ، فقطع عليه الكلام وقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من آل أبي طالب، أَنْشُدك الله إلا أخذتَ بحقِّي ممَّن ظلمني. قال: ومن ظلَمَكَ؟ قال: ابنُ أبي قحافة. قال: وما الذي فعل بك؟ قال: أخذَ ميراثَ أُمِّي فاطمة من فَدَك. قال: فمَنْ قام بعده؟ قال: ابنُ الخطَّاب. قال: فما فعَلَ في ميراثك؟ قال: استمرَّ على ظلمي. قال: فمن قام بعده؟ قال: ابنُ عفَّان. قال: فما فعل معك؟ قال: فعل كما فعل من تقدَّمه. قال: فمن قام بعده؟ قال: أبي عليٌّ. قال: استمرَّ على ظلمك، أم ردَّ حقَّك

(١) في (د) و(خ): المقبل، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥١.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ١٠١، والبيت لمعقر البارقي، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٢٤١، وانظر تخريجه ثمة.

عليك؟ فانقطَعَ الرجلُ وجعل يلتفتُ يميناً وشمالاً يطلب مكاناً يهربُ منه، فقال له أبو العباس: والله لولا أنها أولُ خطبةٍ خطبتُها بالعراق لأخذتُ ما فيه عيناك، ثم عاد إلى خطبته كأنما يقرؤها من قرطاس[١].

ولما فرغ السفاحُ من خطبته قام إليه السيِّد فأنشده: [من السريع]

دُونَكُموها يا بني هاشمٍ فجدِّدوا أمراً بها طامساً
دونكموها لا علا كَعْبُ مَنْ أمسى عليكم مُلْكَها نافساً
دونكموها فالبَسوا تاجَها لا تعدَموا منكم لها[٢] لابساً
خلافةَ الله وسلطانَه وعنصراً كان لكم دارِساً
والمُلكُ لو شُوورَ في ساسةٍ ما رامَ إلا منكمُ سائساً
لم يُبْقِ عبدُ الله بالشام مِنْ آلِ أبي العاص امرأً عاطساً

فقال له أبو العباس: سَلْ حاجتَكَ. قال: ترضى عن سُلَيمان بن حبيب بن المهلَّب، وتولِّيه الأهواز. قال: قد فعلت، وكتَبَ عهدَه، ودفعَه إلى السيِّد، فقدم به على سليمان، فلما وقعتْ عينُه عليه أنشده هذه الأبيات: [من المتقارب]

أتيتُكَ يا قَرْمَ أهلِ العراق بخيرِ كتابٍ من القائم
أتيتُكَ من عند خيرِ الأنا مِ وذاكَ ابنُ عمٍّ أبي القاسم
أتينا بعهدك من عنده على مَنْ يليكَ من العالم
يولِّيك فيه جِسامَ الأمور فأنتَ صنيعُ بني هاشم

فقال له سليمان: شريف، وشفيع، وشاعر، ووافد، ونسيب، احتكمْ. فقال: جاريةٌ جميلة ومن يخدمها، وبَدْرة ومن يحملُها، وفرسٌ وسائسُه، وتَخْتٌ من الثياب. فقال: قد أمرتُ لك بكلِّ ما سألت، ولك في كلِّ سنة مثلُه[٣].

---

(١) انظر الأذكياء لأبي الفرج بن الجوزي ص ٥٣.

(٢) في (د) و (خ): منها لكم، والمثبت من المنتظم ٧/ ٣٠٣، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٠١.

(٣) الخبر في المنتظم ٧/ ٣٠٣- ٣٠٤، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٠١- ٢٠٢. والسيِّد: هو أبو هاشم، إسماعيل بن محمد بن يزيد، المعروف بالسيد الحِمْيَري.
والتخت: وعاء تصان فيه الثياب. القاموس: (تخت).

وقيل: إن السيِّد لما قال له سليمان: احتَكِمْ، قال: [من الطويل]

سأحكمُ إنْ حكَّمتني غيرَ مسرِفٍ ... ولا مقصر يا ابن الكُماة الأكارمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وبغلةٌ ... وجاريةٌ حسناء ذاتُ مآكمِ
وسرجٌ وبِرْذَون سريعٌ وكسوة ... وما ذاك بالإكثار من حكمِ حاكمِ
على ذي نَدًى يعطيكَ حتى كأنما ... ترى بالذي يعطيكَ أحلامَ نائم
أرحني بها من مجلسي ذا فإنَّني ... وحقِّكَ إن لم أُعطَها غيرُ رائمِ(١)



(١) المنتظم ٧/ ٣٠٤.

السنة الثالثة والثلاثون بعد المئة

فيها ثار أهلُ خراسان على أبي مسلم، وزعيمُهم شَرِيك بنُ شيخ المُهْرِيّ، وانضافَ إليه ثلاثون ألفاً، وقالوا لأبي مسلم: ما بايعناكَ على سفك الدماء، وأخذ الأموال، والعملِ بغير كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله، وخاف منهم أبو مسلم، وخرج من مَرْو، وكانوا ببلخ، وقيل: ببخارى، وقد اجتمع إلى شَرِيك خلقٌ كثير، فجهَّز إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي في جيوشه، والتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتِل شَرِيك[1].

وفيها عزل أبو العباس أخاه يحيى بنَ محمد عن الموصل، وكان قد ولّاه إيَّاها في السنة الماضية، فسفك الدماء.

وكان أهلُ الموصل ثلاثة أصناف: صنف خوارج، وصنف لصوص، وصنف تجار، فنادى منادي يحيى: الصلاة جامعة، فاجتمعوا في الجامع، فجرَّد فيهم السيف، فاستأصلَهم، وهدم سورَها، وأباحَها، وكان يحيى عجولاً، قليل الرَّوِيَّة، فلقبوه الحَتْف، وجرى عليهم منه من القتل واستباحةِ الحريم ما لم يَجْرِ على غيرهم[2].

قال يوسف الكوفيُّ: حججتُ سنة ثلاث وثلاثين ومئة، وإذا رجلٌ متعلِّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهمَّ اغفر لي، وما أُراكَ تفعل. فقلتُ له: ما هذا القنوط؟ فقال: ذنبي عظيمٌ، كنتُ مع يحيى بن محمد بالموصل، فأمرنا يوم جمعةٍ، فاعترضنا المسجد، فقتلنا ثلاثين ألفاً، ثم نادى مناديه: مَنْ علَّق سوطه على دار فهي له بما فيها، فعلقت سوطي على دار ودخلتُها فإذا رجل قاعدٌ، وابنان له وامرأة، فقتلتُ الرجل، وقلت للمرأة: هاتِ ما عندك وإلا ألحقتُكِ به[3]، فجاءت بمتاع وسبعة دنانير وقالت: ما عندي غيرُ هذا. فقتلتُ أحدَ الابنين، وقلتُ: هات وإلا قتلتُ الآخر، فلما رأت مِنّي الجدَّ قالت: ارفقْ فعندي لأبيهما دِرعٌ، فجاءت بِدرْعٍ مُذْهبة ما رأيتُ أحسن منها، فجعلتُ أقلّبها إعجاباً بها، وإذا على جانبها مكتوبٌ بالذّهب: [من الوافر]

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٥٩.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٣٢٠.

(٣) في أمالي الزجاجي ص ٥٣: وإلا ألحقت ابنيك به.

إذا جـار الأمـيـرُ وكـاتـبـاه ... وقـاضـي الأرض داهَـنَ فـي الـقـضـاء
فـويـلٌ ثـم ويـلٌ ثـم ويـلٌ ... لـقـاضـي الأرض مـن قـاضـي الـسـمـاء

قال: فارتعدتُ، وسقط السيف من يدي، وخرجتُ إلى هاهنا من وقتي[١].

ولما بلغ السفَّاحَ فعلُ أخيه أعظَمَ ذلك، وعزله، وولَّى على الموصل عمَّه إسماعيل ابنَ عليٍّ.

وفيها مات داود بنُ عليٍّ بعد أن أفنى مَنْ كان في الحجاز من بني أُميَّة، وولَّى أبو العباس خالَه زياد بنَ عُبيد الله[٢] الحارثي على المدينة ومكة والطائف.

وفيها فرَّق أبو العباس عمَّاله في البلاد، فبعث إلى البصرة والبحرين وعُمان وتلك النواحي عمَّه سليمان بنَ عليٍّ، وبعث محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المَدَان الحارثي إلى اليمن، وولَّى عبد الله بنَ عليٍّ وصالح بنَ عليٍّ الشامَ، ومحمد بن الأشعث إفريقية، فسار إليها فافتتحها.

وفيها نزل ملك الروم على مَلَطْيَة، وكان عمر بنُ عبد العزيز رحمة الله عليه قد اشتراها وجعلها معقِلاً للمسلمين، فحصَرَها في هذه السنة وضايقها، وقاتلوه قتالاً شديداً، وكان عبد الله وصالح على الشام، فلم يكن لهما به طاقةٌ، فطلَبَ منه المسلمون الأمانَ، فأعطاهم، ففتحوا له الأبوابَ، فدخل، وهدَمَ الجامع، والسور، ودارَ الإمارة، وبعث مع المسلمين خيلاً أوصلتهم إلى المأمن، ووفى لهم.

وحجَّ بالناس زياد بن عُبَيد الله الحارثي وهو على الحجاز، وعلى الكوفة عيسى بنُ موسى، وعلى قضائها ابنُ أبي ليلى، وعلى البصرة وما والاها سليمان بنُ علي، وعلى قضائها عباد بن منصور، وعلى خراسان أبو مسلم، وعلى السِّند منصور بن جمهور مخالف لبني العباس، وعلى الشام عبد الله بنُ عليٍّ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بنُ يزيد، وعلى دواوين الخراج خالد بنُ بَرْمَك.

---

(١) أمالي الزجاجي ص ٥٣.
(٢) في (د) و (خ): عبد الله، وهو خطأ.

[فصل][(١)] وفيها توفي

حسان بنُ عتاهية

ابن عبد الرحمن المصري، ولي إمرةَ مصر لهشام، ثم عُزِل عنها، وولاه إيَّاها مروان سنة سبع وعشرين ومئة، وكان عالماً، جالس عطاء بنَ أبي رباح، وسمع منه، قتَلَه شرعبة بأمر صالح بن عليٍّ سنة ثلاث وثلاثين ومئة[(٢)].

الحسن بنُ الحُرِّ

ابن الحَكَم النَّخَعيُّ [ويقال:] الجُعفيُّ، من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، أوصى له عَبْدة بنُ أبي لُبابة - وهو خالُه - عند وفاته بجارية، فأقامَتْ عنده لا يطؤها، فقيل له في ذلك، فقال: كان خالي عندي بمنزلة الوالد، فأنا أكره أن أطَّلِعَ مُطَّلَعَه.

وقال الأوزاعي: ما قدِمَ علينا من العراق أفضلُ من الحسن.

وكانت وفاتُه بمكة.

أسند عن أبي الطفيل، وخاله عبدة، وغيرهما، وروى عنه محمد بنُ عَجْلان، وغيره، وكان ثقةً قليلَ الحديث[(٣)].

داود بنُ علي

ابن عبد الله بن عباس عمُّ السفَّاح، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأُمُّه أمُّ ولد، بربريةٌ اسمُها لُبابة، ولَّاه أبو العباس مكة والمدينة، وحجَّ بالناس سنة اثنتين وثلاثين، وهي أول حجةٍ حجَّها ولدُ العباس، ثم صار إلى المدينة، فأقام بها أشهراً، ثم ماتَ بالمدينة في شهر ربيع الأول - واستخلَفَ على المدينة ابنَه موسى، فلما بلغ السفَّاحَ ولَّى زياداً الحارثيّ - وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، وقيل: خمساً وخمسين سنة.

روى عن أبيه، وروى عنه محمد بن [عبد الرحمن بن] أبي ليلى وغيره، وولد سنة ثمان وسبعين، وليَ إمرةَ الكوفة قبل الحجاز.

---

(١) ما بين حاصرتين من (د).

(٢) الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٤٥٦، وتاريخ ابن عساكر (مخطوط) ٤/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٤٧٣، وتاريخ دمشق (مخطوط) ٤/ ٤٢٥-٤٢٩، وما بين حاصرتين منه.

وسمع سالم بنَ أبي حَفصة وهو يطوفُ بالبيت ويقول لبيكَ يا مُهلكَ بني أُميَّة، فأعطاه ألفَ دينار.

قدم داودُ دمشق غيرَ مرَّة، وكان بها لما وصل الخبرُ بوفاة هشام بن عبد الملك، وكتب إلى أخيه محمد بذلك، وكان بدمشق حين ابتدأ أهلُ المزَّة في التدبير على الوليد ابن يزيد، وعرضوا عليه أن يُبايع ليزيد بن الوليد فأبى.

وكان جواداً، سمحاً، شجاعاً، فصيحاً، خطيباً، شاعراً، ورثاه إبراهيم بنُ هَرْمة فقال: [من المنسرح]

أَرْوَعُ لا يُخلِفُ العِداتِ ولا ... تمنعُه من سؤاله العِلَلُ
لكنه سابغٌ عطيَّتَه ... يدركُ منه السُّؤَّال ما سألوا
لا عاجزٌ عازب مروءته ... ولا ضعيفٌ في رأيه زللُ
يحمدُه الجارُ والمباعدُ والـ ... أرحامُ تُثني بحسنِ ما يصلُ
حَلَّ من المجد والمكارم في ... خيرِ محلٍّ يحلُّه رجلُ[(١)]

عُمر بنُ أبي سَلَمة

عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهريُّ، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأُمُّه أمُّ ولد، قتَلَه عبد الله بنُ عليٍّ فيمن قتل مع بني أمية، أسند عن أبيه، وروى عنه سعد بنُ إبراهيم، وكان قليل الحديث، لا يحتجُّ بحديثه[(٢)].

محمد بنُ عمر

ابنِ عليِّ بن أبي طالب، أبو عبد الله، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأُمُّه أسماء بنتُ عَقِيل بن أبي طالب، وكان له من الولد عُمر، وعبد الله، وعُبَيد الله، أُمُّهم خديجة بنتُ عليٍّ بن حُسين بن عليٍّ بن أبي طالب، وجعفر، وأمُّه أمُّ هاشم، مخزومية[(٣)].

(١) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٧١، وأنساب الأشراف ٣/ ٩٥-٩٧، وتاريخ دمشق ٦/ ٢٤ - ٣١، والمنتظم ٧/ ٣٢٣. وما بين حاصرتين من ابن سعد وابن عساكر.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٤-٤٦٥، وفيه: وكان كثير الحديث، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٥٥-٦١.

(٣) في (د) و (خ): وجعفر وأم هاشم أمهما مخزومية، والمثبت من طبقات ابن سعد.

سمع من أبيه، ومن عليٍّ بن حُسين وغيرهما، وكان صدوقاً، ثقةً، قليلَ الحديث، وفَدَ على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، وهشام بن عبد الملك[1].



(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٣، ٤٧٣، وتاريخ ابن عساكر ٦٣/ ٤٤٩-٤٥٣، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٥٠.

السنة الرابعة والثلاثون بعد المئة

فيها في ذي الحجَّة تحوَّل السفَّاح من الكوفة إلى الأنبار، وشرع في بناء مدينته المعروفة بالهاشمية، وسببُه أن أبا مسلم كتب إليه: إنَّ أهل الكوفة شارَكوا شيعة أمير المؤمنين في الاسم، وخالَفوهم في الفعل، ورأيُهم في آل أبي طالب الذي تعلمُه، يُطمعونهم في ما ليس لهم، ويغوونهم في الباطل، ثم يخذلونهم، ولا أثر بعد عين، فلا تؤهِّلهم لجوارك فليست دارُهم لك بدار. فانتقل إلى الأنبار(١).

وفيها خالف بسَّام بن إبراهيم بن بسام أبا العباس، وخرج عليه، واستمال جماعةً من قوَّاد خراسان، ونزل المدائن، فوجَّه إليه أبو العباس خازم بن خزيمة، فلقيه، واقتتلوا، فهرب بسَّام، وتبعه خازم، فمرَّ على جماعة من بني عبد المَدان أخوالِ أبي العباس بقريةٍ من قرى العراق يقال لها: دارُ المطامير وهم في مجلسٍ لهم، وكانوا نحواً من خمسة وثلاثين منهم ومن مواليهم، فلم يُسلِّم عليهم خازم؛ لأنهم أجاروا رجلاً من أصحاب بسَّام يقال له: المغيرة، فلما رجَعَ شتموه حيث لم يُسلِّم عليهم، فقال: بالأمس تؤوون عدوَّ أمير المؤمنين، واليوم تشتموني؟! فأغلظوا له في القول، فضرب أعناقَهم، ونهب أموالَهم، وعاد إلى الكوفة.

واجتمعت اليمانيةُ وأخوالُ أبي العباس إليه، وقالوا: فعل خازم بأخوالك ما لم يفعله أحدٌ، وتجرَّأ على الخلافة بقتل أهلك، فهمَّ أبو العباس بقتله، فدخل موسى بنُ كعب وأبو الجهم عليه، وقالا: إنَّ أهل خراسان فعلوا ما قد علمت، وإن [ابنَ] خُزَيمة من أفاضلهم، والذي فعلَه في طاعتك وإقامةِ حرمتك، وإن كان ولابدَّ من قتله فنعيذك بالله أن تتولَّى ذلك بنفسك، اِبعثْه إلى بعض الوجوه التي فيها أعداؤك، فإن هلَكَ بلغتَ مرادَك، وإن ظهر كان لك.

وكان قد ظهر بجزيرة ابن كاوان وعُمان خوارج، فبعث إليهم، وكتب إلى سليمان ابن عليٍّ إلى البصرة بتجهيزهم، فسار خازم في جيش من أهل خراسان ومعه أهله ومواليه إلى البصرة، وركب في السفن إلى عُمان وبها الجلندى وكان من الإباضية،

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٦٩-١٧٠.

وشَيْبان من الصُّفرية، [فالتقى ابن خزيمة بشيبان قبل الجلندى، فقتله][١]، وجاء الجلندى، فاقتتلوا أياماً، وظهر على [ابن] خزيمة، وقُتل إسماعيل أخو خازم لأُمِّه، وجماعةٌ من أهل خراسان، وكان الجلندى نازلاً في بيوت من خشبٍ، فحمل أصحابُ [ابن] خُزيمة قوارير النفط في رؤوس الرماح، وحملوا، فأحرقوا البيوتَ، فاشتغلوا بأولادهم وأهاليهم، ثم وضع [ابن] خُزيمة السيفَ فيهم، فقتل منهم سبع مئة مقاتل، وقتل الجلندى، وبعث برؤوسهم إلى البصرة[٢].

وفيها بعث أبو العباس موسى بنَ كعب إلى السِّند لقتال منصور بن جمهور، فسار في خمسة آلاف من العرب والموالي، وخرج منصور للقائه في اثني عشر ألفاً، والتقوا، فانهزم منصور وأصحابُه، ومات عطشاً في الرمال، وبلغ عاملَه على السِّند، وكان عيالُ منصور وخزائنُه بالمنصورة، فأخذهم وأخذَ أموالَهم، ودخل الخزر، واستولى موسى على السِّند[٣].

وفيها بنى أبو العباس الأميال من مكة إلى الأنبار، وضرَبَ المَنَار على الطرق، وأقام البُرُد، واستخدم الرجال.

وحجَّ بالناس عيسى بنُ موسى وهو على الكوفة، وكان على قضائها ابنُ أبي ليلى، وعلى مكة واليمامة والطائف زيادُ الحارثي، وعلى اليمن عليّ بنُ الربيع بن عُبيد الله الحارثيّ - كان قد تُوفي في هذه السنة محمد بنُ عُبيد الله الحارثي، وكان على اليمن، فبعث السفَّاح مكانَه عليَّ بنَ الربيع - وكان على البصرة وأعمالها سليمان بنُ عليٍّ، وعلى قضائها عبَّاد بنُ منصور، وعلى السِّند موسى بنُ كعب، وعلى خراسان أبو مسلم، وعلى الموصل إسماعيل بنُ عليٍّ، وعلى أذربيجان محمد بنُ صول، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى الشام عبد الله بنُ عليٍّ، وعلى فلسطين صالح بنُ علي، وعلى مصر أبو عون، وعلى ديوان الخراج خالد بنُ برمك، واستقامت الدنيا لأبي العباس[٤].

---

(١) ما بين حاصرتين من (د).

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٦١ - ٤٦٣، وانظر تاريخ الإسلام ٣/ ٥٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٤٦٤.

(٤) المنتظم ٧/ ٣٢٥.

وفيها تُوفي

إسماعيل بنُ محمد

ابن سَعْد بن أبي وقَّاص، أبو محمد، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأُمُّه أمُّ ولد، وكان له من الولد أبو بكر، وأمُّ محمد، وأمُّ كلثوم، وأمُّ القاسم، أمُّهم أمُّ سُلَيمان بنتُ عبد الله بن عُبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطَّاب، وأمُّها عائشة بنتُ عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وله أحاديث، وكان ثقةً يعدُّ من فقهاء المدينة ومحدِّثيهم، وكان من كبار رجال سفيان بن عُيَينة.

اجتمع هو والزهريُّ فتذاكرا حديثَ تسليم رسول الله ﷺ في الصلاة، فقال إسماعيل: حدثني عامر بنُ سَعْد، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسلِّم تسليمةً عن يمينه، وتسليمةً عن يساره حتى يُرى بياضُ خدَّيه، فقال الزهريُّ: لم نسمع هذا من حديث رسول الله ﷺ، فقال إسماعيل: أكلَّ حديث رسول الله ﷺ سمعتَ؟ قال: لا. قال: فالثلثين؟ قال: لا. قال: فالنصف؟ [قال: لا]. قال: فاجعل هذا في النصف الذي لم تسمعه[1].

أسند عن أبيه، وأنس بن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وغيرهم، وروى عنه الزهريُّ، ومالك بنُ أنس، وابنُ عُيينة في آخرين[2].

يزيد بنُ يزيد

ابن جابر الأَزْديُّ، من الطبقة الخامسة من أهل الشام، كان من الخائفين البكَّائين، أثنى عليه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه، فقال: كان من صالحيهم.

أسند عن الزهريِّ وغيره، وروى عنه الثوريُّ وغيره، وكان ثقةً إن شاء الله[3].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٧٢٧)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٧٦ . وما بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٧، وانظر السير ٦/ ١٢٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٧١، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩-٣٠، وانظر السير ٦/ ١٥٨.

يونس بنُ عُبيد

أبو عبد الله، مولى عَبْد القَيْس، من الطبقة الرابعة من أهل البصرة.

قال: ما كتبتُ شيئاً قطُّ. وكان يُحدِّث ثم يقول: أستغفر الله، ثلاثاً.

وقال محمد بنُ عبد الله الأنصاريُّ: رأيتُ سُلَيمان وعبد الله ابني عليٍّ بن عبد الله بن عباس، وجعفراً ومحمداً ابني سُلَيمان بن عليٍّ يحملون سرير يونس على أعناقهم.

وكان يونس خزَّازاً، فجاء رجلٌ يطلب ثوباً، فقال لغلامه: انشر الرِّزمة[١]، فنشَرَها الغلام، وقال: صلى الله على محمد، فقال: ارفعه، وأبى أن يبيعه مخافةَ أن يكون قد مَدَحه.

وغلا الحريرُ في موضعٍ قريب من البصرة، وكان إذا غلا في ذلك الموضع غلا بالبصرة، فاشترى يونسُ حريراً من رجل بثلاثين ألفاً، فلما كان بعد ذلك قال يونس للرجل: هل كنتَ علمتَ أنَّ الحرير غلا بأرض كذا؟ قال: لو علمتُ ما بعتُه. قال: فخُذ حريرَكَ، ورُدَّ المال، فردَّه.

وجاء يونس بشاةٍ إلى السوق ليبيعها فجعل يقول: من يشتريها على أنها تقلع الوَتِد، وتبدِّد العلف؟ فقيل له: ما يشتريها أحد على هذا. فقال: ديني هو، أبيعه؟! وجاء رجلٌ من أهل الشام إلى سوق الخَزِّ، فقال: أريدُ مُطْرفاً بأربع مئة، فقيل له: هو عند يونس ابن عُبَيد، فجاء إليه، فقال: ما عندي مِطْرفٌ إلا بمئتين. وأقيمت الصلاة، فقام يونس يصلِّي فجاء وقد باع ابنُ أخيه المطْرفَ من الرجل بأربع مئة درهم، فقال: وأين الرجل؟ قال: ذهب. قال: ويحكَ! كيف بعتَه إياه بأربع مئة وهو بمئتين؟ قال: رضي به. فتبعه يونس، وقال: يا عبدَ الله، المطْرفُ الذي باعكَ إياهُ ابنُ أخي بأربع مئة إنما هو الذي قلتُ لك: إنه بمئتين، فإن شئتَ فدعْه، أو خذه وخذ مئتين، فقال له الرجل: من أنتَ؟ قال: رجلٌ من المسلمين. قال: أسألك بالله من أنت؟ قال: أنا يونس بنُ عُبَيد. فقال: والله إنا نكون في نَحْر العدوِّ، فإذا اشتدَّ علينا الأمرُ قلنا: اللهمَّ فرِّج عنا بيونس بن عُبيد[٢]، فيُفرّج عنا. وإنا لنُمنع القَطْر، فنسأل الله به فيسقينا.

---

(١) الرزمة ما شُدَّ في ثوب واحد. القاموس: (رزم).

(٢) في حلية الأولياء ٣/ ١٥: اللهم رب يونس بن عبيد فرج عنا، أو شبيه هذا.

واجتمع يونس وعبد الله بنُ عَوْن، فتذاكرا الحلال، فكلاهما قال: ما في بيتي درهم حلال. وقال هشام بنُ حسَّان: ما رأيتُ أحداً يطلبُ العلم لله إلا يونس بنَ عُبَيد.

ومرض يونس فقال أيوب السّخْتِياني: ما في العيش بعدكَ من خير.

وقال حمَّاد بنُ زيد: قال لنا يونس بنُ عُبيد: احفظوا عني ثلاثاً: [لا يدخلنَّ أحدُكم على سُلطان يَعِظه، و](١) لا يخلوَنَّ [أحدكم] بامرأةٍ شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكننَّ [أحدكم] سمعَه من ذي هوى.

وجاءه رجل يشكو الفقرَ والحاجةَ، فقال له: أيسرُّكَ ببصرك الذي تبصرُ به مئةَ ألف؟ قال: لا. [قال:] فبسمعكَ الذي تسمع به؟ قال: لا. قال: فبعقلكَ الذي تعقلُ به؟ قال: لا. وجعل يعدِّد أعضاءه. ثم قال: أرى لك [مئين] ألوفاً وأنتَ تشكو الحاجة!

وقال: ما شبَّهتُ طالب الدنيا إلا برجلٍ نائم رأى في منامه ما يكره وما يحبُّ، ثم انتبَه وهو على ذلك.

وقال إسحاق بنُ إبراهيم: نظَرَ يونس إلى قدميه لما احتضر وبكى، وقال: ما اغبرَّتا في سبيل الله.

أسند عن أنس بن مالك، وعكرمة، والحسن، وابن سِيْرين، وكان عالماً، زاهداً، عابداً، ورعاً، ثقةً، كثير الحديث، ومات سنة أربع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين ومئة(٢).



---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٠٧، وما بين حاصرتين منه.

(٢) الطبقات الكبرى ٩/ ٢٥٩، وحلية الأولياء ٣/ ١٥-٢٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

السنة الخامسة والثلاثون بعد المئة

فيها خرج زياد بنُ صالح من وراء النهر، فسار إليه أبو مسلم، وقطع النهر، ووصل إلى بخارى، فاستأمن إليه جماعةٌ من قوَّاد زياد، فقال لهم أبو مسلم: ما الذي دعاه إلى الخروج؟ قالوا: سِباع بنُ النعمان ـ وكان بآمُل ـ فبعث إليه فقتَلَه، ولما رأى زياد تفرُّق أصحابه عنه إلى أبي مسلم [استأمن إلى دهقان، فقتله، وجاء برأسه إلى أبي مسلم] وظفِرَ أبو مسلم بكتُبٍ من عيسى بن ماهان إلى القوَّاد تُفسد على أبي مسلم أمرَه، وتسعى بأبي داود خالد بن إبراهيم نائب أبي مسلم، فبعث أبو مسلم بالكتُب إلى أبي داود، فعاتَبَ عيسى بنَ ماهان، فأنكر، فأخرج له الكتُبَ، فسكت وكان أبو داود محسناً إليه، فأُدخل ابنُ ماهان في جُوالِق[١] وضُرب بالعُمُد حتى مات، وعاد أبو مسلم إلى مَرْو[٢].

وحجَّ بالناس سُلَيمان بنُ عليٍّ وهو على البصرة وأعمالها، وكان على المدينة زيادٌ الحارثيُّ، وعلى مكة والطائف العباس بنُ عبد الله بن مَعْبَد بن العباس، وعلى الكوفة عيسى بنُ موسى، وعلى الجزيرة أبو جعفر، وعلى الشام عبد الله بنُ عليٍّ، وعلى الأردن صالح بنُ علي[٣]، وعلى مصر أبو عَوْن، وعلى ديوان الخراج خالد بنُ بَرْمَك.

[فصل][٤] وفيها تُوفي

إسماعيل بنُ سالم

أبو يحيى الأسَديُّ، الكوفيُّ، ولاه هشام بنُ عبد الملك موضع بغداد رابطة في خمس مئة فارس، فكانوا يغيرون على من قِبَلَهم من الخوارج وقعات[٥].

---

(١) وهو الوعاء، جمعه جَوالِق بفتح الجيم وكسر اللام. الصحاح والقاموس: (جلق).

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٦٦-٤٦٧، وما سلف بين حاصرتين من (أ).

(٣) كذا في (د) و(خ)، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٤٦٧، والمنتظم ٧/ ٣٢٦ أن الأردن كانت تحت ولاية عبد الله بن علي، وفي الطبري كذلك أن صالح بن علي كان على البلقاء وفلسطين.

(٤) ما بين حاصرتين من (د).

(٥) كذا في (د) و(خ)، ولم نقف على من ذكر تولية هشام بن عبد الملك له، وقد جاء في المنتظم ٧/ ٣٢٧: وكان =

وكان شجاعاً، ديِّناً، ورعاً، صالحاً. أسند عن الشعبيِّ وغيره، وروى عنه سفيانُ الثوريُّ وغيره.

وسُئل الإمام أحمد رحمةُ الله عليه عنه فقال: ثقةٌ ثقة، وقيل لابن معين: أثقةٌ هو؟ قال: نعم، أوثقُ من أساطين الجامع[(١)].

رابعةُ العَدَوية

البصريةُ، الزاهدة، كانت مولاةً لآل عتيك، وكان سفيانُ الثوريُّ وأقرانُه يتأدَّبون بها.

وقال جعفر بنُ سليمان: أخذ سفيانُ الثوريُّ بيدي وقال: مُرَّ بنا إلى المؤدِّبة التي لا أجدُ من أستريح إليه سواها، فدخلنا عليها، فرفع سفيانُ يديه وقال: اللهمَّ إني أسألُك السلامة، فبكت رابعةُ، فقال لها: ما يُبكيكِ؟ فقالت: أنتَ عرَّضتني للبكاء. قال: وكيف؟ قالت: أما علمتَ أن السلامةَ من الدنيا تركُ ما فيها؟ فكيف وأنتَ متلطِّخ؟

وقال عبد الله بنُ عيسى: دخلتُ على رابعة فوجدتُها جالسةً، فجعلتُ أسمع وَقْعَ دموعها على البَوَاري[(٢)] مثل وَكْفِ المطر: طَقْ طَقْ، ثم اضطربتْ وصاحتْ، فقمنا وخرجنا.

وقال رياح القَيْسيُّ: احتاجت رابعةُ، فقيل لها: ألا تسألين أهلك يغيِّرون من زيك؟ فبكت وقالت: وعزَّة ربي ما سألتُ الدنيا قطُّ ممَّن يملكها، فكيف أسألُها ممَّن لا يملكها؟

وقال لها رجل: ادعي لي، فقالت: من أنا؟ أطِعْ ربَّك وادْعُه؛ فإنه يجيب المضطرَّ إذا دعاه.

ودخل عليها صالح بنُ عبد العزيز[(٣)] وكِلاب بنُ جُرَيّ، فتذاكروا بين يديها الدنيا،

= أصله من الكوفة، ثم تحول فسكن بغداد قبل أن تبنى وتسكن، وكانت ببغداد لهشام بن عبد الملك وغيره من الخلفاء خمس مئة فارس رابطة يغيرون على الخوارج إذا خرجوا في ناحيتهم قبل أن يضعف أمرهم.

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٣٢٣، وتاريخ بغداد ٧/ ١٧٤-١٧٧، والمنتظم ٧/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) البواري جمع بُوري: وهو الحصير المنسوج، وقد يكون من القصب. اللسان: (بور).

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ٢٨: صالح بن عبد الجليل، وهو الصواب.

وأقبلوا يذمُّونها، فقالت لهم: أرى الدنيا بئراً نبعُها في قلوبكم. قالوا: وكيف؟ قالت: لأنكم نظرتُم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتُم فيه، ومن أحبَّ شيئاً أكثَرَ من ذكره.

وكانت تقول: أستغفر الله [من قِلَّة صدقي في قولي: أستغفرُ الله](١).

ودخل عليها سفيان الثوري فقال: واحُزْناه! فقالت: لا تكذبْ. قال: فما أقول؟ قالت: قُل: واقِلَّة حُزْناه؛ لأنك لو كنتَ محزوناً ما هنَّاك عَيْش.

وكتب إليها سُلَيمان بنُ عليٍّ والي البصرة يخطبُها، وقال في كتابه: أما بعد، فإنَّ لي من غلَّتي في كلِّ يوم مئةً وعشرين ألف درهم، ولن تذهب الأيامُ والليالي حتى يصير لي مئتا ألف درهم، وإني راغبٌ فيك، والسلام.

فكتبت خلف الكتاب: أما بعدُ، فإن الزهد في الدنيا راحةُ القلب والبدن، والرغبةُ فيها تُورث الهمَّ والحَزَن، وما يسرُّني أن الله تعالى خوَّلني أضعافَ ما خوَّلك وشغلني به عنه طَرْفةَ عين، فإذا قرأتَ كتابي هذا فاجعل الموت نُصبَ عينيك، فكأنْ قد جاء، والسلام.

وقالت عَبْدة بنتُ أبي شوال وكانت تخدِمُ رابعة: كانت رابعة تصلِّي الليلَ كلَّه، فإذا طلع الفجر هَجَعَتْ في مصلَّاها هَجعةً خفيفة حتى يُسْفر الفجر، ثم تَثِبُ إلى الصلاة فَزِعةً، وتقول: يا نفسُ كم تنامين! وإلى كم لا تقومين! يوشك أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلا بصرخة يوم النشور. فكان هذا دأبَها طول عمرها.

وقال عبد الله بنُ عيسى: طبخت رابعةُ قدراً، فاحتاجت إلى بصلة، ولم تكن عندها، فجاء طائر في منقاره بصلةٌ فألقاها إليها.

وقال مِسْمَع بنُ عاصم: قالت رابعة: اعتللتُ علَّة، فمنعني عن قيام الليل والتهجُّد، فأقمتُ أياماً أقرأُ وردي إذا ارتفع النهار؛ لما يُذكر أنه يعدِلُ قيامَ الليل، ثم إنَّ الله رزقني العافيةَ، فاعتادتني فترةٌ في عقب العلَّة، وكنتُ قد سكنتُ إلى قراءة جزئي في النهار، وانقطع عنِّي قيامُ الليل، فبينا أنا راقدةٌ ذات ليلةٍ رأيتُ في منامي كأنِّي رُفِعتُ إلى روضة خضراء ذات قصور، فبينا أنا أتعجَّبُ من حسنها إذ بطائرٍ أخضر وجارية تطاردُه كأنها تريد أَخْذَه، فشغلني حسنُها عن حسنه، فقلتُ: ما تريدين منه؟ دعيه؛ فوالله ما رأيتُ

(١) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة ٤/ ٢٨.

طائراً أحسن منه، فقالت: ألا أريكِ ما هو أحسنُ منه؟ قلتُ: بلى. فأخذت بيدي، فأدارت بي في تلك الروضة حتى انتهتْ بي إلى باب قصر، فاستفتحت، ففُتح لها بابٌ ظهر منه شعاعٌ استبان من ضوء نوره ما بين يديَّ وما خلفي، فقالت: اُدخلي، فدخلت إلى بيتٍ يَحار فيه البصرُ، يتلألأُ حسناً، ما أعرفُ في الدنيا شيئاً أشبِّهه به، فبينا نحن نجول فيه إذ رُفع لنا بابٌ إلى بستان، فأهوتْ نحوَه وأنا معها، فتلقَّانا وصفاء كأنَّ وجوههم اللؤلؤ، بأيديهم المجامر، فقالت: أين تريدون؟ قلن: نريد فلاناً، قُتل في البحر شهيداً، قالت: أفلا تجمِّرن هذه المرأة؟ فقلن: قد كان لها حظٌّ في ذلك فتركته. قالت رابعة: فأرسلتْ يدَها من يدي، ثم أقبلت عليَّ وقالت:

صلاتُكِ نورٌ والعبادُ رقودُ ونومُكِ ضدٌّ للصلاة عتيدُ
وعمرُكِ غُنْمٌ إنْ عقلتِ ومهلةٌ يسيرُ ويفنى دائباً ويبيدُ

ثم غابت عنِّي، واستيقظتُ بنداء الفجر، فوالله ما ذكرتُها فتوهَّمتُها إلا طاش عقلي، وأنكرت نفسي. ثم غُشي على رابعة، فوالله ما نامت بعد هذه الرؤيا بليلٍ حتى ماتت(١).

وقالت زُلفى بنتُ عبد الواحد(٢): قلتُ لرابعة: يا عمَّة، لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك؟ فقالت: وما أرجو من الناس؟ إن أتوني حَكَوا عني مالم أقل أو أفعل ما لو رأيتُه لفزعتُ منه، واستوحشت منه، بلغني أنهم يقولون: إني أجدُ الدراهم تحت مصلَّاي، وأطبخُ القدرَ بغير نار، فقلت لها: إنهم يخبرون عنك أنَّك تجدين الطعام والشراب في منزلك: [فهل تجدين شيئاً فيه؟](٣) فقالت: يا بنتَ أخي، لو وجدتُ في منزلي شيئاً من ذلك ما مسستُه، ولا وضعتُ يدي عليه، ولكنِّي أُخبرك أني أشتري الشيءَ فيبارَكُ لي فيه.

وقال رِياح القَيْسيّ: نظرتْ إليَّ رابعةُ وأنا أُقبِّل صبيّاً [من أهلي](٤) وأضمه إليَّ، فقالت: رياح، أتحبُّه؟ قلت: نعم، فقالت: ما كنتُ أحسبُ أنَّ في قلبك موضعاً فارغاً لمحبَّة غيره.

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٦٥.
(٢) في (د): بنت عبد الوارث.
(٣) ما بين حاصرتين من تلبيس إبليس ص ٣٦٩.
(٤) ما بين حاصرتين من (د).

قال ابنُ أبي الدنيا: فصرخَ رِياح، وسقط مغشيّاً عليه، فلما أفاق جعل يمسح العرقَ عن وجهه، ويقول: رحمةٌ منه ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

وجاء رجلٌ إلى رابعة فقال: إني كنتُ في ثَغْر مرابطاً، فرأيتُ منكراً، فخرجتُ منه لأعمل في تغييره، فقالت له: ارجع إلى ثَغْرك؛ فإنك إن صرتَ إلى أبوابهم رأيتَ من المنكر ما يصغُرُ عندك ما خرجتَ في تغييره، ثم لا تأمَنُ على نفسك الفتن.

وقالت: رأيتُ رسول الله ﷺ في منامي، فقلت: يا رسول الله، أُعذرني؛ فإن محبَّة الله شغلتني عن محبَّتك، فقال: يا مباركة، إذا أحببتِ الله فقد أحببتِني.

وذُكر بين يديها أن عابداً في بني إسرائيل كان لا يَطْعَم الطعام في كلِّ سنة إلا مرَّة واحدة، ينزل من صومعته، فيأتي مزبلةً على باب ملك، فيتقمَّمُ منها من فضل مائدته، فقال رجل عندها: وما على هذا إذا كان بهذه المنزلة أن يسأل الله أن يجعل رزقَه في غير هذا؟ فقالت رابعة: إنَّ أولياء الله إذا قضى لهم قضاء لم يتسخَّطوه.

وخرجت رابعةُ في يوم عيدٍ، فلما رجعت قيل لها: كيف رأيتِ العيد؟ فقالت: رأيتُكم خرجتُم لإحياء سنَّة وإماتة بدعة، فأظهرتُم نعماً أدخلتُم بها على المسلمين ذلَّة.

ولما قصَّ رياحٌ على الناس جاء يستأذن على رابعة، فلم تأذن له، وقالت: لم ظهر حزنه على الناس[١].

ذكر وفاتها:

قالت عَبْدة بنتُ أبي شوال: لما احتضرت رابعة دعتني، وقالت: يا عَبْدة، لا تُؤْذني بموتي أحداً، وكفِّنيني في جبَّتي هذه. جبَّة من شعر كانت تقومُ فيها إذا هدأت العيون، فكفَّنَّاها في تلك الجبَّة وخمار من صوف كانت تلبسه.

قالت عَبْدة: فرأيتُها بعد ذلك في منامي بسنة أو نحوها وعليها حُلَّة استبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر، لم أرَ في الدنيا أحسنَ منها، فقلتُ لها: يا رابعة، ما فعلت تلك الجبَّة والخمار؟ فقالت: نُزِعا عني وأُبدلت بهما هذا الذي ترين عليَّ، وطُويت

(١) في (د) حزنه للناس.

أكفاني، وخُتم عليها، ورُفعت إلى عليِّين ليكمل لي بها ثوابُها يوم القيامة، فقلت لها: أفلهذا كنت تعملين أيامَ الدنيا؟ فقالت: وما هذا عند ما رأيتُ من كرامة الله لأوليائه؟ قلت: فما فعلتْ عبيدة بنتُ أبي كلاب؟ فقالت: هيهاتَ هيهاتَ، سبقتنا والله إلى الدرجات العُلَى. قلت: بمَ ذلك، وقد كنتِ عند الناس أكبر منها؟ قالت: لأنها لم تكن تبالي على أيِّ حال أصبحتْ من الدنيا وأمستْ، فقلت: فما فعل أبو مالك [تعني ضَيْغماً][(1)] قالت: يزور الله متى شاء. قلت: فما فعل بِشْر بنُ منصور؟ قالت: بخ بخ! أُعطي والله فوق ما كان يُؤمِّل، فقلت: مُرِيني بأمرٍ أتقرَّب به إلى الله قالت: عليك بكثرة ذِكْره، أَوْشَكَ أن تغتبطي بذلك في قبرك.

وكانت وفاةُ رابعة رحمةُ الله عليها بالبصرة هذه السنة[(2)].

زُهْرة بنُ مَعْبد

ابن عبد الله بن هشام التَّيْميُّ، من الطبقة الثالثة من أهل مصر[(3)]، كان من الأبدال، وكان يسكن الفُسْطاط، ثم انتقل إلى الاسكندرية، ومات بها.

قال زُهرة: قال لي عمر بنُ عبد العزيز: يا أبا عَقِيل، أين تسكنُ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، الفُسْطاط، فقال: أتسكنُ الخبيثة المُنتنة، وتدع طيبة؛ فإنك تُحصِّل بها الدنيا والآخرة، ولست أعني طيبة بالمدينة، وإنما أعني الإسكندرية، ولولا ما أنا فيه لأحببتُ أن يكون منزلي بها حتى يكون قبري بين ذينك الميناءين.

حدث زهرة عن ابن عمر وابن الزُّبير وغيرهما، وروى عنه المصريون[(4)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (د).

(٢) انظر ترجمة رابعة العدوية وأخبارها في الرضا عن الله (٢١)، والمنامات (٥١)، كلاهما لابن أبي الدنيا، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧ -٣٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥-٢٨٨، والسير ٨/ ٢٤١-٢٤٢.

(٣) في (د) و (خ): من أهل البصرة، وهو خطأ، والمثبت من ابن سعد ٩/ ٥٢١، وفي تاريخ ابن عساكر ٦/ ٤٤٤: مدني سكن مصر.

(٤) المنتظم ٧/ ٣٢٨، وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٣.

سليمان بنُ هشام

ابن عبد الملك بن مروان، قد ذكرنا مبايَنَتَه لمروان، فلما قُتل مروان بعث إلى أمِّ سلمة بنت يعقوب المخزومية زوجةِ السفاح ـ وكانت قبله عند مَسْلَمة بن هشام بن أخي سليمان، وطلَّقها ـ وسألها أن تكلِّم السفاح فيه، فكلَّمته وقالت: ما زال مبايناً لمروان، والتجأ إلى الخوارج وقاتَلَه، ومضى إلى الهند، وقد قدم العراق، وأُريد أن تكتب له أماناً، فأَمر بأن لا يُتعرَّض له، فكان يحضر مجلسَ السفَّاح ويُدْنيه، وكتب [أبو مسلم إلى][(١)] السفاح يقول: بقي من الشجرة الملعونة فرعٌ، فإن أهملتَه بسَقَ، وإذا كان عدوُّك ووليُّك عندك سواءٌ، فمتى يرجو المطيعُ خيرَكَ، ويخاف عدوُّك المخائف عنك، وأشار بقتله فلم يقتله، فدسَّ أبو مسلم إلى سُدَيف مالاً، وقال: قل شعراً، فدخل سُدَيف يوماً على السفَّاح، فرأى سليمان عنده، فقال: [من الخفيف]

يا ابنَ عمِّ الرسول أنتَ ضياءٌ ... استبنَّا بك اليقينَ الجليّا
لا يغرَّنك ما ترى من رجالٍ ... إن تحت الضُّلوع داءً دَوِيّا
فضَعِ السيفَ في ذوي الغدر حتَّى ... لا ترى فوقَ ظهرِها أمويّا
قطَنَ البُغضُ في المُشاش فأضحى ... ثاوياً في قلوبهم مطويّا

فقال سليمان: قتلتَني قتلكَ الله، ثم قام، فقال: يا أبا العباس، إنَّ هذا يستحثك[(٢)] عليَّ، وإنك تريد اغتيالي، فقال السفاح: يا جاهل، ومَنْ يمنعُني منك؟ فقال: أمانُك، فقال لعبد الجبار صاحب شرطته: اضربْ عنقَه، فضربَ عنقَه وعنقَ ولديه، وصلَبَهم.

ويُروى أن سُديف أنشده بيتين آخرين لما لم يقتل سليمان، فقال: [من الوافر]

علامَ وفيم تُتْرَكُ عبدُ شمس ... لها في كلِّ ناحية ثُغاءُ
فما بالرَّمْس من حرَّان فيها ... وإن قُتلت بأجمعها وفاءُ

فسكتَ السفَّاح، فقال: إنَّ سليمان لو لم يقم، ويفحش في كلامه، ولم يخاطب السفاح بإمرة المؤمنين، لما قُتل[(٣)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (د).
(٢) في (خ): يستحدك، وفي أنساب الأشراف: يشحذك، والمثبت من (د).
(٣) أنساب الأشراف ٣/ ١٨٢-١٨٣، وانظر الأغاني ٤/ ٣٤٣ وما بعدها.

عبد الله بن السائب المخزومي

من الطبقة الثالثة من أهل المدينة، والسائبُ له صحبة، وكان خليطَ رسول الله ﷺ، وقال في حقِّه: «نعم الخليطُ السائبُ، لا يُشاري، ولا يماري»[(١)].

وكان عبد الله أديباً، عفيفاً، مغرى بحبِّ الغزل، يهتزُّ عند سماعه، صام يوماً، فلما صلَّى المغرب وقُدِّمت المائدةُ سمع قائلاً يقول ويترنَّم بقول جرير:

إن الذين غَدَوا بقلبك غادروا ... وَشَلاً بعينك لا يزال مَعِينا
غيَّضن من عَبَراتهن وقلن لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا[(٢)]

فقال عبد الله: كلُّ امرأةٍ له طالقٌ، وكلُّ مملوكٍ له حرٌّ إن أفطَرَ في هذه الليلة إلا على

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٠٥)، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ١٣٢، وأخرجه أبو داود (٤٨٣٦)، وابن ماجه (٢٢٨٧)، بنحوه، وجاء عندهما أن السائب هو الذي قال ذلك للنبي ﷺ.
والحديث مضطرب جداً، قال ابن عبد البر في ترجمة السائب من الاستيعاب (١٠٦١): منهم من يجعل الشركة مع رسول الله ﷺ للسائب بن أبي السائب، ومنهم من يجعلها لأبي السائب أبيه، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب، ومنهم من يجعلها لعبد الله بن السائب، وهذا اضطراب لا يثبت به شيء، ولا تقوم به حجة. اهـ.
أما جعل المصنف لعبد الله بن السائب من الطبقة الثالثة من أهل المدينة، فلم نقف على من وافقه على ذلك سوى ما جاء في تاريخ بغداد ٣/ ١٣١، والمنتظم ٧/ ٣٢٩ من أنه مديني، وزاد الخطيب أنه قدم الأنبار على أبي العباس السفاح، والله أعلم بصواب ذلك كله؛ فإن عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي عداده في صغار الصحابة، وهو مقرئ أهل مكة، وذكره ابن سعد ٦/ ٩٤-٩٦ في الطبقة الرابعة فيمن أسلم عند فتح مكة، وكان قد ذكر قبله ترجمة أبيه في الطبقة ذاتها، وأورد له حديث شركته مع النبي ﷺ.
وكذلك ترجم ابن عبد البر لعبد الله بن السائب في الاستيعاب (١٤٩٢)، وقال: من قراء أهل مكة، سكن مكة وتوفي بها. اهـ.
وكذلك قال الذهبي في السير ٣/ ٣٨٨، وقال في تاريخ الإسلام ٢/ ٦٥٧: توفي بعد السبعين، وقيل غير ذلك.
وأما والده السائب بن أبي السائب فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١٠٦١) أنه قد اختلف في صحبته، وأن منهم من جعله فيمن قتل يوم بدر كافراً، ثم رجح إسلامه وأنه من جملة المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم.
وانظر كذلك تهذيب الكمال ٣/ ١٠٤، و ٤/ ١٤١-١٤٢.
ولعل عبد الله بن السائب الذي ترجم له الخطيب وابن الجوزي والمصنف هو غير الصحابي، فاختلطت ترجمة هذا في ترجمة هذا، والله أعلم بالصواب.
(٢) ديوان جرير بشرح ابن حبيب ١/ ٣٨٦. والوشَل: الماء السائل شيئاً بعد شيء.

هذين البيتين.

وسمع ليلة وهو في المدينة منشداً ينشد ويقول: [من البسيط]

أفدي الذين أذاقوني مودَّتَهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رَقَدوا
واستنهضوني فلمَّا قمتُ نحوَهمُ بثقل ما حمَّلوني في الهوى قَعَدوا
لأخرجنَّ من الدنيا وحبّهمُ بين الجوانح لم يشعر به أحدُ
حسبي بأن تعلموا أنّي محبُّكم قلبي وأن تجدوا بعضَ الذي أجدُ
ألقيتُ بيني وبين الحبِّ معرفةً وليس تنفدُ حتى ينفدَ الأبدُ
وليس لي مُسْعِدٌ في الحبِّ يُسْعِدُني وقد بليتُ وقد أضناني الكَمَدُ

وكانت ليلةً شديدة البرد، فخرج عبدُ الله من داره وصاح به: يا هذا، قد وجدتَ المُسْعِد، أين تبغي؟ قال: وادي العرج. وهو على أميالٍ من المدينة، فشيَّعه إلى هناك، ورجع وقد كاد يتلَفُ، فقيل له: خاطرتَ بنفسك والبردُ شديد! فقال: ساعدتُ محبّاً، وأحييتُ مسلماً، وأنلت مكرمةً، وأبقيتُ لي ذِكْراً جميلاً[1].

وكانت وفاتُه بالمدينة.

عطاء بنُ أبي مسلم مَيْسرة

أبو عثمان الخُراسانيُّ البَلْخيُّ، مولى المهلَّب بن أبي صُفْرة، من الطبقة الثالثة من أهل الشام، كان عالماً، زاهداً، فصيحاً من أهل خراسان.

قال: صيامُ النهار، وقيامُ الليل، أيسرُ من شرب الصَّديد، ومقطَّعات النيران والحديد، الوَحَاء الوَحاءَ[2]، النَّجاء النَّجاءَ.

جدّوا في دار الفناء لدار البقاء، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه، فوالله لتفارقُنَّها كرهاً، واجعلوا الموتَ كشيء ذُقتموه، فو الله لتذوقنَّه كرهاً، واعلموا أن سفر الدنيا منقطعٌ، وأكيَسُ الناس من تجهَّز لسفر لا ينقطع.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤-١٣٥، والمنتظم ٧/ ٣٢٩-٣٣٠. والأبيات للعباس بن الأحنف، وتنسب كذلك إلى بشار بن برد.

(٢) أي: البِدارَ البِدارَ، والإسراع. اللسان: (وحي).

وقال: ما من عبدٍ يسجدُ لله سجدةً في بقعةٍ من بقاع الأرض إلاّ شهدتْ له يوم القيامة، وبكتْ عليه عند موته.

مات في سنة خمس وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين بأريحا من أرض بيت المقدس، فحُمل إلى المقدس فدفن هناك.

أسند عن ابن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، وأرسل عن معاذ بن جَبَل، وروى عن ابن المسيب وغيره، [وروى] عنه عمر بنُ عبد العزيز، والثوريُّ، وخلقٌ كثيرٌ من الأئمة، وكان ثقةً، صدوقاً، فاضلاً(١).

يحيى بنُ محمد

ابنِ عليٍّ بن عبد الله بن عباس، خرج مع إخوته وأعمامه من الشَّرَاة لطلب الخلافة، وولّاه السفّاح الموصل، ففعل فيها ما فعل، فعزَلَه، ثم ولّاه فارس، فمات بها، وأمُّه أمُّ الحَكَم بنتُ عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب(٢).



(١) ما بين حاصرتين من (د).
وانظر ترجمة عطاء في طبقات خليفة ٢/ ٨٠١، وحلية الأولياء ٥/ ١٩٣-٢٠٩، وتاريخ ابن عساكر ٤٨/ ٥-٢٧، والمنتظم ٧/ ٣٣١.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ١٢٨. وانظر الكلام عن فتك يحيى بن محمد بأهل الموصل فيما سلف من أحداث سنة ١٣٣هـ.

السنة السَّادسة والثلاثون بعد المئة

فيها قدم عبد الله بنُ عليٍّ من الشام إلى الأنبار، وأبو العباس بها في قصره، وقيل: كان بالهاشمية، فأكرمه، وعقَدَ له على الصائفة في أهل خراسان مضافاً إلى قِنّسرين، وحمص، وحماة، والعواصم، ودمشق، والشام، فعاد إلى الشام.

وفيها عهِدَ أبو العباس إلى أخيه أبي جعفر، ومن بعده إلى عيسى بن موسى، وختَمَ على العهد بخاتمه وخواتيم أهل بيته، وكان قد مرض وأخوه أبو جعفر في الحجّ فخاف.

وفيها كتب أبو مسلم إلى السفَّاح يستأذنه في الحج، فأذِنَ له، فقدِمَ عليه بالأنبار، فأمر الناسَ بتلقِّيه، فتلقَّاه الأشراف، ولما دخل على أبي العباس أكرمَه، وأنزله قريباً منه، فكان كلّ يوم يأتيه للسلام، فقال السفَّاح: لولا أن أبا جعفر يحجُّ العام لاستعملتُك على الموسم. وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً، وكان أبو العباس لمَّا صفَتْ له الأمور بعث أبا جعفر إلى أبي مسلم يأمره أن يأخذ البيعةَ لأبي العباس وأخيه أبي جعفر من بعده، ففعل.

فلما قدم أبو مسلم على أبي العباس قال له أبو جعفر: اُقتله؛ فوالله إنَّ في رأسه لغَدْرة، وأطعني فيه، فقال له: يا أخي، قد عرفتَ ما كان من بلائه وقيامه في أمرنا، فقال: إنما كان ذلك بدولتنا، ولو أقمتَ أقلَّ الناس لقام به. قال: فكيف بأصحابه؟ قال: إذا قتلناه ذلُّوا وتفرَّقوا، وأنا أتولَّى قتلَه إذا دخل عليك، فقال له: يا أخي، عزمتُ عليك إلا كففتَ عن هذا، فقال له: أخاف إن لم تتغدَّ به اليوم يتعشَّى بنا غداً. قال: فدونَكه.

وخرج أبو جعفر عازماً على قتله، وندم أبو العباس، فبعث إليه خصيًّا، فوجده محتبياً بسيفه، فقال له: أمير المؤمنين يقول لك: الأمرُ الذي عزمتَ عليه لا تنفذه، فكفَّ أبو جعفر[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٦٨-٤٦٩. وانظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢/ ١٣٢، وعنده: فوجده محتفياً بسيفه، بدل: محتبياً.

وفي رواية: كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذنُه في الحجّ، فأذِنَ له، وكتب إليه أن اقدم في خمس مئة من الجند، فكتب أبو مسلم: إني قد وتَرتُ[1] الناس، فلا آمنُ على نفسي، فكتب إليه: فأقبِلْ في ألف، فإنما أنتَ في سلطان أهلك، وطريقُ مكة لا تحمل العسكر، فشخَصَ في ثمانية آلاف فرَّقهم فيما بين نيسابور والرَّي، وقدم بالأموال والخزائن، فجعلها في الرَّي، ثم قدم في ألف، وكان أبو جعفر على الجزيرة وإرمينية وأذربيجان، فاستأذن أخاه في الحجِّ فأذنَ له، فقدم عليه، واستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكّي.

ولما دخل أبو مسلم على أبي العباس كان عنده أخوه أبو جعفر، فلم يُسلِّم عليه أبو مسلم، فقال له أبو العباس: يا أبا مسلم، هذا أخي أبو جعفر، فقال: إنَّ مجلس أمير المؤمنين لا تُقضى[2] فيه الحقوق.

قال أبو اليقظان: كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذنُه في الحجِّ، فكتب إليه: الجهادُ أفضل. فكتب إليه: إني حججتُ بغير مالي، ولا بدّ لي منه، فأذِنَ له، فسار إلى العراق، وقال في طريقه لخواصِّه: إني أرجو أن يموت أبو العباس، فأغلِبَ على الأمر. وكتب عيونُ أبي العباس إليه بذلك، فلما دخل عليه رأى من أبي العباس جفوةً، فلما شاوره أخوه، وأشار بقتله، علم أنَّ أبا جعفر فيه على الصواب، وعزم على قتله، ثم توقَّف.

وقال أبو الهيثم: إنما قصد أبو مسلم بالحجِّ أن يصلِّي بالناس، ويقف بعرفة، وفهم أبو العباس، فكتب إلى أخيه أبي جعفر، وكان بالجزيرة: إن أبا مسلم قد استأذن للحج، وهو يظنُّ أني أولِّيه الموسم، فاقدَم حاجّاً؛ لئلا يقدَم، فقدِم أبو جعفر، واستخلف على أرمينية الحسن بن قحطبة، وقدم بعده أبو مسلم، فقال: ما وجد أبو جعفر عاماً يحجُّ فيه غيرَ هذا؟ ثم سار أبو جعفر وأبو مسلم إلى الحجّ.

قال هشام: فكان أبو مسلم يتقدَّم أبا جعفر بمرحلة، فكان يحفر البِرَكَ والمصانع، ويتصدَّق، ويحمل المنقطعين، فكان الصِّيت والذِّكر له، ولما انقضى الحجُّ نفر أبو

(١) في (د) و(خ): زبرت، والمثبت من الطبري ٧/ ٤٦٩، والمنتظم ٧/ ٣٣٣.

(٢) في (د): لا يقصر، وهي في (خ) غير منقوطة، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ١٨٨.

مسلم قبل أبي جعفر، فازداد حَنَقاً عليه، ولما عاد من الحج نزل أبو مسلم بذات عِرْق، ونزل أبو جعفر ببستان ابن عامر، فجاء الخبر بوفاة أبي العباس وولايته بعدَه، ومن بعده عيسى بنُ موسى، وأنَّ عيسى هو الذي أخذ البيعة لأبي جعفر.

وقال الهيثم: لما أخذ البيعةَ له عيسى بنُ موسى في اليوم الذي مات فيه أبو العباس كتب إليه يخبره بذلك، وبعث بالكتاب مع محمد بن الحُصَين العَبْديّ، فالتقى أبا جعفر بمكان يقال له: ضُفينة[1]، فتفاءل أبو جعفر، وقال: صفا لنا أمرُنا. وقيل: بمكان يقال له: ذلة[2]، فقال: ذلَّ لنا الأمرُ، فأرسل إلى أبي مسلم يقول له: قد حدَثَ أمرٌ، فأسرع إليَّ، فجاءه، فألقى إليه الكتابَ، فلما قرأه بكى واسترجع، ونظر إلى أبي جعفر، فرآه قد جَزِعَ جزعاً شديداً، فقال له: تأتيك الخلافةُ وتجزع؟ فقال: أخافُ شرَّ عبد الله بن عليٍّ، وشيعة[3] عليّ، فقال: لا بأس عليك، أنا أكفيكَ أمرَه؛ لأنَّ عامَّة مَنْ معه من خراسان، وهم لا يعصوني، فسُرِّي عن أبي جعفر، وبايعه أبو مسلم، ثم قَدِما الكوفة.



(١) كذا في (د) و (خ)، وهو موافق لما في مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٣، وفي الطبري ٧/ ٤٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦٤: الصُّفَيَّة. وانظر معجم البلدان: ٣/ ٤١٥ .

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦٤: زَكِيَّة. وانظر معجم البلدان ٣/ ١٤٦.

(٣) في (د): وشغبه. والمثبت موافق لما في الطبري ٧/ ٤٧٢.

الباب الثاني

في خلافة أبي جعفر عبد الله بن محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن العبَّاس

وهو أبو الخلفاء العباسيِّين من لدنه وإلى هلمَّ جرّا، وأمُّه سَلامةُ، بَرْبَرِيَّة، وقيل: هي بنتُ بشير، مُزَنية.

وُلد بالشَّراة في اليوم الذي مات فيه الحجَّاج بنُ يوسف سنة أربع وتسعين في ذي الحجَّة، وفيه أعذر، وفيه ولي الخلافة، وفيه مات.

وقالت أمُّه سلامة: لما حملتُ به رأيتُ في منامي كأنَّ أسداً خرج من فرجي، فأقعى وزأر، وضرب بذنبه الأرض، فأقبلتْ إليه الأُسد من كلِّ جانب ومكان، فكلَّما انتهى إليه أسدٌ سجد له.

صفته:

كان أسمر، طوالاً جداً، نحيفاً، خفيف العارضين، معرق الوجه بالسواد، يتطيب في كل شهر بألف مثقال طيب يخضب به رأسَه ولحيتَه.

وقيل: لم يكن يُغيِّر شيبَه إلا بالطِّيب، وكان له أبهة الملوك في زي النساك، يعرف الشرف في تواضعه، والعقل في مشيته، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، لم يزل مشهوراً بطلب الفقه والآثار، وفيه يقول ابن هَرْمة[1]: [من الطويل]

لـه لـحـظـاتٌ فـي حِـفـافَـيْ سـريـرِه ... إذا كـرَّهـا فـيـهـا عـقـابٌ ونـائـلُ
كـريـمٌ لـه وجـهـان وجـهٌ لـدى الـرِّضـا ... أسـيـل ووجـهٌ فـي الـكـريـهـة بـاسـلُ
وأمُّ الـذي أمَّـنـتَ آمـنـةُ الـرَّدى ... وأمُّ الـذي أوعـدتَ بـالـثُّـكـل ثـاكـلُ
ولـيس بـمـعـطي الـعـفـوَ عن غـير قـدرةٍ ... ويـعـفـو إذا مـا أمـكَـنَـتْـه الـمَـقـاتـلُ

وكان والده محمد بنُ عليٍّ وجَّهه إلى البصرة يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فلمَّا قدم البصرةَ كان يأتي عمرو بنَ عُبَيد ويتألَّفه، فلما عاد إلى الشَّراة سمعه أبوه يذكر

(١) ديوانه ص ١٦٨ وما بعدها.

شيئاً من كلام عمرو، ويُقايس فيه، فقال محمد: هذا والله كلام مولى بني تميم، يعني عمرو بنَ عُبيد، وكان ينكره[١].

ذكر بيعته:

بويع في ذي الحجَّة بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت منه، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، أو مضت منه، وهو ابنُ إحدى وأربعين سنة، أو اثنتين وأربعين، وهو أولُ من لُقِّب بالمنصور.

وقال أبو نعيم: قدم أصبهان مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وخرج منها إلى فارس[٢].

وكان يقال له: عبد الله الطويل، وكان يلقَّب بالدَّوانيقي، وسببُه أن سائلاً سأله قبل أن يلي الخلافة، ولم يكن معه سوى ثلاثة دوانيق، فدفعها إليه، فلقِّب بذلك.

وقال محمد بنُ إبراهيم الإمام: قال المنصور يوماً ونحن جلوس عنده: أتذكرون رؤيا رأيتُها ونحن بالشَّراة؟ قلنا: ما نذكُرُها، فغضب، وقال: كان ينبغي لكم أن تكتبوها في ألواح الذهب، وتعلِّقوها في أعناق الصبيان، فقال له عيسى بنُ موسى: يا أمير المؤمنين، إن كنَّا قصَّرنا فنحن نستغفر الله من ذلك، فحدِّثنا، قال: نعم، رأيتُ كأنِّي في المسجد الحرام، وبابُ الكعبة مفتوح، وكان رسولُ الله ﷺ فيها، إذا بمنادٍ ينادي: أين عبد الله بن محمد؟ فقام أخي أبو العباس، فتخطَّى رقابَ الناس حتى صار على درج البيت، فأخذ بيده، فأدخل البيت، فما لبث أن خرَجَ علينا ومعه لواء قدر أربعة أذرع وأرجح، وخرج من باب المسجد، ثم نُودي: أين عبد الله؟ فقمتُ أنا وعبد الله بنُ علي نستبِقُ حتى صِرْنا إلى الدرجة، فجلس وأخذ بيدي، فأُصعدت وأدخلتُ الكعبة، وإذا برسول الله ﷺ جالس عنده أبو بكر وعمر وبلال ﵃، فعقَدَ لي لواءً، وأوصاني بأمَّته، وعمَّمني بيده بعمامة كان طولُها ثلاثة وعشرين ذراعاً، ودفع إلي اللواء، وقال: خُذْها إليك يا أبا الخلفاء خالدةً إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٧-٢٥٥.

(٢) أخبار أصبهان ٢/ ٤٣.

(٣) المنتظم ٧/ ٣٣٦-٣٣٧.

قال المصنف رحمه الله: وقد ولي الخلافةَ أخوان، وثلاثة، وأربعة؛ فأمَّا الأخوان فأبو العباس وأبو جعفر، وموسى وهارون، والواثق والمتوكِّل، والمسترشِد والمقتفي، وأما الثلاثة فالأمين والمأمون والمعتصم، والمقتدر والمقتفي والقاهر، والراضي والمتَّقي والمطيع، وأما الأربعة فلم يكونوا إلا في بني مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك[١].

وبعث عيسى بنُ موسى إلى عبد الله بن عليٍّ بأن يأخذ البيعة لأبي جعفر على الناس، ويُبايع له قبل قدوم أبي جعفر من الحجِّ، وبعث بالكتاب مع يزيد بن زياد، فانصرف عبدُ الله بمن معه من الجيوش من الشام، فنزل حرّان، وبايع لنفسه؛ لما نذكر.

ورخصت الأسعار عند ولاية أبي جعفر الخلافة، حتى بيع الكبشُ بدرهم، والحمل بأربعة دوانيق، والتمر ستون رطلاً بدرهم، والزيتُ عشرة أرطال بدرهم، والسمنُ ثمانية أرطال بدرهم[٢].

ولما عاد من الحجِّ كتب إليه بعضُ إخوانه الذين كانوا يعاشرونه من قبل: [من مجزوء الكامل]

إنـا بـطـانـتُـك الـتـي ... كـنَّـا نـكـابـدُ مـا تـكـابـدْ
ونُـرى فـنُـعـرف بـالـعـدا ... وة والـعـنـاد لـمـن تُـعـانـدْ
ونـبـيـتُ مـن خـوف عـلـيـ ... ـك ربـيـئـة[٣] والـلـيـلُ هـاجـدْ
هـذا أوانُ وفـاء مـا ... سـبـقَـتْ بـه مـنـك الـمـواعـدْ

فكتب عليها أبو جعفر: صدقتَ، وألحقه بخاصته[٤].

[فصل][٥]وفيها تُوفي

(١) المدهش ص ٦٨.
(٢) المنتظم ٧/ ٣٤٨، وفيه: والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم.
(٣) في (د) و (خ): وجنة؟! والمثبت من العقد الفريد، والربيئة: الطليعة التي تتقدم القوم.
(٤) العقد الفريد ٢/ ١٦٨.
(٥) ما بين حاصرتين من (د).

ربيعة بن أبي عبد الرحمن

فرُّوخ مولى آل المنكدر، التيميّ[١]، أبو عثمان، وقيل: أبو عبد الرحمن، ويقال له: ربيعة الرأي، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة.

وكان إذا مرض وضع الموائد لعوَّاده يأكلُ منها كلُّ مَنْ يعوده، فلا يزال كذلك حتى يخرج.

وقال مالك: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة.

وقال ربيعة: إنما الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم ومن يتولَّاهم.

وكانت لربيعة مروءةٌ وسخاء، مع فقهٍ وعلم، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكان محمد بنُ عليِّ بن الحسين وابنُه جعفر يجلسان في حلقته.

وقال الليث بن سعد، [عن يحيى بن سعيد][٢]: ما رأيتُ أسَدَّ عقلاً من ربيعة. وكان صاحب معضلات أهل المدينة، ورئيسَهم في الفتيا.

وكان فرُّوخ خرج في البعوث إلى خراسان غازياً [وربيعةُ حَمْل][٣]، وخلَّف عند أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، وقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكبٌ على فرس، وبيده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب، فخرج ربيعةُ وقال له: يا عدوَّ الله، أتهجُم على منزلي؟ فقال فرُّوخ: يا عدو الله أنت، دخلتَ على حَرَمي! وتَواثَبا، وتلبَّبَ كلُّ واحد منهما على صاحبه، حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بنَ أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، وجعل ربيعة يقول: والله لا أفارقُك إلا عند السلطان، وفرُّوخ يقول كذلك، وكثُرَ الضجيج، فلما بَصُروا مالكاً سكت الناس كلُّهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك في غير هذا المنزل سَعَة، فقال فرُّوخ: هي داري، وأنا فرُّوخ. وسمعت امرأتُه كلامَه فخرجت، فلما رأته قالت: هذا والله زوجي، وهذا ابنُه الذي خلَّفه وأنا

---

(١) تحرفت في (د) و (خ) إلى: السمين.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٤١٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (د).

حامل به، فاعتنقا جميعاً، وبكيا،ودخل فرُّوخ المنزل وقال: أخرجي المالَ الذي عندك، وهذه أربعة آلاف دينار معي، فقالت: المال دفنتُه.

فخرج ربيعةُ إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بنُ أنس، والحسن بنُ زيد، وابنُ عليٍّ اللَّهَبي، وأشراف المدينة، وأحدق الناس به، فقالت له امرأته: اخرج وصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى الحلقة فرآها وافرة، فوقف عليها ورآه ربيعة، فنكس رأسَه يُوهمه أنه لم يره، فقال فرُّوخ لرجل إلى جانبه: مَنْ هذا؟ قال: ربيعة. فقال: لقد رفع الله ابني، ثم رجع إلى منزله، فقال لأمه: لقد رأيتُ ابنَك في حالة من العلم والفقه ما رأيتُ أحداً من أهل العلم عليها، فقالت له: أيُّما أحبُّ إليك ثلاثون ألف دينار أو الحالة التي رأيتَه فيها؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإنِّي أنفقتُ المال كلَّه عليه حتى صار كذا، فقال: نعم ما فعلتِ، والله ما ضيَّعته(١).

وقال ابنُ وهب: تعبَّد ربيعة دهراً طويلاً يصلِّي النهار والليل، وجالَس القاسم بنَ محمد، فنطق بعقلٍ ولبٍّ، فكان القاسمُ إذا سُئل عن شيء يقول: سلوا ربيعة.

وقال سوَّار بنُ عبد الله: ما رأيتُ أحداً أعلم من ربيعة الرأي، فقال له معاذ بنُ معاذ: ولا الحسنَ وابن سِيْرين؟ قال: لا، ولا الحسنَ، ولا ابنَ سِيْرين.

وقال بكر بنُ عبد الله الصَّنعاني: أتينا مالك بنَ أنس، فجعل يُحدِّثنا عن ربيعة، وكنَّا نستزيده، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة؟ هو نائم في ذاك الطاق، فأتيناه، فأنبهناه وقلنا له: أنتَ ربيعةُ الذي يُحدِّث عنك مالك بنُ أنس؟ قال: نعم. قلنا: كيف حظِيَ بك مالك ولم تحظَ أنت بنفسك؟ فقال: أما علمتُم أن مثقالاً من دولة خيرٌ من حِمْل علم؟

واستقدمه أبو العباس إلى الأنبار ليولِّيه القضاء، فلما أراد الخروج قال لمالك: إنْ سمعتَ أنِّي حدثتُهم، أو وَلِيتُ لهم قضاء، أو قبلتُ منهم مالاً، أو أفتيتُهم، فلا تعدَّني شيئاً، فلما قدم على السفاح استدعى منه ذلك، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم، فلم

(١) أورد الذهبي هذه القصة في السير ٦/ ٩٣-٩٤، ووصفها بقوله: حكاية باطلة. ثم عقب بنقدها، فانظر كلامه ثمة.

يقبلها، ولم يَلِ شيئاً، ولا حدَّثهم بشيء، ولا أفتاهم.

وقال إبراهيم بنُ المنذر: سعى أبو الزناد بربيعة إلى عامل المدينة في شيء، فأخذ ربيعةَ، فجلَدَه وحلَقَ رأسَه ولحيتَه، ثم عُزِل ذلك العاملُ، ووَلي آخرُ من بني تيم، فأخذ أبا الزناد، فأدخله بيتاً، وسدَّ بابَه ليقتله جوعاً وعطشاً عوضَ سِعايته بربيعة، وبلغ ربيعةَ، فجاء إلى الوالي، فسأل في أبي الزناد، فقال الوالي: وهل فعلتُ به ذلك إلا لما سعى بك؟ فقال: أمَّا أنا فأحاكمه غداً إلى الله تعالى، وأما في الدنيا فلا، ولابدَّ من إخراجه، فأخرَجَه.

ولما ضُرب وحُلقت لحيتُه كانت امرأةٌ تأتي إلى حلقته كلَّ يوم في المسجد وتقول: يا أبا عبد الرحمن، انتقَمَ الله ممَّن حلَقَ لحيتَك، فلما أبرَمَتْه قال لها: يا هذه، إن ذاك حلَقَها مرةً، وأنت تحلقينها كلَّ يوم.

توفي بالأنبار في هذه السنة، وقيل: رجع إلى المدينة فمات بها، وقيل: مات سنة ثمان وثلاثين ومئة.

سمع من أنس بن مالك، وعامَّة التابعين من أهل المدينة، وروى عنه الثوريُّ، ومالك، وشعبة، والليث، وغيرهم. واتفقوا على صدقه، وثقته، ودينه، وورعه.

وجاءه رجل من الفقهاء، فجلس إليه، فقال له: إذا جاءك رجلٌ يسألُك عن مسألة فلا يكن همُّك أن تخرجَه مما وقع فيه، وليكن همُّك أن تتخلَّص مما سألك عنه.

وقال سفيان الثوريُّ: كنتُ جالساً يوماً عند ربيعة، فغطَّى رأسَه، ثم بكى واضطجع، فقلت: ما يبكيك؟ [قال:] رياء ظاهر، وشهوةٌ خفيَّة[1].

عبد الله بنُ محمد

ابنِ عليٍّ بن عبد الله بن العباس، أبو العباس السفَّاح.

أولُ من أجاز بألف ألف درهم: قدم عليه في خلافته عبد الله بنُ حسن بن حسن، فأكرمه، وأنزله قريباً منه، فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، سمعتُ بألف ألف درهم،

(١) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٨٨. وانظر في ترجمة ربيعة الرأي: طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٩-٥١١، وتاريخ بغداد ٩/ ٤١٤-٤٢٢، والمنتظم ٧/ ٣٤٩-٣٥١، والسير ٦/ ٨٩-٩٦.

وما رأيتُها قطُّ، فأمر بها أبو العباس فأحضرتْ، فلما رآها عبد الله استهالها، فقال: احملوها معه إلى منزله، فجاء الناس يهنُّونه، فقال عبد الله: أتشكرون رجلاً أعطانا بعضَ حقِّنا وفاز بالباقي؟ وبلغ أبا العباس، فلم يقل شيئاً[١].

واجتمع عند السفاح وجوهُ بني هاشم والشيعةُ، وكان المجلس أحشَد ما يكون، فقام عبد الله بنُ حسن بن حسن، وبيده مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطِنا حقَّنا الذي جعله الله لنا في هذا الكتاب. فأشفق الناسُ أن يعجِّلَ إليه أبو العباس بشيء، ولا يريدون ذلك في شيخ قريش وسيِّد بني هاشم، أو يعيى بجوابه، فيكون ذلك ردّاً ونقصاً له، فأقبل عليه غير متأثر ولا مُغْضَب، فقال له: إن جدَّك علياً كان خيراً مني وأعدل، وَلي هذا الأمرَ، فأعطى جدَّك الحسنَ وعمَّك الحُسين شيئاً، وكانا خيراً منك، وكان الواجبُ أن أعطيك مثلَه، فإن كنتُ فعلتُ فقد أنصفتُك، وإن كنتُ زدتُك فما هذا جزائي منك. فعجِبَ الناسُ من حسن جوابه[٢].

وقال حَفْص بنُ عمر: قدم عبد الله بنُ حسن بن حسن على أبي العباس في خلافته، فأكرمه وحباه، وقرَّبه وأدناه، وصنع به شيئاً لم يُصنع بأحد، وكان بالأنبار، وكان عبد الله يسمُرُ عنده، فسمر عنده ليلة إلى نصف الليل يحادثه، ودعا أبو العباس بسفطٍ فيه جوهرٌ، ففتحه وقال: هذا والله يا أبا محمد الذي وصل إليَّ من الجوهر الذي كان في يدي بني أمية، ثم قاسَمَه إيَّاه، فأعطاه نصفه، وبعث بالنصف الآخر إلى أمِّ سلمة امرأته، وقال: هذا عندك وديعةٌ، ثم تحادثا ساعةً، ونعس السفاح، فتمثَّل عبد الله، وقال: [من الوافر]

أَلـم تَـرَ حَـوْشَـباً أمـسى يُـبَنِّـي ... قـصـوراً نـفـعُـهـا لـبـنـي نُـفَـيـلـهْ
يـؤمِّـل أن يُـعـمَّـر عـمـر نـوحٍ ... وأمـرُ الله يـأتـي كـلَّ لـيـلـهْ

فانتبه أبو العباس، ففهم، وقال: يا أبا محمد، تتمثَّل بمثل هذا الشعر عندي وقد رأيتَ صنيعي بك ولم أدخر عنك شيئاً؟! فقال: يا أمير المؤمنين، هفوةٌ كانت والله ما أردتُ بها سوءاً، ولكنها أبياتٌ خطرت لي فتمثَّلت بها، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٨٦.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٩.

يحتمل ما كان منِّي في ذلك فليفعل. قال: قد فعلتُ[(١)].

وقال البلاذريّ: قدم عبد الله على السفاح [فأخذ بيده][(٢)] وهو يمرُّ به على قصوره بالهاشمية يُريه إيَّاها، وكان معجباً بها، فأنشد عبد الله البيتين، فغضب السفاح، واحمرَّت عيناه، وجذب يدَه من يده، وقال: ما أردتَ بهذا؟ فقال: أُزَهِّدُك فيها، فقال السفاح: [من الوافر]

أريدُ حياتَه ويريدُ قتلي عذيرَكَ من خليلكَ من مراد[(٣)]

وكان الحسدُ غالباً على عبد الله للسفَّاح، ولا ينهاه عن ذلك إكرامُه له، ولما أنشد الشعر قال له السفاح: أفٍّ لك، ما يُهلك الحسودَ نفسُه ولسانُه، اخرج عنِّي. فخرج إلى المدينة.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كتب [أميرُ المؤمنين أبو العباس] إلى عبد الله بن حسن يذكر له تغيُّب[(٤)] ابنيه محمد وإبراهيم، وكتب في كتابه: أريد حياته ويريد قتلي، فكتب عبد الله ابنُ حسن، وقال: [من الوافر]

وكيف يريدُ ذاك وأنتَ منه بمنزلةِ البياض من السَّواد

ويعني قول عبد الله: قصوراً نفعُها لبني نُفيله: نفيلة أمّ ولد الحسن بن عليٍّ[(٥)] رضي الله عنهما، جاءت منه بالقاسم، وأبي بكر، وعبد الله، قُتِلوا مع الحسين رضي الله عنه يوم الطَّفوف.

قال أبو اليقظان: قدم على السفَّاح بنو الحسن بن عليٍّ، فأحسن إليهم، وأعطاهم الأموال، وأقطَعَهم القطائع، وقال لعبد الله: احتكِمْ. قال: ألف ألف درهم، فاستقرَضَها السفَّاح من ابن مقرن البصري[(٦)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٥-٤٧٦، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٩٥.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب، وهو في ديوانه ص ١١١. وفي (أ) و (خ): عذرتك، والمثبت من الديوان. والسياق الذي ذكره المصنف لم نقف على من وافقه عليه، وقد أورد ابن عساكر الخبر في تاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٤-١٦٥ بما يوافق ما سيذكره المصنف نقلاً عن الزبير بن بكار، وانظر أنساب الأشراف ٢/ ٤١٠.

(٤) في (د) و (خ): بغيبة، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٤، وما بين حاصرتين منه كذلك.

(٥) في (د) و (خ) والمنتظم ٨/ ٩٢: الحسين بن علي، وهو تحريف. انظر نسب قريش ص ٥٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٩.

(٦) في العقد الفريد - والخبر فيه - ٣/ ٧٤: الصَّيرفي.

وأُتي أبو العباس بجوهرٍ، فجعل يُقلِّبه وعبدُ الله يبكي، فقال له أبو العباس: يا أبا محمد، ما يُبكيك؟ فقال: هذا عند بنات مروان، وما رأت بناتُ عمِّك مثلَه قطّ، فحَبَاه به.

ودخل عليهما أبو جعفر فقام السفاحُ، وأخذ بيد عبد الله، وجعل يُرِيه قصورَه بالهاشمية، فتمثَّل عبد الله بالشعر، فقال له أبو جعفر: ألا تسمع؟ إنّ هذا يظنُّ أن الأمر يصلُ إليهم! فقال عبد الله: ما ذهبتُ هذا المذهب، وإنما هي كلمةٌ جرَتْ على لساني لم أتعمَّدها، وخشَّنت تلك الكلمةُ صدر أبي العباس.

وخرج عبد الله إلى المدينة، فبعث السفاح رجلاً من ثقاته معه، وأمره أن يضبط ما يسمعُ منه، فلمَّا قدم عبد الله المدينةَ اجتمع إليه الطالبيون، ففرَّق فيهم الأموالَ التي أعطاه السفاح، واستأثر بالجوهر، وكان قيمتُه مئتي ألف دينار، وفرح الطالبيون بالأموال، فقال لهم عبدُ الله: أفرحتُم؟ قالوا: وكيف لا نفرحُ بما كان محجوباً عنا بأيدي قوم آخرين؟! وعاد الرجل فأخبر السفَّاح، فلم ينطق، وصبر لينظر ما يكون منهم، وبلغ أبا جعفر وأعمامَ السفاح فقالوا: أدِّبه، فقال: العفو أقربُ إلى التقوى، والتغافل من أخلاق الكرام، ومات على ذلك، وقام أبو جعفر، ففعل بهم ما فعل.

وقال الهيثم: لما أنشد عبدُ الله الشِّعر وغضب السفَّاح بلغ أبا جعفر، فقال: الرِّفق أولى. وبلغ السفاحَ قولُه، فقال: أيقول لي هذا؟ والله لا كان حَتْفُ عبد الله وبَني حسنٍ إلا على يده. فكان كما قال[1].

وكان السفَّاح يسمع الغناء من وراء السّتارة، ويطرَبُ، ويُجيز عليه في الحال، ويقول: نتعجَّل السُّرور، ونؤجِّل مكافأته؟

وأول من أحدث السِّتارة بينه وبين ندمائه في الجاهلية أزدشير بنُ بابك، والسفَّاح في الإسلام.

قيل لأبي العباس: الخلافةُ جليلة، فلو احتجبتَ عن مَنْ يشاهدك كان أكثر هيبةً، فاحتجَبَ.

---

(١) الأخبار السالفة في العقد الفريد ٣/ ٧٤-٧٥، وانظر المنتظم ٧/ ٣٠٠.

وكان من أبسط الناس على الطعام، فكان من أراد [أن] يسألَه حاجةً سأله وهو على الطعام، وكان إبراهيم بن مخرمة الكندي لا يسألُه إلا وهو على المائدة، فقال له يوماً: [يا] إبراهيم، ما دعاك إلى أن تشغلني عن الطعام بحوائج الناس؟ فقال: التماسُ النجاح لمن أسألُ له، فقال له السفَّاح: لله درُّكَ، إنك لخليقٌ بالسُّؤْدُد بحسن فطنتك.

وكان السفاح أحلَمَ الناس، وأعقَلَهم، وأسخاهم، مدَحَه [وأهلَه][1] أبو عطاء السِّنديُّ فلم يُعطه شيئاً، فهجاهم، وقال: [من الطويل]

بني هاشمٍ عودوا إلى نَخَلاتكم فقد عاد بيعُ التمر صاعاً بدرهم
فإن قلتُمُ رهطُ النبيِّ محمد فإنَّ النصارى رهطُ عيسى ابن مريمَ[2]

وبلغ السفاحَ فلم يقل شيئاً، فقيل له: عاقبه، فقال: لا أجمعُ له بين العقوبة والمنع.

وكتب إليه رجلٌ سِعاية، فكتب عليها: تقرَّبتَ إلينا بما يُبعدكَ عنَّا.

ومرَّ يوماً ومعه عيسى بنُ موسى على فَعَلَةٍ، فقال: إن السعيد مَنْ سلم من الدنيا، ولوددتُ أني لم أتقلَّد منها شيئاً، ولهؤلاء أحسنُ حالاً منَّا، وأخفُّ ظهراً، فقال له عيسى: لقد أحسن الله إليك إذ أنقذَ بك الأمةَ من جَوْر بني أُميَّة.

وكان السفّاح يقول: لأستعملنَّ اللينَ حتى لا تنفع إلا الشدَّة، ولأُغمدنَّ سيفي إلا أن يسلَّه الحقّ، ولأُعطينَّ حتى لا أرى للعطاء موضعاً.

وخرج يوماً متنزِّهاً بظاهر الأنبار، فأمعَنَ في البرية، فشذَّ عن أصحابه، فوافى خِباءً لأعرابيٍّ، فوقف وسلم عليه، فردَّ وقال: ممَّن الرجل؟ فقال: من كِنانة. قال: من أيِّ كِنانة؟ قال من أبغض كنانة إلى كنانة. قال: فأنتَ من قريش؟ قال: نعم. قال: فمن أيِّ قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش. قال: فإذاً أنتَ من ولد عبد المطَّلب؟ قال: نعم. قال: فمن أيِّ ولد عبد المطَّلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطَّلب إلى ولد عبد المطَّلب. قال: فإذاً السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته، ووثَبَ قائماً، فاستحسَنَ أبو العباس ذلك منه، وأمر له بجائزة سَنِيَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (خ)، وأثبتناه من (د).

(٢) البيتان، وما أشار إليه المصنف من مدح أبي عطاء للسفاح في أنساب الأشراف ٣/ ١٨٥.

ذكر وفاته:

نظر يوماً في المرآة ـ وكان من أحسن الناس وجهاً ـ فقال: اللهمَّ إني لا أقولُ كما قال سليمان بنُ عبد الملك: أنا الملكُ الشابّ، ولكنِّي أقول: اللهمَّ عمِّرني طويلاً في طاعتك بخير وعافية، فما استتمَّ كلامَه حتى سمع غلاماً من غلمانه يقول لغلام آخر: الأجلُ بيننا شهران وخمسةُ أيام، فتطيَّر من ذلك، فما مضت الأيامُ حتى أخذته الحمَّى، فمات بعد شهرين وخمسة أيام.

وقال المسيِّب الضبِّيّ: اجتمع للسفَّاح فتحُ السِّند وإفريقية، ومكاتبةُ صاحب الأندلس، فقال لبعض عمومته: أسمعتَ أنه إذا فُتح السِّند وإفريقية ماتَ القائمُ من آل محمد، فقال عمُّه: كلا، فما برح حتى دعا بدُوَّاج لقشعريرة أصابته[1].

وقال عيسى بنُ عليّ: أتيتُ في بعض الأيام إلى باب أبي العباس، فوجدتُ عليه رجلين، فسلَّم عليَّ أحدُهما، فقلتُ: من أنتَ؟ فقال: وافدُ السِّند، أتيتُ بطاعةِ أهلها إلى أمير المؤمنين، [وقلت للآخر: من أنتَ؟ قال: وافدُ إفريقية، أتيتُ بطاعة أهلها إلى أمير المؤمنين][2]، فقلتُ: ما أدخل عليه بمثل هاتين البِشارتين، فدخلتُ عليه وهو يسرِّح لحيتَه، فأخبرتُه، فتغيَّر وجهُه، وسقط المشطُ من يده، فقال: نُعيَتْ إليَّ نفسي، واسترجع، فقلتُ: وكيف هذا؟ فقال: حدَّثني أخي إبراهيمُ الإمام، عن أبي هاشم عبد الله بن محمدِ ابن الحنفية، عن أبيه[3]، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يقدَمُ عليَّ في مدينتي هذه وافدان في يومٍ واحد: وافدُ السِّند، ووافدُ إفريقية بطاعتهم، ثم لا ألبثُ إلا ثلاثةَ أيامٍ حتى أموت». وقد أتاني الوافدان، فأعظَمَ الله أجرَكَ في ابن أخيك يا عمّ، فقلتُ: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كذَبْتُ ولا كُذِبْتُ.

ثم وُعِكَ، فأمرني أن أصلي بالناس، ثم أوصاني أن أُغسِّله وأُكفنه، وأُصلِّي عليه، وكتب كتابَ العهد لأخيه، فلما كان يومُ العيد صليتُ بالناس ودخلتُ عليه، فإذا على

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٢.
والدواج بوزن رمان وغراب: اللحاف الذي يلبس. القاموس: (دوج).

(٢) ما بين حاصرتين من (د).

(٣) كذا في (د) و (خ)، وفي تاريخ بغداد ١١/ ٢٤٢، والمنتظم ٧/ ٣٥٤: عن علي بن أبي طالب.

وجهه مثل حبة الخَرْدَل، فلما كان في اليوم الثاني صارت مثل العَدَسة، فلما كان في اليوم الثالث دخلتُ عليه، فإذا هو كالزِّقّ المنفوخ، ومات في اليوم الثالث.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديثٌ لا يصحُّ عن النبيِّ ﷺ، وإنما هو من قولِ أبي هاشمٍ، وقد كان كثير المطالعة لكتب الأوائل والملاحم، فلعلَّه وجد ذلك فيها.

وقال المدائنيّ: هاج الدمُ بأبي العباس، فأشار عليه الأطباء بالفَصْد، فلم يُقدم عليه، فحُمَّ ونزل به الموت، وكان يتقلَّب على الفراش، فيبقى جلدُه على الفراش.

ودخل عليه طبيب فقال له بعضُ عمومته: كيف أصبح أميرُ المؤمنين؟ فقال: أصبَحَ بحمد الله بارئاً، فسَلَتَ أبو العباس بيده لحمَ ذراعه، فانسَلَت وتناثر لحمُه، فقال: كيف أكون بارئاً، أو يكون صالحاً من هذا حالُه؟

وكان قد عزم على البيعة لابنه محمد، ثم فكَّر وقال: هو حدَثٌ، وما عذري عند ربي؟ فقالت له أم سلمة امرأتُه: ولِّ غيرَه، واجعله ثانياً، فقال: أخاف أن يقصُر عمرُ من أجعله قبله، فتدرك الخلافةُ محمداً وهو صغير، فيُختلف عليه، فتضيع الأمة، ولكن أُصيِّر الأمرَ إلى مَنْ أثقُ بعقله واحتماله[1]، فكتب اسمَ أبي جعفر، وبعده عيسى بنَ موسى، وجعل العهدَ في منديلٍ وختم عليه بخاتمه، ودفعه إلى عيسى بن عليٍّ.

وقال البلاذري: لما قال أبو العباس: من أولِّي؟ قال له عيسى بنُ عليٍّ: يا أمير المؤمنين، أُذكر رجلاً تمدُّ الناسُ إليه أعناقَهم بعدك، فقال: كنتُ وعدتُ عبد الله بنَ عليٍّ إن قام بهذا الأمر أن أولِّيه الخلافة، فقال له عيسى: فانظر؛ فإنَّ ذلك لا يُقدِّم أجلاً ولا يؤخِّره، فسكتَ، واستشار سعيد بنَ عمرو بن جَعْدة المخزوميَّ، فقال: يا أمير المؤمنين لا أشيرُ عليك بشيء، بل أُحدِّثك حديثاً تستدلُّ به، كنت مع مَسْلَمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وقد جاءه نعيُ سليمان وولايةُ عمر بن عبد العزيز، فبكى بكاء عظيماً، وجزع جزعاً شديداً، فقلت له: لاتجزعْ لموت سليمان، ولكن اجزَعْ لخروج الأمر عن ولد أبيك إلى ولد عمِّك، فازداد بكاؤه، فقال السفَّاح: قد فهمتُ، وأخذ بقوله[2]، وقال: أخذتَ

---

(١) في (خ): من أثق به وبعقله، والمثبت من (د)، وهو موافق لما في أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٢.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣، وسياقه مختصر مع اختلاف يسير.

بثأرك من عبد الله بن عليّ، وكان عبدُ الله قد عاقبه وآذاه، وبلغ أبا جعفر فقال: سعيد ابنُ أختنا. ومعناه أنَّ أمَّ جَعْدة بن هُبَيرة أمُّ هانئ بنتُ [أبي طالب بن][1] عبد المطلب.

وقال المرزباني: جسّ طبيبٌ نبضَ السفَّاح، فقال له السفَّاح: [من مجزوء الكامل]

انظر إلى ضعف الحَرا ... كِ وذلّه بيد السّكونِ
يُنبئك أنَّ بنانَه ... هذا مقدمةُ المَنونِ

فقال له الطبيب: إنك صالحٌ، فقال: [من الوافر]

يُبشّرني بأنّي ذو صلاحٍ ... يُثبّتني وبي داءٌ دفينُ
لقد أيقنتُ أني غيرُ باقٍ ... ولا شكّ إذا وضَحَ اليقينُ

وكان آخرُ كلامه: إليكَ يا ربّ لا إلى النار.

وصلى عليه موسى بنُ عيسى، وكبَّر خمساً.

وقال الطبريُّ: صلى عليه عمُّه عيسى بنُ عليّ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره[2].

وقيل: دُفن بالهاشمية. وبالأنبار بجنب منبر الجامع قبرٌ يقال: إنه قبرُه.

وقال الطبريُّ: مات بالجدريّ، وقال هشام: توفي ابنَ[3] ست وثلاثين، وقيل: ابنَ ثلاث وثلاثين سنة.

وكانت أيامُه أربع سنين، وثمانية أشهر، منها ثمانيةُ أشهر وأربعةُ أيام يُقاتل فيها مروان، وملَكَ بعد مروان أربع سنين، وقيل: وتسعة أشهر، وقيل: وعشرة أشهر.

وخلَّف من الثياب تسعَ جباب، وأربعة أقمصة، وخمس سراويلات، وأربعة طيالسة، وخمس مطارف خزّ، وبردةَ رسول الله ﷺ التي أخذها من مروان[4].

وقال المدائني: دفع رسولُ الله ﷺ بُرْداً إلى أهل دُومة الجَنْدل، أو أهل مَقْنا أماناً لهم، فاشتراه أبو العباس منهم أو من أولادهم بأربع مئة دينار، وقيل: بأربعة آلاف

(١) ما بين حاصرتين من (د)، وطبقات ابن سعد ٦/ ٥٣٦.
(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧١.
(٣) في (د) و(خ): سنه، والمثبت من الطبري.
(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٠-٤٧١، وليس فيه ذكر البردة.

دينار، فهو الذي تلبسه الخلائف.

ذكر أولاده:

كان له من الولد محمد، والعباس، وعلي، وإبراهيم، وإسماعيل، ورَيْطة، درَجَ الأربعةُ، ولم يبق سوى محمد ورَيْطة، وأمُّ الجميع أمُّ سلمة بنتُ يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد[بن الوليد][1] بن المغيرة المخزوميّ، ولم يتزوّج غيرَها، وكانت قبله عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فمات عنها، فتزوّجها أبو شاكر مَسْلَمة بنُ هشام بن عبد الملك، فطلّقها لما شَكَتْه إلى العباس بن الوليد بالرّصافة، وقالت: إنه يشربُ الخمر، فقال له العباس: ويحك! أبوك يرشِّحك للخلافة وتشرب الخمر؟! فطلَّقها. وأُمّها هند بنتُ عبد الله بن جبَّار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر بن كِلاب.

اجتازت بالحمّة لما طلّقها مَسْلَمة وهي تريد فلسطين، تعرَّضت للسفاح فقال: ليس عندي مال، فأرسلت إليه تسع مئة [دينار][2] فتزوَّجها عليها، ولما ولي الخلافَة ما كان يقطعُ أمراً دونها، وغلبَتْ عليه، وكانت من عقلاء النساء.

ولما توفي أبو العباس خطبَها إسماعيل بنُ عيسى، فغضب أبو جعفر وقال: أيرتقي مرتقى أمير المؤمنين؟! وتهدَّدَه، فأعرض عنها.

ولما مات أبو العباس حزنتْ عليه حزناً شديداً، فدخل عليها أبو دُلامة ليعزّيها، فبكى عندها، وقال: [من الكامل]

إن أجملوا في الصبر عنكَ فلم يكن صبري على جَزَعي عليك جميلا
يجدون عنك خلائفاً وأنا امرؤٌ لو عشت دهري ما وجدتُ بديلا
إني سألتُ الناس بعدكَ كلَّهم فوجدتُ أجودَ من سألتُ بخيلا

فقالت له أمّ سلمة: يا أبا دُلامة، ما أُصيب بأمير المؤمنين غيري وغيرك، فقال: يا سيدتي، لا أنا ولا أنت سواء، أنتِ لك منه أولاد تتسلَّين بهم، وأنا ما لي منه ولد، فضحكت، وقالت: ماتدعُ أحداً إلا وتضحكُه، ولم تكن ضحكتْ قبل ذلك[3].

---

(١) مابين حاصرتين من(د)، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣.

(٢) مابين حاصرتين من (د).

(٣) الأغاني ١٠/ ٢٥٥، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٢٨٧.

وتأخَّرت وفاةُ أمِّ سلمة إلى أيام محمد المهديّ.

ودخل خالد بنُ صفوان على السفّاح، فخلا به، وقال: يا أمير المؤمنين، إني فكَّرتُ في سَعَة سلطانك ومالك، وإذا قد ملكتكَ امرأة [واحدةٌ] اقتصرتَ[1] عليها، فإن مرضَتْ مرضتَ، وإن عوفيَتْ عوفيتَ، وقد حرَّمتَ على نفسك الالتذاذَ بالجواري، إنَّ منهنَّ الطويلة الغيداء، والبضّة البيضاء، والرقيقة السمراء، والرشقة اللَّعساء، والمولَّدات من المكيات والمدنيات والعراقيات والشاميات، ذوات الألسن العذبة، والقدود المُهفهفة، والأصداغ المُزَرْفنة، والعيون المكحّلة. ووصف النساء فأطال، فقال له أبو العباس: والله ما طرَقَ سمعي أحسن من هذا القول، أعِدْه، فأعاده أحسن مما ابتدأه، ثم قام فخرج، وبقي السفَّاح مطرقاً، [مغموماً مفكِّراً، فدخلت عليه أمُّ سلمة، فسألته عن حاله، فلم يُجبها، فألحَّت عليه][2]، فأخبرها، فقالت: وما قلتَ لابن الفاعلة؟ فقال: سبحان الله! ينصحُني وتشتمينه؟! فأمرت غلمانَها بضربه، فاختفى، ولحَّ أبو العباس في طلبه، فأحضروه، فدخل وجاءت أم سلمة فوقفت خلفَ السِّتر، فقال له: ياخالد، أعِد الكلامَ الذي قلتَ لي؛ فإني مشتاقٌ إلى سماعه، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، أخبرتُك أن العرب اشتقَّت اسمَ الضرَّة من الضرر، والثلاث كأثافي القِدْر [يغلي عليهن]، والأربع شرٌّ [مجموع لصاحبه]، ولم يكن أشرافُ العرب يقتنون سوى امرأة واحدة، وأخبرتُك أن أبكار الجواري رجالٌ لا خصى لهم، وقلتُ لك: إن بني مخزوم جرثومةُ قريش، وإن عندك سيدةُ نساء الدنيا، وأنَّى مثلها؟ فقال السفاح: برئتُ من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنتُ سمعتُ منك هذا سوى الساعة! فقالت أم سلمة: صدقتَ يا عمّ، وضحكَتْ، فقال له أبو العباس: ويحك! ما هذا؟ قال: هذا الذي تسمعُ، أردتَ أن تُهلكني؟ فقام فخرج، فبعثت إليه أمُّ سلمة بعشرة آلاف درهم، وتَخْتَ ثياب، وبرذون[3].

وأما محمدِ بن السفَّاح فولد بأرض البلقاء، وخرج مع أبيه إلى الكوفة، ولَّاه عمُّه

(١) في (خ): فتضرب، والمثبت من (د)، ومابين حاصرتين منها كذلك.

(٢) مابين حاصرتين من (د).

(٣) مروج الذهب ٥/ ١١٢-١١٨، وتاريخ دمشق - تراجم النساء ص ٥٢٧-٥٢٨، وما بين حاصرتين منهما.

المنصور البصرةَ، وكان غيرَ محمودِ السيرة، وكان أبو جعفر يكرهُه، فلما ولَّاه البصرة بعث معه بالمُجَّان والزنادقة ليبغِّضَه إلى الناس.

وتعشَّق محمد زينبَ بنتَ سليمان بنِ عليٍّ، وقال: [من السريع]

زينبُ ما ذنبي وما[ذا] الذي غضبتُم فيه ولم تُغضَبوا

والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ففيم العَتْب يا زينبُ[1]

وكان يركب إلى المِرْبد[2] يتصدّى لها لعلّها تكون في بعض المناظر لتنظرَ إليه، ومن شعره: [من السريع]

لو أبصر العاذلُ منكِ[الذي] أبصرتُه أوسع في العذر[3]

وقيل: إنما كان يُشبِّب بزينب بنت محمد بن عبد الله بن حسن، وهي التي أراد الدخول بها ليالي قُتل أبوها، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وأغزاه أبو جعفر الدَّيلَم سنة إحدى وأربعين ومئة في أهل الكوفة والبصرة والجزيرة، وولَّاه البصرة سنة سبع وأربعين، وكان محمد طويلاً جساماً، أحول، يلوي العمود الحديد بيده، وكان يروم الخلافة، وتُوفي ببغداد بعد الخمسين ومئة.

ويقال: إن المنصور سمَّه، كان بالبصرة طبيبٌ يقال له: الخصيب، يُظهر النصرانية، وهو زنديقٌ لا يبالي مَنْ قتل، فأرسل إليه المنصور أن يتوخَّى قتلَ محمد، فاتَّخذ سماً قاتلاً وأسطر عليه، فعرضت له حرارةٌ، فدسَّ إليه السمَّ في شربةٍ، فشربها فمات، فكتبت أمُّه إلى المنصور تخبره أن الخصيب قتلَه، فأمر بحمله إليه، فضربه ثلاثين سوطاً ضرباً خفيفاً، وحبسه أياماً، وأعطاه ثلاث مئة درهم وأطلقه.

وأما رَيْطة فتزوَّجها محمد بنُ عبد الله بن حسن بن حسن، فقتل قبل الدخول بها، فتزوَّجها محمد المهديّ، فولدت له عليًّا وعبدَ الله، وكانت من أشدِّ الناس قوةً، وكذا

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٤، وأشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص٤.

(٢) المربد: موضع بالبصرة من أشهر محالها، كان يكون سوق الإبل فيه قديماً، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس. معجم البلدان ٥/ ٩٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (د)، والبيت مع آخرين قبله قالها محمد في زينب، وقد أوردها الصولي في كتاب الأوراق (أشعار أولاد الخلفاء) ص٨.

كان أخوها محمد، ركب يوماً مع [المهدي] وهو أمير، فعاتبه[١] في شيء، وغمز ركابَه، وضغط رجلَه فيه حتى ضاق به الحديد، فلم يقدر على إخراج قدمه منه حتى ردَّته أختُه رَيْطة.

وأولُ مَنْ وزر لأبي العباس أبو سلمة، ثم خالد بنُ بَرْمَك، وقاضيه ابنُ أبي ليلى، وحاجبه أبو غسان مولاه، وقيل: والربيع، ونقشُ خاتمه: الله ثقةُ عبدِ الله، وبه يؤمن.

أسند عن أخيه إبراهيم الإمام، وروى عنه عمُّه عيسى بنُ عليّ، وابنُ أخيه محمد المهدي.

ولما مات جزِعَ عليه أبو جعفر جَزَعاً عظيماً، واستقدَمَ حمَّاد الراوية من البصرة، فلما دخل عليه قال: أنشدني شعرَ هفّان بن همام[٢] يرثي أباه، فأنشده: [من الطويل]

خليليَّ عُوجا إنها حاجةٌ لنا	على قبر همّام سقته الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتغى	جَدَاه إذا لم يحمد الأرضَ رائد
كريم النَّثا حلو الشمائل بينه	وبين المزجَّى نَفْنَفٌ متباعدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفِيرة	بحُرِّين قد ناحت عليه العوائدُ
صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حولَه	ترائبَهنَّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ[٣]

فبكى أبو جعفر حتى اخضلَّت لحيته.

عبد الملك بن عُمَير

أبو عمر اللَّخْميّ، وُلد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان رضوان الله عليه، وهو من الطبقة الثالثة من أهل الكوفة.

---

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣: عابثه المهدي. وهو الصواب، وما بين حاصرتين منه كذلك.

(٢) سماه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٣٥٢: أهبان بن همام بن نضلة الأسدي.

(٣) الأبيات مع غيرها في الأغاني ٦/ ٨١، ونسبها صاحب الحماسة البصرية ١/ ٣٥٢-٣٥٣ إلى أهبان بن همام.
وقوله: كريم النثا، تحرف في (د) و (خ) إلى الثنا.
والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ. اللسان: (نثا).
والمزجى من كل شيء: الذي ليس بتام الشرف ولا غيره من الخلال المحمودة. اللسان (زجا).
وحُرِّين: بلد قرب آمد. معجم البلدان ٢/ ٢٥٢.

كان يقول: والله إني لأُحدِّث بالحديث وما أدَعُ منه حرفاً[١].

وولي قضاءَ الكوفة قبل الشَّعبي، وروى عن جماعة من الصحابة وكثير من التابعين، وتُوفي بالكوفة سنة ستٍّ وثلاثين ومئة، وقال: لي مئةٌ وثلاثُ سنين، وعاش بعد هذا القول سنة.

عثمان بن عروة بن الزبير[٢]

من الطبقة السادسة، وقيل: الرابعة من أهل المدينة، وأمُّه أم يحيى بنتُ الحَكَم بن أبي العاص بن أُمية، وكان من وجوه قريش وساداتهم، جواداً، خطيباً، جميلاً.

وَفَد على مروان بن محمد فأعطاه مئة ألف درهم، فلما قدم المدينة أغلى الناسُ كِراء الحُمُر من كثرة ما يرجون جوائزَه.

وكان على صدقات الزُّبير حتى مات، وكان الناسُ قد أجمعوا على محبَّته، وكان يقول: الشكرُ وإن قلَّ جزاءُ كلِّ نائلٍ وإن جلَّ.

حدَّث عن أبيه، وروى عنه أخوه هشام بنُ عروة وغيره، وكان ثقةً، صدوقاً، فاضلاً.



(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٣.

(٢) ترجم له ابن سعد ٧/ ٤٦٢ في الطبقة الرابعة، وكذلك نقل عنه ابن عساكر في تاريخه ١١/ ١٣٦ (مخطوط)، ولم نقف على من ذكره في الطبقة السادسة.

السنة السابعة والثلاثون بعد المئة

فيها قدم أبو جعفر الكوفة، وتأخَّر أبو مسلم بعده بأيام، وقيل: بل قدم الأنبار.

قال الهيثم: لما تُوفي أبو العباس كان أبو جعفر بذات عِرْق، وأبو مسلم بين يديه بمرحلة، فكتب إليه أبو جعفر: قد حدث أمرٌ ولا بدّ من اجتماعي بك فيه، فلم يرجع، وكتب إليه كتاباً بدأ فيه بنفسه، فاستشاط غضباً، وقال: أنا بريءٌ من العباس إن لم أقتل ابنَ وشيكة، فقال له عُتبة بنُ عبد الرحمن الثعلبي[1]: أُذكر قول القَطاميّ: [من البسيط]

قد يُدرك المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجِل الزَّلَلُ[2]

فأمسك عن قتله، وكان أبو مسلم لا يخالطُه خوفاً منه.

وقال المدائنيّ: كتب عيسى بنُ موسى إلى أبي جعفر بالبيعة مع محمد بن الحُصَين، فلقيه أبو مسلم قبل أبي جعفر، فأخذ منه الكتاب وقرأه، وأمسَكَه عنده يومين، ثم كتب إلى أبي جعفر: من عبد الرحمن أبي مسلم إلى أبي جعفر بن محمد، عافاك الله وأمتَعَ بك، أتاني أمرٌ أفظعني، وبلغ منِّي كلَّ مبلغ، وهو وفاة أمير المؤمنين، فرحمه الله وغفر له، وأسألُه أن يُعظِمَ أجرَكَ فيه، ويُحسن الخلافةَ عليك، وإنه ليس أحدٌ من أهلك أشدَّ تعظيماً لحقِّك، وأصفى نصيحةً لك منِّي، ولك عندي كلُّ ما يسرُّك. ولم يُسلِّم عليه فيه بالخلافة؛ لأنه قصَدَ أن يُرعبه[3].

فكتب إليه أبو جعفر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى أبي مسلم، أما بعدُ فقد أتاني كتابُك، وهو كتابُ غيرِ موفَّقٍ لرشد، ولا مسدَّد لصواب، ولكن ذكرتُ ما تقدَّم من طاعتك، فعطَفَني ذلك عليك، وقد ولَّيتُك مقدّمتي، فسِرْ حتى تُوافي الأنبار، ومن أنكرتَ منه شيئاً فاصرفْه، فسبق أبا جعفر إلى الأنبار، واجتمع بعيسى بن موسى،

(١) كذا في (د) و(خ)، وفي أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٠ أن المنصور أرسل الكتاب مع عطية بن عبد الرحمن التغلبي، وأن الذي ذكره قول القطامي هو يزيد بن أسيد.

(٢) البيت في ديوانه ص٢٥.

(٣) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢١١.

فأراده على البيعة وخَلْع أبي جعفر، فلم يُجبه، وقال: الأمر لعمِّي أبي جعفر، ولو قدَّمني عليه عمِّي أبو العباس لقدَّمتُه على نفسي، فقال: والله ليَعزلنَّك من ولاية العهد ويقتلني. وبلغ أبا جعفر فازداد على أبي مسلم حَنَقاً.

ولما عاد أبو جعفر من الحج اعترضته أعرابية، فقالت: يا أمير المؤمنين، أحسَنَ الله لك العزاءَ عن أخيك، ومتَّعك بالخلافة، ولقد أحسن إليك في الحالين، وأعظم لك النعمةَ في المنزلتين، سلبَكَ خليفةً، وأفادك خلافةً، فاحتسبْ عند الله ما سلبكَ، واشكُر له ما منَحَك. فأُعجب بكلامها، ووَصَلَها.

وقال الهيثم: لما عاد أبو جعفر إلى الكوفة نزل الحِيْرة، وصلَّى بالناس الجمعة، ثم سار إلى الأنبار في المحرَّم، فوجد عيسى بنَ موسى قد أحرز الأموال والخزائن والدواوين، فسلَّم إلى أبي جعفر جميعَ ذلك وبايعه، وجعلَه أبو جعفر وليَّ عهده من بعده، وأكَّد الأَيمانَ والعهود، ثم أقام أبو جعفر وأبو مسلم بالأنبار لينظر ما يكون من عبد الله بن عليٍّ.

ذكرُ عصيان عبد الله بن عليٍّ

لما تُوفي السفَّاح كتب إليه عيسى بنُ موسى كتاباً يخبره بوفاته، وأنه عهِدَ إلى أخيه أبي جعفر، ويأمره بأخذ البيعة له على الناس، وبعث بالكتاب مع أبي غسَّان يزيد بن زياد حاجبِ السفاح، فوافاه وقد قارب درب الروم يُريد الغزو، فجمع الناسَ وقرأ عليهم الكتاب، وقال: إنَّ أبا العباس قال لأهله وأنا حاضرٌ: مَنْ قتل مروان فهو وليُّ عهدي، فلم يُجبه غيري، فقال لي: إن قتلتَه فأنتَ وليُّ عهدي، وقد قتلتُه، وأنا أولى، فبايِعوني، فقام جماعةٌ من قوَّاد خراسان فشهدوا له، منهم خفاف المروزيُّ، وأبو عاصم الطائيُّ، فبايعوه إلا نفرٌ يسير، وكان فيمن بايعه حُمَيد بنُ قحطبة، ثم عاد إلى حرَّان وبها مقاتل العكّي، فتحصَّن بقلعة حرَّان، فحصره واستنزله، وقال: عصيتَ عليَّ، وأمرَ بضرب عنقه[1].

وقال البلاذريُّ: لما بعث عيسى بنُ موسى بالكتاب مع أبي غسَّان وقرأه، وادَّعى

(١) ينظر المنتظم ٨/ ٣-٤.

عبدُ الله ما ادعى مِنْ قَتْل مروان، صدَّقه أبو غسان، وبايَعَه بالخلافة، وشهِدَ له بذلك، فقال الهيثم بنُ زياد الخُزاعي: نَشَدتُكَ الله أن تُهيِّج الفتنة، وتُعرِّض نفسَك وأهلَ بيتك للهلاك وزوالِ النعمة، فقتَلَه عبدُ الله(١).

وقال المدائني: كتب أبو العباس إلى عبد الله يأمره بغزو الصائفة، فوافاه كتابُه عند وفاته وهو مما يلي درب الحدث يريد دخول الروم، فدعا بعبد الحميد بن ربعي الطائيِّ، وخفاف بن منصور المازني، ونصير بن المحتفر(٢) المزني، وحباش بن حبيب الطائي، وادَّعى ما ادعاه من قتل مروان، وأنه وليُّ العهد من بعده، فصدَّقوه وبايعوه بالخلافة، وفيهم حُميد بن قحطبة، وعاد فنزل قنَّسرين، واستعمل عليها زُفَر بنَ عاصم، وعلى دمشق عثمان بنَ عبد الأعلى، واستعمل على فلسطين الحكم بنَ ضبعان، وكتب إلى الحسن بن قحطبة وكان على أرمينية، وإلى مالك بن الهيثم وكان على أذربيجان، وإلى محمد بن صُول وهو بسُمَيْساط(٣) يدعوهم إلى نفسه، فأبوا عليه، وسار إلى حرَّان وعليها مقاتل بن حكيم العكّي في أربعة آلاف مقاتل، وكان عاملَ أبي جعفر على الجزيرة فعصى عليه، فنصب المجانيق على البلد، وضايقه، فطلب مقاتلٌ الصلحَ، فصالحه ودخل عبدُ الله حرَّان في صفر سنة سبع وثلاثين، ثم سار إلى الرقَّة واستعمل أخاه عبدَ الصمد على الجزيرة، وجعله وليَّ عهده، وصيّر على شرطته منصور بن جعونة العامريّ، وبعث بمقاتل العكّي وبولديه إلى ابن سُراقة وأمره بقتلهم فلم يفعل، وقيل: بل قتَلَه واستبقى ولديه، فلما هُزِم عبدُ الله قتلهما ابنُ سراقة واسمُه عثمان بنُ عبد الأعلى، أزديٌّ، واستعمل عبدُ الله على قِنَّسرين حُميدَ بنَ قحطبة، وكتب إلى زُفر بن عاصم: إذا ورد عليك حميد بنُ قحطبة فاقتله ومَنْ معه، فوقع حُميد بالكتاب فقرأه، وعاد إلى الأنبار، فقدم على أبي جعفر(٤).

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١١٧ و٢١٤.

(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ١١٧: المختفر.

(٣) في أنساب الأشراف ٣/ ١١٩: بشمشاط، وكلاهما بلدتان على الفرات غير أن سُمَيساط من أعمال الشام، وشِمْشاط في طرف إرمينية. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٥٨ و ٣٦٢.

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ١١٧-١١٩.

ذِكْر مسير أبي مسلم لقتال عبد الله بن عليٍّ وهزيمة عبد الله إلى البصرة

ولمّا بدا من عبد الله ما بدا جمع أبو جعفر أهلَه وقوّاده واستشارهم، فقال له أبو مسلم: إن شئتَ أقمتُ ببابك أخدمُكَ، وإن شئتَ ذهبتُ إلى خراسان، وجهَّزت إليك الجنود، وإن شئتَ سرتُ إلى عبد الله. فقال أبو جعفر: بل تسير إلى عبد الله، فإنما هو أنا أو أنت، فسار أبو مسلم يقصد عبد الله وهو بحرَّان قد جمع إليه العساكر والسلاحَ وما يحتاج إليه، وخندق عليه، ولم يتخلّف من القوّاد عن أبي مسلم أحدٌ، وبعث على مقدّمته مالكَ بنَ الهيثم الخزاعي، ووافاه الحسن بنُ قحطبة من إرمينية، فاجتمع بأبي مسلم بالكُحَيل من أرض الموصل.

وفي رواية: فسار عبد الله حتى نزل نصيبين، وكان قد قَتَل من أهل خراسان سبعة عشر ألفاً خاف أن لا يوافقوه، فنفرت عنه قلوبُ الخراسانيين، ولما وصل أبو مسلم إلى الكُحَيل ولقيه الحسن بنُ قحطبة جعله على مقدّمته.

وقيل: إن أبا جعفر شيَّع أبا مسلم إلى عُكْبَرا، وبعث أبو جعفر إلى محمد بن صول أن يجتمع بعبد الله ويقتله غِيْلة، فجاء إليه ابنُ صول، وكتب إلى عبد الله عيونُه: صُلْ بابن صول، فقتله عبد الله.

ولما وصل أبو مسلم إلى الجزيرة، ووجد عبدَ الله قد خندق عليه بعث إليه مكيدةً استنزله عن خندقه: إني لم أُومر بقتالك، وإنما ولَّاني أميرُ المؤمنين الشامَ، وأنا أريدُها، وبلَّغ من كان معه من أهل الشام، فقالوا لعبد الله: كيف نقيمُ معك وأبو مسلم ينصرفُ إلى بلادنا وحرمنا فيقتل من قدر عليه، ويسبي ذرارينا، ونحن في خندق؟! ولكن نخرج إلى بلادنا، فإن قصدَنا قاتلناه، فقال عبد الله: والله ما يريدُ الشامَ، وما يريد إلا قتالَكم، فقالوا: لا طاقةَ لنا على هذا. فارتحل عبدُ الله من خندقه، وجاء أبو مسلم فنزل موضعه، فقال عبدُ الله: ألم أقلْ لكم: إنَّه ما يريدُ الشامَ، إنَّما يريد قتالَكم؟ فاقتتلوا ستة أشهر أو خمسة.

وكان أهلُ الشام ظاهرين بالعدّة والخيل والفرسان، وكان على مقدّمة أبي مسلم الحسن بنُ قحطبة، وعلى ميمنته حُمَيد بنُ قحطبة، وعلى ميسرته خازم بن خُزَيمة[١]

---

(١) تحرفت في (د) و(خ) إلى: خزيمة بن خازم. انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٧.

وعلى ميمنة عبدِ اللهِ بكارُ بنُ مسلم العقيليُّ، وعلى ميسرته حبيبُ بنُ سُوَيد الأسديُّ، وعلى الخيل عبد الصَّمد بنُ عليّ، فأقاموا يقتتلون كلَّ يوم، فلما كان يوم الثلاثاء لتسع خَلَون[١] من جمادى الآخرة التقوا، فأزالوا أهل خراسان عن مواقفهم وأبو مسلم يرتجز ويقول:

مَنْ كان ينوي أهلَه فلا رَجَعْ ... فرَّ من الموت وفي الموت وَقَعْ[٢]

وكان له عريشٌ يجلس فيه إذا التقى الناس ينظر، فإن رأى خللاً بعث إلى صاحبه يأمره بإصلاحه.

ولما انكشف أهل خراسان، وقَتَل عبدُ الصَّمد منهم ثمانية عشر رجلاً ترجَّل أبو مسلم وصاح: يا أهلَ الشام، ويا مَنْ معهم من أهل خراسان، أنا أبو مسلم الذي تعرفوني. وحملت الميمنة والميسرة والقلب، وأُتي أبو مسلم بحصان، وقيل له: اركب فما هذا وقته، فركب وصدقوا الحملة، فانهزم أهلُ الشام لا يلوون على شيء، فقال عبدُ الله لابن سُراقة: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نقاتل، فإما أن نموت أو الظَّفَر، وإن الفرار عارٌ على مثلك، وقد عبتَه بالأمس على مروان، ألستَ القائل: قبَّح الله مروان! فرَّ من الموت؟ وها أنت تفرُّ من الموت، فلم يلتفت عبد الله إلى قوله، فقال له ابنُ سراقة: وأنا معك، وهرب في البرية إلى البصرة، وترك عسكره بما فيه، فاستولى عليه أبو مسلم، وأمر أن لا يُقتل منهم أحد، وكتب إلى أبي جعفر بالفتح.

وأما عبد الله فسار في البرية في مواليه وأهله حتى قدم البصرة على أخيه سليمان بن عليّ، فأنزله وأكرمه، وأقام عنده متوارياً، وقصد عبدُ الصَّمد الكوفة مستجيراً بعيسى ابن موسى، فأخذ له أماناً من أبي جعفر، وأقام عنده.

قال البلاذريّ: إن حُمَيد بنَ قحطبة أخذ عبدَ الصَّمد أسيراً، وجاء به إلى أبي مسلم، فبعث به إلى أبي جعفر، فكلَّمه فيه بعضُ عمومته، فأطلقه[٣].

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٨: يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون.

(٢) البيتان في أنساب الأشراف ٣/ ١٢١ مع اختلاف في الترتيب، وهما في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٨ بمثل ترتيب المصنف.

(٣) أنساب الأشراف ٣/ ١٢١، والذي كلمه فيه هو إسماعيل بن علي.

ولما وصل عبد الله إلى البصرة، وكانت عنده أَمَة الحُميد بنتُ [محمد بن][1] عبد المطلب بن ربيعة، قالت له: أفنيتَ أهل الشام وكانوا فرسانكم، وأهلَ خراسان وكانوا أنصاركم، ثم ادّعيت الخلافةَ، وحاربت ابنَ أخيك وهو الخليفة، فلم تُبق غايةً، ولم تدع جهداً، ثم هربتَ إلى غير حصن ولا ملجأ، فهلّا متَّ كريماً، فو الله لتقاسينَّ ذلاً طويلاً، وهواناً كبيراً. فغضب من كلامها وفارقها، وكان لها منه أولاد: محمد، وعيسى، وأم محمد، وأم عبد الله.

وأما أبو مسلم فإنه لما كتب إلى أبي جعفر بالفتح بعث أبو جعفر أبا الخصيب مولاه ليُحصي ما أصابوا في عسكر عبد الله، فغضب أبو مسلم من ذلك، وسنذكره إن شاء الله.

وأقام عبد الله عند أخيه سليمان بالبصرة مدةً، ثم نزل سليمان إلى أبي جعفر، فقال له: يا أمير المؤمنين إنَّ عبد الله ابنُ أبيك، وعفوكَ لا يضيق عنه، وفيه مستصلحٌ، فأمِّنه، فقال: هو آمنٌ إذا رأيته. وسنذكر هذا إن شاء الله تعالى.

وفيها قتل أبو جعفر أبا مسلم الخراساني، وولَّى خراسان أبا داود خالد بنَ إبراهيم.

وفيها خرج فيروز الأصبهبذ ـ واسمُه سِنباذ ـ على أبي جعفر بخراسان، وكان مجوسيّاً من بعض قرى نيسابور، وكان أبو مسلم قد أحسن إليه واصطنعه، فلما قُتل خرج ثائراً طالباً بدمه، وتبعه خلقٌ كثير، واستولى على نيسابور وقومِس والرّي، وأخذ خزائن أبي مسلم التي كان أودَعها بالرّي، واستعجل أمره، وقصد العراق، فبعث إليه أبو جعفر جمهور بن مرّار العِجْلي في جيوش العراق، فالتقوا بين الري وهمذان، واقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت الدبرة على سنباذ وأصحابه، فقُتل منهم نحو من ستين ألفاً، وسبى جمهور نساءهم وذراريَّهم، وقُتل سنباذ بعد ذلك بين قومِس وطبرستان، وكان سنباذ من الدَّيلم، أفنى خلقاً كثيراً، فبعث إليه أبو جعفر جمهور، فهرب إلى طبرستان، فقتله صاحبها، وأقام جمهور بخراسان، فعزله أبو جعفر عن الري، وولَّاها مُجاشع بن يزيد الضبِّيَّ[2]، فلما قدم على جمهور بكتاب أبي جعفر قتَلَه وبعث برأسه إلى أبي جعفر، وخلع أبا جعفر، واستولى على البلاد، فبعث إليه أبو جعفر محمد بنَ

(١) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ١٢٣.

(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٨٠: الضبعي.

الأشعث ويزيد بنَ حاتم، فانهزم إلى أذربيجان، فوثب جماعةٌ ممن كان معه فقتلوه، وأتوا برأسه إلى يزيد بن حاتم، فقال لهم: ويحكم! وثق بكم، وأمَّنكم على نفسه وختنموه؟! فضرب أعناقَهم، وبعث برأس جمهور إلى أبي جعفر[١].

وقيل: كانت هذه الوقعةُ سنة ثلاث وأربعين ومئة.

وفيها خرج ملبّد بن حرملة الشَّيباني بالجزيرة، وتَبِعَه خلقٌ كثير، وبعث إليه أبو جعفر جيوشاً وهو يهزمُها، وكان في نفر يسير هزم عسكر الجزيرة، وعسكر الموصل، ويزيد ابن حاتم المهلّبي، والمهلهل بن صفوان، وزياد بن مشكان، وسار إليه حُمَيد بن قحطبة وهو على الجزيرة والتقوا فهزمه ملبّد، فدخل بعضَ الحصون، فصالحه حُمَيد على مئة ألف درهم حتى كفَّ عنه، وأقام حاكماً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان.

وقال الواقديُّ: إنما كان خروجُ ملبّد في سنة ثمان وثلاثين.

وحجَّ بالناس إسماعيل بنُ علي وهو على الموصل، وكان على المدينة زياد بنُ عُبيد الله، وعلى مكة العباس بنُ عبد الله بن معبد، ومات في آخر السنة، فأضاف أبو جعفر مكة إلى زياد، وكان على الكوفة عيسى بنُ موسى، وعلى البصرة سليمان بنُ عليٍّ، وعلى خراسان أبو داود، وعلى مصر صالح بنُ عليٍّ، وعلى الجزيرة حُمَيد بن قحطبة وملبّد متولي عليها[٢].

[فصل][٣] وفيها توفي

صفوان بنُ صالح

ابن صفوان، أبو عبد الله الدمشقيُّ، ولد سنة ست وتسعين، وكان زاهداً عابداً، فقيهاً على مذهب أهل العراق، وكان يؤذِّن بجامع دمشق وداره بربض باب الفراديس.

أسند عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه الإمام أحمد رحمة الله عليه وغيره،

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٨-٢٨٠، وتاريخ الطبري ٧/ ٤٩٥، وفيهما جهور بدل جمهور.

(٢) في (د): على معظمها، والمثبت من (خ).

(٣) ما بين حاصرتين من (د).

وكان صدوقاً ثقةً[١].

عبد الرحمن بنُ مسلم

ابن سنفيرون بن إسفنديار، أبو مسلم، الخراسانيُّ المروزيُّ، صاحبُ الدعوة. وقيل: عبدُ الرحمن بنُ عثمان بن يسار، وقيل: عبد الرحمن بن محمد.

وقال الخطيب: كان اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شيدوس بن جوذرن من ولد بزرجمهر، وفي رواية: كان يُسمّى إبراهيم بن حكان[٢]، فسماه إبراهيمُ الإمام عبدَ الرحمن، وكناه أبا مسلم، وكانت كنيته أبا إسحاق.

وولد سنة مئة بأصبهان برستاق فريذين، وكان أبوه قد أوصى به إلى عيسى بن موسى السرّاج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، وجمع عيسى بينه وبين إبراهيم الإمام، وأقام بالكوفة حتى بلغ، فقال له إبراهيم: غَيِّر اسمَك، فإنه لا يتمُّ لنا الأمر إلا بتغييره على ما وجدنا في الكتب فغيَّره، وزوَّجه إبراهيم ببنتِ عمران بن إسماعيل الطائي - ويُعرف بأبي النجم - على أربع مئة درهم، وهي بخراسان مع أبيها، زوّجه إياها عند خروجه إلى خراسان، وبنى بها بخراسان، وزوّج أبو مسلم ابنتَه فاطمةَ من مُحْرِز بن إبراهيم، وفاطمةُ هي التي يدعو إليها الخُرَّمِيَّة إلى هلمّ جرّاً. ومات عيسى بنُ موسى السرَّاج ولأبي مسلم تسع عشرة سنة[٣].

وقيل: إنَّ جماعةً من شيعة بني العباس قدموا مكة من خراسان، فنزلوا الكوفة وفيهم بُكَير بن ماهان، وكان كاتباً لبعض عمال السِّند، وسليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وقَحْطبة بن شبيب في آخرين، فلما نزلوا الكوفة غُمِزَ عليهم، فحُبِس بُكير بنُ ماهان وخُلِّي عن الباقين، وكان في ذلك الحبس عيسى بنُ معقل ومعه غلامٌ يخدمه وهو أبو مسلم، فدعا بُكير عيسى إلى بني العباس فأجاب، وقال له: ما هذا الغلامُ منك؟ فقال:

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٥ -٣٣٧ (مخطوط). وقد ذكر أقوالاً في سنة مولده ووفاته كلها يخالف ما حكاه المصنف.

(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ٩٣: حيكان.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٦.

مملوكٌ اشتريتُه، فقال: أتبيعُه؟ فقال: هو لك بغير ثمن، قال: لا. فاشتراه بأربع مئة درهم، وحمله إلى الإمام، فرأى فيه العلامات، فقال: احتفظ به، وكان مع عيسى يُعلِّمه صنعةَ السُّروج(١).

وقيل: إنه كان من أهل خُطَرْنِيَة قريةٍ من سواد الكوفة، وكان قَهْرَماناً لإدريس بن مَعْقِل العِجْليّ(٢).

وقيل: إنه كان من أهل أصبهان، وكان يخدم إدريس وعيسى ابني معقل، وكان قد حبسهما يوسف بنُ عمر على الخراج فيمن حبس من عمال خالد بن عبد الله القَسْريّ(٣).

وقيل: كان لرجل من أهل هَرَاة يقال له: أبو بوشنج(٤)، فقدم على الإمام وهو معه، فأعجبه عقله، فابتاعه منه بألفي درهم وعشرين درهماً، فأعتقه وأقام عنده حتى بعثه إلى خراسان.

وقيل: كان أبوه من خَوَل آل معقل، فأسلموه إلى خرّاز بالكوفة، فبينا هو يخرزُ شيئاً في يده إذ رأى الناس يتعادون، فقال: ماالذي بهم؟ قالوا: فيلٌ دخل الكوفة، فقال: وأنى في فيل من العجب؟ إنَّما العجبُ في [أن تروني](٥) أقلبُ دولة وأقيم دولة!

وقيل: إنَّ أباه كان من أهل بابل(٦)، وكان اسمه زاذان بن بيدار بن هرمز(٧)، وأمُّه تسمى وَشِيكة، بِيْعَ فاشتُري للإمام بتسع مئة درهم.

وقيل: إنه كان عربيًّا، سُبي وبِيْع فاشتراه الإمام.

وقيل: إنَّه كان من الأكراد، وقد نسبه أبو دُلامة إليهم فقال: [من الطويل]

---

(١) انظر الكامل ٥/ ٢٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٣٦٠.

(٣) تاريخ الطبري٧/ ١٩٨.

(٤) كذا في (د) و(خ)، وفي أنساب الأشراف ٣/ ١٣٥: لرجل من أهل هراة أو بوشنج. وهو الأشبه.

(٥) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ١٣٥.

(٦) في (د) و(خ): كابل، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ١٣٥.

(٧) كذا في (د) و(خ)، وفي أنساب الأشراف ٣/ ١٣٥: زادان بن بنداد هرمز.

أفي دولة المنصور حاولتَ غَدْرةً ألا إنَّ أهل الغدر آباؤك الكُرْدُ[(١)]

وقيل: كان عبداً لأبي موسى السرَّاج، وكان من كبار الشيعة، وكان الجماعةُ الذين ذكرناهم في أول الفصل قد واعدُوا الإمام أن يوافيَهم بمكَّة، فوافاهم إبراهيم بها، فأعطوه عشرين ألف دينار ومئتي ألف درهم، ومتاعاً وتحفاً جلبوها من خراسان، فرأى أبا مسلم مع أبي موسى السرَّاج، فأعجبَه فاشتراه، وأقام عنده حتى بعثَ به إلى خراسان.

وقال شهاب بن عبد الله: كان أبو مسلم يتردَّد إلى خراسان من الإمام بكتبٍ إلى الشيعة، وهو راكبٌ على حمار، قال خادم لسليمان بن كثير: لقد جاءنا يوماً فلم نعرض عليه الطعام؛ كان عندنا أحقر من ذلك، فلامنا سليمان وقال: بئس ما فعلتم[(٢)].

وقال أبو اليقظان: كان أبو مسلم يدَّعي أنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس، وأطمعَ نفسه في الخلافةِ بهذه الدعوى[(٣)].

ذكر صفته:

كان أسمر ـ وقيل: أبيض حسن اللون ـ مليح الوجه، رَبْعةً ـ وقيل: طُوالاً ـ تعلوه صفرة، وكان شجاعاً فاتكاً، ذا عقلٍ ورأيٍ وحزمٍ وتدبيرٍ، يقول بتناسخِ الأرواح، ويرى رأي الكيسانيَّة[(٤)]، وأنَّ محمدَ ابن الحنفية هو المهدي، وأنَّه حيٌّ يرزق.

ذكر طرف من أخباره:

قيل له: بم أدركتَ ما أدركت؟ فقال: ارتديتُ بالصبر، والتحفتُ بالكتمان، وحالفتُ الأحزانَ و الأشجان، وسامحتُ المقادير حتى بلغتُ غاية همَّتي، وأدركتُ نهاية بغيتي. وفي رواية: وساعدني القَدَرُ؛ فأدبر الحرمان، وأقبل الإقبال، وأنشد لنفسه: [من البسيط]

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٥، وطبقات الشعراء ص٦٢، والشعر والشعراء ٢/ ٧٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١٥٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ١٣٦.

(٣) انظر الكامل ٥/ ٢٥٦.

(٤) انظر الملل والنحل ١/ ١٥٤.

قد نلتُ بالحزمِ والكتمانِ ما عجزتْ — عنه ملوكُ بني مروان إذ حشدوا
ما زلتُ أضربهم بالسيفِ فانتبهوا — من رقدةٍ لم ينمها قبلهم أحدُ
طفقتُ أسعى عليهم في ديارهمُ — والقومُ في ملكهم بالشامِ قد رقدوا
ومن رعى غنماً في أرضِ مسبعةٍ — ونام عنها تولَّى رعيَها الأَسَدُ(١)

عُرِضَ على أبي مسلم فرسٌ جواد، فقال(٢): ماذا يصلح هذا؟ فقال جلساؤه: لغزو العدو، فقال: لا، ولكن يركبُه الرجل فيهرب عليه من جار السوء.

ودخل عليه رؤبة فقال له: أنشدني: [من الرجز]

وقاتم الأعماق خاوي المخترقْ

فأنشده، فلما بلغ إلى قوله:

يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدقْ

قال له: قاتلَك الله! لشدَّ ما استصلَبْتَ الحافر، ثم قال: أنا ذاك المدق، ثم اعتذر إليه من قوله، وأجازه بمال، فقال رؤبة: فوالله ما رأيتُ أعجمياً أفصحَ منه، وما ظننتُ أنَّ أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبي(٣).

نقب رجل بيت المال وأخذ منه، [فكتب: يُدرَأ عنه الحدُّ(٤).

وكتب إليه سليمان بن كثير كتاباً أغلظ له فيه](٥)، فكتب إليه: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

وكتب إلى قحطبة: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٦) [القصص: ٧٧].

ووقَّع على قصَّة محبوس: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٧، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٣ (طبعة مجمع اللغة).
(٢) في (خ): فقيل. والمثبت من (د) وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٩١.
(٣) الأغاني ٢٠/ ٣٤٨-٣٤٩. وانظر ديوان رؤبة ص١٠٤-١٠٦.
(٤) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٢٢٠ في توقيعات الفضل بن سهل، وتمامه: وفي قصة رجل نقب بيت المال: يدرأ عنه الحدّ إن كان له فيه سهم.
(٥) ما بين حاصرتين من (د).
(٦) العقد الفريد ٤/ ٢١٨.

وكتب على قصَّة آخر: العدلُ أوثقه، والتوبةُ تطلقه[١].

ذكر مقتله:

وله أسباب، منها: تهاونه لما قدم عليه أبو جعفر، ومنها: قتلُ سليمان بن كثير، وادعاؤُه أنَّه ابن سليط، وتقدُّمه على أبي جعفر في الحجّ، ولما قدم الأنبار دعا عيسى ابنَ موسى إلى خلعِ أبي جعفر، ومنها: أنَّه لما توجَّه إلى قتال عبد الله بن علي كان إذا ورد عليه كتاب من أبي جعفر يقرؤه ويلويه[٢] بيده استهزاءً به، ثم يلقيه إلى مالك بن الهيثم ويتضاحكان.

ولمَّا انهزمَ عبد الله بن عليّ بعثَ أبو جعفر أبا الخصيب مولاه إلى أبي مسلم ليحزر أموالَ عبد الله، فشتم أبو مسلم أبا الخصيب، وأراد قتله، فقال القوَّاد: المرسلُ لا يقتل، فخلَّى سبيلَه، فعادَ إلى أبي جعفر فأخبره، فخاف أبو جعفر أن يفوته إلى خراسان، وكان القُوَّاد قد قالوا لأبي مسلم: نحنُ غنمنا مال عبد الله، وليس لأبي جعفر فيه غير الخمس.

ولما خاف أبو جعفر من ذهابه كتبَ إليه مع يقطين بن موسى كتاباً يقول فيه: قد ولَّيتُك مصر والشام، فهي خيرٌ من خراسان، فوجِّه إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام لتكون قريباً من أمير المؤمنين، متى أحببتَ لقاءَه لقيتَه، فلمَّا دخل يقطين على أبي مسلم سلّم عليه، فقال: لا سلَّم الله عليك يا ابن اللخناء، أؤتمنُ على الدماء، ولا أؤتمن على الأموال[٣]؟! فقال له يقطين: امرأتُه طالق إن كان أمير المؤمنين أرسلني إليك إلَّا مهنياً بالظفر وبتولية الشام وخراسان[٤]، فغضبَ أبو مسلم وقال: أهو يوليني الشام ومصر، وخراسانُ لي؟! فلمَّا خرج يقطين قال أبو مسلم: إنِّي لأعلمُ أنَّ امرأتَهُ طالق، ولكنَّه نظر لصاحبه.

---

(١) التوقيعان الأخيران أوردهما ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٢١٩ من توقيعات جعفر بن يحيى.

(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٠، و تاريخ الطبري ٧/ ٤٨١، والمنتظم ٨/ ٥: فيقرؤه ثم يلوي شدقه.

(٣) انظر مروج الذهب ٦/ ١٧٨.

(٤) كذا في (خ) و(د)، وهو خطأ؛ لأن المنصور كتب بتوليته على الشام ومصر؛ ليبعده عن خراسان. وهذا واضح من سياق الخبر.

وقال البلاذري: بعث أبو جعفر مرزوقاً أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليحصي أموال عبد الله، فغضب أبو مسلم وقال: ما لأبي جعفر ولهذا؟! وإنَّما له الخمس، فقال له مرزوق: هذا مال أمير المؤمنين دون الناس، وليس سبيلُ هذا سبيل الخمس، فشتمَه وهمَّ بقتله، ثم أمسك.

وبعث أبو جعفر يقطين بن موسى إلى أبي مسلم في هذا الأمر، فلمَّا دخلَ عليه قال أبو مسلم: أفعلها ابنُ سلَّامة الفاعلة؟ لا يَكني، فقال له يقطين: عجلتَ أيُّها الأمير، إنَّما أمرني أمير المؤمنين أن أحصيَ ما في عسكر الناكث، ثم أسلِّمه إليك ترى فيه رأيك، وإنَّما قصدَ أن يعلم ما فيه.

ثمَّ عاد يقطين إلى أبي جعفر وأخبرَه بشتمه إيَّاه وتنقُّصِه به، وقال: إنَّه على عزم المضيِّ إلى خراسان عاصياً مخالفاً[١].

فخرج أبو جعفر من الأنبار من وقته، فنزل المدائن، وكتبَ إلى أبي مسلم ليقدم عليه، فوافاه كتابه وهو على الزاب، فكتب[إليه]: أما بعد، فإنَّه لم يبق لأمير المؤمنين عدوٌّ إلَّا أمكنَه الله منه، وقد كنَّا نروي عن ملوك ساسان أنَّ أخوفَ ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، ونحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريُّون بالسمع والطاعة، غير أنَّها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاكَ ذاك فأنا كأحسن عبيدك، وإن أبيتَ إلَّا أن تعطي نفسك إرادتها نقضنا ما أبرمنا بنفوسنا[٢]، والسلام.

فلما قرأ أبو جعفر الكتاب وقيل له: قد سلك طريق حلوان، فقال: رُبَّ أمرٍ لله دون حلوان، وكتب إليه: أما بعد، فليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغاشّة لملوكهم، الذين يتمنون اضطرابَ الدُّوَل لكثرة جرائمهم، وإنَّما راحتُهم في انتشار نظام الجماعة، فلمَ سوَّيتَ نفسَك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملتَ من أعباء هذا الأمر على ما أنت به! وقد حمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالةً

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٣، والكامل ٥/ ٤٧٠: نقضت ما أبرمت من عهدك ضنّاً بنفسي.

لتسكنَ إليها، وأسألُ اللهَ أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك؛ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيَّتك آكد عنده من الباب الذي فتحَه عليك، والسلام.

وقيل: إنَّما بعث إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجليّ، فخدعه وردَّه، وكان رجل زمانه(١)، ولم يبعث إليه عيسى بن موسى، وهو الأصح(٢).

وقال الصولي: كان أبو مسلم قد كتب إلى أبي جعفر كتاباً، فكان سبباً لهلاكه، كتب إليه: من أبي مسلم إلى أبي جعفر، سلامٌ على من اتَّبع الهدى، أمَّا بعد، فإنِّي كنت قد اتخذت إماماً، وجعلته على ما افترضه الله على خلقه، وله قرابةٌ من رسول الله ﷺ، فحرَّف القرآنَ عن مواضعه، ودلَّاني بغرور، فأمرني أن أجرِّد السيف، وأرفعَ الرحمة، و لا أقبل العذر، و لا أقيلَ العثرة، ففعلت ذلك توطئة لسلطانه، ثم استنقذني الله بالتوبة، فإن يعفُ عنِّي، فقِدماً عُرِف بالعفو، وإن يعاقبني فبما قدَّمت يداي، وما الله بظلام للعبيد.

وقال البلاذري: كتب إليه: من عبد الرحمن أبي مسلم(٣) إلى عبد الله بن محمد، أمَّا بعد، فإنِّي كنت اتخذت أخاكَ إماماً، وجعلتُه على الدِّين عَلَماً، وقبلتُ منه الوصيَّة التي زَعمَ أنَّها صارت إليه، وكان في قرابته من رسول الله ﷺ، ومحلِّه من العِلْم على ما كان عليه، ثمَّ إنه مستخف(٤) القرآن، وأوطأني عشوة(٥) الضلالة، وأوثقني بربقة الفتنة، فهتكتُ بأمره حرماتٍ حتم الله صونَها، وسفكتُ دماءً فرضَ الله حقنَها، وزويتُ الأمرَ عن أهله، ووضعتُه في غير محلِّه، وذكر تمام الكتاب.

---

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٣: واحد زمانه.

(٢) سياق الخبر في تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٣ يدل على أن حامل الرسالة عيسى بن موسى، وأن المنصور وجه جرير ابن عبد الله إلى أبي مسلم ليخدعه. فتأمل.

(٣) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٢: بن مسلم.

(٤) فوقها في (خ): كذا. وفي أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٣: استخف بالقرآن. وفي تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٤، والكامل ٥/ ٤٧٠: فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه.

(٥) أوطأني عَشوة: لبس علي، والمعنى فيه أنه حمله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد، فربما كان فيه عطبه. اللسان (عشا).

فلمَّا وقف أبو جعفر عليه كتب إليه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن، أمَّا بعد فإنَّ أخي كان لي إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من ربِّه، فأوضح لك السبيل، ونهجَ لك المنهج، فلو كنت بأخي اقتديتَ ما كنتَ عن الحقِّ مائلاً، وعن الشيطان وأمره[١] صادراً [ووارداً]، ولكن لم يسنح لك أمران إلَّا كنت لأرشدهما تاركاً، ولأغواهما موافقاً، تقتلُ قتلَ الفراعنة، وتبطشُ بطش الجبَّارين، وتحكمُ بالجور، وتقضي بالظلم، ثم أخبركَ أيها الضالّ أنِّي قد ولَّيتُ موسى بن كعب خراسان، وأمرتُه بالمقام بنيسابور، فإن أردتَ خراسان لقيكَ من دونها بمن معه من قوادي وشيعتي، وأنا موجِّهٌ إليك إلى لقائك[أقرانَك][٢]، فأجمع كيدك فإنَّك غيرُ مسدَّدٍ ولا موفَّق، والسلام[٣].

فلما قرأ كتابه شاور أبا إسحاق المروزي وقال له: هذا موسى بن كعب دونَ خراسان، وهذه سيوف أبي جعفر من خلفنا، وقد أنكرتُ من أثق به من عسكري وخاصَّتي، فقال له أبو إسحاق: إنَّ أبا جعفر يضطغنُ عليك أموراً قديمة، فلو كنت إذ ذاك واليتَ رجلاً من آل أبي طالب كنتَ أقرب إلى الحقّ، ولو كنت قبلتَ توليته إيَّاك الجزيرة والشام ومصر والصوائف كنتَ في فسحة من أمرك أن ترسل إلى المدينة فتختلسَ رجلاً من ولد فاطمة فتنصِّبَه إماماً، كنت استملت به الناس، ورميتَ أبا جعفر بنظيره، أتطمع أن تحاربه وأنت بحُلوان وعساكرُه بالمدائن وخراسان والشام، وهو خليفةٌ مجمَعٌ على خلافته ثم تظهر؟! ليس ما ظننت.

قال: فما الرأي؟ قال: أن تستوثق من قوَّادك، قال: إنَّهم غيرُ موافقين. قال: فإن رأيتَ أن تبعثني إلى أبي جعفر فآخذَ لك منه أماناً، فإمَّا عفا عنك، وإمَّا عاجلك وأنت على شعبة من عزِّك، من قبل أن ترى الذُّلَّ والصغار من عسكرك، فإما أخذوكَ أسيراً، أو قتيلاً يركضون برأسك إلى المدائن. فقال: سأنظر[٤].

(١) في (خ): وأهله. والمثبت من (د).
(٢) ما بين حاصرتين من (د).
(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٠ (طبعة مجمع اللغة العربية).
(٤) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٠-٤٠١.

وكان أبو جعفر يقول: [الذي] نخافُه من أبي مسلم أعظمُ من الذي كنا نخافه من أبي سلمة، يعني أنَّ أبا مسلم يدَّعي أنَّه ابنُ سليط[١].

وفي روايةٍ أنَّ أبا جعفر لمَّا قرأ كتابَ أبي مسلم الذي يقول فيه: إنِّي اتخذتُ أخاكَ إماماً، كتب إليه يستعطفه. ويقول: للمدلِّ بطاعته ونصيحته مقال، ولم يزدك عندنا ما كتبتَ إلَّا ما تحبّ، فراجع أحسن مراجعة، ولا يدعونَّك ما أنكرته إلى التجنِّي، فإنَّ المغضبَ ربما تعدَّى في القول، فاقدم مبسوطَ اليد في أمرنا، محكَّماً فيما هويت من الحكم فيه، ولا تُشمت بنا وبك الأعداء، والسلام[٢].

وأمر أبو جعفر بني هاشم بن عيسى بن موسى، وعيسى بن علي ومن حضَر أن يكتبوا إليه[٣] يشكرون ما كان منه من الطاعة، ويحذِّرونَه الخلاف والشقاق وعاقبةَ الغدر، وأن يقدم على أبي جعفر، ونحو ذلك.

وبعثَ بالكتاب مع أبي حميد المروذي، وقال: لاطفه أوَّلاً، فإن أجاب، وإلَّا فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس[٤]، لئن لم تأتني لأطلبنَّك بنفسي[٥]، ولو خضتَ البحر لخضتُهُ، ولو اقتحمت النار لاقتحمتُها حتى أقتلَك أو أموتَ قبل ذلك. ولا تقل ذلك حتى تأيسَ منه ومن رجوعه.

فقدم أبو حميد عليه وهو بحُلوان فدفع إليه الكتاب ولاطفه وقال: إنَّ الناسَ يبلغونكَ عن أمير المؤمنين ما لم يقله حسداً لك، يريدونَ زوال النعمة عنك، فلا تفسد ما كان منك، فإنَّك لم تزل أمين[٦] آل محمد ﷺ، وما ذخرَ لك من الأجر أعظم ممَّا أنت فيه من الدنيا، فلا تحبط أجرَك، ولا يستغوينَّك الشيطان. فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمني

(١) أنساب الأشراف٣/ ٢٣٠.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٣.

(٣) كذا، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٤: وقال أبو جعفر لعيسى بن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا...

(٤) في (خ): لست أبي العباس. والمثبت من (د).

(٥) تمامه كما في تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٤: لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيتَ مشاقاً ولم تأتني، إن وكلتَ أمرك إلى أحد سواي وإن لم أل طلبك وقتالك بنفسي...

(٦) في (خ) و(د): أمير. والتصويب من تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٤.

بهذا الكلام ؟! فقال: أنت الذي أمرتَنا بطاعةِ أهل بيت نبيِّنا ﷺ بني العباس، ودعوتنا من أراضٍ متفرقة، وجمعتنَا على طاعتهم، وقلت: من خالفَهم فاقتلوه، ولو كنتُ أنا فاقتلوني، فلا تفسد أمرَنا وتفرِّق كلمتنا. فقال: قوموا لأنظر، فقام [أبو] حميد، وشاورَ أصحابَه وخواصّه، فقالوا: والله لئن أتيتَه ليقتلنَّك، ولا يأمنك بعدها أبداً، فسر إلى خراسان، فهم صنائعك وجندُك، فإن استقامَ لك[1]، وإلَّا كنت في عزٍّ ومَنعة وبلاد واسعة.

فدعا [أبا] حميد[2] وقال له: ارجع إلى صاحبك وقل له: لا حاجة لي في لقائه، فلاطفه وقال له: لا تفعل، وهو يأبى عليه، فلمَّا آيسه أعاد عليه ما قال أبو جعفر، فوجمَ طويلاً وكسره ذلك القول.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود نائب أبي مسلم بخراسان: إنَّ لك خراسان ما بقيتُ وبقيتَ، وجاء أبا مسلم كتابُ أبي داود يقول: إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله ومخالفةِ أهل بيت نبيه، فلا تخالفنَّ إمامك، ولا ترجعنَّ إلَّا بإذنه، فوافاه كتابه على تلك الحال، فزادَه خوفاً وهمّاً، فاستدعى [أبا] حميد وقال له: قد رجعتُ عن المسير إلى خراسان، ثم رأيتُ أن أوجِّه أبا إسحاق المروزي إلى أمير المؤمنين يستوثقُ لي منه.

وقدم أبو إسحاق على أبي جعفر، فأمرَ بني هاشم بتلقِّيه، وأكرمه أبو جعفر وقال: اصرفه عن وجهه ولك ما أحببت[3]، فرجع إليه فقال: ما أنكرتُ شيئاً، رأيتُهم معظِّمين لحقِّك، فارجع إلى أمير المؤمنين، فقال نيزك أحدُ قواده: ما ترى؟ فقال: [من الكامل]

ما للرجال مع القضاء عزيمة[4] ذهبَ القضاء بحيلة المُحتالِ[5]

[فقال:] والله ليقتلنَّك، ولكن احفظ عني ما أقول: إذا دخلتَ عليه فاقتله، وبايع لمن شئت ، فإنَّ الناسَ لا يخالفونك.

---

(١) بعدها في (خ): الأمر.

(٢) في (خ)و(د): فدعا حميداً. والمثبت وما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٥.

(٣) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٦، والمنتظم ٨/ ١٠، والكامل ٥/ ٤٧٣: ولك ولاية خراسان.

(٤) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٢، وتاريخ الطبري ٧/ ٤٨٦، والكامل ٥/ ٤٧٣: محالة.

(٥) البيت أورده أيضاً القالي في الأمالي ٢/ ٢٦٩، لكن فيه: الأقوام بدل: المحتال. ومثله في أنساب الأشراف.

وقال خليفة: كتب أبو جعفر إلى أبي مسلم: احتفظ بما في يدكَ من مال عبد الله بن عليّ، فغضب وعزم على التوجُّه إلى خراسان[١]، فبعث إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجليّ، وكان صديقاً لأبي مسلم كان يعرفه لمَّا كان بخراسان، وكان جرير أوحد زمانه، وكتب معه أبو جعفر: أما بعد؛ فإن المعاصي تطبع على القلوب، وتَرينُ عليها، فأفق أيُّها السكران، وقَعْ أيُّها الطائر، وانتبه أيُّها النائم، فإنَّك مغرورٌ بأضغاث أحلام، والسلام.

فلمَّا قرأه أغلظَ لجرير، فما زال يخدعُه حتى صرفَه عن خراسان وأقدمَه من حُلوان إلى المدائن.

وقال أبو اليقظان: لمَّا حجَّ أبو مسلم نزلَ الحيرة، فقيل له: إن هاهنا راهباً قد أتت عليه مئتا سنة، عنده علمٌ من العلم الأول، فأتاه أبو مسلم فسلَّم عليه، فقال له الراهب: إنَّك قد قمتَ بالكفاية، ولم تزل[٢] في العناية، وقد بلغتَ النهاية، وكأن قد عاينت تلفك، فاغتمَّ أبو مسلم، فقال له الراهب: أحرقتَ نفسك وشتتَّ أمرك، ولم تؤت من حزمٍ وثيق، ولا من رأيٍ أنيق، ولا من تدبيرٍ نافع، ولا من رأيٍ مراجع، وما استجمعَ في أحدٍ أملُه إلَّا أسرعَ في تفريقه أجلُه، والتقدير في يدي من يَبطُل معه التدبير، فانصرف أبو مسلم وقد علم بقربِ أجله، فما عاشَ إلا يسيراً وقُتل.

ذكر قدومه على أبي جعفر

قال أبو أيوب المُورِياني وزير أبي جعفر: كان أبو جعفر نازلاً بالمدائن بمكانٍ يقال له: الرُّوميَّة، وقد كان رؤي لأبي مسلم أنَّه يقتل بالرُّومية، وكان يظنُّ أنَّه يُقتَل بالروم.

قال جرير الذي أقدم أبا مسلم إلى المدائن: لما قربنا من المدائن قال لي: يا جرير، أين أميرُ المؤمنين؟ قلت: قريباً من المدائن، قال: في أيِّ موضع؟ قلت: في صحراءٍ يُقال لها روميّة، فأطرق طويلاً، ثم استرجع وقال: إذا كان كلُّ مقضيٍّ كائناً، فأيُّ شيءٍ ينفعُ الحذر؟

---

(١) تاريخ خليفة ص٤١٦.

(٢) في تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٩٧: تألُ.

قال جرير: وقد كان قيل له: إنَّك تُقتَل بروميّة، فظنَّها بلدَ الروم، ثم قال: إنا لله، ذهبت والله نفسي بيدي، ثم أقبلَ يخاطب نفسَه ويقول: ويحَك يا أبا مسلم، فتحَ الله لك من باب المكايد في عدوك وصديقك ما لم يفتح لأحدٍ، حتى إذا دانَ لك مَنْ بينَ المشرق والمغرب خدعَك عن نفسك من كان بالأمس يهابُ من ينظر إليك، ثم تمثَّل: [من الوافر]

فهل من خالد إمَّا هلكنا　　　وهل في الموتِ يا للناسِ عارُ[١]

وقال المورياني: دخلتُ على أبي جعفر وهو جالسٌ في خباء من شعر، وبين يديه كتابُ أبي مسلم، يذكرُ فيه أنَّه قادمٌ عليه، فرمى به إليّ، وكان قد صلَّى العصر وهو في مصلَّاه، فقلت له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: والله لئن ملأتُ عيني منه لأقتلنَّه، فاسترجعتُ في نفسي وقلت: ما أرى أصحابَهُ يرضونَ بقتله، ولا يدعون منَّا أحداً [حيًّا][٢]، وبعثتُ في الليل إلى سلمة بن سعيد بن جابر[٣]، ووعدتُه بالولايات والأموال، وقلتُ: تلتقي غداً أبا مسلم وتعدُه وتمنِّيه عن أمير المؤمنين وتقول [وتقول]، وكان قصدي أن يطمئنَّ، فقال: أفعل، فدخلت على المنصور وأخبرتُه بما خطر لي وما فعلت، فقال: ادع سلمة، فدعوته فدخل، فقال: إنَّ أبا أيوب استأذن [لكم][٤] أفتحبُّ أن تلقى أبا مسلم؟ قال: نعم، قال: فإذا لقيته فأقرئه منِّي السلام، وصف له شوقي إليه، فخرج فلقيَه، فأخبره. وقال: إنَّ أمير المؤمنين أحسن الناس رأياً فيك، فطاب قلبه وسرّ، وكان خائفاً، فلمَّا قرب من المدائن أمرَ أبو جعفر الناسَ بتلقيه، فلمَّا كان عشية قدم، قلت للمنصور: هذا الرجلُ قد قدم، فماذا تريد أن تصنع؟ قال: أقتله حين تقع عيني عليه، فقلت: أنشدك الله أن [لا][٥] تفعل هذا، إنَّه يدخلُ عليك معه الناس وأصحابه، فإن دخل ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخلَ عليك فأكرمه ومُره بالانصراف، فإذا كان غداً فارأ فيه رأيَك، فدخلَ عليه عشيةً، فسلَّم وقام قائماً بين يديه، فردَّ وقال له: قد وصلتَ متعوباً، فانصرف فأرح نفسك، وادخل الحمَّام فإن للسفر قشفاً، ثم اغد عليّ.

(١) المنتظم ٨/ ٧، والبيت منسوب لعدي بن زيد في الشعر والشعراء ١/ ٤١.
(٢) ما بين حاصرتين من (د).
(٣) في (خ) و(د): سلمة بن سعد بن رجاء. والتصويب من تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٦، والكامل ٥/ ٤٧٤.
(٤) ما بين حاصرتين من (د).
(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. وانظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٧.

وقال أبو اليقظان: أمر أبو جعفر عيسى بن موسى والأشرافَ بتلقي أبي مسلم، فخرجَ عيسى في صدر الموكب وكان صديقاً له، فتسايرَا، فقال أبو مسلم لعيسى: هل تدري ما مثلي ومثلك ومثل عبد الله بن علي ومثل المنصور؟ قال: لا. قال: كمثل ثلاثة نفر، كانوا في سفر، فأتوا على عظام نخرة، فقال أحدهم: عندي صنعةٌ[١]، إذا رأيتُ عظاماً مفرَّقة جمعتها، وقال الآخر: إذا رأيتُ عظاماً موصولةً كسوتُها لحماً، وقال الآخر: إذا رأيتُ عظاماً مكسوةً لحماً أجريت فيها الروح، ففعلوا ذلك، فإذا الذي أحيوه أسد، فقال الأسد: ما أحياني هؤلاء إلَّا وهم قادرون على أن يميتوني، فوثبَ عليهم فأكلهم، وكذا والله عمُّك معنا، والله ليقتلنِّي ويخلعك وليقتلنَّ عمَّه عبد الله بن علي.

أشار إلى نفسِه وأنَّه كان سبباً لإحياء الدولة، وأنَّ عبد الله مهَّدَها، وأنَّ عيسى قرَّر له الأمر.

ولمَّا دخل أبو مسلم على أبي جعفر ـ قال البلاذري ـ قام له قائماً واعتنقَه ورحَّب به وأدناه وقال: كدتَ أن تمضي إلى خراسان قبل أن نلتقي، فأُلقي إليك ما أريد[٢]؟

وقال خليفة: ثنى له وسادةً، فجلس عليها وقال: يا أمير المؤمنين، مر بأمرك، فقال: انصرف إلى منزلك واسترح ليذهبَ عنك كلال السفر، فقام وخرج.

قال أبو أيوب: فندم أبو جعفر حيث لم يقتله وشتمني وقال: متى أقدر منه على ما قدرت عليه؟ فقلت: تربَّص، فلن يفوتك.

وأقام أيَّاماً يتروَّى في قتله، وأبو مسلم يأتي إليه كلَّ يومٍ وهو يكرمُه وينتظر به الفرص.

وقيل: إنَّ أبا جعفر بعثَ إليه بعيسى بن موسى، فحلف له بعتقِ كلِّ مملوك له وصدقةِ ما يملكه وطلاق نسائه أنَّه لا يؤذيه، وقال له عيسى: لو خُيِّر المنصورُ بين موتِ ولده وموتِك لاختار موت ولده، فإنَّه لا يجدُ منك خلفاً[٣]. وهذا إنَّما قاله له قبل أن ينزل المدائن.

---

(١) في المنتظم ٨/ ٧: عندي طب.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٢.

(٣) المنتظم ٨/ ٧.

وقال ابن الكلبي: استشار أبو جعفر عيسى بن موسى، فقال: ما تقولُ في قتله؟ فقال عيسى: [من الطويل]

إذا كـنـتَ ذا رأيٍ فـكـن ذا رويَّـةٍ ... فـإنَّ فـسـادَ الـرأي أن تـتـعـجَّـلا

فقال له المنصور:

ومـا الـرأيُ[1] إلَّا أن تـؤامـرَ عـاجـزاً ... ومـا الـحـزمُ إلَّا أن تَـهُـمَّ فـتـفـعـلا

وأنشد المنصور لنفسه:

إذا كـنـتَ ذا رأيٍ فـكـن ذا عـزيـمـةٍ ... فـإنَّ فـسـادَ الأمـر أن يـتـرددَا

ولا تـهـمـلِ الأعـداءَ يـومـاً بـقـدرةٍ ... وبـادِهـمُ[2] أن يَـمـلـكـوا مـثـلَـهَـا غـدَا

ثم استشار سَلْم بن قتيبة فيه، فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فقال: حسبك، [لقد] أودعتها أذناً واعية[3].

ثم رتَّبَ له جماعةً منهم عثمان بن نهيك، وشبيب بن واج[4] صاحب المربعة، وأبو حنيفة صاحب الدرب ببغداد، ثمَّ استدعاه مع أبي نصر حاجبِه، فلمَّا قرب من الباب أُنزِل وأُخذَ سيفُه في الدهليز، فقال: الآن عرَف الرامي موضع سهمه، فضُرِبَ مثلاً لمن يمكن عدوه من نفسه[5].

قال البلاذري: فلمَّا دخل ثنى له وسادة، فجلس عليها، وكان قد أوصَى الجماعةَ: إذا صفَّقت فاخرجوا فاقتلوه، فلمَّا استقرَّ به المجلسُ شرعَ يعاتبُه، فقال: أخبرني عن كتابك إلى أمير المؤمنين أخي تنهاه عن الموات من الأرض، أردتَ أن تعلِّمنا الدين؟ قال: ظننتُ أنَّه لا يحل لي، فلمَّا أمرني بأخذه أخذتُ بقوله.

---

(١) كذا في (خ) و(د). وهو خطأ، والصواب: وما العجز. انظر البيت في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٦، و الكامل في الأدب ١/ ٢٦٨ دون نسبة.

(٢) في المنتظم ٨/ ١٠: وبادرهم، والخبر فيه بنحوه مختصر.

(٣) انظر مروج الذهب ٦/ ١٧٥. وما سلف بين حاصرتين من (د).

(٤) تحرفت في (خ) و(د) إلى: عمار بن نهيك ومنذر بن رواحة! والتصويب من أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٦، وانظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٨٨.

(٥) انظر المنتظم ٨/ ١١.

قال: فأخبرني عن كتابك إلى نائِبك بالريّ تقول: إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصهُ إليَّ، أما كان لي ما أخاطَبُ به إلَّا عبدَ الله بن محمد؟ قال: إني وجدت الله تعالى يقول﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ في حقِّ نبيِّه، وقال في حقِّ عدوِّه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، فسمَّى نبيَّه باسمه وكنى عدوه.

قال: فأخبرني بهوانك بنا حين قدمنا عليك واستخفافك، فقال: ما قصدتُ إلا إقامة الهيبة لأذلَّ أعداءكم.

قال: فأخبرني عن ادعائكَ أنَّك ابنُ سليط، ومقصودُك الخلافة، فقال: والله ما فعلتُه، وكيف أنتسبُ إلى غير أبي؟

قال: فخطبتُك أمينة بنت علي بن عبد الله؟ قال: كذبُوا عليّ، وأنا بكفء لها[1]!

قال: فأخبرني عن تقدُّمك إيَّاي في الحجّ، قال: كرهتُ اجتماعَنا على المياه، فنضرَّ بالناس.

قال: فجاريةُ عبد الله بن علي، أردتَ أن تسبيها؟ قال: لا والله، بل ضربتُ عليها قبَّةً، ووكلتُ بها من يحفظُها خوفاً عليها من مغيرة الجيش.

قال: فأخبرني عن ستِّ مئة ألف من المسلمين قتلتهم صبراً. قال: لتستقيمَ دولتُكم.

قال: فلم أردتَ أن تذهبَ إلى خراسان مخالفاً عاصياً؟ قال: دخلكَ منِّي شيءٌ، فأردتُ المقام هناك وأكتب إليك بعذري.

قال: فأخبرني عن نصلين أصبتَهما في متاع عبد الله بن علي، فقال: هذا أحدهما، ثم سلَّه وناولَه إياه، فهزَّه أبو جعفر، وجعلَه تحت فراشه، وقال له: ما تقول فيمن سلَّ على مولاه سيفاً؟ قال: يقتل به، قال: فقد سللتَه، قال: ما سللته عليك، بل لك.

ثم أخذَ أبو جعفر يعدِّدُ عليه الجنايات، فقال له أبو مسلم: لا تدخلنَّ على نفسك، فقدرِي أصغرُ من أن يبلغَ ما ذكرت. فلمَّا ألحَّ عليه قال: دع عنك هذا، واذكر صنيعي معكم، فما أخافُ إلا الله تعالى، فغضبَ أبو جعفر وقال: يا ابنَ اللخناء إنما كان ذلك بريح دولتنا، ولو كانت أمَةٌ مكانك لفعلَت أعظم ما فعلت، وضربَه بعمودٍ كان في يده، ثم صفَّقَ، فخرجوا عليه فضربوهُ بأسيافهم، فلم تغنِ شيئاً، فقال أبو مسلم ودنا منه:

(١) كذا.

ليشتَفي عدوّك[١]، فقال: وأيُّ عدو أعدى لي منك؟ ألستَ الذي بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته؟ وأنت الخارجُ علينا، فقد حكمنا عليك [بحكمك][٢] على نفسك، ثم صاح: اذبحوه، فذبحوه، ولفُّوه في كساء.

وكان أبو جعفر لمَّا استدعاه جاء إلى سرادق عيسى بن موسى فقال له: قم معي إليه فإنِّي أخافه، فقال له: قف حتى أجدِّد الوضوء، ولا تدخل عليه حتى أجيء معك، وأطال عيسى الوضوء، وطلبه أبو جعفر، فدخلَ عليه فقتله، ثم جاء عيسى بن موسى على الأثر، فقال: وأين أبو مسلم؟ فأشارَ إليه أبو جعفر وهو ملفوف في الكساء، فقال: قتلته؟! واسترجع وقال: قد علمتَ بلاءه فينا وفعله في دولتنا، أهلكت نفسَك وأهلكتَنا، ومن يثق إليك بعد هذا؟ فقال له أبو جعفر: [اسكت يابن الشاة[٣]، وهل كان لنا معه سلطان؟! خلع الله قلبك.

وقيل: قال عيسى: أحنثتني في أيماني، وأهلكتني، فقال: لك بكل شيءٍ ضعفه.

ودخل إسماعيل بن عليّ فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ الليلة في منامي كأنَّك قتلتَ أبا مسلم، وكأنِّي وطئته برجلي، ولم يعلم بقتله، فقال له أبو جعفر][٤]: قم فصدق رؤياك، هاهو ملفوفٌ في الكساء، فقام فوطئه برجله، وأمر أبو جعفر بإخراج البدر ورأس أبي مسلم، فأُخرج إلى أصحابه، فأخذوا المال، ثم انصرفوا، وألقي جسدُه في دجلة، وأنشد أبو جعفر قول أبي عطاء السُّدِّي[٥]: [من السريع]

زعمتَ أن الدَّينَ لا يُقْتضَى ... فاستوفِ بالكيلِ أبا مجرمِ
سُقيتَ كأساً كنتَ تَسقي بها ... أمرَّ في الحلقِ من العلقمِ[٦]

وقال أبو دلامة: [من الطويل]

---

(١) كذا في (خ) و(د)، وفي المنتظم ٨/ ١٢، ومروج الذهب ٦/ ١٨٢: استبقني لعدوك.
(٢) ما بين حاصرتين من (د).
(٣) كانت أم عيسى توفيت وهو صغير أو مرضت، فأرضع لبن شاة. انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٥.
(٤) ما بين حاصرتين من (د).
(٥) كذا في (خ) و (ف). وفي أنساب الأشراف: السندي. وهو الصواب.
(٦) انظر الأبيات أيضاً في تاريخ الطبري ٧/ ٤٩١، ومروج الذهب ٦/ ١٨٤- ١٨٥، والمنتظم ٨/ ١٣.

أبـا مـجـرمٍ مـا غَـيَّـر اللهُ نـعـمـةً على عـبـدِهِ حتى يـغـيِّـرها الـعـبـدُ
أبا مجرمٍ[(١)] خوفتني القتلَ فانتحَى عليك بما خَوَّفتني الأسدُ الوردُ
أفي دولةِ المنصورِ حاولتَ غدرةً ألا إنَّ أهلَ الغدرِ آباؤكَ الكُرْدُ[(٢)]
فلا يقطعِ اللهُ اليمينَ التي بها علاكَ صقيلُ الشَّفرتينِ له حدُّ
فما كان إلَّا الموتُ في غمد سَيفه وما خِلتَ أنَّ الموتَ يَضْبطُه غِمدُ
فأصبحتُ في أهلي وأصبحتَ ثاوياً بحيثُ تلاقي في ذُرى دجلة المَدُّ[(٣)]

وكان أبو مسلم قد تهدَّده بالقتل، ولما سمعَها أبو جعفر قال له: احتكم، فقال: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها وقال: لو تعدَّيتَها قتلتُك[(٤)].

وقال بشار بن برد: [من الطويل]

أبا مسلم ما طيبُ عيشٍ بدائم وما سالمٌ عمَّا قليلٍ بسالمِ
كأنَّكَ لَمْ تَسمَع بِقَتلِ مُتَوَّجٍ عزيزٍ وَلَم تَعلم بِفَتكِ الأعاجِمِ
لَحى اللهُ قوماً شرَّفوك عليهمُ فقد كنت مشروفاً خَبيثَ المَطاعِمِ[(٥)]

وقال حفص بن حميد[(٦)]: ظهر أبو مسلم لخمسٍ بقينَ من رمضان سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة، ثم سار إلى أبي العباس في سنة ستٍّ وثلاثين ومئة، وقُتِل بالمدائن سنة سبعٍ وثلاثين ومئة، فكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر[(٧)]، وكان له يوم قتل ستٌّ وثلاثون سنة، وقيل: عاش ثمانياً وثلاثين سنة، والأوَّل أصح.

وقد اعتبر بعضُ العلماء هذا السنَّ ـ وهو ستٌّ وثلاثون سنة ـ من جماعةٍ قَصرت

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٦، وتاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٣- وذكر فيه البيتين الأولين فقط: أبا مسلم.
(٢) هذا البيت سلف ص ٦٦ من هذا الجزء.
(٣) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٦.
(٤) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٠ (ترجمة أبي دلامة).
(٥) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٦، وديوان بشار ٢/ ٥٠٠-٥٠٢.
(٦) القول في تاريخ بغداد ١١/ ٤٧٠، وتاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٥ لمحمد بن أحمد بن محمد بن موسى البخاري، والخبر الذي قبله في تاريخ دمشق عن حفص بن حميد، فلعله خلل في الاختصار، أو انتقال بصر، والله أعلم.
(٧) في تاريخ بغداد ١١/ ٤٧٠، وتاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٥: وبقي أبو مسلم فيما كان فيه ثمانية وسبعين شهراً غير ثلاثة عشر يوماً.
والأشهر الثمانية والسبعون بالسنين ست سنوات ونصف، فتأمل.

أعمارُهم، وبلغُوا الغاية فيما عانوه، فأوَّلُهم الإسكندر الرومي، وابن المقفع صاحب الفصاحة، وسيبويه في علم العربية، وأبو تمام في الشعر وعلومه، وإبراهيم النَّظَّام في المعمَّق في علم الكلام، وأبو مسلم وغيرهم(١).

وقال الهيثم(٢): قيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم كان خيراً أم الحجاج؟ فقال: لا أعلم(٣) أن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن قولوا: الحجَّاجُ شرٌّ منه.

قال المدائني: ولو لم يكن من قتلاه إلَّا إبراهيم الصائغ، وكان بينه وبين أبي مسلم عهدٌ من مبتدأ الدعوة أن يعملَ بالحقّ، فلمَّا ملكَ أبو مسلمٍ بسطَ يده وظلَمَ وفتك وقتل من لا يجوزُ قتلُه، فنهَاه مراراً فلم ينته، فدخل عليه يوماً وقال: قد تعدَّيتَ طورَك وفعلتَ وفعلت، فقال له أبو مسلم: فأينَ كنتَ عن نصر بن سيار وهو يبعثُ إلى الوليد بن يزيد بزقاق الخمر؟ قال: لم يكن لي مع نصر عهد، وزقاقُ الخمر أهونُ من سفك الدماء.

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت قد حدَّث إبراهيمَ عن حمَّاد(٤) عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «سيدُ الشهداء عمِّي حمزة، ثمَّ رجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ، فأمَره ونهاه، فقتله على ذلك».

ولمَّا حدثه بهذا الحديث قال له: قم يا أبا حنيفة حتى تدخل على أبي جعفر(٥) فتأمره وتنهاه. قال: إنِّي ضعيف، قال: فاكتبه لي فكتبه [له]، فخرجَ به إلى خراسان، فدخل على أبي مسلم، فأمَره ونهاه، فقال له: قد قبلنا، فهل لك أن تجلس في بيتك؟ فقال: لا، فأمرَ بقتله، فاختصَم فيه ثلاثة، فقال إبراهيم: لا تختصموا كلُّكم شريك، فضربَه رجلٌ، فلم يُجد الضرب، فبقي حلقومه معلَّقاً فرموه في بئر، فكان يُسمع أنينه ثلاثة أيام.

(١) المنتظم ٨/ ١٨-١٩.

(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٥ عن حفص بن حميد. بدل: الهيثم.

(٣) في تاريخ دمشق: لا أزعم.

(٤) قوله: عن حماد. وهمٌ، فالحديث في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٤، وفيه أن أبا حنيفة قال: أنا حدثت إبراهيم الصائغ عن عكرمة.. وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٠٧٩) وقال الطبراني بعده: لم يرو هذا الحديث عن عكرمة إلا أبو حنيفة.

(٥) كذا.

قال ابن أبي الدنيا: رؤيَ إبراهيمُ في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي مغفرةً بعد مغفرة[١]، فقيل: فما فعلَ أبو مسلم؟ فقال: هو في مقلى من نار يُقلَى فيه[٢].

سمع أبو مسلم عكرمة مولى ابن عباس[٣]، وأبا الزبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المكي، ومحمد بن علي بن عبد الله[٤] بن عباس وابنه إبراهيم الإمام، وثابت بن أسلم البُنَاني، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي[٥]، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي.

وروى عنه عبدُ الله بن المبارك[٦]، وعبد الله بن شُبْرُمة الضبيّ، ويزيد بن منيع[٧]، وعبد الله بن المنيب[٨]، [و] المروزيّ[٩] في آخرين.

وقام رجل إلى أبي مسلم وهو يخطُب وعليه السَّواد، فقال: يا أبا مسلم، ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال: هذه ثيابُ الهيبة والدولة، حدثني أبو الزُّبير عن جابر ابن عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ دخل يوم الفتح إلى مكة وعليه عمامةٌ سوداء، يا غلام، اضرب عنقَه[١٠].

وخطب أبو جعفر بعد قتل أبي مسلم فقال: أيُّها الناس، لا تخرجوا من أُنْسِ الطَّاعة إلى وَحْشةِ المعصية، ولا تُسِرُّوا غشَّ الأئمَّة، فإنَّه لم يسر أحدٌ قطُّ [منكراً][١١] إلَّا أظهرَه الله على صفحاتِ وجهه وفلتات لسانه، ومن نازعَنا هذا الثَّوْبَ أذقناه حرَّ ما في

(١) في المنامات لابن أبي الدنيا (١٣٧)، و تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٦: مغفرة ما بعدها مغفرة.

(٢) في تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٦ أن راوي المنام قال: فرأيت في منامي رجلاً على مقلاةٍ على النار يقلى. وفي الطبقات السنية ١/ ٢٤٩ - نقلاً عن تاريخ دمشق -: ورأيت في منامي رجلاً على مِصْلاةٍ على النار يغلي.

(٣) تعقبه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٠ فقال: وهذا غلط، لم يدركه.

(٤) في (خ) و (د): ومحمد بن عبد الله بن علي. والتصويب من تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٧.

(٥) في (خ) و (د): وعبد الله بن حرملة السلمي. والتصويب من تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٧ .

(٦) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٠: ولا أدرك ابن المبارك الرواية عنه، بل رآه.

(٧) في (خ) و (د): بن أبي منيع. والتصويب من تاريخ دمشق.

(٨) تحرفت في (خ) و (د) إلى: المسيب، والتصويب من سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٠.

(٩) هو بشر والد مصعب بن بشر. انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٧، وما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(١٠) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٧.

(١١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١١/ ٤٧٠، و تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٤.

هذا الغِمد، وإن عبد الله بن مسلم بايعَنا وبايعَ لنا على أنَّ من نكثَ بنا[1] فقد أبيح دمه، ومن نكثَ فإنَّما يَنكُثُ على نفسه، وقد حكمنا عليه حكمه على غيره لنا ولم يمنعنا إقامةُ الحقِّ له من إقامتهِ عليه.

قال الصُّولي: وقال: [و] لا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحقّ، ألا وإنَّ أبا مسلم أحسنَ مبتدِئاً وأساءَ مُعْقِباً، وأخذَ من الناس بنا أكثر ما أعطانا، ورجح قبيحُ باطنه على مليح ظاهره، وعلمنَا من خُبْثِ نيَّته وفساد طَوِيَّته وسريرته ما لو علم اللائمُ لنا في قتلهِ لعَذَرَنا وعنَّفنا [في إمهاله]، وما زال ينقضُ بيعَته ويخفرُ ذمَّتَهُ حتى حكمنَا فيه حكمَه في غيره، ولله درُّ النابغة الذبيانيِّ حيث يقول: [من البسيط]

ومن أطاعك فانفعه بطاعته ... كما أطاعَكَ وادلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومن عصاكَ فعاقبهُ معاقبةً ... تَنهى الظلومَ ولا تقعدْ على ضَمَدِ[2]

وعزم المنصورُ على قتل خواصِّ أبي مسلم، منهم أبو إسحاق صاحب حرسه، ونصر بن مالك[3] صاحب شرطته، فقال له أبو جهم: يا أمير المؤمنين، الجندُ جندُك، أمرتَهم بطاعته فأطاعوه، فدعا أبا إسحاق، فقال له: أنت المتابع لعدوِّ الله فيما كان يفعل، فأخذَ يلتفتُ يميناً وشمالاً، يظنُّ أنَّ أبا مسلم في الحياة، فقال له أبو جعفر: تكلَّم، فقد قُتِل الفاسق، وأمر بإخراجه مقطَّعاً، فخرَّ أبو إسحاق ساجداً وقال: الحمد لله، والله ما أمنتُه يوماً واحداً، وما جئتُه قطُّ إلا وقد أوصيتُ وتحنطتُ وتكفَّنت. ودعا بمالك بن الهيثم وكلَّمه بمثل ذلك، فاعتذر إليه، فقال: فرِّقوا جندَ الفاسق.

وبعث لقواده بجوائز سنية، وأرضَى جندَه.

وكان قد ترك جندَه بحُلوان، وقدم على أبي جعفر في ثلاثة آلاف، وكان قد خلف على خزانته أبا نصر خازنه وصاحب رأيه، فخالف أبا جعفر ومضى إلى خراسان، ثم حُمِلَ إليه بعد ذلك، فقال: أنت الذي أشرتَ على أبي مسلم أن يمضي إلى خراسان؟

---

(1) في (خ): منا. وفي تاريخ بغداد: 11/ 470، وتاريخ دمشق 41/ 404: نكث بيعتنا.

(2) تاريخ دمشق 41/ 405. والبيتان في ديوان النابغة ص33، والضمد هو الحقد. انظر اللسان (ضمد).

(3) في تاريخ الطبري 7/ 492: أبو نصر مالك. ولعلها الصواب. والمثبت من النسخ، والمنتظم 8/ 13، والسير 6/ 67.

قال: نعم، كانت له عندي أيادي وصنائع، فاستشارني فنصحتُه، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتني نصحتُ لك، فعفا عنه.

وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في «المنتظم»: كان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على المنصور، فعطشَ يوماً، فأمرَ له المنصور بقدحٍ فيه سويقُ لوز وسكَّر، وفيه سمّ، فشربَه، فلما استقرَّ في جوفه أحسَّ بالموت، فقام مسرعاً، فقال له المنصور: إلى أين؟ قال: إلى حيث أرسلتني، فلما وصل إلى رحله مات، فقال الشاعر:

تجنَّب سويقَ اللوز لا تقربنَّه[١] فشُرْبُ سويقِ اللوز أَردى أبا الجهم

وذهبت شربة أبي جهم مثلاً للشيء الطيِّبِ الطعم الخبيثِ العاقبة[٢].

وقال الهيثم: قال أبو جعفر: ثلاثٌ كنَّ في صدري شفاني الله منها؛ كتاب أبي مسلم إليَّ وقد مات أخي وبويع لي: عافانا الله وإياك، وتقدُّمه إيَّايَ في طريق مكة[٣]، وضربُ سليمان بن حبيب بن المهلَّب ظهري بالسِّياط.

وقال البلاذري: كان أبو جعفر يقول: أخطأتُ ثلاثَ مرات ووقاني الله شرَّها، قتلتُ أبا مسلم وحولي من يقدم طاعتَه على طاعتي، فلو وثبوا بي لذهبتُ ضياعاً، ويوم الريوندية خرجتُ بنفسي، فلو أصابني سهمٌ غَرْب لذهبت ضياعاً، وخروجي إلى الشام، ولو اختلفَ بالعراق سيفان لذهبت الخلافةُ ضياعاً[٤].

ثم سار أبو جعفر إلى الحيرة، فأقام بها ثلاثاً ثم توجَّه إلى الأنبار.



(١) في (خ): لا تشربنه.
(٢) المنتظم: ٨/ ١٥.
(٣) في عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٦، والمنتظم ٨/ ١٥، بدل: وتقدمه إياي في طريق مكة: ودخول رسوله علينا وقوله: أيكم ابن الحارثية.
(٤) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٧.

السنة الثامنة والثلاثون بعد المئة

فيها ولَّى أبو جعفر صالح بن علي الصائفة، فسارَ من مصر إلى الشام، ووافاه العباسُ بن محمد بن علي ـ أخو السفاح والمنصور ـ وعيسى بنُ علي بن عبد الله بن عباس، واجتمعوا على مَلَطْية، وأقام صالح بها حتى بنى سورَها والجامع ودار الإمارة، وعادَ إليها المسلمون، ورتَّبَ بها أربعة آلاف رابطة، وقَفل عنها، وأجاز صالحٌ العباسَ بن محمد وعيسى بن علي كلَّ واحدٍ بأربعين ألف دينار.

وقيل: إن ذلك كان في سنة تسع وثلاثين. وإنَّ ملك الروم دخلَ ملطية في هذه السنة فهدمَ سورَها، وعفا عمن كان بها من المقاتلة وغيرهم، فلم يتعرَّض لكبير ولا صغير.

وفيها عصى جمهور بن مرَّار العِجْليّ على أبي جعفر وخلعَهُ.

وسببُه أنَّه وجهَه لقتال سنباذ، فهزمَه، وسار إلى الري، فاحتوى على ما كان فيها من خزائن أبي مسلم فطمع فيها، واستأثر بها لنفسه، وبعث إليه أبو جعفر يأمُره أن يحملَها إليه، فأبى، فبعثَ إليه محمد بن الأشعث الخُزَاعيّ، فهزم جمهور وأصحابه، فلحقوا بأَذْرَبيجان، ثمَّ أُخِذَ بعد ذلك وقُتل[1].

وفيها قتل الملبَّدُ الخارجيّ.

وحجَّ بالناس الفضل بن صالح من الشام من عند أبيه، فلمّا وصل المدينة أدركَهُ كتابُ أبي جعفر بولايته على الموسم، وكان على المدينة ومكة والطائف زياد الحارثي، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سليمان بن عليّ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم.

[فصل][2] وفيها توفي

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٩٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (د).

ملبّد بن حرملة الشيباني الخارجيّ

قد ذكرنا خروجه في السنة الماضية، وبعث إليه أبو جعفر جيوشاً وهو يهزمها، واستفحلَ أمرُه، وكان ممَّن بعث إليه زياد بن مشكان في خمسة آلاف، وملبَّد في مئتين، فهزمه ملبَّد، فكتب إليه أبو جعفر: العجب كلُّ العجب لمن يخافُ ما لم يقضَ عليه، أو يفرُّ مما قضيَ أن يصيبَه، فلِم هبتَ قتال الملبَّد وهو في قلَّة وأنتَ في كثرة؟ وقد علمت أنَّ للعباد آجالاً لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون، ثم بعث إليه أبو جعفر صالح بن صبيح في أربعة آلاف، فالتقاه ملبَّد على نصيبين، فهزم عسكرَه وقتل صالحاً، وحوى ما في عسكره، فبعثَ إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة في ثمانية آلاف، فسارَ خازم حتى نزل الموصِل، وجاء الملبد فنزل على بلد، وقطع خازم دجلة، ونزل فخندق، وقصدَه الملبد، والتقوا، وعلى ميمنة خازم نضلة[1] بن نعيم، وعلى ميسرته أبو حماد، مولى بني سليم، واقتتلوا إلى الليل، وانحازَ الملبد وأصحابه عنهم، وعزم على الهرب، ثم عادوا والتقوا فكشفُوا ميمنة خازم وميسرتَه، وانتهوا إلى القلب وفيه خازم، فترجَّل وترجَّلَ أصحابُه، واقتتلوا، فهزموا ملبداً وأصحابَه، وقتلوا الملبَّد وعامَّة من معه، وكانوا قد بلغوا ثمان مئة، وهربَ من سَلِمَ منهم[2].



(١) في (خ) و(د): نصر. والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٤٩٨ . وفيه أن نضلة بن نعيم كان على المقدمة والطلائع، وعلى الميمنة زهير بن محمد العامري.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٩٨.

السنة التاسعة والثلاثون بعد المئة

فيها غزا صالحُ بن عليّ الصائفة بعد فراغه من سور مَلَطْية، وأوغل في بلاد الروم، وكان معه أختاه لبابة وأم عيسى ابنتا عليّ بن عبد الله بن عباس، وكانتا قد نذرتا إن أزال الله ملكَ بني أمية أن تجاهدا في سبيلِ الله.

وخرج[١] ملك الروم من القسطنطينية في مئة ألف، وبلغَ جيحان، فأُخْبِر بخبر صالح وبكثرة من معه من المسلمين، فرجع.

وفيها وصل عبدُ الرحمن بنُ معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى جزيرة الأندلس، وملَكَها، ويسمَّى الداخل، وكنيتُه أبو المطرِّف، وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: راح، وبويع بالأندلس في هذه السنة، [وهو أوَّلُ الخلائف من بني أميَّة بالمغرب، فأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة][٢]، وسنذكر سيرته عند وفاتِه إن شاء الله تعالى[٣].

وفيها وسَّع أبو جعفر [المسجد الحرام][٤] ممَّا يلي دار الندوة.

قال الطبري: وفيها عزلَ أبو جعفر سليمان بن عليّ عن البصرة وأعمالها، وقيل: إنَّ ذلك كان سنة أربعين، وولَّاها سفيان بن معاوية، فقدمها سفيان في رمضان[٥]، وخافَ عبد الله بن علي فاستتر، فكتب أبو جعفر إلى سليمان بن علي وعيسى بن علي في القدوم عليه ومعهما عبد الله بن علي وأصحابه ومواليه، وكتبَ لعبد الله من الأمان ما رضياه ووثقا به، فخرجُوا من البصرة، وقدموا على أبي جعفر يومَ الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجَّة.

---

(١) هنا انتهى الخرم في النسخة (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و (د).
(٣) في سنة ١٧٢هـ.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و (د).
(٥) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٠ أن أبا جعفر ولاه البصرة في رمضان.

ذكر حبس عبد الله ومن كان معه وقتل بعض أصحابه

ولمَّا قدموا على أبي جعفر دخل عليه سليمان وعيسى، وتركا عبدَ الله في الدهليز ليأخذا له إذناً، وأعلماه بحضوره، وكان قد هيَّأ له حبساً في قصره، فلمَّا أعلماه بحضوره، وسألاه أن يدخل عليه، قام من مجلسه، وقال: أسرعا بعبد الله، فخرجَا فلم يجداه، فرجعَا إلى أبي جعفر، فحيل بينه وبينهما، وأخذت سيوفُ أصحابِ عبد الله من عواتقهم، وحبسوا، وأمر أبو جعفر بقتل بعضهم بين يديه، وبعثَ بجماعةٍ منهم إلى خراسان، فقتلهم واليها.

وقيل: إنَّ حبْسه كان في سنة أربعين ومئة[١].

وحجَّ بالناس العباسُ بن محمد أخو السفاح والمنصور، وعلى الحجاز زياد بحاله، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سفيانُ بن معاوية، وعلى خراسان أبو داود، وعلى مصر صالح بن علي، ويتردَّد إلى الصوائف[٢].

وفيها توفي

داود بن أبي هند دينار

مولى لآل الأعلم القشيريين[٣] وكنية داود أبو بكر.

ولدَ بسَرْخَس، وكان ثقةً كثير الحديث، يفتي على زمن الحسن، وصام أربعين سنةً لا يعلمُ به أهله، وكان خَزَّازاً، يحملُ معه غداءه من عندهم، فيتصدَّق به في الطريق، ويرجع عشياً فيفطرُ معهم، وتوفي سنة تسع وثلاثين، وقيل: سنة أربعين، وقيل: إحدى وأربعين ومئة بطريق مكة، وقيل: بالبصرة، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.

أسند عن أنس بن مالك وغيره، ورَوى عنه الثوريُّ وغيرُه، وناظرَ غيلان القدريَّ بدمشق وظهرَ عليه.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٠١ - ٥٠٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٠٢.

(٣) في (ب) و(خ) و(د): القرمين، والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٢٥٤، وتاريخ دمشق ٦/ ٥ (مخطوط)، والمنتظم ٨/ ٢٤.

عثمان بن عبد الأعلى

ابن سراقة الأزديّ

قاضي دمشق في أيام الوليد بن يزيد، ثمَّ وليها لعبد الله بن علي، كانت دارُه بباب توما، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وولده بداريا.

وقال أبو الحسين الرازي: ولما خرجَ عبد الله بن علي لحربِ أبي مسلم أخذَ مقاتل العكيّ أسيراً، فبعث به إليه[١] ـ وكان[٢] أميراً على دمشق لأبي العباس ـ فقتل مقاتل، ثم وجه المنصور صالحَ بن علي فأخرب دار عثمان بدمشق ونهبهَا، وهي النيبطون[٣].

وهذا عثمان هو الذي ثار بدمشق نوبة أبي الورد[٤]، وقاتل عبد الله بن علي، وعاد عبدُ الله وأَمَّنهم، وطلب ابنَ سراقة فهرب واختفى، ولم يظهر حتَّى مات في هذه السنة، وكان يسبُّ بني هاشم، وهو الذي أخرجَ السفياني، وأمَّن أبو جعفر الناسَ كلَّهم إلَّا هو.

قال المصنف: وهو الذي ذكرنَا أنَّه قتلَ العكيّ وابنه بالرقة، وهو الذي قال لعبد الله ابن عليّ يومَ لقي أبا مسلم: إنَّك قد عبت على مراون الفرار، فكيف تفر؟[٥]

عمرو بن مهاجر بن دينار

أبو عبيد، من الطبقة الرابعة من أهل الشام، وهو مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية مولى عتاقة، وكان صاحب حرس عمر بن عبد العزيز.

قال عمرو: سمعتُ مولاتي أسماءَ بنت يزيد بن السكن تقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تقتلُوا أولادَكم [سراً][٦] ـ يعني الغِيْلَة ـ فوالذي نفسي بيده إنَّه ليدرك الفارس

(١) أي إلى عثمان بن عبد الأعلى.
(٢) أي مقاتل العكي. انظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٩٦ (طبعة مجمع اللغة).
(٣) في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٩٨. النيبطن، وسمي كذلك لأنه كان لا يسكنه غير النبط.
(٤) انظر تاريخ دمشق ٧/ ٤٤٤.
(٥) انظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٨. وانظر ترجمته في تاريخ داريا ص ٧٩ - ٨٠ وتاريخ دمشق ٤٥/ ٢٩٣ - ٢٩٨ (طبعة مجمع اللغة العربية).
(٦) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٦.

فيُدَعْثِرُه»[١].

ولد عمرو سنة أربع وسبعين.

وقال: صليت على ستين جنازة ماتوا في الطاعون خلف واثلة بن الأسقع، فجعل الرجالَ ممَّا يليه، والنساءَ ممَّا يلي القبلة.

أسندَ عن أبيه، وعمر بن عبد العزيز، وروى عنه الأوزاعيُّ وغيرُه، وكان ثقةً له حديثٌ كثير، وقال: صلَّيتُ خلفَ أنس بن مالك[٢].



(١) أي: يصرعهُ ويهلكه، والمراد: النهي عن الغيلة، وهو أن يجامع الرجل امرأته وهي مرضع وربما حملت. والحديث أخرجه أيضاً أبو داود (٣٨٨١)، وابن ماجه (٢٠١١).

(٢) انظر ترجمة عمرو بن مهاجر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٩ - ٥٦ (طبعة مجمع اللغة العربية).

السنة الأربعون بعد المئة

فيها هلكَ أبو داود خالد بن إبراهيم والي خراسان، وولّاها أبو جعفر لعبدِ الجبار ابن عبد الرحمن الأزدي.

وسببُ هلاكه أنَّ جماعةً من الجند شغبوا عليه، وكان نازلاً بظاهر مرو في دار، وكان ليلاً، فصعد إلى سطحها، فأشرفَ من الحائط ونادَى أصحابَه، ليعرفوا صوته، فانكسرَت آجُرَّةٌ تحت رجله، فسقط وتكسَّر ظهره، فمات، وقام عاصم صاحب شرطته بخراسان حتَّى قدم عبد الجبار، فرفعَ إليه أنَّ جماعةً من القواد مائلين إلى آل أبي طالب، منهم مُجاشع بن حريث الأنصاريّ صاحبُ بخارى، وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى تميم صاحب قوهستان، والحريش بن محمد الذهلي، فضربهم ضرباً مبرحاً، وقتلَ بعضَهُم، وحبسَ بعضاً، وكان فيمن حبس الجنيد بن خالد الثعلبيّ(١)، ومعبد بن الخليل المُرِّيّ(٢)، وغيرهما.

وفيها أحرم بالحج أبو جعفر من الحِيرة، ومضى إلى مكة، فوقف بعرفة وخطب فقال: أيُّها الناس إنَّما أنا سلطانُ الله في أرضه، أسوسُكُم بتوفيقه ورشده، وخازنُه على فيئه، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قُفلاً، فإن شاء فتحني، وإن شاء أقفلني، فارغبُوا إلى الله في هذا اليوم الشريف، وسلُوه أنْ يهبَ لي ولكم من فضله فهو اليوم الذي قال فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية(٣).

وفي هذه الحجة قال أبو جعفر للربيع: انظر لي رجلاً يُعرِّفني دورَ النَّاس بالمدينة ولا يكلِّمني إلَّا جواباً، فجاءه برجل من أهل المدينة، فأطلقَ له ألف درهم، ولم يكلِّمهُ إلَّا جواباً، ولم يعطوه شيئاً، فجعل يسأله: هذه الدار لمن؟ فيقول: دار فلان، حتى قال: هذه دارُ عاتكة، فعجبَ أبو جعفر من ابتدائه بكلامٍ لم يسأله عنه، ثم فكَّر، فإذا الرجل قصدَ قول الأحوص من قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام ٣/ ٦٠٨: التغلبي.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٣: المزني.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٨٩.

يــا دار عــاتــكــة الــتــي أتــعــزَّلُ

وأراد بهذا: [من الكامل]

وأراكَ تـفـعـلُ مـا تـقـولُ وفـيـهـم مَـذِقُ اللِّسانِ يقولُ ما لا يفعلُ[١]

فضحك المنصور وعلم أنَّهم لم يعطوه شيئاً، فأمر له بها.

وفي هذه الحجَّة استعدَى الجمَّالون على أبي جعفر إلى محمد بن عمران الطلحيّ قاضي المدينة، وقالوا: استأجرنا وجمالَنا من الكوفة إلى ها هنا ولم يعطنا شيئاً، فقال القاضي لكاتبه: اكتب لهم ليحضرَ معهم مجلسَ الحكم فينصفَهم، فقال له: أوتعفني فإنَّه يعرف خطِّي، قال: لا أعفيك، فكتب نمير وختَمَه الطلحيُّ وقال: والله لا يذهب به سواك، قال نمير: فأخذتُه ومضيت به إلى الربيع الحاجب، فأخذَه ودخلَ به على أبي جعفر، ثمَّ خرج فقال لمن حضر من وجوه أهل المدينة والأشراف: أميرُ المؤمنين يسلِّمُ عليكم ويقول: قد دعيتُ إلى مجلس الحكم، فلا أعلمنَّ أحداً قام إليَّ إذا خرجت، ولا يبدأني بسلام، ثمَّ خرج والمسيّبُ بين يديه، والربيع وأنا خلفه، وهو في إزارٍ ورداء، فسلَّم على الناس، فما قامَ إليه أحدٌ، فدخلَ المسجدَ فبدأ بالقبر، فسلَّم على رسول الله ﷺ، وكان الطلحيُّ متكئاً فقعد واحتبَى بردائه، وجاءَ أبو جعفر فجلس، فوالله ما كلَّمه كلمةً، ولا تحرَّك له، ودعا بالحمَّالين، فادَّعوا عليه، ولم يكن له بينة فقضَى عليه لهم، ثمَّ قام أبو جعفر ومضى، وقال للربيع: إذا قام مَنْ عنده من الخصوم فائتني به، فقال: والله ما دعا بك حتى فرغ من أمر الناس جميعاً، ثم استدعاه، فلمَّا دخل سلَّم، فردَّ عليه وقال: جزاكَ الله عن دينك وعن نبيك وعن خليفتك وعن حسبك أفضل الجزاء، قد أمرت لك بعشرةِ آلاف دينار فاقبضها. فكانت عامَّة أموال الطلحيِّ من تلك الصلة[٢].

وقال عبد الرحمن بن صالح: أنفقَ أبو جعفر في أهل المدينة في حجَّته هذه أموالاً عظيمة، أعطَى كلَّ شريفٍ ألف دينار، وفَرَّق فيهم صحافَ الذهب والفضَّة والثياب، ولم

(١) ديوان الأحوص ص١٥٣، ١٦١.

(٢) المنتظم ٨/ ١٨١ - ١٨٢، وانظر أخبار القضاة لوكيع ١/ ١٩٣.

يدعْ منهم أحداً إلا أعطاه وأغناه، فيقال: إنَّ أحداً من الخلفاء لم يعطهم مثل ذلك[١].

ثمَّ سار إلى البيت المقدس وقد هدمتهُ الزلازل، فشكا إليه أهله، فقال: قد علمتُم الحال، وما عندي مال، وسوفَ أنظر فيه إن شاء الله تعالى، ثمَّ خرج من بيت المقدس ونزلَ دمشق، وسار على الشام حتى وافى الرقة، وأتى بمنصور بن جعونة العامري فقتله[٢].

وكتب إلى صالح بن علي وهو على الصائفة ببناء المصيصة، ثم سلك على البلاد الفراتية حتى أتى هاشمية الكوفة، وبعث بالروَّاد إلى مكان بغداد.

وكان العمال بحالهم إلَّا خراسان؛ فإنَّ عاملها عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي.

[فصل] وفيها توفي

سلمةُ بن دينار

أبو حازم المدني، مولى بني أشجع[٣]، وقيل: مولى الأسود بن سفيان المخزومي[٤] وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان أعرج عابداً زاهداً ورعاً ثقةً صدوقاً كثيرَ الحديث، لم يكن في زمانه مثله، وكان يقصُّ بعد الفجر والعصر في مسجد المدينة.

وقدم سليمانُ بن عبد الملك المدينة، وبعث إليه فأتاه، فسأله عن حاله، وقال له: يا أبا حازم [ما][٥] مالك؟ قال: لي مالان، قال: وما هما؟ قال: الثقةُ بالله، واليأسُ ممَّا

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٤، والكامل: ٥/ ٥٠٠.

(٣) كذا في (ب) و(خ) و(د). والصواب ـ كما في طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥ ـ مولى لبني شِجْع من بني ليث بن بكر...

وقال المزي في تهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢: ويقال: مولى لبني شجع من بني ليث وهو شجع بن عامر بن ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقال بعضهم: أشجع. وهو وهم، ليس في بني ليث أشجع، إنما فيهم شِجْع، وقال ذلك أبو علي الغساني الحافظ. اهـ.

(٤) هو قول البخاري، كما في التاريخ الكبير ٤/ ٧٨.

(٥) ما بين حاصرتين من (د).

في أيدي الناس.

وقالت له امرأته: قد هجمَ الشتاء علينا، ولابد لنا مما يصلحُنا من الثياب والطعام والحطب فقال: من هذا كلِّه بدّ، ولكن خذي فيما لابد منه، الموت، ثمَّ البعثُ، ثمَّ الوقوفُ بين يدي الله تعالى، ثمَّ الجنَّة أو النَّار.

وقال: إنِّي لأدعو الله في صلاتي حتى بالملح.

وكان له حمارٌ يركبُه إلى مسجد رسول الله ﷺ لشهود الصلوات.

وقال: ما مضى من الدنيا فحُلم، وما بقي فأماني.

وقال: لا يحسنُ عبدٌ فيما بينه وبين ربِّه إلَّا أحسنَ ما بينه وبين خلقه، ولا يعوِّر ما بينه وبين ربه إلَّا عوَّر الله ما بينه وبين خلقه، ولمصانعةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلِّها، إنَّك إذا صانعتَ هذا الوجهَ مالت إليك الوجوهُ كلُّها.

وقال: إذا رأيتَ الله عزَّ وجلَّ يتابعُ نعمَه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

وقال: كلُّ نعمةٍ لا تتقرَّب بها إلى الله تعالى فهي بليَّة.

وكتب إلى الزهري: عافانا الله وإيَّاك أبا بكرٍ من الفتن، فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمَك، أصبحت شيخاً كبيراً، قد أثقلتكَ نعمُ الله عليك، بما أصحَّ من بدنك، وأطال من عمرك، وعلمت حُججَ الله بما علَّمك من كتابه، وبما فقَّهك من دينه، وفهَّمكَ من سنة نبيِّه ﷺ، فرمى بك في كلِّ نعمةٍ أنعمَها عليك، وكلِّ حُجَّةٍ يحتجُّ بها عليك الغرضَ الأقصى، ابتلى في ذلك شكركَ، وأبدى فيه فضلَه عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] فانظر أيّ رجلٍ تكون إذا وقفتَ بين يديه وسألك عن نِعَمه عليك كيف رعيتها؟ وعن حججه كيف قضَيتها؟ ولا تحسبنَّ الله راضياً منك بالتعذير، ولا قابلاً منك التقصير، فإنَّ الله تعالى أخَذَ ميثاقَه على العلماء ليُبيِّننَّه للناس ولا يكتُمونَه، وإنَّ أدنى ما ارتكبتَ وأعظم ما احتقبت أنَّك آنستَ الظَّلمَة، وسهَّلت لهم طريقَ الغيِّ بدنوِّك حيث أُدنيت، وإجابتك حين دُعيت، فما أخلقَك أن ينوِّه غداً باسمك مع الظلمة، وأخذك ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدورُ عليه رَحى باطِلهم، وجسْراً يعبرون عليك به إلى بلائهم، وسُلَّماً إلى

ضلالتهم، يُدْخِلُون بك الشك على العلماء، ويقتادونَ بك قلوب الجهّال إليهم، فما أيسرَ ما عَمروا لكَ في جنْب ما خرَّبوا عليك، وما أقلَّ ما أعطوك في قدْر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك، وحاسبها، واستقِلِ العثرةَ، فما يؤمنك أن تكونَ من الذين قال الله في حقهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

إنَّك لست في دار مقام، قد أُوذِنت بالرحيل، فما بقاءُ المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان منها على وجَلٍ، فتجهَّز فقد دنا السفر، وداوِ[١] دينَك فقد سقم، ولا تحسبنَّ أنِّي أردتُ تعنيفك وتعييرك، ولكن أردتُ إيقاظَك، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥] ونحمدُ الله إذ عافانا ممَّا ابتلاكَ به، والسلام.

ومن كلامه: عند تصحيح الضمائر تغفرُ الكبائر، وإذا عزمَ العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.

وما في الدنيا شيءٌ يسرُّك إلَّا وقد أُلزِق به شيءٌ يسوؤك.

وقال: إنَّ العبدَ ليعملُ الحسنةَ تسرُّه حين يعملُها، وإنَّها أضرُّ عليه من سيئةٍ يعملها، وإنَّه ليعملُ السيئةَ تسوءه حين يعملُها، وهي أنفعُ له من الحسنة التي عملَها؛ لأنَّه إذا عملَ حسنةً يرى أن له فضلاً على غيره، ولعلَّ الله يحبطُها، ويعمل السيئةَ فتحدثُ له خوفاً ووجلاً.

وقال: وجدتُ الدنيا شيئين؛ فشيءٌ هو لي لا أقدرُ على تعجيله قبل أجله، ولو طلبتُه بقوَّةِ أهل السماوات والأرض، وشيءٌ هو لغيري، لا أنالُه فيما مضى، ولا أرجوهُ فيما بقي، ففي أيِّ هذين أفني عمري؟

وكان يمرُّ بالفاكهة فيقول: موعدُك الجنة.

ومرَّ بجزَّارٍ فقال له: يا أبا حازم، خذ من هذا اللحم فإنه جيِّد، فقال: ما معي درهم، فقال: أنا أُنظِرك، فقال: فأنا أنظرُ نفسي.

ودخلَ مسجد دمشق فوسوسَ له الشيطانُ: إنكَ على غير وضوء، وإنَّك أحدثتَ بعد وضوئِك، فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا الحد!

(١) في (خ) و (د): دار. والمثبت من (ب) وحلية الأولياء ٣/ ٢٤٩، وصفة الصفوة ٢/ ١٦٣.

وكان يبكي ويمسح بدموعه وجهه فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: بلغني أنَّ النار لا تصيب موضعاً أصابَه الدمعُ من خشية الله تعالى.

واجتمع الزهريُّ وأبو حازم عند سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: ما تقول في العلماء؟ فقال: أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغنِ أهلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رُئي هذا وأصحابه - وأشار إلى الزهري - تعلَّموا العلمَ لينالوا به الدنيا، إنَّ هذا وأصحابَه ليسوا بعلماء، وإنَّما هم رواة - وكان سليمان متكئاً، والزهريُّ عند رجليه - كان السلاطين يطلبونَ العلماء فيفرُّون منهم، واليومَ العلماءُ يطلبون الأمراء فيهربون منهم.

وقال الأصمعيُّ: بينا أبو حازم يطوف بالبيت، وإذا بامرأةٍ قد سفرَتْ عن وجهها وهي تطوف وقد فتنت الناس بحسنها، فقال لها: يا أمةَ الله ألا تستري وجهك؟! فقالت: يا أبا حازم، أنا من النساء اللواتي قال فيهن الشاعر: [من الطويل]

من اللَّاءِ لم يحججنَ يبغين حسبة ... ولكن ليقتلنَ البريء المغفَّلا
وتُعمي بعينيها القلوبَ إذا بدت ... لها نظرٌ لم يخطِ للحَيِّ مقتلا

فأقبل أبو حازم على أهل الطواف وقال: يا أهلَ بيت الله، تعالوا ندعُ الله عزَّ وجلَّ أن لا يعذِّبَ هذا الوجه بالنار. وبلغَ سعيدَ بن المسيب فقال: لو كانَ من أهل العراق قال: يا عدوَّة الله، ولكن ظُرْفُ أهل الحجاز.

وقال سفيان بن عيينة: كان أبو حازم ينشد: [من البسيط]

الدَّهرُ أدَّبني والصبرُ ربَّاني ... والقوتُ أقنعنِي واليأسُ أغنانِي
وأحكمتني من الأيَّام تجربةٌ ... حتَّى نهيتُ الذي قد كان ينهانِي

وقال سليمان العمري: رأيتُ أبا جعفر القارئ في المنام وهو على الكعبة، فقلت له: يا أبا جعفر، قال: نعم، أقرِئ إخواني مني السلام، وأخبرهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلني مع الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له: يقول أبو جعفر: الكَيْس الكَيْس، فإنَّ اللهَ وملائكته يَتَراءَونَ[1] مجلسك بالعشيات.

(١) في النسخ: يتزاورون. والمثبت من تاريخ دمشق ٧/ ٤٨٦ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٢/ ١٦٧، والمنتظم ٨/ ٣٥.

مات رحمة الله عليه سنة أربعين، وقيل: سنة أربعٍ وأربعين، وقيل: سنة خمس وثلاثين ومئة[١].

أسند عن ابن عمر وأنس، وروى عن كبار التابعين، وروى عنه الزهريُّ، ومالك، والثوريُّ، وخلقٌ كثير[٢].

عروة بن رُويم اللخمي

أبو القاسم، من الطبقة الرابعة من أهل الشام[٣]، وقيل: من الثالثة[٤].

أسند عن أنس، وسمع من عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وروى عنه الأوزاعيُّ وأقرانه.

وأخرج له أبو نعيم أحاديث منها: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ كاتب الشمال ليرفع القلمَ ستَّ ساعاتٍ عن العبد المسلم، فإن ندمَ واستغفرَ وتاب ألقاها عنه، وإلا كتِبت واحدة»[٥].

منصور بن جعونة

ابن الحارث بن خالد العامري[٦].

استعملَ عمرُ بن عبد العزيز رحمة الله عليه أباه جعونة على الدرب ومَلَطْية، فغزا وغنم، وأوفد ابنَه منصوراً على عمر بالخبر، فقال له عمر: هل أصيب أحدٌ من

(١) قال ابن سعد في طبقاته ٧/ ٥١٥: توفي أبو حازم في خلافة أبي جعفر بعد سنة أربعين ومئة.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وطبقات خليفة ص٢٦٤، وحلية الأولياء ٣/ ٢٢٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٥٥ (مخطوط)، والمنتظم ٨/ ٣٢ (وفيات سنة ١٤١هـ)، وصفة الصفوة ٢/ ١٥٦، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦، وتهذيب التهذيب ٢/ ٧١.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٦٤.

(٤) طبقات خليفة ص٣١٢.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ١٢٤.

وقيل في وفاة عروة غير ذلك. انظر - بالإضافة إلى ما سبق - تاريخ دمشق ٤٧/ ٢٤٤ - ٢٤٦ (طبعة مجمع اللغة)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٣٧، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ١٠ -١١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٩٢.

(٦) كذا ذكر الطبري في تاريخه ٧/ ٥٠٤، وابن الأثير في الكامل ٥/ ٥٠٠ أنه قتل في هذه السنة. وفي تاريخ دمشق ١٧/ ٢١٤، والمنتظم ٨/ ٢٩ أن قتله كان سنة ١٤١ هـ.

المسلمين؟ فقال: لا، إلَّا رويجل، فغضب عمر وقال: رويجل رويجل، يكرِّرها، وقال: يجيء أحدُكم بالشاة والبقر، ويصابُ رجلٌ من المسلمين، وأنت تقول: رويجل؟! لا تلي لي أنت ولا أبوك ولاية أبداً.

ولمَّا ولي مروان بن محمد ولاه الرُّها، وكان أبو جعونة قد سكنها ومات بها، فلمَّا ظهرت الدولةُ العباسيَّة امتنعَ من البيعة للسفاح، وهرب، فلمَّا خلعَ عبدُ الله بن علي أبا جعفر ظهرَ منصور، فجعلهُ عبد الله على شرطته، وصار من وجوه قواده، فلمَّا سار عبد الله للقاء أبي مسلم خلَّف أهله وأمواله وأثقاله بالرُّها عند منصور، وانهزم عبد الله إلى البصرة، فجاء أبو مسلم إلى الرُّها فحصرَها مدة طويلة، ثمَّ نزل بالأمان فنقله أبو مسلم إلى ملطية، وأخربَ سور الرُّها وسائر أسوار بلاد الجزيرة، ولمَّا عاد أبو جعفر من الحجّ نزل الرقة، فوجد فيها منصور، وفي قلبه منه ما فيه، وقد أمَّنه، فجلسَ أبو جعفر يوماً يتحدَّث فقال: ألا تشكرونَ الله يا أهل الجزيرة إذ دفع عنكم الطاعون، فقال منصور: الله أعدلُ أنْ يجمعكم علينا والطاعون، فغضبَ أبو جعفر واحمرَّت عيناه، وأمر به فضربَ عنقه(١).



(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٧/ ٢١٤ (مخطوط)، وانظر أيضاً ترجمة أبيه جعونة في تاريخ دمشق ٤/ ١ (مخطوط).

السنة الحادية والأربعون بعد المئة

فيها كمل بناء المصيصة على يدي جبريل بن يحيى البجليّ الجرجانيّ[١]، وكان سخياً شجاعاً صاحبَ همَّة، أقام عليها سنتين حتى أدارَ سورها، وأسكنها المسلمين، وكانت مدينةً قديمةً من بناء الروم.

وفيها خرجت الراوندية على أبي جعفر، وهم قومٌ من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم، إلَّا أنهم يقولون بتناسخ الأرواح، ويدَّعون أنَّ روح آدم انتقلت إلى عثمان ابن نهيك[٢]، وأنَّه ربُّهم الذي يطعمهم ويسقيهم. وقيل: إنَّ في اعتقادهم أنَّ الإمامَ هو ربهم، واعتقدوا في أبي جعفر ذلك، وأنَّ الهيثم بن معاوية هو جبريل.

ويقال لهم: السبعيَّة؛ يقولون: الأرض سبع، والسماوات سبع، والإمام سبع، والأنهر سبع، فعدوا العباس، ثمَّ ابنه عبد الله، ثمَّ ابنه علي، ثمَّ ابنه محمد، ثمَّ ابنه إبراهيم الإمام، ثمَّ أبو العباس، ثمَّ أبو جعفر، وقالوا: أنت إلهنا، وطافوا حول قصره، وكانوا ست مئة، وكان ذلك بالكوفة في الهاشميَّة، ولمَّا سمعهم المنصور قال: يدخلُهم الله النَّار في طاعتنا، ولا يدخلهم الجنة في معصيتنا، واطَّلع عليهم فقالوا: أنت ربُّنا، فحبس منهم ثمانين[٣] رجلاً، وقال: ارجعوا عن هذه المقالة، فغضبَ الباقون، ودخلوا السجن فأخرجوهم، وقصدُوا قصرَ أبي جعفر يريدونه، فخرجَ بنفسه ماشياً، وصاح في الناس، وغُلِّقت أبواب المدينة، ولم يكن عنده في القصر دابَّة ـ فمن ذلك اليوم رُبط فرس النوبة، واستمرَّت الخلفاء ـ وجيء بدابَّةٍ فركبها، وكان معن بن زائدة مختفياً عند أبي الخصيب حاجب أبي جعفر ليأخذ له أماناً بسبب قتاله مع ابن هبيرة، وكان أبو العباس قد أمَّنه، فلما ولي أبو جعفر طلبه فاختفى، فلمَّا وقعت هذه الحادثة خرج متلثماً قد جعل ذيل قبائه في منطقته، وجاء فأدخلَ يده في لجام دابة أبي جعفر، وأبلى بلاءً حسناً، وقاتل قتالاً شديداً، حتى أباد الراوندية عن آخرهم، فقال له

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٩، والمنتظم ٨/ ٣١: الخراساني.

(٢) في (ب) و (خ) و (د): نفيل، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٥، والمنتظم ٨/ ٢٩، والكامل ٥/ ٥٠٢.

(٣) كذا في (ب) و (خ) و (د). وفي المصادر أنه حبس مئتين.

أبو جعفر: من أنت؟ فكشف لثامه، فسرَّ به، وكان الربيع قد جاء ليأخذ بلجام فرس أبي جعفر فقال له معن: تنح فليس هذا يومك.

ولما قتل القوم فتحت أبوابُ المدينة، وعاد أبو جعفر إلى قصره، وحضر العشاء، فأمسك أبو جعفر يده وقال: أين معن؟ فحضر، فأجلسه قريباً منه مكان قُثَم.

وقال لعيسى بن علي: يا أبا جعفر، أسمعت بأسد الرجال؟ هذا أسد الرجال، وقد كنت أسمع أن الرجل يقاتل ألفاً، فلم أصدق حتى رأيت معن بن زائدة، فقال له معن: والله ما قوّى متني إلَّا ما رأيتُ من شجاعة أمير المؤمنين وعلوِّ همته، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وولَّاه اليمن.

وجاءهم عثمان بن نهيك الذي ادعوا أنَّ فيه روح آدم فناداهم: يا قوم اتَّقوا الله، ارجعوا عن هذه، فرماه واحدٌ بسهمٍ فقتله، فشيَّعه أبو جعفر إلى قبره ماشياً، وصلَّى عليه، ووقفَ على قبره حتى دفن.

وقيل: إنَّ واقعة الراوندية كانت في سنة ست أو سبعٍ وأربعين[1].

وفيها عَصى عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان.

وسببه أنَّ أبا جعفر عزم على عزله، وكان قد فتكَ في أهل خراسان، وقتلَ رؤساءهم، وأبادَ شجعانهم، فكتبوا إلى أبي جعفر يشكونه ويقولون: قد نَغِلَ الأديمُ، فشاور وزيره أبا أيوب فقال: اكتب إليه أنك تريد غزوَ الروم، واطلب من عنده من الجنود، فإذا خرجوا من عنده فابعث إليها من شئت، فكتب إليه بذلك، فأجاب: إنَّ التركَ قد جاشت، وإن فرَّقتَ الجيوشَ ذهبت خراسان، فجهَّز إليه أبو جعفر ابنَه محمداً المهدي، وولَّاه خراسان وقال: إذا وصلتَ إلى الريّ فأقم بها، ولا تتعداها، فأقامَ بالري، وبعث إليه الجيوش.

وفهم رؤساء خراسان انحرافَ أبي جعفر عنه، فلمَّا التقى بجيش المهدي خانَه عسكرُه وأخذوه أسيراً، فأوثق وقُدم به على جمل عليه جبَّةُ صوف وقد أداروا وجهه إلى

(١) كذا في (ب) و (خ) و (د)، والمنتظم ٨/ ٣٠، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٥: في سنة سبع وثلاثين ومئة أو ست وثلاثين ومئة.

عجز الجمل، ومعه أولاده وخواصه، فعذَّبهم أبو جعفر حتى استخرج منهم الأموال، وقطع يدي عبد الجبار ورجليه وصَلَبه، ونفى أولاده إلى دَهْلَك، جزيرة باليمن، فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم، وأفلت منهم عبدُ الرحمن بن عبد الجبار، وعاش حتى مات بمصر سنة تسعين ومئة[(١)].

وفيها فتحت طبرستان لمَّا حُمِل عبد الجبارِ إلى أبي جعفر كتبَ إلى ابنه محمد بغزو طبرستان، فبعثَ أبا الخصيب وخازم بن خزيمة إلى طبرستان، وهي بلادُ الأصبهبذ، وكان يحارب المصمغان ملك دُنباوند، فاتفقا على قتال المسلمين، وعاد الأصبهبذ إلى بلاده ومعه المصمغان، فكتبَ المهدي إلى أبيه يستمدُّه، فأمدَّه بعمر بن العلاء فقال بشار بن برد: [من المتقارب]

فقُل للخليفة إن جئتَهُ ... نصيحاً ولا خَيْرَ في المتَّهمْ
إذا أيقظتكَ حُروب العدا ... فنبِّه لها عُمَراً ثم نَمْ
فتىً لا ينامُ على ونيةٍ[(٢)] ... ولا يشربُ الماءَ إلَّا بدمْ

ثم سارت الجيوشُ مع أبي الخصيب وخزيمة وعمر، فالتقوا مع الكفار، فهزموهم وفتحوا طبرستان، والتجأ الأصبهبذ إلى بعض الحصون، وانهزم المصمغان إلى بلاده، وأُسِرَت ابنةُ الأصبهبذ فهي أم إبراهيم بن العباس بن محمد بن علي، وأُخذت البحترية، وهي أمُّ منصور بن المهدي.

وفيها عزل أبو جعفر زياد بن عبيد الله الحارثي عن مكة والمدينة والطائف، وولَّاها محمد بن خالد بن عبد الله القسريَّ. وقيل: إنَّما ولى محمداً المدينةَ لا غير، وولَّى مكَّة والطائف الهيثم بن معاوية العكي[(٣)].

ذكر طرف من أخبار زياد

ولي لأبي جعفر وأبي العباس قبله مكَّة والمدينة، وكان شجاعاً عاقلاً.

---

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٩، والكامل ٥/ ٥٠٦: سنة سبعين ومئة.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٥١٠، والمنتظم ٨/ ٣١: دمنة.

(٣) في تاريخ الطبري ٧/ ٥١١، والكامل ٥/ ٥٠٧: العتكي.

قال يعقوب بن سفيان: في سنة خمس وثلاثين ومئة عُزِل زياد عن مكَّة وحدها، ووليها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس[١]، وفي سنة ثمان وثلاثين نزعَه أبو جعفر عن ولايته، وولَّى محمد بن خالد القسري، وقيل: في هذه السنة[٢].

قال الواقدي: دعا زياد الحارثي ابنَ أبي ذئب ليوليه القضاء، فامتنع، فقال: جرُّوا برجليه ابن الفاعلة، فقال له ابن أبي ذئب: عجلتَ، أأمنت أن أردَّها عليك فتسيرَ بها الركبان، والله ما تركتُها خيفةً منك ولكن تركتُها لله تعالى، فندم زياد، وبعثَ إليه بمالٍ فلم يقبله.

وقال ابن عساكر: كان لزياد كلَّ يومٍ على خوانه صَحْفة فيها جدي بلبن، لا يأكل منه غيره، ويقال لها: المَضِيْرة، فوضعها الطبَّاخ بين يدي أشعب، ولم يعلم زياد[٣]، فأكلَها كلَّها، وزياد في انتظارها، فقال: يا غلام، وأين الصَّحْفة؟! فقال: أكلها أشعب، فقال: زياد لأشعب: هنَّأك الله يا أبا العلاء، وكان قبل رمضان بيومين، فقال زياد: قد حضر هذا الشهر المبارك، وقد رقَّ قلبي لأهل السجن وما هم فيه من الضرر، وقد رأيتُ أن أبعثَك إليهم فتصلِّي بهم الصلوات في النهار والتراويح في الليل، ففهم أشعب، وكان يحفظ القرآن، فقال: أو غير ذلك أيُّها الأمير؟ قال: وما هو؟ [قال:] أعطي الله عهداً أن لا آكل مضيرةً بعد اليوم، فضحك زياد.

قال الزُّبير بن بكَّار: بعثَ أبو جعفر بمال إلى زياد ليفرِّقَه في مكة، فدخل أبو حمزة من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فقال: أيُّها الأمير، بعث إليك أميرُ المؤمنين مالاً لتفرِّقه في القواعد والعميان واليتامى، فاكتبني في القواعد، فقال: أنت رجل، قال: فاكتبني في العميان، قال: أما هذا فنعم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ الآية. [الحج: ٤٦].

فقال: واكتب ابني في الأيتام، فقال: نعم، من كنت أباه كان يتيماً، فأخذ هو في

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ١١٦.

(٢) انظر المعرفة والتاريخ ١/ ١٢٤، وتاريخ دمشق ٦/ ٤٨٠ (مخطوط).

(٣) في تاريخ دمشق ٦/ ٤٨٠ (مخطوط) أن زياد هو أمره أن يضعها بين يدي أشعب حتى أتى على ما فيها، فاستبطأ زياد المضيرة.

العميان، وبنوه في الأيتام.

قال الهيثم: وسببُ عزلِه أنَّه كان بخيلاً، احتقن بدهن، فأراد إهراقه، فقال: استصبحوا به، وبلغ أبا جعفر فعزلَه. والأصحُّ في سبب عزله ميله إلى محمد بن عبد الله ابن حسن.

وحج بالناس صالح بن عبد الله[١]، وهو على الشام والصوائف، وعلى المدينة محمد ابن خالد، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى خراسان محمد المهديّ، وعلى البصرة سفيان، وعلى الكوفة عيسى بن موسى[٢]، وفي ولايته ظهرَتِ الخطَّابيَّة، ورئيسُهم أبو الخطاب، وكان يدَّعي علمَ الغيب، ويرى شهادةَ الزور لمن بايعه.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ﷺ: كان يدخلُ عليَّ ويخرج من عندي، فيكذبُ عليَّ ويقول: إنَّ السلاحَ لا يعملُ فيَّ، فقتلَه عيسى بن موسى وأراحني منه.

وفيها توفي

حسين بن عبد الله

ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأمُّه أسماء بنت عبد الله بن عباس.

توفِّي بالمدينة سنة أربعين أو إحدى وأربعين ومئة، وهو ابنُ اثنتين وثمانين سنة.

رَوى عن أبيه وغيره، ورَوى عنه محمدُ بن إسحاق وغيره، وكان كثيرَ الحديث، ولا يحتجُّ بحديثه.

وبعث المنصور إلى ابنه عبد الله، فأقدمَه عليه من المدينة، وزوَّجه عمَّته أمَّ عيسى بنت عليٍّ بن عبد الله بن عباس، فلم تلد له، وتوفِّي فورثَتْهُ[٣].

---

(١) فوقها في (خ) كذا، وفي الهامش: لعله علي، وهو الأصح.
واسمه كما في تاريخ الطبري ٧/ ٥١١، والمنتظم ٨/ ٣١، والكامل ٥/٥٠٨: صالح بن علي بن عبد الله بن عباس.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٥١١.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٢، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٨٣.

عاصم بن سليمان

أبو عبد الرحمن مولى بني تميم، من الطبقة الرابعة من أهل البصرة.

كان قاضياً بالمدائن في خلافة المنصور، وكان ثقةً كثير الحديث، معدوداً في كبار الحفَّاظ الثقات، وكان صائماً قائماً لا يضعُ جنبَه في الليل إلى الأرض.

أسندَ عن أنس وغيره[١].

موسى بن عقبة بن أبي عياش

أبو محمد، صاحبُ «المغازي»، مولى الزبير ﵁.

كان ثقةً قليلَ الحديث.

قال محمد بن عمر: كان لإبراهيم وموسى ومحمد بني عقبة [حلقةٌ][٢] بمسجدِ رسول الله ﷺ، وكانوا كلُّهم فقهاء محدثين.

وكان سبب تصنيف موسى «المغازي» أنَّ أهلَ المدينة اختلفوا فيمن شهدَ بدراً، فسألوه أن يصنِّفَ في ذلك كتاباً، فصنَّف «المغازي»، فكان مالك يقول: عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة، فإنَّها أصح المغازي، فمن قال: إنَّه شهدَ بدراً، فقد شهدها، ومن قال: لا، فلا.

مات موسى بن عقبة سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين، وقيل غيرُ ذلك.

أسند عن أم خالد [بنت خالد][٣] بن سعيد بن العاص، وأدركَ ابن عمر وغيره، ورَوى عنه الأئمَّة[٤].

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٥٥، ٣٢١، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٣.

(٢) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٩.

(٣) ما بين حاصرتين من تهذيب الكمال ٢٩/ ١١٧.

(٤) انظر ترجمته - بالإضافة إلى ما سلف - في: طبقات خليفة ص٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٤.

موسى بن كعب

أبو عيينة التميميّ.

أحدُ نقباء بني العباس، وهو أوَّل من بايع أبا العباس بالخلافة، وأخرجه إلى الناس، وكان أبو جعفر يعظِّمُ قدرَه، ولَّاه مصر والسند.

وهو الذي أخذه أسد بن عبد الله القسري وعذَّبه وألجمَه بلجام حمار، فكُسِرت أسنانُه، فلمَّا صار الأمر إلى بني هاشم أمالوا الدنيا عليه، فكان يقول: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، فلمَّا جاءَ الخبز ذهبت الأسنان.

وكان على شرطة أبي جعفر[1].



(١) انظر تاريخ الطبري ٧/ ٥١١، وتاريخ دمشق ١٧/ ٣٩٩، والمنتظم ٨/ ٣٥، والوافي بالوفيات ٢٦/ ٥٤١.

السنة الثانية والأربعون بعد المئة

[و] فيها نقض أصبهبذ طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين، وقتل من كان ببلاده منهم، فبعثَ إليه أبو جعفر خازمَ بن خزيمة، وروح بن حاتم، وأبا الخصيب، فحصروه في الحصن مدة، فطال عليهم الحصار، فاحتال أبو الخصيب بحيلة كانت سبباً للفتح، فحلق رأسه ولحيته وقال: اضربوني بالسياط، وأخرجوني حافياً حاسراً، ففعلوا به ما قال، فأتى حصن الأصبهبذ وطلبَ أمانَه، فلمَّا دخَل عليه قال: من فعل بك هذا؟ فقال: أصحابي، قلت لهم: ارحلوا عنه، فاتهموني وفعلوا بي ما ترى، فأحسن إليه ونادمه، وجعلَه من خواصه، وأقام عنده حتى عرف عورة الحصن، فأرسلَ إلى أصحابه في نشابةٍ، وواعدَهم ليلة بعينها، فجاؤوا والأصبهبذ وأصحابه سكارى، ففتح لهم باب الحصن، فقتلوا من كان فيه من المقاتِلة، وسَبوا الذريَّة، وكان في يد الأصبهبذ خاتم في فصِّه سمٌّ ساعة، فمصَّه فمات. وظفروا في الحصن بشكلة ابنة قهرمان المصمغان، فبعثوا بها إلى المهدي، فهي أمُّ إبراهيم بن المهدي(١).

وفيها توجَّه أبو جعفر إلى البصرة، فصام بها رمضان، وخطب يوم العيد، وبنى مصلى البصرة على يد سلمة بن سعيد(٢).

وولَّى عيسى بن عمرو الكندي على البصرة(٣)، وقيل: إنَّه لم يعزل عنها سفيان.

وبعث عمر بن حفص بن أبي صفرة والياً على الهند والسند، وعَزل عيينة بن موسى ابن كعب عنها(٤).

وفيها ولَّى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد على الجزيرة والعواصم.

وفيها ولَّى محمد بن الأشعث على مصر، وعزل عنها نوفل بن الفرات، ثم عزلَ

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٢-٥١٣، والمنتظم ٨/ ٣٦، والكامل ٥/ ٥٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٣.

(٣) المنتظم ٨/ ٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٢، والكامل ٥/ ٥٠٩.

محمداً عنها وأعاد إليها نوفلاً، ثم عزله وولاها حميد بن قحطبة(١).

وقال ابن الكلبي: كان عمرو بن عبيد صديقاً لأبي جعفر، وكان قبلَ الخلافة إذا قدم البصرة نزل عليه، وكان عمرو إذا قدم الشام أو الكوفة وأبو جعفر بها نزل عليه، فزارهُ عمرو مرَّةً وعلى أبي جعفر ثوبٌ خَلَق، وبينَ يديه قصعة فيها ثريد بغير لحم، فقال أبو جعفر لغلامه: أمعك درهم تشتري به لأبي عثمان لحماً أو تمراً؟ فقال: لا والله، فقال عمرو: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] فلمَّا قدم أبو جعفر البصرة وضع كتاباً على لسان محمد بن عبد الله ابن حسن يدعوه إلى نفسه وخلع أبي جعفر، ودسَّه مع رجلٍ لا يعرف، فلمَّا جاء إلى عمرو لم يأخذ الكتاب، وقال للرسول: قل لصاحبك: دعنَا نشربُ الماء البارد، وننتقلُ في الظلِّ إلى أن نموت.

ويقال: إن محمداً كتبَ إليه حقيقة، فلمَّا قدمَ أبو جعفر البصرة استدعى عَمراً وأدناه وأكرمه وقال له: بلغني أن محمداً كتبَ إليك كتاباً يدعوك إلى إمامته فأجبته، فقال: والله ما قرأته، ولقد قلت لرسوله كذا وكذا، فقال: صدقت وبررت هذا ثغرٌ قد أمناه، ولكن أثلج صدري بيمين، فقال له عمرو: لئن حلفتُ لك تقيَّةً لأكذبن تقيَّةً(٢)، قال: صدقت، وعرضَ عليه مالاً، فأبى أن يقبلَه منه.

وفيها خلع عيينة بن موسى بن كعب أبا جعفر بالسند، وكان أبو جعفر قد جهَّزَ إليه عمر بن حفص، فحاربَه عيينة فهزمَه عمر، وغلب على السند.

وقيل: سبب عصيان عيينة أن أباه كان على شرطة أبي جعفر، وكان قد استنابَ فيها المسيَّب بن زهير، فلمَّا مات موسى خاف المسيَّب أن يبعث أبو جعفر إلى عيينة فيوليه مكان أبيه، فكتبَ إليه المسيب يخوِّفه القدومَ ويشير عليه بملازمة السند، ويقال: إنَّه كتب إليه بيتاً من الشعر، ولم يذكر غيره فقال:

فأرضَك أرضَك إن تأتنا ... تنم نومةً ليس فيها حُلُمْ(٣)

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٤، والمنتظم ٨/ ٣٧، والكامل ٥/ ٥١٠- ٥١١.
(٢) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٦٦ : لئن كذبتُ تقية لأستجيزن أن أحلف لك تقية.
(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٢، والكامل ٥/ ٥٠٩.

وحجَّ بالناس إسماعيل بن عليٍّ عم المنصور، وكان على المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى مكَّة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية، وعلى الشام صالح بن علي، وعلى مصر حميد بن قَحطبة[١].

[فصل][٢] وفيها توفي

حُميد بن أبي حميد الطويل

كان ثقةً كثير الحديث، وماتَ وهو قائمٌ يصلِّي.

أسندَ عن أنس وغيره، وروى عنه مالك وغيرُه، واتَّفقوا على أنَّه ثقةٌ صدوق، وهو خالُ حماد بن سلمة[٣].

خالد الحذَّاء

ولم يكن حذاء، كان ثقةً كثير الحديث، مهيباً لا يجترِئُ عليه أحد.

روى عن أنس وغيره، وروى عنه الأئمة[٤].

سليمان بن علي

ابن عبد الله بن عباس، أبو أيوب.

من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ ولد.

توفي بالبصرة وهو ابنُ تسعٍ وخمسين سنة. وقيل: أربعٍ وخمسين، وقيل: ثلاث وخمسين، وقيل: ستين سنة، وصلَّى عليه أخوه عبد الصمد.

وولد سليمان سنةَ اثنتين وثمانين، وكان مقدَّماً عند السفَّاح والمنصور، ووليَ البصرة وما يليها وكور دجلة والأهواز والبحرين وعُمان، ووليَ الموسمَ سنة خمسٍ وثلاثين ومئة، وكان شجاعاً جواداً.

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥١٤، والمنتظم ٨/ ٣٧، والكامل ٥/ ٥١٠-٥١١.

(٢) ما بين حاصرتين من (د).

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٥١، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٣، وغيرها.

(٤) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٠ وغيرها.

سمع يوماً وهو في سطح دارِه نسوةً من جيرانه يقلن: ليتَ الأمير نظر إليَّ فأغنانا، فصرَّ دنانير في صُرَرٍ على عددهنَّ وألقاها إليهنّ، فماتت واحدةٌ منهنَّ فَرحاً.

وكانت له بالبصرة آثارٌ جميلة، سَكَن مكاناً[1] يقال له: الصنْدل[1]، وغرمَ أموالاً كثيرة حتى عذب ماء البصرة، واستخرج المغيثة[2] من أرض الطليحة[3]، فغرم عليها ألف ألف درهم، وبنى مساجدَ كثيرة، واتخذَ مناراً بين مكَّة والبصرة، وفيه يقول الشاعر: [من البسيط]

كم من يتيم ومسكين وأرملة جبرتهم بعدَ فقر يا سليمانُ
ومسجدٍ خربٍ لله تعمرُه فيه كهولٌ وأشياخٌ وشبانُ

وكتب إليه عبد الله بن حسن بن حسن يستمنحُه، فبعثَ إليه بثلاثين ألف ألف دينار[4]، واعتذر إليه من خوفه من أبي جعفر بسبب أولاده.

وسليمان أوَّلُ من قدَّم الصلاة على الخطبة يوم العيد بالعراق من عمال بني العباس.

وكان رفيقاً رحوماً لم يتعرَّض لمن كان بالبصرة من بني أميَّة، فلم يسلموا في بلد سلامتهم في البصرة[5].

ولمَّا حجَّ أنفقَ في صلات المهاجرين والأنصار وقريش والموسم خمسةَ آلاف ألف درهم، وكان أبو جعفر قد جعلَ له خراجَ أعماله، لا يحمل إليه منها شيئاً، فكان يخرجُ أموالاً عظيمةً، وكان يعتقُ كل سنَةٍ عشيةَ عرفة مئة رقبة.

وقال مجيب المازني: لمَّا قدم سليمان البصرة والياً قيل له: إنَّ بالمربد رجلاً من بني سعد مجنوناً سريع الجواب، لا يتكلَّم إلَّا بالشعر، وكانت له ناقة يعمل عليها، فأرسلَ إليه سليمان قهرماناً له، فقال: أجب الأمير، فامتنع عليه، فجرُّوه، فخرقَ ثوبه،

(١) كذا وقع في (ب) و(خ) و(ف) وهو تحريف. وجاء في أنساب الأشراف ٣/ ٩٩، وفتوح البلدان ص٣٦٤: وسكر القندل. والقندل: موضع بالبصرة. معجم البلدان ٤/ ٤٠٢..

(٢) المغيثة: رَكِيَّةٌ (بئر) بين القادسية والعذيب. معجم البلدان ٥/ ١٦٣.

(٣) كذا في (ب) و(خ) و(ف). وهو تحريف. وفي أنساب الأشراف ٣/ ٩٩: البطيحة، والبطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٤) في أنساب الأشراف ٣/ ١٠٠: بألف دينار.

(٥) في (ب) وأنساب الأشراف ٣/ ١٠٠: رقيقاً.

وزبره، واستاق ناقتَه، وأتى به سليمان، فقال له سليمان: حيَّاك الله يا أخا بني سعد، فقال: [من الرجز]

حــيَّــاك ربُّ الــنَّــاسِ مــن أمــيــرِ يا فاضلَ الأصلِ عظيم الخيرِ
إنِّي أتاني الفاسقُ الجلوازُ[1] والقلبُ قد طار به اهتزازُ

فقال [له][2] سليمان: إنَّما بعثتُ به إليك ليشتري ناقتَك. فقال:

ما قال شيئاً في شراءِ الناقه وقد أتَى بالجهلِ والحماقه

فقال: وما الذي فعل؟ فقال:

خرَّق ثوباً لي[3] وشقَّ بردتي وكان وجهي في الملا وزينتي[4]

فقال: أفتعزم على بيعها؟ قال:

أبيعُها من بعد ما لا أوكسُ والبيعُ في بعض الأوان أكيس

قال: فكم شراؤها؟ قال:

شراؤها عشرٌ ببطن مكَّة من الدنانير القيام[5] السكَّة
ولا أبيع الدهر أو أزداد إنِّي لربحٍ في الورَى معتادُ

قال: بكم تبيعها؟ قال:

خذها بعشر و بخمس وازنهْ فإنها ناقةُ صدقٍ مازنه

فقال: تحطنا وتحسن؟ فقال:

تباركَ الله العليُّ العالي تسألُني الحطَّ وأنت الوالي

قال: نأخذُها ولا نعطيكَ شيئاً. فقال:

وأين ربي ذو الجلال الأفضلِ إنْ أنت لم تخشَ الإلهَ فافعلِ

فأمر له سليمان بألف درهم، وعشرةِ أثواب، فقال:

---

(١) الجلواز: الشُّرَطيّ. القاموس (جلز).

(٢) ما بين حاصرتين من (د).

(٣) في المنتظم ٨/ ٣٨، وتاريخ دمشق ٧/ ٦٢٩ (مخطوط): سربالي.

(٤) في (ب) و (خ) و(د): وزندي. والتصويب من المصادر.

(٥) في تاريخ دمشق ٧/ ٦٢٩: الفئام.

صبحتني منك بألف فاخره ... شرَّفك الله بها في الآخره
وكسوةٍ طاهرة حسانِ ... كساك ربِّي حللَ الجنانِ

فقال سليمان: من يقول: إنَّ هذا مجنون!؟ ما رأيتُ أعرابيّاً قطُّ أعقلَ من هذا.

ذكر أولاده:

كان له جعفر ومحمد وإبراهيم وموسى وعلي وعبد الرَّحيم وعبد الرَّحمن وعيسى وعبد الله وإسحاق لأمهات أولاد شتى، ومحمد وأم جعفر[1] أمُّهما أمُّ الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي.

ومن أعيانهم محمد وإسحاق وعبد الرحيم، فأمَّا محمد فكنيتُه أبو عبد الله، وليَ الكوفةَ والبصرة لأبي جعفر، وكان قبله عليها سلم بن قتيبة، فكتب إليه أبو جعفر أن اهدم دور من خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فكتب سلم يشفعُ فيهم، فقال أبو جعفر: لو كتبتُ إليه في شربةِ ماء لراجعني فيها، فعزلَه وولَّى محمداً مكانه، ثم ولي محمدٌ البصرة وكور دجلة وفارس والأهواز والبحرين وعُمان واليمامة للمهدي والهادي والرشيد، وماتَ وهو ابن إحدى وخمسين سنة.

وأمَّا إسحاق فكنيتُه أبو يعقوب، وليَ المدينة والبصرة ومصر والسند لهارون، ووليَ حمص وإرمينية لمحمد الأمين.

وأمَّا عبد الرَّحيم، فوليَ السند لهارون. وكان لسليمان بنات منهنَّ عائشة تزوجها عبد الوهَّاب بن إبراهيم الإمام، وزينب تزوَّجها محمد بن إبراهيم الإمام.

أسندَ سليمانُ الحديثَ عن أبيه وعكرمة، ورَوى عنه ابناه محمد وجعفر وغيرُهما[2].



(١) كذا في (ب) و(خ) و(د). و في أنساب الأشراف ٣/ ١٠٤ : جعفر ومحمد.

(٢) بعدها في (د): تم الجزء العاشر، ويتلوه في الحادي عشر السنة الثالثة والأربعون بعد المئة. وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين سادس ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة. وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن العلم الأقسماوي، عرف بالحكيمي، غفر الله له ولوالديه ولصاحب الكتاب ولقارئه ومستمعيه ولجميع المسلمين. آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً.

السنة الثالثة والأربعون بعد المئة

فيها ثارت الدَّيْلَم على المسلمين بعد قتل سنباذ، فأفنوا من ناحية البصرة والرّي خلقاً عظيماً، فجهَّز إليهم أبو جعفر حَبيب بنَ عبد الله في جيوش الكوفة فأوقع بهم.

وفيها عَزل أبو جعفر الهيثم بنَ معاوية عن مكة والطائف، وولَّاها السَّريَّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس بن عبد المطلب، وكان السَّريُّ على اليَمامة، فولاها أبو جعفر قُثَم بنَ العباس، وعَزل حُمَيد بن قَحْطَبة عن مصر، وولَّاها يزيد بن حاتم.

وحجَّ بالناس عيسى بن موسى وهو على الكوفة وأعمالها، وعلى البصرة سفيان بن معاوية[١].

وفيها توفي

سُلَيمان بن طَرْخَان

أبو القاسم[٢] التَّيْميّ، من الطبقة الرابعة من أهل البصرة، كان من العُبَّاد المجتهدين، يُصلِّي الليل كلَّه، ويصلِّي الغَداةَ بوضوء عشاء الآخرة، ويدور هو وابنه المُعتَمِر بالليل في المساجد؛ يصلِّيان مرةً في هذا المسجد، ومرةً في هذا المسجد حتى يُصبحا، وكان مائلاً إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاريّ: ما جلستُ إلى رجلٍ أَخْوفَ لله منه.

وقال المعتمر بن سليمان لمحمد بن عبد الأعلى: لولا أنك من أهلنا ما حدَّثتُك عن أبي بهذا، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويصلّي الصبحَ بوضوء العشاء، وربما جدَّد الوضوء من غير نوم.

وقال معتمر: سقط بيتٌ لنا كان أبي يكون فيه، فضُرِب له فُسطاط فكان فيه حتى مات، فقيل له: لو بَنيتَه! فقال: الأمر أعجلُ من ذلك، غداً أموت.

---

(١) في (خ): عيينة، وهو خطأ، والمثبت من (ب)، وانظر تاريخ الطبري ٧/ ٥١٦، والمنتظم ٨/ ٤٠.

(٢) كذا، والذي في المصادر أن كنيته أبو المعتمر، انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٢٥١، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧، وتهذيب الكمال (٢٥١٦)، والمنتظم ٨/ ٤١، وصفة الصفوة ٣/ ٢٩٦، والسير ٦/ ١٩٥.

وقال يحيى بن سعيد القَطَّان: مكث سليمان في قبة لُبُود[1] ثلاثين سنة، وكان يقرأ آية واحدة يُرَدِّدُها طول الليل.

وقيل لسليمان: أنت أنت. قال: لا تقولوا كذا، لاأدري ما يبدو لي من ربي، ثم قرأ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وكان يقول: إن الرجل لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فيُصبح وعليه مَذَلَّتُه.

وقال السري: قَدَحَ سليمان عينَه[2]، فنهاه الطبيب أن يُمِسَّها بماء، [فمسَّ فرجَه]، وكان يرى الوضوء من مسِّ الفَرْج، فنزع القُطنة من عينه وتوضّأ، ثم أعاد القُطنة إلى مكانها، وجاء الطبيب فنظر ولم ير شيئاً يُنكره، فقال: انظر، قال: ما أرى شيئاً أُنكره، قال: فإني توضَّأتُ، قال: فإن الله قد رزقك العافية[3].

وقال مُعتَمر بن سليمان: قال لي أبي حين احتُضر: يا معتمر، اقرأ عليَّ أحاديث الرُّخَص؛ لعلّي ألقى الله وأنا حَسَنُ الظنِّ به.

وقال رَقَبة بن مَصْقَلة: رأيتُ ربَّ العزَّة سبحانه في المنام فقال لي: يا رَقَبة، وعزَّتي وجَلالي لأُكرِمنَّ مَثوى سليمان التيمي؛ فإنه صلى أربعين سنة الغَداة على وضوء العتمة، فأتيتُ سليمان فأخبرتُه، فحدَّثني مئةَ حديث عن رسول الله ﷺ وقال: هذا لما جئتَني به من البِشارة، فلما كان بعد مدة مات، فرأيتُه في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأدناني وقرَّبني، وغَلَّفني[4] بيده، وقال: هكذا أفعل بأبناء ثلاث وثمانين.

وقال حماد بن سلمة: ما أتينا سليمان التَّيميّ في ساعةٍ يُطاع الله فيها إلا وجدناه مُطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مُصلّياً، وإن لم يكن في ساعة صلاة وجدناه إما يتوضأ للصلاة، أو عائداً مريضاً، أو مُشيِّعاً جنازة، أو قاعداً في المسجد يسبِّح، وكنا نرى أنه لا يُحسن أن يعصي الله عز وجل.

وكانت وفاته بالبصرة.

---

(١) اللبود: كل شعر أوصوف متلبِّد، وضرب من البُسُط. المعجم الوسيط (لبد).

(٢) قَدَحَ عَينَهُ: إذا أخرج منها الماء الفاسد. تاج العروس (قدح ٧/ ٤٣).

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٩٩ وما بين معكوفين منه.

(٤) غلّفني: لطخ لحيتي بالطِّيب. اللسان (غلف).

أسند عن أنس وغيره، وروى عنه جماعة من الأئمة، واتَّفقوا على صدقه وثقته وأمانته وزهادته.

قال يزيد بن هارون: ليس بتَيْميّ ولكنه مُرِّي، ومنزله في التَّيْم فنُسب إليهم.

يحيى بن سعيد

أبو سعيد الأنصاري، القاضي، الفقيه، من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، وأُمُّه أم ولد، قدم على المنصور الكوفة فاستقضاه على الهاشمية.

وقال سليمان بن بلال: قال لي يحيى: والله ما خرجتُ من المدينة وأنا أجهل شيئاً، فلما قدم العراق كتب إليّ يقول: كنتُ قلتُ لك عند خروجي من المدينة: إني ما أجهل شيئاً، وإنه والله لأَوَّلُ خصمين جلسا بين يدي فاقتضيا بشيء والله ما سمعتُه قط، فسَلْ ربيعةَ عنه، واكتب إليَّ بما يقول من غير أن يعلم أنني كتبتُ إليك، والسلام.

وقال وهيب: قدمتُ المدينة فما رأيت أحداً إلَّا تعرف وتُنكر إلَّا يحيى بن سعيد ومالك بن أنس.

وتوفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ست وأربعين.

أسند عن أنس وغيره، وروى عنه الأئمة.

واتَّفقوا على عدالته وصدقه وثقته، وأنه كان أحدَ حُفَّاظ الدنيا، وأثنى عليه الأئمة، فقال الإمام أحمد رضي الله عنه: يحيى بن سعيد أثبتُ الناس حجة. وقال الثوري: يحيى أَجَلُّ عند أهل المدينة من الزُّهريِّ[١].



(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٧، وتهذيب الكمال (٧٤٣١)، والمنتظم ٨/ ٤٢، والسير ٥/ ٤٦٨.

السنة الرابعة والأربعون بعد المئة

فيها قدم محمد المهديّ من خُراسان إلى العراق، فنزل الحيرة عند أبيه، وبنى برَيْطَة بنت عمِّه أبي العباس.

وعزل أبو جعفر محمد بن خالد عن المدينة، وولَّاها رياح بن عثمان(١) المُرِّي، وحج أبو جعفر، واستخلف على عسكره وعلى الحِيرة خازم بن خُزيمة(٢)، وجدَّ في طَلَب إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن، وكانا قد تخلَّفا عن أبي جعفر لما حجَّ في زمن أخيه أبي العباس ومعه أبو مسلم، وكذا في حجَّته الثانية، فلما حجَّ هذه السنة - وهي حجَّتُه الثالثة - جدَّ في طلبهما، وأذكى العيونَ عليهما.

قال أرباب السير: كان محمد بن عبد الله يذكر أن أبا جعفر بايعه بمكة ليلة تشاور بنو هاشم عند اضطراب حَبْلِ بني مروان(٣)، وكان أبو جعفر حاضراً، فكان محمد يقول: كيف أبايع مَن بايعني؟! فلما ولي أبو جعفر الخلافة لم يكن له همٌّ إلا طلب محمد وإبراهيم، وكلُّ من يسأله عنهما من بني هاشم يقول: ما اختفيا إلَّا خوفاً منك، ولا بأس عليك منهما، إلَّا حسن بن زيد فإنه قال: والله ما آمَنُ وُثوبهما عليك، فأيقظ مَن لا ينام، فكان بنو الحسن يقولون: اللهم إن دماءنا عند الحسن بن زيد.

وقال عبد الرحمن بن أبي الموالي: لما وَلِي أبو جعفر ألَحَّ في طلب إبراهيم ومحمد، وتغيَّبا عنه بالبادية، وأمر زياداً الحارثي بطلبهما، فكان لا يَجِدُّ، فعزله وولَّى المدينة محمد بن خالد القَسريّ، وأمره بطلبهما فلم يبالغ، وكان يعرف مكانهما، فعزله، وولّى رياح بن عثمان بن حيَّان المُرِّي، فجدَّ في طلبهما ولم يُداهِن، فخافا منه، فجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع، واغتمَّ أبو جعفر بتغَيُّبهما، فكتب إلى رياح أن

---

(١) في (خ) و(ب): عثمان بن رباح، والمثبت من الطبري ٧/ ٥١٧، والمنتظم ٨/ ٤٤، وتاريخ الإسلام ٣/ ٧٧٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٩.

(٢) في (خ) و(ب): خزيمة بن خازم، والمثبت من المصادر، انظر الحاشية السابقة.

(٣) في الطبري ٧/ ٥١٧، والمنتظم ٨/ ٤٤: ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني مروان.

يأخذ أباهما عبد الله، وأخويه حسن وداود، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت حسين، في عدَّةٍ منهم، ويَشُدَّهم وثاقاً، ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالرَّبذَة، وأن يأخذني معهم.

قال محمد بن عمر: فأنا رأيتُ عبد الله وأهلَ بيته يخرجون من دار مروان بعد العصر وهم في الحديد، فيحملون في مَحامِلَ عَرايا ليس تحتهم وِطاء، وأنا يومئذٍ غُلامٌ قد راهَقْتُ الاحتلام.

قال ابن أبي الموالي: وأُخذ معهم يومئذ نحوٌ من أربع مئة من جُهَينة ومُزينة وغيرِهم من القبائل.

ووافى أبو جعفر من الحجِّ إلى الرَّبَذَة وهم بها مُكَتَّفين في الشمس، وسأل عبدُ الله أبا جعفر أن يأذن له في الدخول عليه، فلم يأذن له، ولم يَره حتى فارق الدنيا، ثم دعاني فأُدخِلتُ عليه وعنده عيسى بن عليّ، فلما رآني عيسى قال: نعم هو هو يا أمير المؤمنين، وإن أنت شَدَّدتَ عليه أخبرك بمكانهما، فدنوتُ منه وسلَّمتُ عليه فقال: لا سلَّم الله عليك، أين الفاسقان ابنا الفاسق، الكذابان ابنا الكذاب؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، هل ينفعني الصِّدقُ عندك؟ قال: وما ذاك؟ قال: امرأته طالق وعليَّ وعليّ إن كنتُ أعرف مكانهما، فلم يُصدِّقني، وقال: السِّياطَ، فأُتي بها، وأُقِمتُ بين العُقابَين[1]، فضربني أربع مئة سَوط، ورُدِدتُ إلى أصحابي على تلك الحال.

ثم بعث إلى الدِّيباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله ـ فلما دخل عليه قال: أخبرني عن الكذَّابَين ما فعلا، وأين هما؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما لي بهما علم، وإني لصادق، فقال: جَرِّدوه، فجرَّدوه، فضربه مئةَ سَوط، وألقى عليه قميصَ قُوْهِيٍّ على الضَّرب، ثم حُمل إلينا، فوالله ما قدرنا على نزع القميص من لُصوقه بالدم، حتى حُلبت عليه شاة، ثم قال: احْدُروهم إلى العراق، فقُدم بنا إلى الهاشميَّة فحُبِسْنا، فكان أول من مات عبد الله بن حسن[2].

---

(١) خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد. تاج العروس (عقب).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٦-٤٧٧.

وقال الهيثم: دسَّ أبو جعفر كتاباً إلى عبد الله بن حسن مع عُقْبة بن سَلْم[1] الأزديّ، وبعث معه ألطافاً وهدايا على لسان بعض الشيعة، فلما قدم على عبد الله أخبره فزَبَره، ثم عاد فزبره مراراً، فلما أَنِس به أخذ ذلك منه وقال: اذهب فأخبرهم أن ابني خارجٌ في وقت كذا وكذا، فعاد إلى أبي جعفر فأخبره.

وكان محمد وإبراهيم ينتقلان في المياه والأمصار خوفاً من أبي جعفر، تارةً في تِهامة، وتارة في اليمن والشام والعراق ومصر، ثم في البصرة والهند والسِّند والمغرب، فلما حج في هذه السنة أبو جعفر قَسم قسماً في بني هاشم خصَّهم بذلك، وقال لعبد الله: أين ابناك؟ فقال: لا أعلم بهما، فقام ابن سَلْم فتراءى له، فلما رآه وَجَم، فقال أبو جعفر لعبد الله: كذبت يا ماصّ، فقال: يا أبا جعفر، بأيِّ أُمَّهاتي تُمِصّني؟! بخديجة بنت خُويلد، أم بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، أم بفاطمة بنت الحسين؟ فقال ولا بواحدة منهن، ولكن بالجَرْباء بنت قَسامَة بن زهير، فقام المُسَيَّب ابن زهير فقال: دَعْني أضربْ عُنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال: هَبْه لي يا أمير المؤمنين وأنا أستخرج ابنيه.

وفي رواية: أن أبا جعفر جاءه كتاب بعض ثقاته يخبره أن رسول عبد الله وابنيه خرج إلى خراسان ومعه الكتب يستدعيهم إلى الخروج معه، وبعث بالرسول والكتب إلى أبي جعفر، فبعث أبو جعفر بالرسول والكتب على حالها بطوابعها إلى عبد الله وقال:

إني أُتيتُ برسولك وهذه الكتب معه، وقد رددتُها بحالها إليك كراهيةَ أن أطَّلع على ما يُغيِّر قلبي عليك، فلا تَدْعُ إلى التَّقاطع بعد التواصل، وإلى الفُرقة بعد الاجتماع، وأظهر إليَّ ابنَيك؛ فإنهما يصيران إلى ما تُحبُّ من الولاية وتعظيم المنزلة، فكتب إليه عبد الله يَتنصَّل من ذلك، ويُنكره ويقول: فعل ذلك عدوٌّ يريد الفُرقة بعد الاجتماع.

فبينا أبو جعفر كذلك وَرد عليه كتابُ بعض ثقاته يخبره: أن الرسول بعينه خرج بالكتب بعينها إلى خراسان، وأنه نازل بالبصرة على فُلان المُهَلَّبي، فبعث أبو جعفر فحبس الرسول، وأخذ الكتب وبعث بها إلى خراسان مع بعض ثقاته، وعادت الأجوبة

(١) في النسختين: علقمة، وهو خطأ، انظر تاريخ الطبري ٧/ ٥١٩، وأنساب الأشراف ٢/ ٤١٢، والمنتظم ٨/ ٤٥، وتاريخ الإسلام ٣/ ٧٧٧.

بما يكره، واستبان له الأمر، فكتب إلى عبد الله: [من الوافر]

أريــد حَـيــاتَــه ويُـريــد قَـتــلــي[1]

قد علمتُ ما فعلتَ، وجاءت الأجوبة من خُراسان، وقد ثَبتَ عندي أنك تعرف مكان ابنَيك، فدُلَّني عليهما ولك عهدُ الله وميثاقُه أنني أُحسن جائزتَهما، وأضعهما حيث وَضَعَتْهما القرابة، واستدرِكْ الأمرَ قبل تفاقمه، فكتب إليه أنه ما يعرف مكانهما، وكتب في الكتاب: [من الوافر]

وكــيــف أُريــد ذاك وأنــت مــنِّــي بــمـنـزلـةِ الـبـيـاضِ مـن الـسَّـوادِ[2]
وكــيــف أريــد ذاك وأنــت مــنــي وزَنْــدُكَ حــيــن يُـقــدَح مــن زِنــادي

فقال أبو جعفر: والله لَيُقْتَلَنَّ محمد بأصل سَلْع، وليُقْتلنَّ إبراهيم على النهر العباب يعني الفرات، فكان كما قال.

وقال السِّنديّ مولى أبي جعفر: لما اشتبهت الأمور على أبي جعفر دعا عُقبة بن سَلْم الباهليّ، وبعث معه بمال وقال: إنما أدخلتُك بين لحمي وعظمي، فلا تُوطِئني عَشْوةً[3]، اذهب إلى المدينة فجالس عبد الله بن حسن حتى يأنس بك، وقل له: إن فلاناً وفلاناً من خراسان بعثوا إليك بمال وثياب وهدايا ـ وكان المال عشرة آلاف دينار ـ واحترِز.

فقدم المدينة، فلقي عبد الله وجلس إليه، فلما أَنِس به ذكر له ذلك، فأخذ منه المال والثياب، ثم تركه أياماً وقال له: معي إلى ابنيك كتابان وأربعون ألف دينار، فإن دَلَلْتني عليهما سَلَّمتُ ذلك إليهما، ورجعتُ إلى خراسان بما يَشرح صدورَ أهلها وتَقبله عقولُهم، وإلَّا عُدت إليهما، فأدفع إليهما الكتابين والمال، ثم قال لعبد الله: مثلي لا ينصرف إلا عن فضل؛ ليكون القوم منّي على ثقة، قال: وما هو؟ قال: تخلع أبا جعفر، وتبايع ابنك محمداً، ومن بعده إبراهيم، قال: نعم، فخلع أبا جعفر وبايع

---

(١) تمامه: عذيرك من خليلك من مراد. وهو لعمرو بن معدي كرب، انظر العقد الفريد ٥/ ٧٦.

(٢) كذا، وفي المصادر: بمنزلة النِّياط من الفؤاد، انظر أنساب الأشراف ٢/ ٤١٠، والعقد الفريد ٥/ ٧٦، والأغاني ٢١/ ١٢٠.

(٣) أوطأه عشوة: أركبه على غير هدى من الطريق.

لابنيه، وبايعهما أيضاً عقبة بن سَلْم، وأخذ كتابه وكتاب ابنيه وخرج إلى مكة، فوافى أبا جعفر، فأخبره بحقيقة الأمر.

فقدم أبو جعفر المدينة، وأحضر عبد الله، وسأله عن ابنيه فأنكرهما، فقال لعُقبة: تراءى له، فلما رآه أُسقط في يده، وتغيَّر لونُه وقال: أقِلْني وصلَتْك رَحِم، فقال: لا أقالني الله إن أقلتُك، ووالله لا بدَّ من ولديك، فقد ظهر السرّ، ولله علي أن لا أَضُرّهما، فسكت عبد الله، فأمر بحبسه وحبس أهله وأعيان بني حسن، وخاف أبو جعفر أن يحاربه أهل المدينة فلم يدخلها، ولم يختلف عليه منهم اثنان.

وقال أبو اليقظان: لما حج أبو جعفر كان محمد وإبراهيم مُسْتخفيين بمكة، وكان بعضُ قُوَّاد أبي جعفر من شيعتهما فقال: هل لكما أن أقتله؟ فقال محمد: لا والله حتى تدعوه، فانتقض أمرُهما.

وقال الواقدي: إنما أمر أبو جعفر رياحاً بحبس آل أبي طالب في سنة أربع وأربعين - وقيل: في سنة ثلاث وأربعين - فأقاموا في الحُبوس ثلاث سنين، فجاء محمد بن عبد الله ليلاً إلى أمه هند مستخفياً، فقال: يا أُمَّاه، قد حَمَّلتُ أبي وأهلي وعمومتي ما لا طاقة لهم به، وقد عزمتُ على أن ألقى أبا جعفر، وأضع يدي في يده؛ فعسى أن يخلي عنهم، فتنكّرَتْ وحملتْ طعاماً إلى السجن، وتلطَّفتْ للسجَّان حتى دخلتْ عليهم، فأخبرت عبد الله بقول محمد فقال: قولي له: نحن فَرَجُنا بيد الله، والأمور مَقضيَّة، والصبر أولى، ومُريه فليَجِدّ في أمره ولا يَني، فخرجتْ من عندهم، وأبلغته ما قال.

ولما نزل أبو جعفر الرَّبَذَة أمر رياح بن عثمان بإخراجهم إليه، فأخرجهم من المدينة، ولما صاروا بقصر نَفِيس[١] على ثلاثة أميال من المدينة؛ دعا بالقيود والأغلال والحدَّادين، وقيَّدهم وغلَّهم، وضيَّق عليهم القيود حتى أثَّرت في أرجلهم، ثم أتى بهم الرَّبَذَة على الجمال وليس تحتهم وِطاء ولا فوقهم غِطاء، وقام أبو جعفر ينظر إليهم من وراء السِّتر، ولما مروا بدار جعفر بن محمد بكى وقال: والله لا حُفظت حُرمةُ رسول الله ﷺ بعد اليوم، ثم حُملوا في المحاملِ عُراة، وخرج أبو جعفر في

(١) في (خ) و(ب): بلقيس، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٥٤٠.

مَحْمِل ومُعادِله الربيع، فصادفهم يوماً في المسير، والشمس قد قرعتْهم وهم عِطاش، فناداه عبد الله: يا أبا جعفر، هكذا فعلنا بكم يوم بدر؟ فلم يكلِّمه، وأخزاه وثَقَّل عليه، فلما قدم إلى الكوفة أنزلهم في سِرداب.

وقال الهيثم: دعا أبو جعفر بمحمد الدِّيباج في الرَّبَذَة فدخل عليه - وكان أحسن الناس صورة - فوقف بين يديه، فقال له: يا دَيُّوث، فقال محمد: سبحان الله، والله لقد عرفتُني بغير ذلك، قال: فكيف زوَّجتَ ابنتك الفاسقَ إبراهيم؛ وقد حلفتَ لي أنك لا تَغُشّني ولا تمالئ عليّ؟! فأنت بين أن تكون دَيُّوثاً أو حانثاً. وايْم الله، لقد هممتُ أن أرجُمها، فقال له محمد: والله ما مالأتُ عليك ولا غَشَشتُك، وأما أنت فقد رَميتَ هذه الجارية، وهي بنت رسول الله ﷺ، وإن الله قد أكرمها بولادته لها، فأمر به فشُقَّت ثيابُه، وضربه أربع مئة سوط[1]، فغُشي عليه وأبو جعفر يقول: الرأسَ الرأسَ، وبدت عورتُه، ووقع سَوط في عينه فسالت عينُه على خدّه، وأُخرج والسِّياط قد غيَّرتْ حالَه وجَماله، ورُدَّ إلى أصحابه وهو يصيح: العطش العطش، فلم يتجاسر أحد أن يسقيه، فقال: يا معاشر المسلمين أيموتُ أولادُ رسول الله ﷺ عَطَشاً.

وقال عمر بن شبة: كان أبو جعفر كافًّا عن محمد الدِّيباج حتى قال له رِياح المُرِّي: ما أخاف عليك إلا من محمد بن عبد الله بن عمرو؛ فإنه عظيم عند أهل الشام، وقد أمنتَ خُراسان والعراق؛ لأن خراسان شيعتُك، والعراق شيعة علي، وأهل الشام شيعة عثمان، وهذا من ولده، فوقع ذلك في نفس أبي جعفر، ففعل به ما فعل.

وفي رواية: لما دخل الدِّيباج على أبي جعفر قال له: أين إبراهيم ومحمد؟ فقال: لا عهد لي بهما من عام أول، قال: أليس ابنتك تحت الفاسق إبراهيم، قال: بلى، قال: فهي زانية، فقال: مه، أتقول هذا لابنة عمِّك! فقال يا ابن اللخناء، فقال: أيّ أُمَّهاتي تُلَخِّن، فشتمه، وذكر أمَّه، وفعل به ما فعل.

وابنة محمد رُقيَّة، وفيها يقول الشاعر وهو زوجها إبراهيم: [من الطويل]

خليليَّ من قيسٍ دعا النَّومَ واقعُدا ... يَسُرُّكما ألا أنام وتَرقُدا

(١) في الطبري ٧/ ٥٤٢: فضرب خمسين ومئة سوط.

أَبِيتُ كأنّي مُسْعَرٌ من تَذكُّري رُقَيَّة جَمْراً من غَضًا مُتَوقّدا[١]

وقال أبو اليقظان: أُخبر رياح أن محمداً في جبال رَضْوى، فخرج في طلبه، فرآه محمد من بعيد فصعد الجبل ومعه أمُّ وَلَدٍ له، فسقط ولدها فمات، فقال محمد: [من السريع]

مُنْخَرِقُ السِّربال يشكو الوَجَى تَنْكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ

شَرَّده الخوفُ وأَزْرى به كذاك مَن يَكْرَه حَرَّ الجِلادْ

قد كان في الموتِ له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ في رقابِ العِبادْ[٢]

قد تقدم أن عبد الرحمن بن الأشعث أنشد هذه الأبيات في بعض وقائعه لما خرج على الحجاج، فيحتمل أن محمد بن عبد الله تمثَّل بها والله أعلم.

وقال الهيثم: كان زياد الحارثيّ يطلب محمداً، فرآه يوماً في الصحراء فقال له: مَن أنت؟ فقال: أعرابي، فعرفه ولم يكلِّمه، وقال له: اذهب حيث شئت، ولقيه يوماً على بئر فوقف بين قَرْنَيها يستقي ـ وكان جسيماً وسيماً ـ فعرفه زياد فقال: قاتله الله أعرابياً ما أحسن ذِراعه.

ورآه مرة في صحراء المدينة، فجلس محمد وأعطاه ظهره، فقال له زياد: امرأة رأتنا فاستحيت[٣].

وبلغ أبا جعفر فعزل زياداً، وأوثقه وأخذ جميعَ ماله، ووجد له عيناً مئة ألف دينار، وحُمِل إلى أبي جعفر فقال له: ما هذا؟ فقال: إن دماء بني فاطمة عندي لعزيزة.

وكان لزياد كاتب من أهل الكوفة اسمه عمر بن حفص[٤] كان يتشيَّع، فهو الذي كان يُثبِّط زياداً عن طلب محمد وأخيه.

فولّى محمد بن خالد القَسْري ثم عزله، وولى رِياحاً.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٥٣٥، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٢٧، والمنتظم ٨/ ٤٧، وتاريخ الإسلام ٣/ ٧٧٩، والسير ٦/ ٢١٢.

(٣) في الطبري ٧/ ٥٣٦ أن الذي لقي محمداً واجتمع به رياح بن عثمان.

(٤) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٢١ : حفص بن عمر.

وقال يحيى بن خالد بن بَرْمَك[(١)] : اشترى أبو جعفر عَبيداً من الأعراب الذين يسكنون البوادي، وأعطى كل واحد البعير والبعيرين، وأمرهم أن يطلبوا محمداً على المياه كأنه قد ضلَّ منهم شيء.

وقال عمر بن شبة: ولَّى أبو جعفر الفضلَ بنَ صالح الموسم سنة ثمان وثلاثين، وقال له: إن رأيت محمداً وإبراهيم فلا تفارقهما حتى تُحضرهما إليّ، فلما حج أتاه بنو هاشم ولم يأته محمد وإبراهيم، فقال لأبيهما: ما منع ولديك أن يأتياني؟ فقال: والله ما منعهما من إتيانك رِيبة ولا سوء، ولكنهما حُبِّب إليهما الخَلوة والبادية والصَّيد، لا يشهدون مع أهلها خيراً ولا شراً، فسكت الفضل.

وقال الزَّعفَراني: قدم محمد البصرة، فنزل في بني راسب، فأقام ستة أيام وخرج، وبلغ أبا جعفر، فسار من الكوفة إلى البصرة، واستدعى عمرو بن عبيد وقال: يا أبا عثمان، هل بالبصرة أحدٌ نخافه على أمرنا؟ فقال: لا، فانصرف راجعاً إلى الكوفة.

وقال عمر بن شَبَّة: حج المنصور في سنة أربعين ومئة ومعه ابنه المهدي، فأتاه عبد الله بن حسن في جماعة من بني هاشم، فتكلَّم المهدي فلَحَن، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر ابنَك هذا بتعديل لسانه وقد اخترتَه وليَّ عهدك على الأُمَّة؟! فتغافل أبو جعفر عنه، وأخذ كتاباً ينظر فيه، وعبد الله يُردِّد القول، فغضب أبو جعفر وقال له: أين ابنُك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتينّي به، قال: والله لو كان تحت قدميَّ ما رفعتُهما عنه، فأمر بحبسه وقال: ألست القائل لأبي العباس: [من الوافر]

ألـم تَـرَ حَـوشَـبـاً أضـحـى يُـبَـنِّـي[(٢)]

وكان أمنَّ الناس عليك وأوصلَهم لك؟!

وحجّ في تلك السنة إبراهيم ومحمد وهما مُستخفيان ومعهما جماعة من الشيعة، فاتَّفقوا على اغتيال أبي جعفر، وقال لهم عبد الله بن محمد الأمير: أنا أكفيكموه، فقال محمد: لا والله لا نقتله غِيلة حتى أدعوه، فانتقض أمرُهم، ودخل معهم قائد من قواد

---

(١) في (ب) و(خ): شريك، والمثبت من الطبري ٧/ ٥١٩.

(٢) تمامه: قصوراً نَفْعُها لبني بُقَيلة، انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٥، وتاريخ الطبري ٧/ ٥٢٥، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

أبي جعفر، وبلغ الخبر أبا جعفر فطلبه فهرب، وقتل أبو جعفر أصحاب ذلك القائد واسمه خالد بن حسان، وكان أراد أن يطعن أبا جعفر بحَربةٍ بين الصَّفا والمروة فنهاه عبد الله بن حسن.

ذكر مَن حُبس مع عبد الله بن حسن بن حسن

حُبس معه حسن وإبراهيم ابنا حسن بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن، وسليمان وعلي وعبد الله وعباس بنو داود بن حسن بن حسن، وأبو بكر بن حسن بن حسن، ومحمد وإسماعيل وإسحاق بنو إبراهيم بن حسن بن حسن، وعباس بن حسن، أخذوه وهو قاعد على بابه فقالت أمه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر: دعوني أشمّه، فقالوا: لا والله لا شَمَمْتيه أبداً. وعلي بن حسن بن حسن العابد، وموسى بن عبد الله بن حسن بن حسن، وعلي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان قد قدم من مصر.

فهؤلاء ستة عشر رجلاً من أعيانهم، وقيل: كانوا عشرين، وحبسوا معهم محمداً الدِّيباج، وهو أخو بني حسن لأمهم، وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وحُبس معهم عبد الرحمن بن أبي الموالي وأبا حنين.

وجاء علي بن حسن بن حسن بن حسن إلى رياح فقال: ما الذي جاء بك؟ قال: لتَحبسَني مع أهلي، فحبسه معهم.

ولما خرج رياح بهم إلى الرَّبَذَة قال غالب الهَمْداني من أبيات: [من المنسرح]

نفسي فَدتْ شَيبةً هناك وظُنْـ ... ـبُوباً به من قيوده نَدَبُ
والسَّادةَ الغُرَّ من بَنيه فما ... رُوقِبَ فيه الإلهُ والنَّسبُ
يا حلَقَ القَيدِ ما تضمَّنْتَ من ... حِلمٍ وبِرٍّ يَشوبُه حَسَبُ
وأمَّهاتٌ من العَواتِكِ أخْـ ... ـلَصْنَك بِيضٌ عَقائلٌ عُرُبُ
كيف اعتذاري من الإله ولم ... تُشْهَر فيك المأثورَةُ القُضُبُ
ولم أَقُد غارةً مُلَمْلَمَةً ... فيها بنات الصَّريحِ تَنْتَحِبُ
والسَّابقاتُ الجِيادُ والأَسَلُ الذُّبَّلُ فيها أَسِنَّةٌ ذُرُبُ

أصبح آلُ الرّسول أحمدَ في النا ... سِ كذي عُرَّةٍ به جَرَبُ
بُؤساً لهم ما جَنَتْ أكفُّهُمُ ... وأيَّ حَبلٍ من نَسْلِه قَضَبوا[١]

ولما نزلوا الكوفة حبسهم في سِرداب، وضَيَّق عليهم حتى ماتوا عن آخرهم.

ولما قدم المنصور الكوفة صَعِد المنبر فخطب وقال: يا أهل خُراسان، أنتم شيعتُنا وأنصارُنا وأهلُ دعوتنا، إن علي بن أبي طالب حَكَّم الحكمين، فافترقت عليه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثب عليه شيعتُه وأصحابُه وثقاتُه وأنصاره فخذلوه وقتلوه، ثم قام من بعده ولدُه الحسن، فوالله ما كان فيها برجل، عُرضت عليه أعراضُ الدنيا فقبلها، ودسَّ إليه معاوية: إني أجعلك وليَّ عهدي من بعدي، فخدعه، فانسلخ منها، وسلَّمها إليه، وأقبل على النساء يتزوَّج كلَّ يوم امرأة ويطلِّقُها من الغد، فلم يزل كذلك حتى مات، ثم قام من بعده أخوه الحُسين، فخدعه أهلُ هذه المَدَرَةِ السَّوداء - وأشار إلى الكوفة - أهل النِّفاق والشِّقاق ومساوئ الأخلاق، والله ما هي بحَربٍ فأحاربها، ولا بسِلْمٍ فأسالمها، فرَّق الله بيني وبينها، وزادها بُعداً وسُحقاً، فأسلموه وخذلوه حتى قتلوه، ثم قام من بعده زيد بن علي، فغَرُّوه حتى أسلموه، ولقد ناشده أبي محمدُ بنُ علي ألا يفعل، وألا يقبل خِداع أهل هذه المَدَرَةِ السَّوداء، وقال له: إنا لنجد في بعض الكُتب أن بعضَ أهلنا يُصلَب بالكوفة، فاحذر أن تكون ذلك، فلم يقبل، وقال له: عمِّي داود: لا تثق بهم؛ فإنهم غُدُرٌ فُجُر، فلم يقبل، حتى صُلب بالكُناسة ثم أُحرق.

ووثب علينا بنو أمية، فأماتوا شَرَفنا، وأذهبوا عِزَّنا، لا والله ما كان لهم عندنا تِرةٌ يطلبونها، ولا مَأثُرةٌ يَرومونها فنَفَونا من البلاد، وشَرَّدونا في كلّ واد، فتارةً بالحجاز، وتارة باليمن، ومرةً بالعراق، ومرةً بالشَّراة، حتى أقامكم الله لنا شيعة وأنصاراً، وأحيا بكم شَرَفنا، وأعزَّ ديننا، ودفع بكم الباطلَ عنا، وأظهر حقَّنا، وأصار إلينا أمرَنا وميراثنا من نبينا ﷺ، فقَرَّ الحقُّ مَقَرَّه، وأعزَّ الله أنصارَه، وقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

فلما استقرَّ الأمرُ فينا وثب علينا هؤلاء الظَّلَمة؛ بغياً وحسداً منهم لنا، ثم أنشد:

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٤٥ - ٥٤٦. الظنبوب: حرف السَّاق، والمأثورة القضب: السيوف القاطعة، والأسل الذبل: الرماح الدقيقة، الذرب: الحديدة الماضية، والعُرَّة: داء، قضبوا: قطعوا.

جَهْلاً علينا وجُبناً عن عدوِّهمُ   لبئستِ الخَلَّتان الجهلُ والجُبنُ

ثم قال: إني والله ما أتيتُ هذا الأمر من جهالة، وإنما بلغني بعض السّقم عنهم، فدَسَسْتُ إليهم رجالاً وأموالاً، فوالله ما بقي منهم كبير ولا صغير، ولا شيخ ولا شاب إلا استحلُّوا دماءنا وأموالَنا، فحينئذ استَحْلَلْتُ بنَقْضِهم بيعتي، وحِنثهم في أيمانهم، وطَلَبِهم الفتنة، وتفريق الكلمة، والتماس الخروج عليّ، ثم قرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية [سبأ: ٥٤] ثم نزل(١).

وكان على الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية، وعلى المدينة رياح المُرِّي، وعلى مكة السَّرِيّ بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم، وعلى خراسان نوَّاب المهدي.

وفيها توفي

إسحاق بن عبد الله

ابن أبي فَرْوة، أبو سليمان، من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، وكان كثير الحديث، ولا يحتجون بحديثه(٢).

صالح بن كَيسان

أبو محمد، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان يُؤدِّب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، وأولادَ الوليد بن عبد الملك، ثم ضمَّه عمر إلى نفسه، وكان قد جمع بين الحديث والفقه والدين والمروءة.

أسند عن ابن عمر وغيره، وروى عنه مالك والأئمة، واتَّفقوا على صدقه وثقته وأمانته، وسئل عنه الإمام أحمد رحمة الله عليه فقال: بخ بخ قد رأى ابن عمر. وهو ثقة، يُعدُّ في التابعين.

وقال أبو عبد الله الحاكم: مات صالح وهو ابن مئة ونيف وستين سنة(٣)، ولقي

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٩٢ ـ ٩٤، ومروج الذهب ٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٢٣، وتهذيب الكمال (٣٦١).

(٣) رد هذا القول الذهبي في السير ٥/ ٤٥٦، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٢، وتهذيب الكمال (٢٨٢٠).

جماعة من الصحابة، وكان ثقة ثبتاً.

عبد الله بن شُبْـرُمَة الضَّبِّي

أبو شبرمة. من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان فقيهاً، حسنَ الخُلق، قليلَ الحديث.

وقال عبد الرزاق عن مَعمر: كان ابن شبرمة عندنا والياً باليمن، فلما عُزل شَيَّعتُه، فنظر إليّ وقال: أحمد الله، أما إني لم أستبدل بقميصي هذا قميصاً منذ دخلتُها، إنما أقول لك حلالاً، أما الحرام فلا سبيل إليه.

وكان يحضر هو ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عند عيسى بن موسى يَسْمُران كل ليلة، فإذا جاءا وقفا على دوابهما حتى يؤذن لهما، وربما خرج إليهما عياض حاجب عيسى فيقول: انصرفا، فينشد ابن شبرمة ويقول: [من الطويل]

إذا نحن أعتَمْنا وطال بنا الكَرى أتانا بإحدى الرَّاحتَين عِياضُ[1]

يزيد بن أبي مريم

ابن أبي عطاء، أبو عبد الله، من الطبقة الخامسة من أهل الشام، كان إمام جامع دمشق حين بناه الوليد بن عبد الملك. وتوفي في هذه السنة، وقيل: سنة خمس وأربعين ومئة.

أسند عن أبي إدريس الخَولاني، ورأى واثلة بن الأسقع، وروى عنه الأوزاعي وغيره، وكان ثقة صدوقاً[2].



(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦٩، والسير ٦/ ٣٤٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨١، وتهذيب الكمال (٧٦٤٤).

السنة الخامسة والأربعون بعد المئة

فيها خرج إبراهيم بالبصرة ومحمد بالمدينة على أبي جعفر فقُتلا، وسنذكرهما إن شاء الله تعالى.

وتتابعت الحوادث على أبي جعفر من كل جانب، والخوارج[١] والترك خرجوا إلى باب الأبواب فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، فكان أبو جعفر يترنَّم: [من الوافر]

تَفرَّقت الظِّباء على خِراشٍ فما يدري خِراشٌ ما يصيدُ

وفيها أُسِّست بغداد، قال الجوهري: بغداذ، وبَغدان، ومَغذان، تذكر وتؤنث[٢].

قال أبو حاتم: سألتُ الأصمعي عن بغداد وبغداذ ومَغْدان وبغدين هل يقال ذلك؟ فكره أن يتكلم بشيء منه وقال: هذا كلُّه رديء، أخشى أن يكون شركاً، وأبغضه إليَّ بغداذ بذال معجمة.

وإنما كرهوا ذلك؛ لأنه كان بالمشرق صنم يقال له: بغ، وموضع بغداد يقال له: داذ قرية، فأقطع كسرى خصياً له موضع بغداد، فقال الخصي: بغ داذ أي: عطية الصنم، وداذ عطية.

وقيل: كان في موضعها دير فيه صنم اسمه بغ، وسادنه يقال له: داذ.

وقال الفراء: كل ما جاء من اللغات في بغداد يُراد به: عَطيَّة الصنم، فكُره الجميع لهذا.

وقال ابن الأنباري: بغ: بستان، وداذ اسم رجل.

وقال ابن الأعرابي: دخلت إلى موضع بغداد - وهو أَجَمة ليس فيه إلا كوخ - وفيه رجل من الأولين ينظر مَبْقَلة له، فلما جاء أبو جعفر ووضع الأساس قال: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: لا ندري، فقيل له: هاهنا رجل من الأولين، فبعث إليه فقال: ما اسمك؟ قال داذ، قال: وما يقال لهذا الموضع؟ قال: بغ، يعني: المبقلة، فقال أبو

(١) كذا في النسختين (خ) و(ب)، وفي الطبري ٧/ ٦٤٩ : وفيها خرجت الترك والخزر.
(٢) الصحاح (بغذ ٢/ ٥٦١).

جعفر: سموها باغ داذ؛ يعني بستان صاحب هذه المبقلة.

ولا يُتابَع ابن الأعرابي على ذلك، والمحفوظ أن هذا الاسم كان يعرف به هذا الموضع قبل أبي جعفر[١].

ويقال: دار السلام.

لما ولي المنصور الخلافة بنى بالكوفة مدينة يقال لها: الهاشمية غير مدينة ابن هُبيرة[٢]، وبنى إلى جانبها أخرى وسمّاها الرُّصافَة فلم تحمله، وانتقل إلى الهاشمية، وبنى بها قصراً عظيماً، فلما ثارت عليه الرّيوندية كرهها وخاف على نفسه، فاختار بناء بغداد ليأمَن على نفسه.

وقال الهيثم: حذَّره الناس من أهل الكوفة ـ وكانوا قد أفسدوا جنده ـ وقالوا: إن أبا العباس انتقل عنهم، وهم قوم قد عرفت ثوراتهم كل وقت، وأنت قريب منهم، فارحل إلى بعض الأماكن.

فبعث الرُّوَّاد فلم يظفروا بما كان في نفسه، فخرج بنفسه، فبدأ بناحية واسط، وعاد في دجلة فرأى موضع بغداد، ثم سار إلى الموصل، وعاد إلى موضع بغداد فأعجبته وقال: هذا سرة العراق، والعراق سرة الدنيا، ولهذا اختارت الأكاسرة المدائن وهي قريبة من هذا، ولولا إحياء سنَّة الأعاجم وآثارهم لسكنتُ المدائن، ولكن هذا موضع حسن، يأتينا في دجلة جميع ما في الجزيرة من الميرة وغيرها، وهذه الصَّراة يأتينا فيها كل ما في الشام ومصر، وهذه دجلة يأتينا فيها كل ما في الهند والسند وفارس والأهواز وعُمان والبصرة وتلك النواحي.

وروى الخطيب: أن بغداد كانت مزرعة يقال لها: المباركة، وكانت لستين نفساً من البغداديين، فعوَّضهم أبو جعفر عنها عوضاً أرضاهم به، وقسمه بينهم[٣].

وقال سليمان بن مجالد: لما خرج أبو جعفر من الكوفة يرتاد منزلاً نزل بساباط المدائن، فرَمِد بعض أصحابه، فأقام يعالج عينيه، فقال له الطبيب: أين يريد أمير

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ والخبر فيه عن المظفر بن عاصم بن أبي الأغر.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٦١٤، والمنتظم ٨/ ٦٩، بنى الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بجيالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣١٧، والمنتظم ٨/ ٧٠.

المؤمنين؟ قال: يريد منزلاً ينزله، فقال: إنا نجد في كتبنا أن رجلاً يُدعى مِقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصَّراة؛ وتُدعى الزَّوراء، فإذا أسَّسها أتاه فَتْق من الحجاز، فقطع بناءها وأقبل على إصلاحه، فإذا كاد يلتئم أتاه فَتْق من البصرة أكبر منه، فلا يلبث الفتقان أن يلتئما، ثم يعود إلى بنائها فيُتمِّمه، ثم يُعمَّر طويلاً، ويبقى الملك في عَقِبه.

فأخبرني صاحبي بقول الطبيب، فأخبرتُ أبا جعفر فقال: أنا والله ذلك، لقد سُمِّيتُ مِقلاصاً وأنا صبي، ثم انقطعت عني[1].

وقال الصُّولي: لما أراد أبو جعفر أن يبني بغداد كان يؤتى من كل أرض بتراب فيُعَفِّنه، فيصير عقاربَ وهَوامّ، فأُتي بتربة بغداد فعَفَّنه، فخرج صُرَيْصر[2] فأعجبه ذلك، وكان هناك دير فيه راهب في صومعة، فاطَّلع فقال: لا يقدر على بنائها إلا رجل يُقال له: مِقلاص، وبلغ أبا جعفر فقال: الله أكبر، كانت أمي تُسمّيني مِقلاصاً وأنا صغير، ثم انقطع عني.

قال الهيثم: فقال له الراهب: لا بد لك من فتقين، يعني إبراهيم ومحمداً، ثم قال له: ضعها هاهنا تأتيك الميرة من المغرب وطرائف مصر والشام في الفرات، وتجيئك المِيرة في دجلة من الصين والهند والبصرة وواسط وأذربيجان وأرمينية والروم والجزيرة والموصل وديار بكر ونحوها، ثم تكون بين الفرات ودجلة في خندق لا يصل إليك عدو إلا على جسر أو قنطرة، فإذا خفتَ أخربتَ الجميع فتأمن، وهذه المدينة لا يبنيها إلا رجل يقال له: أبو الدَّوانيق، فضحك أبو جعفر وقال: أنا ذاك.

قال الخطيب: وكان في موضع القصر الذي بناه على الفرات دير، وإلى جانبه قرية يقال لها: العتيقة؛ وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة، فنزل المنصور الدَّير، وكان عنده قرى ومزارع هي موضع بغداد، وحشد لها الصُّنَّاع والفَعَلة من البصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر، ومن الأقطار، ووضع أساسها في وقت اختاره له نُوبَخت المنجِّم، وكان الطالع القوس، وقال له نوبخت: إن الطالع يقتضي أنها لا تخرب، ولا يموت فيها خليفة[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦١٥، والمنتظم ٨/ ٧١.

(٢) في تاريخ بغداد ١/ ٣٧٤، والمنتظم ٨/ ٧٤ : فخرج صرارات.

(٣) انظر المنتظم ٨/ ٧٢، وتاريخ بغداد ١/ ٣٨٦.

قال المصنف رحمه الله: كذب نوبخت، إن كان أراد مدينة المنصور التي هي بغداد وهي من الجانب الغربي من دجلة فقد خربت خراباً كلياً بحيث لم يبق منها شيء، وقُتل فيها الأمين، ومات بها محمد القاهر، وإن أراد الجانب الشرقي فقد مات بها عامة الخلفاء، وقتل بها المقتدر، ولم يخرج عنها سوى الراشد والمسترشد.

ثم أحضر المهندسين، وضرب اللَّبِن، وأحرق الآجر، وأمر أن تُخَطّ له، فخُطَّت وبُيِّن له صورتها.

قال ابن عياش: فأخذ بيده لبنة وقال: بسم الله وبالله ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ثم قال لخالد بن بَرْمَك: ما ترى في نقض إيوان كسرى وصرف أنقاضه إلى بناء هذه المدينة؟ فقال: لا أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: لأنه عَلم من أعلام الإسلام، يَستدلُّ به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو بأمر دين، فقال أبو جعفر: أبيت إلا الميل إلى أصحابك الأعاجم.

وأمر أن يُنقَض القصر الأبيض، فنُقضت ناحية منه، وحُمل نقضه، فنظروا في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الحديد، فقال أبو جعفر لخالد: ما ترى؟ قال: قد كنتُ أرى أن لا يُنقض، فأما الآن فأرى أن يُهدم حتى يَلحق بالأرض، قال: ولم؟ قال: لئلا يقال: إنك عجزت عن هدم ما بناه أولئك، فأعرض عن هدمه.

وذكر الخطيب: أن المنصور همَّ بنقض الإيوان، واستشار أصحابه فصَوَّبوا رأيه إلا كاتب من الفرس فقال له: يا أمير المؤمنين، قد علمتَ خروج رسول الله ﷺ من تلك القرية، وكان منزله ومنزل أصحابه على ما قد علمت، خرج أصحاب تلك المنازل مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزَّته وصعوبة أمره؛ حتى غلبوه، وسلبوه ملكه قهراً، وقتلوه، فيجيء الجائي من أقاصي الأرض، فينظر إلى تلك القرية وإلى هذا الإيوان؛ فيتيقن أن الله أيَّده، وكان معه ومع أصحابه، ففي تركه فخر لكم، فاتَّهمه(١).

وأمر المنصور أن يُجعل الأساس من أسفله خمسين ذراعاً، وأعلاه عشرين ذراعاً.

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٥٥، والمنتظم ٨/ ٧٣.

وابتدأ البناء في سنة خمس وأربعين ومئة، وفرغ في سنة ست وأربعين.

وبناها مدورة الشكل ليكون الملك في وسطها، ولا يكون إلى موضع أقرب من موضع، وهي ثلاثون ومئة جَريب[١]، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف درهم.

وقال الطبري: أنفق عليها أربعة آلاف[٢] وثمان مئة وثلاثة وثلاثين درهماً، على المدينة والسور وقصر الذهب والإيوان والسقوف؛ لأن الأستاذ من الصنَّاع كان يعمل في يومه بقيراط إلى خمس حبات، والرُّوزجاري يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات.

قال الخطيب: ومبلغ الأربعة آلاف درهم من الفلوس مئة ألف [ألف] فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس[٣].

وهذا تفاوت عظيم من ثمانية عشر ألف ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم.

وكانت كل لَبِنة عرض ذراع في ذراع، وزنها سبعة وعشرون رطلاً بالعراق[٤].

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت يَعُدُّ اللَّبِن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك.

وجعل لها أربعة أبواب: باب الكوفة لمن يأتي من الحجاز، وباب الشام لمن يأتي من المغرب[٥]، وباب البصرة لمن يأتي من البصرة والأهواز وفارس ونحوها، وباب خراسان لمن يأتي من المشرق، وبين كل باب وباب ألفا ذراع ومئتا ذراع، ونقل إليها أبواب واسط ـ التي نقلها الحجاج من مدينة بناها سليمان عليه السلام قريبة من واسط، ويقال لها: الزَّنْدَوَرْد؛ اتَّخذت لها الشياطين خمسة أبواب من الحديد؛ لا يقدر على عمل مثلها أحد من الناس، وخربت تلك المدينة ـ وجعل على كل باب سوراً[٦] وحُجَّاباً، وعلى كل باب قائداً، وجعل حولها الخنادق، وكان لا يدخل أحد راكباً من هذه الأبواب إلا عم المنصور داود بن علي؛ فإنه كان مُنَقْرَساً، فكان يُحمل على

---

(١) في (ب) و(خ): ومئة ألف جريب، والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٣٧٨، والمنتظم ٨/ ٧٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٦٥٥: أربعة آلاف ألف.

(٣) هذا الكلام من تتمة خبر الطبري وليس للخطيب، وإنما نقله الخطيب في تاريخه ١/ ٣٧٨ ـ وعنه ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٧٥ ـ عن بعض الكتب.

(٤) في تاريخ بغداد ١/ ٣٨١، والمنتظم ٨/ ٧٥: وزنها مئة وسبعة عشر رطلاً.

(٥) في (ب): من الغرب.

(٦) في النسختين: ستوراً، وانظر تاريخ بغداد ١/ ٣٨٤، والمنتظم ٨/ ٧٧.

مِحَفَّة، ومحمد المهدي.

وقال عبد الصمد بن علي للمنصور: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، عُدَّني بعضَ بغال الروايا التي تصل إلى الرِّحاب، فأمر أن تعمل قُنيّ الماء إلى المدينة فعملت.

قال المصنف رحمه الله: قول الخطيب: إلا داود بن علي وهم؛ لأن داود مات سنة ثلاث وثلاثين، ولم يُدرك من دولة بني العباس سوى ثمانية أشهر، وإنما القائل للمنصور سليمان بن علي.

وكانت مساحة قصر المنصور وجامعه الذي هو قائم اليوم أربع مئة ذراع في مثلها، وبنى القُبَّة الخضراء في ارتفاع ثمانين ذراعاً، وكانت ترى من أقصى بغداد، وعلى رأسها تمثال فرس عليه فارس.

وقال أبو القاسم التَّنوخي: كان على رأس القبة الخضراء صنم على صورة فارس بيده رمح، فكان إذا مدَّ الرمح واستقبل بعض الجهات عُلم أنه قد ظهر بها خارجي، فيَرِد الخبر بذلك.

وقال القاضي التنوخي: إن في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة في جمادى الآخرة كانت ليلة شديدة المطر والرعد الهائل والبرق؛ سقطت القبة الخضراء، وكانت تاجَ بغداد، ومأثرة بني العباس، وهو أول بناء بنوه، وكان بين بنائها وسقوطها مئة ونيف وثمانون سنة، وكانت محبس أبي جعفر، ومن دون القبة أربع قباب، وبنى على دجلة قصراً وسماه الخلد، فكان يكون تارة فيه وتارة في القبة[١].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حَدُّ بغداد من الصَّراة إلى باب التِّبن[٢] طولاً، والصراة وهي النهر الذي عليه القنطرتان بباب البصرة العتيقة والجديدة، وباب التبن هو مشهد موسى بن جعفر.

فأما عرضها فمن دجلة من الشرق إلى مكان غربي بغداد يقال له: الكَبْش والأَسَد، قريب من قبة إبراهيم الحربي، وكانت عنده أسواق عظيمة تمنع الماشي من المشي لكثرة الزحام، وهي اليوم مزارع وصحارى.

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٣، ٣٨٥، والمنتظم ٨/ ٧٨.
(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٠.

وكان الجامع مبنياً باللبن، فنقضه هارون وبناه بالآجُرّ، واسمه مكتوب عليه إلى اليوم، وإنما سُمِّيت الأماكن التي حولها بنهر طابق، ونهر القَلّايين، ونهر الدجاج لأنها كانت أنهاراً تدخل إلى المدينة، وقيل: إن القنطرة العتيقة من بناء الفرس.

ولما فرغ من بنائها قدم عليه رسول من الروم، فأمره أن يطوف في أقطارها فطاف، فقال له: كيف رأيتها؟ قال: رأيت أعداءك معك فيها، قال: ومن هم؟ قال: السوقة، فأمر بنقلهم ونقل الأسواق إلى الكَرْخ.

وقال الطبري: جعل لها ثمانية أبواب، أربعة خارجة وأربعة داخلة، وخطَّ جامعها الحجاج بن أرطاة، وقيل: إن قبلته على غير صواب، ويحتاج المصلِّي فيه أن ينحرف قليلاً إلى باب البصرة، وقبلة مسجد الرصافة أصوب.

وقال خالد بن الصلت: ولاني أبو جعفر على رُبع من أرباع المدينة، ففرغتُ منه، ورفعت إليه حساب النفقة وهو يحسب بيده، فبقي منها خمسة عشر درهماً، فحبسني أياماً حتى أدَّيتُها إليه.

ودخل يوماً فطاف في قصره، فأعجبه مكان فيه، فأراد أن يعلم ما أنفق عليه، فقال للمسيِّب: أحضر لي بنَّاء فارهاً، فأحضره فقال: كم غرم علي هذا القصر؟ فلم يردَّ عليه شيئاً، فخافه المسيب لأنه تولى بناءه فقال: تكلَّم، فلم يُحِر جواباً، فأخذ بيده وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال: ابن لي بإزاء هذا المجلس طاقاً، فبناه في يومين، فقال للمسيب: ادفع إليه أجرته على حسب ما عمل، فحاسبه المسيب فأصابه خمسة دراهم، فقال أبو جعفر: لا أرضى هذا، فنقصه درهماً، ثم أخذ المسيب والأمناء والبنّائين والمهندسين بحساب الطاق، فخرج على المسيب ستة آلاف درهم، فأخذه بها، فما خرج من القصر حتى حملها[1].

قال الخطيب: وعقد عليها المنصور ثلاثة جسور: جسر له ولخواصّه، وجسر للأجناد، وجسر للعامة[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٥١ ـ ٦٥٢، ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤٣٧، والمنتظم ٨/ ٨٠، وفيها أنه عقد ثلاثة جسور، أحدها للنساء....

ذكر كراهية سكنى بغداد

قد كره غير واحد من السلف سُكناها والمقام بها، وكان الفُضيل بن عياض لا يرى الصلاة فيها، قال: كانت مَبْقلة لأيتام، أخذها أبو جعفر منهم ولم يعطهم شيئاً، وكان ينهى أصحابه عن المقام بها ويقول: أخبثهم مؤدبهم(١).

وقال بشر الحافي: بغداد ضيقة على المتَّقين، ما ينبغي لمؤمن أن يقيم بها، قيل له: فهذا أحمد بن حنبل وأنت مقيمان بها؟! فقال: دفعتنا الضرورة إلى المقام بها كما دفعت الضرورة إلى أكل الميتة.

وسئل الإمام أحمد رحمة الله عليه عن مسألة في الورع فقال: لا أتكلم فيه وأنا آكل من غلَّة بغداد، إنما يتكلم فيه بشر الحافي لأنه لا يأكل من غَلَّتها.

وسئل أيضاً عن درهم من غلَّة بغداد فقال للسائل: أما غلة بغداد فأنت تعرفها، فأيش تسألني عنها؟

وقال سفيان الثوري: المتعبِّد في بغداد كالمتعبِّد في الكَنيف.

وكان ابن المبارك كلما أقام يوماً ببغداد تصدق بدينار.

وقيل: كانت تُمسح ويؤدَّى خراجُها، فلما بناها أبو جعفر لم تُمسح بعد ذلك.

وقال الخطيب: ابتاع أبو جعفر ما بين قنطرة البردان إلى الجسر ولم يؤدِّ ثمنه، ورفع ذلك إلى هارون وابنه المأمون فلم يؤدِّيا شيئاً.

وكان عبد الله بن المبارك يَذمُّ الزَّاهد الذي يسكن بغداد، فقال: [من الخفيف]

أيها الزَّاهدُ الذي لبس الصُّو ... ف وأضحى يُعدُّ في الزُّهَّادِ
الزم الثَّغْرَ والتعبُّدَ فيه ... ليس بغداد مسكنَ العبَّادِ
إن بغداد للملوك مناخٌ ... ومَحلٌّ للقارئ الصيَّادِ(٢)

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٢٩٣: أخبثهم مؤذنوهم.
(٢) انظر تاريخ بغداد ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦، ٣١٥ ـ ٣١٧.

ذكر من مدحها

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: يا أبا موسى، رأيت بغداد؟ قلت: لا، قال: ما رأيتَ الدنيا(١).

وقد مدحها جماعة من الشعراء، وقال طاهر بن المظفَّر بن طاهر الخازن شعراً ينشده: [من الطويل]

سقى الله صَوْبَ الغاديات محلَّةً ... ببغدادَ بين الكَرْخ فالخُلْد فالجسرِ
هي البلدةُ الحسناء خُصَّت لأهلها ... بأشياءَ لم يُجمعن مذ كنَّ في مصرِ
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصحَّةٍ ... وماءٌ له طعمٌ ألذُّ من الخَمْرِ
ودَجلتُها شَطَّان قد نُظما لنا ... بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قصرِ
تراها كمسكٍ والمياه كفضَّةٍ ... وحَصباؤها مثلَ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقال أبو محمد: [من الوافر]

على بغدادَ مَعْدنُ كلِّ طِيبٍ ... ومَغنى نُزهَة المتنزِّهينا
سلامٌ كلما جَرحَت بلَحْظٍ ... عيونُ المشتهين المشتهينا
دخلنا كارهين لها فلما ... أَلِفناها خرجنا مُكرَهينا
وما حبُّ الديار بنا ولكن ... أَمَرُّ العيش فُرقةُ مَن هَوينا

وقال محمد بن الهمذاني: [من الطويل]

فدًى لكِ يا بغداد كلُّ مدينة ... من الأرض حتى خِطَّتي وبلاديا
فقد طفتُ في شرق البلاد وغربها ... وسَيَّرتُ خيلي بينها ورِكابيا
فلم أر فيها مثلَ بغدادَ منزلاً ... ولم أر فيها مثلَ دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرقَّ شمائلاً ... وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائلٍ لو كان وُدُّكَ صادقاً ... لبغدادَ لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضها ... وترمي النَّوى بالمُقْتِرين المراميا

وقال علي بن محمد بن حَبيب: كتب إلي أخي من البصرة وأنا ببغداد: [من البسيط]

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٩٢، ٣٤٧، والمنتظم ٨/ ٨٤.

طِيبُ الهواء ببغداد يُصرِّفُني قِدْماً إليها وإن عاقَتْ مَعاذيرُ
فكيف صَبريَ عنها الآن إذ جمعتْ طِيبَ الهواءين مَمدودٌ ومَقصورُ(١)

ذكر حكم أراضيها

منع جماعة من العلماء بيع أرض بغداد، وأجازوا بيع أنقاضها دون أرضها، وبه قال الإمام أحمد وبشر الحافي رحمة الله عليهما، واحتجوا بأن عمر رضوان الله عليه وقف بغداد منه، وأجاز آخرون بيع أرضها وأنقاضها، واحتجوا بأن عمر رضوان الله عليه أقرَّ السَّواد في يد أهله، وأخذ منهم الخراج عوضاً عن الأرض، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه، فإن عنده أرض السواد مملوكة لأهلها، يجوز بيعها لهم وتصرفهم فيها؛ لأن عمر ﷺ ملكهم إياها(٢).

وقولهم: إن عمر رضوان الله عليه وقفها لا يصح، وإنما وقف الشام في الصحيح من الروايات، ووضع الخراج على السواد.

ذكر أحاديث في ذمها

عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون لبني عمي مدينة من قِبل المشرق، بين دجلة ودُجَيل وقُطْرُبُّل والصَّراة، تُشَيَّد فيها بالخشب والآجر والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتي، أما إن هلاكها على يد السُّفياني، كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها».

وفي رواية: «تكون مدينة بين دجلة والفرات، يكون فيها مُلك بني العباس، وهي الزَّوراء، تُذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم» فقيل لعلي رضوان الله عليه: لم سُمّيت الزوراء؟ فقال لأن الحرب تدور في جوانبها حتى تطبقها.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «تكون مدينة بين أنهار في أرض جوخى يقال لها: الزوراء، يسكنها جبابرة أمتي، يُعذَّب أهلها بأربعة أصناف:

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨.

(٢) انظر الخراج لأبي يوسف ٢٨، ٣٥، والمغني لابن قدامة ٦/ ٤٦٧، وشرح فتح القدير ٤/ ٣٥٩، وحاشية ابن عابدين ٤/ ١٧٧، وتاريخ بغداد ١/ ٢٩٢.

خسف ومسخ وقذف» قال البرقاني: ولم يذكر الرابع.

وحديث عن أنس لفظه: «تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيل، هي أسرع ذهاباً في الأرض من وَتِد الحديد في الأرض الرّخوة».

وهذه الأحاديث واهية الإسناد لا تثبت[١].

قال البيهقي: لما بنى أبو جعفر بغداد انتدب له جماعة منهم الغلابي وعمر بن يحيى وعمار[٢] بن سيف، وكانوا من غلاة المتشيعين، فوضعوا مثل هذه الأخبار ليُنفِّروا الناس عن سكنى بغداد، وتكثر الشناعات على أبي جعفر.

وحج بالناس السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس، وكان على مكة، والمدينة رياح بن عثمان المُرِّي[٣]، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سَلْم بن قتيبة الباهلي، وعلى خراسان المهدي ونُوَّابه بها.

وفيها توفي

إبراهيم بن حسن

ابن حسن بن علي بن أبي طالب في سجن أبي جعفر، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من العُبَّاد الزُّهَّاد الأجواد.

وله من الولد إسحاق، ويعقوب، وأم إسحاق، ورقية، وإسماعيل، أمهم رُبيحة بنت محمد بن عبد الله المخزومي، ومحمد، وعلي، وفاطمة، وحسنة لأمهات أولاد[٤].

---

(١) انظر هذه الأحاديث والكلام عليها في تاريخ بغداد ١/ ٣٣٢،٣٣٨، ٣٣٩، والموضوعات لابن الجوزي (٨٩٢ ـ ٨٩٦).

(٢) في (ب) و(خ): عثمان، والمثبت من المصدرين السالفين، فقد ورد من طريقه حديث جرير بن عبد الله البجلي، ولم يذكره المصنف.

(٣) في الطبري ٧/ ٦٤٩، والمنتظم ٨/ ٨٨ أن والي المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثي.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩.

إبراهيم بن عبد الله

ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو إسحاق، وقيل: أبو القاسم، وأمه هند بنت أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، وهو من الطبقة الخامسة من أهل المدينة.

وكان له من الولد: حسن، أمُّه أُمامة بنت عصمة بن عبد الله بن حَنظلة بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب. وعلي، لأم ولد.

وقد كان محمد بن عبد الله لما ظهر وغلب على مكة والمدينة وسُلِّم عليه بالخلافة؛ وجَّه أخاه إبراهيم هذا إلى البصرة، فدخلها أول يوم من رمضان سنة خمس وأربعين، فغلب عليها، وبَيَّض أهل البصرة معه، وخرج منهم ومعه عيسى بن يونس[1]، ومعاذ ابن معاذ، وعبَّاد بن العَوَّام، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وجماعة كبيرة من الفقهاء وأهل العلم، فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوال.

وقتل أخوه محمد بالمدينة، فلما بلغه ذلك استعدَّ وخرج يريد أبا جعفر وهو بالكوفة، وكان عيسى بن موسى بالمدينة، فكتب إليه أبو جعفر يأمره أن يُقبل إلى الكوفة، وكان قد أحرم بعمرة، فرفضها وأقبل إلى أبي جعفر، فوجَّهه في القُوَّاد والجند والسلاح إلى إبراهيم، وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كبيرة أكثر من جماعة عيسى، فاقتتلوا بباخمرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، وانهزم حُميد بن قَحْطبة وكان على مقدمة عيسى، وانهزم الناس معه، وعيسى يناشدهم الله فلا يَلْوون عليه، ومرُّوا منهزمين، وقال عيسى لحميد: الله الله في الطاعة، فقال: لا طاعة في الهزيمة.

ولم يبق مع عيسى أحد بينه وبين عسكر إبراهيم، وثبت عيسى في مئة رجل من خاصَّته وحشمه، فقيل له: لو تَنَحَّيتَ من مكانك حتى يَثوبَ الناس إليك فتَكُرَّ بهم، فقال: لا أزول من مكاني هذا حتى أُقتل أو يفتح الله علي، ولا يقال: إنه انهزم.

وتقارب الفريقان، وإذا قد أقبل فارس نحو عسكر إبراهيم قد عصب رأسه بعصابة

---

(١) في (خ) و(ب): عيسى بن موسى ويونس، والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٣٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٣٤، وسيرد أن عيسى بن موسى سار إلى إبراهيم وقاتله حتى استأصله.

صفراء، وغيَّر لَأمته، وإذا به حُميد بن قَحطبة، ورجع معه مَن كان قد انهزم، وخالطوا عسكر إبراهيم، واقتتلوا قتالاً شديداً؛ حتى قتل الفريقان بعضهم في بعض، وجاء إبراهيم سهم عائر لا يُدرى مَن رمى [به]، فوقع في حلقه فنحره، فتنحَّى عن موقفه وقال: أنزلوني، فأنزلوه وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] أردنا أمراً وأراد الله غيره.

ثم جعل أصحابه يقاتلون دونه ويحمونه، ورأى حُميد اجتماعهم فأنكره، فقال لأصحابه: شدوا على تلك الحال على الجماعة، فشَدُّوا عليهم حتى أفرجوهم عن إبراهيم، ونزلوا فحَزُّوا رأسه وأتوا به عيسى بن موسى، فنزل وسجد، وبعث به إلى أبي جعفر.

وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة وهو ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قُتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام، هذا قول ابن سعد[(١)].

وقال الطبري: لما أُهبط آدم من الجنة صَعِد على أبي قُبَيس، فوضع الله له الأرض حتى رأى جميع ما فيها، وقال الله له: هذه كلها لك، قال: يا رب، كيف أعلم ما فيها؟ فقال: إذا رأيت نجم كذا كان كذا، فكان يعلم ذلك بالنجوم.

ثم أنزل الله عليه مرآة يرى بها ما في الأرض، فلما مات آدم عليه السلام أخذها فقطس الشيطان، فكسرها، وبنى عليها مدينة جابرت بالشرق، فلما كان سليمان عليه السلام استدعى فقطس وطلبها منه، فأخرب جابرت وأتاه بها، فكان ينظر فيها فيرى ما في أقطار الأرض، حتى مات سليمان، فوثب بعض الشياطين عليها فذهب بها، وبقيت منها بقية، فتوارثها بنو إسرائيل، حتى صارت إلى رأس الجالوت، فأُتي بها إلى مروان ابن محمد، فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى، فيرى فيها ما يكره، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت، ودفعها إلى جارية له، فجعلتها في كُرسفة في حَجَر.

فلما ولي أبو جعفر الأمر سأل عنها، فأُحضرت إليه، فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى ما فيها، ويرى عدوَّه من صديقه، فكتب إلى رياح بن عثمان: إن

(١) طبقاته ٧/ ٥٤٠، وما بين معكوفين منه.

محمداً في بلاد فيها الأُتْرجُّ والعنب، وببلاد فيها كذا وكذا فاطلبه، وتارة هو في [شعب من] شِعاب رَضوى، فكان يطلبه، ثم نظر يوماً فيها فقال: محمد وإبراهيم معي في عسكري بالكوفة، وطلبهما أشدَّ الطلب، فمضى محمد إلى المدينة، وإبراهيم إلى البصرة، وخرجا عليه(١).

قال المصنف رحمه الله: وليس العجب من الطبري؛ فإن من عادته أن يأتي بالغرائب والعجائب، وإنما العجب من جدّي أن يحكي مثل هذا في «المنتظم»، وهذا شيء تأباه العقول السليمة والأذهان الصحيحة، وكيف يرى محمداً وإبراهيم ولا يعرف مكانهما؟

وقال غيره: لما حبس أبو جعفر عبد الله وأهله أشفق محمد وإبراهيم منه، فخرجا إلى عدن، ثم مضيا إلى الهند، ثم عادا إلى الكوفة وبها أبو جعفر، وكاتبهما قوم من شيعتهما بالكوفة، ووعدوهما أن يثوروا بأبي جعفر.

ومضى إبراهيم إلى البصرة، ودعا الناس فأجابه خلق كثير، ثم أظهر الدعوة، وغلب على البصرة والأهواز وفارس، وأقام ظاهراً عليها حتى قُتل أخوه محمد بالمدينة، فلما قتل ازداد الناس حرصاً على قتال أبي جعفر، فخرج إبراهيم في رمضان في مئة ألف، فقال عفان بن مسلم الصَّفَّار: حَزرتُ عسكر إبراهيم فإذا به أقل من عشرة آلاف.

وقيل: إن مقدم إبراهيم البصرة كان في سنة ثلاث وأربعين مُنصرَفَ الناس من الحج، وكان الذي أقدمه وعادله في محمله يحيى بن زياد بن حسان النَّبَطيّ، وأنزله منزله، وقام بأمره، وبايعه الناس سراً إلى سنة خمس وأربعين.

وكان إبراهيم يقول: تنقَّلتُ في البلاد؛ حتى دخلت على أبي جعفر، وأكلتُ على مائدته، وخرجتُ وقد سكن الطَّلَبُ عني، ولما خط بغداد كاتبني قوم من أصحابه وقالوا: اقدم علينا، فقدمت وأبو جعفر ببغداد نازل في الدَّير وقد خطَّ البناء.

وروي أن المنصور قال للمسيب: والله إن إبراهيم معي في عسكري، ثم خرج ينظر إلى القنطرة العتيقة التي أمر ببنائها على الصَّراة؛ فوقعت عينه على إبراهيم، فاندس في

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥، والمنتظم ٨/ ٤٧، وما بين معكوفين منهما.

الناس، وأتى قائداً فلجأ إليه، ولجَّ أبو جعفر في طلبه.

وكان مع إبراهيم رجل يقال له: سفيان العَمِّي، فاحتال في إخراجه، ومضى إلى البصرة، وغلب عليها، وأخذ عاملها سفيان بن معاوية فحبسه، ووجد في بيت مالها ست مئة ألف ففرَّقها، وعزم على قصد الكوفة.

وبلغ أبا جعفر، فكتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة: إذا قرأت كتابي هذا فدع ما أنت فيه واقدم عاجلاً، ولم يكن عند أبي جعفر سوى ألفي رجل، وكانت عساكره متفرقة مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، وبإفريقية أربعون ألفاً، فكتب إلى سَلْم بن قتيبة فقدم عليه من الرّيّ، فاستعمله على ميسرة عيسى وقال: لا يَهولنَّك جمعُ إبراهيم؛ فوالله إن ابني عبد الله لجملا بني هاشم المقتولان جميعاً. وأقام على الميمنة حُميد بن قَحطبة.

وقال السندي بن شاهك: لما استفحل أمر إبراهيم أقام المنصور نيفاً وخمسين ليلة في مُصلّاه، ينام عليه ويقعد عليه، وعليه جُبَّة صوف قد اتَّسخ جَيبُها، فما غيَّرها، وهجر اللذات والنساء، وأُهديت إليه في تلك الأيام امرأتان إحداهما فاطمة بنت محمد ابن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، والأخرى أمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أَسيد بن أبي العِيص، فلم يلتفت إليهما ولا رآهما، قيل له في ذلك فقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء حتى أعلم رأس إبراهيم لي أو رأسي له.

وكان جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي قد أخرجهما إبراهيم من البصرة، فكتبا إلى أبي جعفر يخبراه بخبر إبراهيم، فبعث إليهما خيلاً، وأمرهم أن يقيموا معهم، وكتب إليهما يُوبِّخُهما، ويُعجِّزهما في خروج إبراهيم، وكتب في أسفل كتابه: [من البسيط]

بلِّغ بني هاشمٍ عني مُغَلْغَلَةً ... فاستيقظوا إن هذا فِعلُ نُوَّامِ
تعدو الذئابُ على مَن لا كلابَ له ... وتتَّقي مَرْبِضَ المستيقظ الحامي

وقال الحجاج بن قتيبة بن مسلم: دخلت على أبي جعفر وقد جاءه فَتْقُ البصرة وفارس والأهواز، وهو يَنكت الأرض ويتمثل: [من الكامل]

ونَصبتُ نفسي للرِّماح دَريئةً ... إن الرئيس لمثل ذاك فَعولُ

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت على عدوك كما قال الأعشى: [من المتقارب]

وإنْ حَـرْبُـهـم أُوقِـدَتْ بـيـنـهـم فـحَـرَّت لـهـم بـعـد إبـرادِهـا
وُجِـدتَ صَـبـوراً عـلـى رُزْئـهـا وكَـرٍّ الـحـروب وتَـردادِهـا[١]

فقال: يا حجَّاج، قد عرف إبراهيم صعوبةَ جانبي، وإنما جَرَّأه على الخروج أهلُ البصرة والأهواز وغيرها، ثم استرجع وقال: قد استعنت عليه بالله تعالى، ولا قوة إلا به.

قال: ودخلت عليه والعساكر محيطة به، ولقد كان عليه مئة ألف سيف بالكوفة كامنة بإزاء عسكره، ينتظرون صيحة واحدة فيثبون به، فوجدتُه صقراً أحوزيًّا مُشَمِّراً، قد قام إلى ما نزل به من النَّوائب يَمرُسها، وإنه كما قيل: [من الرجز]

نَـفْـسُ عـصـامٍ سَـوَّدتْ عِـصـامـا وعـلَّـمـتْـه الـكَـرَّ والإقـدامـا
وصـيَّـرتْـه مَـلـكـاً هُـمـامـاً[٢]

وقال أبو عبيدة: أُهديت التميمية[٣] إلى أبي جعفر في تلك الأيام فما نظر إليها، وكان إبراهيم قد تزوج بالبصرة نهيكة[٤] بنت عمر بن سلمة، فكانت تأتيه في مُصَبَّغاتها وألوان ثيابها.

ذكر مسير إبراهيم إلى أبي جعفر

قال: ولما عزم إبراهيم على قصد أبي جعفر أشار عليه جماعة من قُوَّاده أن يقيم بالبصرة ويبعث الجنود، فإن ظهروا عليهم أمدَّهم بغيرهم.

وقال أهل الكوفة: إن بالكوفة أقواماً لو رأوك لماتوا دونك، فما زالوا به حتى سار نحو أبي جعفر.

وقال عبد الله بن جعفر المديني: خرجتُ مع إبراهيم ليلة يطوف في عسكره، فسمع أصوات طَنابير وغناء، فقال: ما أطمع في نصر عسكر هذا فيه.

---

(١) ديوانه ١٢٣ ـ ١٢٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٤٠ ـ ٦٤١.
(٢) الأبيات للنابغة الذبياني، وهي في ديوانه ١١٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٤١ .
(٣) في الطبري ٧/ ٦٤١ : اليتيمة.
(٤) في تاريخ الطبري ٧/ ٦٤١، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤٥ : بهنكة.

وسار إليه عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً، وحُميد بن قَحطبة على مُقدّمته في ثلاثة آلاف، وودَّعهم أبو جعفر إلى بعض الطريق، وعاد إلى البصرة في نفر يسير.

وقال أوس بن مهلهل: لما سار إبراهيم من البصرة سبق أصحابه يرتاد لهم منزلاً، فسمعته يقول: [من الوافر]

أمورٌ لو تدبَّرها حليمٌ ... إذاً لنهى وهَيَّب ما استطاعا
ومَعصيةُ الشَّفيقِ عليك مِمّا ... يَزيدك مرّةً منه استماعا
وخيرُ الأمر ما استعجلْتَ منه ... وليس بأن تَتَبَّعَه اتِّباعا
ولكنَّ الأديمَ إذا تَفرَّى ... بِلًى وتَعَيُّناً غلب الصَّناعا

فعلمت أنه ندم على مسيره[١].

ولما توسط إبراهيم المنازل قال له عبد الواحد بن زياد[٢] بن لبيد: إن هذه بلاد قومي وأنا أعرف الناس بها، فلا تقصد قصْد عيسى، ولكن دعني أسلك بك طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت بالكوفة معه، قال: لا، فقيل له: إنك غير ظاهر على هذا الأمر حتى تأخذ الكوفة، فإذا أخذتَها هرب إلى حُلوان فسرتَ إليها، فلم يقبل.

ولما نزل باخمرى قيل له: خَنْدِقْ عليك، فقال أصحابه: نحن في مئة ألف لا يُخندق علينا، وقيل له: كَرْدِس أصحابَك كراديس فإن الصف ينتقض، وكلما انهزم كردوس لقي آخر، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤][٣].

وقال له المضاء لما نزلوا باخَمرى: إن هؤلاء القوم مُصَبِّحوك غداً بما يَسدُّ عين الشمس من السلاح، وأصحابك عراة، فدعني أُبيِّتهم وأُشَتِّت جموعهم، فقال: إني أكره البَيات والقَتْل، فقال له المضاء: تكره القتل وتطلب الملك.

وقال عيسى بن موسى: لما فَصلتُ عن أبي جعفر قال لي: إن هؤلاء الخُبثاء ـ يعني المنجِّمين ـ يزعمون أنك مُلاقي إبراهيم، وتكون لك جولة، ثم تظفر وتفيء إليك أصحابك.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٣، والأبيات للقطامي وهي في ديوانه ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) في(ب) و(خ): يزيد، والمثبت من الطبري ٧/ ٦٤٣.
(٣) في الطبري ٧/ ٦٤٤ أن قائل ذلك أصحاب إبراهيم لا هو.

قال عيسى: فلما التقينا انهزم عني أصحابي، وبقيت في ثلاثة أو أربعة، فقال لي مولى لي: ما وقوفُك وقد ذهب الناس؟ فقلت: والله لا نظر أهل بيتي إلى وجهي وقد انهزمتُ عن عدوي وعدوّهم، فوالله لكان أكثر ما ترى أنني كنت أقول للمُنهَزِمة: أقرئوا أهلَ بيتي مني السلام وقولوا لهم: إني لم أجد ما أفديكم به غير نفسي، فبينا نحن كذلك إذ جاء محمد وجعفر ابنا سليمان بن علي إبراهيمَ من وراء ظهره، فكرُّوا عليهم، ورجعنا نحن من ورائهم، ووالله لولا ابنا سليمان لافتضحنا.

وكان من صنع الله بنا أن أصحابنا لما انهزموا اعترض لهم يومئذ نهر، ولم يجدوا مَخاضة، فكروا راجعين إلينا فكان الفتح. وكان بَثَقَ البُثوقَ قومٌ من أصحاب أبي جعفر فأصبح عسكر إبراهيم في الوحل والماء[1]، وقيل: بل إبراهيم بثق البثوق ليكون القتال من جهة واحدة، فلما انهزم أصحاب عيسى منعهم الماء من الهرب، فرجعوا، وثبت إبراهيم في خمس مئة، وقيل: في سبعين، فجاءه سَهْم عائر، فوقع في نحره فسقط، واجتمع أصحابه يقاتلون دونه، وجاءهم حُميد بن قَحطبة فقاتلهم فانفرجوا عنه، فنزلوا وحَزُّوا رأسَه.

وقيل: إن الحرَّ آذاه، فحلَّ أزرار قَبائه، وحسر الزَّرَد عن لَبَّته، فجاءه سهم فوقع في نحره، فاعتنق فرسه وكرَّ راجعاً، وأحاطت به الزيدية.

وفي رواية: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم الرايات، فنادى منادي إبراهيم: لا تتبعوا مُدبراً، فكرَّت الرايات راجعة، ورآها أصحاب عيسى فرجعوا، فكانت الهزيمة.

وقُتل أصحاب عيسى، وبلغ أوائلهم الكوفة، فقال أبو جعفر: أعِدُّوا لنا الدواب والإبل، وكان عزمه أن يقصد الريّ.

وكان نوبخت المنجِّم قد دخل عليه عند مسير عيسى فقال: يا أمير المؤمنين، الظَّفَر لك وسيقتل إبراهيم، فلم يقبل منه ذلك، فقال: احبسني عندك؛ فإن لم يكن الأمر كما قلت وإلا فاقتلني، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بقتل إبراهيم، فقال أبو جعفر: [من الطويل]

---

(١) في (ب) و(خ): يوم من أصحاب أبي جعفر فأصلح... والتصويب مستفاد من تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٦، ونصُّ عبارته: كان بباخمرى ناسٌ من آل طلحة، فمخروها على إبراهيم وأصحابه، وبثقوا الماء، فأصبح أهل عسكره مرتطمين بالماء.

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى[1]

وأقطع نوبخت ألف جَريب بنهر جَوْبَر[2] ، وأتي برأس إبراهيم إلى الكوفة ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة، فأمر به أبو جعفر فنُصِب في السوق.

وقيل: إن الرأس لما وُضع بين يدي أبي جعفر جعلت دموعه تسيل على خدِّ إبراهيم، ثم قال: والله إنْ كنتُ لهذا لكارِهاً، ولكن ابتُليتَ بي وابتليتُ بك.

ولما وُضع الرأس بين يدي أبي جعفر ودخل الناس؛ جعل كلٌّ واحدٍ يُسيءُ القولَ في إبراهيم وينال منه، يلتمسون رضا أبي جعفر، وأبو جعفر ساكت متغيِّر اللون، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانيّ فقال: عظَّم الله أجرَكَ يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغَفر له ما فرط منه في حقِّك، فأسفر وجه أبي جعفر، وأقبل عليه وقال: مرحباً وأهلاً يا أبا خالد، إلى هنا إلى هنا، فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه موقعاً، فدخلوا وقالوا مثل قول جعفر.

وقد رثى إبراهيم جماعة منهم: عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال:

يا صاحبيَّ دعا الملامَةَ واعلما ... أن لستُ في هذا بألومَ منكما
وقفا بقبر ابنِ النبي هُديتما ... لا بأس أن تقفا به وتسلما
قبر تضمَّن خيرَ أهلِ زمانه ... حَسَباً وطيبَ سجيَّةٍ وتكرُّما
شَهْمٌ نفى بالعدلِ جَوْرَ زمانه ... ولقي عظيماتِ الأمور وأنعما
لم يَجتنبْ قصْدَ السبيل ولم يَجُرْ ... عنه ولم يفتح بفاحشةٍ فما
ضحَّوا بإبراهيم في يوم الوَغى ... فتصرَّمت أيامه وتَصرَّما
بطلٍ يخوض بنفسه غَمراتها ... لا طائشاً رعشاً ولا مُستسلما
أضحى بنو حسنٍ أُبيح حَريمُهم ... فينا وأصبح نَهبُهم مُتَقَسَّما
ونساؤهم في دورهنَّ نوائحٌ ... سَجْعَ الحمام إذا الحمامُ ترنَّما

(١) تمامه: كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ، انظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٨ .

(٢) في (ب) و(خ): بنهر حور، والمثبت من الطبري ٧/ ٦٤٨، وفي الكامل ٥/ ٥٧١ : حويزة، ولعل الصواب: نهر جوبرة، كما ذكر ياقوت في معجمه.

يـتـوسَّـلـون بـقـتـلـهـم ويـرونـه ... شَـرفـاً لـهـم عـنـد الإمـام ومَـغـنـمـا
والله لـو شـهـد الـنـبـيُّ مـحـمـدٌ ... صـلـى الإلـه عـلـى الـرسـول وسـلَّـمـا
إشـراعَ أمـتـه الأسـنَّـةَ لابـنـه ... حـتـى تـقـطَّـرَ مـن ظُـبـاتـهـم دَمـا
حـقًّـا لأيـقـن أنـهـم قـد ضـيَّـعـوا ... تـلك القرابةَ واستحلُّوا الـمَـحْرَمـا(١)

وقال الهيثم: لما خرج إبراهيم بالبصرة صعد أبو جعفر المنبر وقال: [من البسيط]

ما لي أُكفكفُ عن سعد ويَشتُمني ... ولـو شـتـمـتُ بـني سعد لـقـد سـكـنـوا
جَـهـلاً عـلـيـنـا وجُـبـنـاً عـن عـدوِّهـم ... لـبـئـسـت الـخَـلَّـتـان الـجَـهْـلُ والـجـبـنُ

ثم قال: أما والله لقد عَجزوا عن أمرٍ قُمنا به، فما حَمِدوا القائم، ولا عَضدوا الكافي، ولا شكروا المنعم، أشرب منها رَنْقاً على غَصَص، وأبيت على مَضض، كلا والله إني لا أصل ذا رَحِمٍ بقطيعة نفسي، ولئن لم يُرْضَنَ مني بالعفو ليُطْلَبَنَّ ثم لا يوجد عندي(٢). وذكر كلاماً طويلاً.

وكان فقهاء الكوفة والبصرة يُحرِّضون الناس على القتال مع محمد وإبراهيم، فقال عبد الله بن إدريس: رأيت أبا حنيفة وهو قائم على درجته، ورجلان يستفتيانه في الخروج مع محمد وإبراهيم فقال: أسرعا ولا تَنِيا.

وقال الأعمش لجماعة من أعيان الكوفة: ما يُقعدكم عنه؟ والله لو كنت بصيراً ما سبقني إليه أحد.

وقال هشام بن حسان: قاتلوا أبا الدوانيق.

وسئل شعبة عن هذا فقال: القتال مع إبراهيم مثل القتال ببدر الصغرى.

وكان صالح المُرِّي بالبصرة يخطب ويقول: قاتلوا المارق مع ابن رسول الله ﷺ وابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

وكان بشير الرحَّال يقصُّ بالبصرة على الناس، ويعرِّض بأبي جعفر ويقول: العصبي من العصبة، ما أشبه الليلة بالبارحة، أيها الناس، قاتلوا مَن أماتوا الكتاب والسنة،

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٩٢، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٠٣، ومروج الذهب ٦/ ١٩٦.

وعطَّلوا الحدود، ودَعَوا إلى طاعتهم دون طاعة الله.

وكان يمشي في الأسواق ويقول: أيها الناس، كنتم تلتمسون رجلاً يقوم بالعدل فقد أتاكم الله به، فانصروه تَرشدوا، وقوموا معه تُفلحوا، فمَن قَدَر على الخروج بنفسه فليخرج، ومن لم يقدر فليُعنه بالمال والسلاح، ثم يقول: [من الرجز]

أبا الدَّوانيقِ لقيتَ غيّا ... ابرُزْ تُلاقي أسداً شَرِيّا
أبيضَ يدعو جدَّه عليا ... وجدُّه لأمه النبيَّا
وأنت تدعو الجدَّ بَرْبَرِيّا

واختلفوا في المكان الذي قُتل فيه إبراهيم فقيل: باجَمرا وباجُميرا، بجيم وراء مهملة، وباخمرا بخاء، وباخُميرا بخاء معجمة وراء مهملة، قال الجوهري: باخَمرا مكان بالبادية وبه قبر إبراهيم بن عبد الله بن حسن[(١)]، وقد أشار إليه دِعْبِل فقال: [من الطويل]

قبورٌ بكُوفانٍ وأخرى بطَيبةٍ ... وأخرى بفَخٍّ مالها صَلواتي
وأخرى بأرضِ الجُوزَجانِ محلُّها ... وقبرٌ بباخَمْرى لدى الغرفات[(٢)]

وقال أبو اليقظان: لما وُضع رأس إبراهيم بين يدي المنصور قال للربيع: اذهب به إلى أبيه وأهله - وكانوا في السجن - فجاء الربيع بالرأس إلى عبد الله، فرآه يُصلّي، فقال له: أسرع فلما سَلَّم نظر إلى الرأس، فأخذه فوضعه في حجره وقال: رحمك الله أبا إسحاق، لقد وفيتَ بعهد الله ولم تَنقُضِ الميثاق، فقال له الربيع: فكيف كان في نفسك[(٣)]؟ فقال كان والله كما قال القائل: [من الطويل]

فتًى كان يحميه من العار سَيفُه ... ويكفيه سوءاتِ الذُّنوب اجتنابُها

ثم قال للربيع: قل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام، والملتقى[(٤)] بيننا القيامة، والحاكم الله، فأبلغه ما قال الربيعُ، فما رأيته منكسراً مثل انكساره حين قلتُ له.

---

(١) صحاح الجوهري (خمر).

(٢) مروج الذهب ٦/ ١٩٥، وديوانه ص٨٠.

(٣) في مروج الذهب ٦/ ٢٠٢: كيف كان حال أبي القاسم في نفسه.

(٤) من هنا وقع سقط في (ب) يمتد ثلاث صفحات إلى بداية ترجمة حسن بن حسن.

وقد رُوي أن عبد الله مات قبل مقتل محمد ابنه، وإبراهيم قُتل بعد محمد.

قال البلاذري: حمل رأس إبراهيم ومحمد إلى خراسان فطِيف بهما، ثم رُدَّا إلى بغداد، فدفنهما الذي حملهما في منزله بدرب أبي حنيفة[١].

وقال حُميد بن قَحطبة: دخلت على أبي جعفر وبين يديه مَصارينُ البطِّ مَحشوَّةٌ بالملح والسكر فقال: أين إبراهيم؟ أراد أن يحول بيني وبين هذا.

ثم خطب أبو جعفر أهلَ الكوفة فنال منهم وسبَّهم وقال: يا أهل هذه المَدَرَة السوداء الخبيثة، بلغني أنكم تقولون: سمع في عسكر إبراهيم قائلاً يقول: أَقْدِم حَيْزُوم، تُشبِّهونه بعسكر رسول الله ﷺ يوم بدر، أكفارٌ نحن؟ لعنكم الله ولعن مَدَرَتكم، تُريدون قتالي إن ظهر إبراهيم؟ قد بلغني أن فيكم مئة ألف سيف معه، والعجب للحجاج كيف لم يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم وقد كان ناصحاً لبني أمية، فقام إليه المسيّب بن زهير الضَّبِّي وقال: والله ما سبقنا الحجاج إلى أمر تخلَّفنا عنه، وما خلق الله أعزَّ علينا من نبينا ﷺ، وقد أَمَرْتَنا بقتل أولاده فأطعناك، فهل نصحناك؟ فقال له أبو جعفر: اقعد لا قعدت[٢].

وقال أبو عمرو بن العلاء: حضرتُ مجلسَ إبراهيم بن عبد الله، ففقد رجلاً من أصحابه، فسأل عنه فقال له رجل: تركتُه يريد أن يموت، فضحك بعض القوم وقال: في الدنيا أحدٌ يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربية، معنى يريد: يكاد، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] أي: يكاد، فقلت له: ما نزال بخير ما دام فينا مثلك[٣].

وقال المدائني: كتب أبو جعفر إلى أهل المدائن بعد مقتل إبراهيم ومحمد أبياتاً لسُبَيع بن ربيعة بن معاوية اليَربوعيّ، وهي: [من الطويل]

ولولا دِفاعي عنكمُ إذ عَجزتُم ... وبالله أَحمي عنكمُ وأدافعُ
لكنتم ذُنابى أهلِ مروانَ مثل ما ... عهدناكمُ والله مُعْطٍ ومانعُ

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٤٥.

(٢) مروج الذهب ٦/ ١٩٨، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤١.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٠.

لضاقت[١] أمورٌ منكمُ لا أرى لها ... كُفاةً وما لا يَحفظُ الله ضائعُ
فسَمُّوا لنا مَن طَحْطَحَ الناسَ عنكمُ ... ومَن ذا الذي تُحنى عليه الأضالعُ
وما زال منّا قد علمتم عليكمُ ... على الدَّهرِ إفضالٌ يُرى ومنافعُ
وما زال منكم أهلُ غَدرٍ وجَفْوَةٍ ... وبالبغي[٢] مُغتَرٌّ وللرَّحْم قاطعُ
ودَبَّ رجالٌ للرِّياسةِ منكمُ ... كما دَرَجَتْ تحت الغَديرِ الضَّفادِعُ

ثم كتب في أسفل الكتاب: والله لقد عجزوا عن أمرٍ قُمنا به، فما شكروا، ولقد مهَّدوا فاستوعروا، والله لا أكرم أحداً بإهانة نفسي، ولئن لم تقبلوا الحق لتَطلُبُنَّه ثم لا تجدونه[٣]، والسَّعيد مَن وُعِظ بغيره.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: لما قُتل إبراهيم بباخمرا حَشَرنا أبو جعفر من المدينة، فلم يدع بها [منا] محتلماً، فقدمنا الكوفة عليه، فأقمنا ببابه شهراً نتوقَّع القتل، فخرج إلينا بعد ذلك الربيع الحاجب فقال: أين هذه الغلومة[٤]؟ فقلنا: ها نحن، فقال: ليدخل على أمير المؤمنين رجلان من ذوي الحِجا.

قال جعفر: فدخلتُ عليه والحسن بن زيد، فلما صرنا بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: أنت الذي يُجبى إليه الخراج؟ قلت: إنما يُجبى الخراجُ إلى أمير المؤمنين. قال: هل تدرون لم دعوتُكم؟ قلت: لا قال: أردتُ أن أهدِم ديارَكم، وأُغوِّرَ قُلُبَكم، وأقطع نخيلكم، وأُنزلكم بالسَّراة بحيث لا يجيئكم أحد من أهل العراق ولا من غيره؛ فإنهم لكم مفسدة.

فقلت: إن سليمان ملك فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك السِّنخ. فتبسم وقال: أعِد، فأعدتُ، فتبسم وقال: مثلُك يكون زعيم القوم، قد عفوتُ عنكم، ووهبتُ لكم جُرمَ أهل البصرة.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٩٥ : لضاعت.
(٢) في الطبري وأنساب الأشراف ٣/ ٣٠١ : وبالله.
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٩٢ : والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبنه ثم لا يجدونه عندي.
(٤) في الفرج بعد الشدة ١/ ٣١٣ : أين هؤلاء العلوية.

ثم قال: حدِّثني عن آبائك، فقلت: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عن علي[١] عليه السلام. قال: قال رسول الله ﷺ: «صِلةُ الرَّحم تعمرُ الدِّيار، وتُطيل الأعمار، وإن كانوا كفاراً».

قال: ما أردتُ هذا.

فقلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ: «إن الأرحام معلَّقةٌ بالعرش تنادي: يا رب، صِلْ مَن وَصَلني، واقطع من قطعني». فقال: ما أردْتُ هذا.

قلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن ملكاً من ملوك الأرض كان قد بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه، فجعلها الله ثلاثين سنة». فقال: هذا أردت. ثم أكرمَنا ووصَلَنا وردَّنا إلى المدينة.

حسن بن حسن

[ابن حسن] بن علي بن أبي طالب[٢]، أبو جعفر[٣]، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كان من العلماء الزهَّاد، مات في السجن بالكوفة في الهاشمية.

وكان له من الولد: عبد الله، مات في السجن أيضاً. وعلي السجَّاد، سمِّي بذلك لعبادته، مات أيضاً في السجن، كان يسجد في كل يوم ألف سجدة، وكان أفضلَ أهل زمانه نُسكاً وورعاً وعبادة، ولا يتناول لأحد من أهله طعاماً ولا تمرة، ولا من الأقطاع التي أقطعهم[٤] أبو العباس وأبو جعفر، ولا يتوضّأ من تلك العيون، ولا يشرب منها، وكان السجان يحبّه ويكرمه، ويَلطف به لما يرى من عبادته، وولده حُسين بن علي الخارج بفخّ في زمن الهادي، وسنذكره إن شاء الله.

وحسين[٥]، أمهم أم حبَّان بنت عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر مُلاعب الأسِنَّة بن

(١) في (خ): عن جده عن علي.

(٢) ما بين معكوفين من طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٨، وتهذيب الكمال (١١٩٨)، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٤٤.

(٣) في طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩ أنها كنية ولده عبد الله.

(٤) هنا ينتهي السقط في (ب) المشار إليه قبل صفحات.

(٥) في طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩، ونسب قريش ٥٦، وجمهرة ابن حزم ٤٢: وحسن، والمثبت موافق لنسخة =

مالك بن جعفر بن كِلاب. وعباس بن حسن مات في السجن أيضاً، وأمه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو التيمي. وعلي الأصغر بن حسن، وفاطمة، أمهما أم حَبيب بنت عمر بن علي بن أبي طالب. وأم سلمة، وأم كلثوم ابنتا حسن، وهما لأم ولد.

وقال الخطيب: كان السفاح قد اختصّ بعبد الله بن حسن بن حسن اختصاصاً كلياً، بحيث كان يقعد معه بغير سراويل في قميص واحد، وكان يعدُّه والداً، وكان يسأله عن ابنيه محمد وإبراهيم كثيراً، فقال عبد الله يوماً لأخيه الحسن: إنه قد أكثر في طلبهما، فقال له حسن: إذا سألك عنهما فقل: علمُهما عند عمهما الحسن، فدعا الحسن وسأله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين، أكلِّمُك كما يكلم الرجل ابنَ عمه، أم بهيبة الخلافة؟ قال: بل كما يكلم الرجل ابن عمه، قال له: أنشدك الله، إن كان قد قُدِّر لمحمد وإبراهيم أن يليا من أمور الناس شيئاً، فجهدت أنت وأهل الأرض أن يردوا ما قدَّر الله لهما؛ أتقدرون على ردِّه؟ قال: لا. قال: فأنشدك الله، إن كان الله لم يُقدِّر لهما من الأمر شيئاً، فاجتمع أهل الأرض أن ينالا مالا قُدِّر لهما أينالاه؟ قال: لا. قال: فما تنغيصك على هذا الشيخ النعمة التي أنعمتَ بها عليه كلّ وقت تطلبهما منه؟ فقال أبو العباس: لا أذكرهما بعد اليوم، فما ذكرهما حتى فرَّق الموت بينهما.

وكانت وفاة الحسن في ذي القعدة بالهاشمية في حبس أبي جعفر وله ثمان وستون سنة[١].

رياح بن عثمان المُرِّيّ

وهو ابن عم مُسْرِف بن عُقبة المُرِّيّ الذي بعثه يزيد بن معاوية إلى المدينة فأباحها ثلاثاً، وفعل فيها ما فعل.

ولما انتشر أمر إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن استشار أبو جعفر عيسى بن موسى فيمن يوليه المدينة فقال: ولِّ رجلاً من أهل بيتك له خبرة بالأمور، ومُره بالبحث

= من طبقات ابن سعد.

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، والمنتظم ٨/ ٩٠، وتهذيب الكمال (١١٩٨).

عن أمرهما، فقال: إن ولَّيتُ رجلاً من أهل بيتي يمنعه الرحم والقرابة من مكروههما وطلبهما، فقال: ولِّ رجلاً من أهل العراق فقال: إن أهل العراق قد امتزجت محبة علي بن أبي طالب بدمائهم وأبشارهم، فيمنعه ذلك منهما، ولكن أهل الشام قاتلوه وسفكوا دم أولاده هم وأبناؤهم، فقد توارثوا بُغضه، ورياح بن عثمان المري ابن عم مسرف بن عقبة؛ قد فعل بأهل المدينة ما فعل، فولاه، وأمر بطلبهما، فدخل المدينة، وصعد المنبر وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ١٣]، أنا ابن عم مسلم بن عُقبة، الشديدُ الوطأة عليكم، الوَبيلُ العقابِ لكم، الخبيثُ السيرة فيكم، وأنتم عقب الذين حصدهم سيفه، وايم الله، لأحصدنّ منكم من بقي، ولأَسُومنّكم سوء العذاب. ثم نزل[١]، وكان ظلوماً غشوماً فاسقاً.

ووقف على عبد الله بن حسن فقال له: أيها الشيخ، والله ما استعملني أمير المؤمنين لقرابة قريبة، ولا ليدٍ سلفت لي إليه، ووالله لا لعبتَ بي كما لعبتَ بابن القَسْري وزياد الحارثي، والله لأزهقنَّ نفسك أو تأتي بابنيك، فرفع عبد الله رأسه إليه وقال: كأني بك والله قد ذُبحتَ كما تُذبح الشاة، فكان كما قال.

ومعنى هذا أن زياداً الحارثي كان يكره البحث عن ابني عبد الله، وينشد: [من الوافر]

أُكَلَّفُ ذنبَ قومٍ لستُ منهم ... وما جَنتِ الشّمالُ على اليمينِ[٢]

وكذا محمد القسري.

وقال عمر بن شبة: لما ظهر ذكر إبراهيم ومحمد استشار أبو جعفر أبا الشعثاء[٣] من قيس بن عَيلان في من يولي المدينة، فقال: ولِّ رجلاً من آل طلحة أو الزبير فإنهم لهم عَدوّ، فقال: كيف أنهز[٤] أهلَ بيتي بعدوِّهم؟ ولكن أختار لها صُعيليكاً من العرب، فولّى رياح بن عثمان، فقدم المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين، ونزل دارَ مروان،

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٣١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧/ ٥٣٠، ٥٣٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٣١ : أبا السعلاء، وفي الكامل ٥/ ٥١٩ : أبا العلاء.

(٤) نهزه: ضربه ودفعه، وفي الطبري: ولكني أعاهد الله ألا أثّر من أهل بيتي بعدوي وعدوهم، وفي الكامل: ولكني أعاهد الله لا أنتقم من بني عمي وأهل بيتي بعدوي وعدوهم.

ثم أقبل على بعض الناس وقال: هذه دار مروان؟ قالوا: نعم، قال: هذه المِحْلال المِظْعان، ونحن أول مَن يَظعن عنها.

وقال الزبير بن بكار: كان رياح قد ولي دمشق لصالح بن علي، ومصر لأبي جعفر، وكان فاتكاً، حضر عند عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وعنده رَجاء بن حَيْوَة، فأُتي بغِلْمَةٍ من آل المُهَلَّب لم يبلغوا الحِنْث، فقال عمر: ما تقولون فيهم؟ فقال رياح: أقول ما قال نوح في أمثالهم: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] فأعرض عنه عمر، ثم قال لرجاء: ما تقول أنت؟ قال: أقول: لا سبيل لك عليهم، لأنهم لم تَجْرِ عليهم الأقلام والأحكام.

وأطلق عمر رحمة الله عليه سبيلهم، فلما خرجا قال رياح لرجاء: إن الله خلق رجالاً للخير وأنت منهم، وخلق رجالاً للشر وأنا منهم[(١)].

ورياح هو الذي تولَّى حبسَ بني حسن، وتقييدَهم، والتضييقَ عليهم، وحملَهم إلى العراق، ولما أوصلهم إلى الكوفة ردَّه أبو جعفر إلى المدينة.

وكان رياح قد حبس محمد بن خالد القسري، ووجأ عُنُقه، وعَذَّب كُتَّابَه، فلما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة حَبس رياحاً وضيَّق عليه، فلما قصد عيسى بن موسى المدينة واقتتلا، دخل إبراهيم بن خُضَير، وخُضَير اسمُه مصعب بن [مصعب بن] الزبير[(٢)]، وكان مع محمد بن عبد الله بن الحسن، فأتكى رياحاً وذبحه كما تُذبح الشاة، وقصد محمد بن خالد القَسريّ، فردم بينه وبينه باباً، ونجا فلحق بالكوفة، ورجع إبراهيم بن خُضَير فقاتل مع محمد حتى قُتل.

ولما ذُبح رياح أُخرج من الحبس، فجعل صبيان المدينة في رِجله شريطاً، وجَرُّوه في الأزِقَّة ويقولون: [من مجزوء الرمل]

سَلَحَتْ أمُّ رِياحٍ ... فأتَتْنا بِرِياحِ
وأتَتْنا بأميرٍ ... ليس من أهلِ الصَّلاحِ

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١١ (مخطوط).

(٢) ما بين معكوفين من أنساب الأشراف ٢/ ٤٢٥، وانظر جمهرة ابن حزم ص١٢٤.

ما سمعنا بأميرٍ قبل هذا من سِفاحِ[١]

رُؤبة بن العجَّاج

واسمه عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صَخر بن كنيف[٢] بن عمرو، أبو الجَحَّاف التميمي.

من الطبقة التاسعة من الرُّجَّاز، وهومخضرم، من رُجَّاز الإسلام وفُصحائهم، بدوي نزل البصرة، ومدح الدولتين بني أمية وبني العباس، وأخذ عنه أئمة اللغة، واحتجوا بشعره، وجعلوه إماماً، وأراجيزه مشهورة، ووفد على الوليد وسليمان بن عبد الملك، وأنشدهما ووصلاه.

وقال أبو عبيدة: حدثني رؤبة، عن أبيه قال: سألتُ أبا هريرة فقلت: ما تقول في هذا:

طاف الخيالان فهاجا سَقَما خيالُ لُبنى وخيالُ تُكتَما
قامت تُريك رهبةً أن تُصرَما ساقاً بَخَنْداةً وكَعْباً أدْرَما

ـ وساقٌ بَخَنْداةٌ أي: ناتئة، والدَّرَم في الكعب: أن يواريه اللحم حتى لا يكون له حَجْم ـ فقال: قد كان يُحْدا بنحوٍ من هذا مع رسول الله ﷺ فلا يَعيبُه[٣].

أسند رؤبة عن أبيه، عن أبي هريرة، ودغفل بن حَنظلة النَّسَّابة وغيرهما، وروى عنه ابنه عبد الله بن رؤبة، ومَعْمَر بن المثنّى، وأبو عمرو بن العلاء، والنَّضْر بن شُمَيْل وغيرهم.

زيد بن أسْلَم

مولى عمر بن الخطاب، أبو أسامة.

من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كانت له حلقة في مسجد رسول الله، فقال مالك

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٤، ونسبه في طبقات فحول الشعراء ص٧٣٨ : رؤبة بن العجاج، واسمه: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كثيف. وانظر الشعر والشعراء ص٥٩٤، والمؤتلف للآمدي ص١٧٥، والأغاني ٢٠/ ٣٤٥، والسير ٦/ ١٦٢، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٦١.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٥.

ابن أنس: كان زيد على مَعْدِن بني سُليم، وكان مَعْدِناً لا يزال يُصاب فيه الناس من قبل الجِنّ، فلما وليهم زيد شكوا ذلك إليه، فأمرهم أن يؤذِّنوا ويرفعوا أصواتهم بالأذان، ففعلوا، فارتفع ذلك عنهم إلى اليوم.

وكان إذا أتاه إنسان يسأله فخلط عليه يقول له: اذهب فتعلم كيف تسأل، ثم تعال فاسأل.

وقال ابن عساكر: كان زيد مع عمر بن عبد العزيز في خلافته[١].

وقال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس في حلقة زيد بن أسلم فيقال له: أتتخطّى رقاب قومك إلى حلقة عبد ابن الخطاب؟ فيقول: إنما يجلس الرجل إلى الرجل لينتفع به، وأنا أنتفع به[٢].

أسند زيد عن أنس بن مالك، وابن عمر وغيرهما، وروى عنه الزهري، ومالك بن أنس، والثوري وغيرهم.

واتفقوا على صدقه وثقته وفضله، وتوفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ومئة[٣].

وأخوه خالد بن أسلم؛ كان أشد شاباً بالمدينة، ويكنى أبا ثَور، وكان أسنَّ من زيد[٤].

سُدَيْف بن مَيمون

الشاعر المكي، مولى أبي لهب[٥]، كان أسودَ اللون، بَصَّاصاً، بدوياً، قبيحَ

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٥٤٣.
(٢) التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٧.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٧، والسير ٥/ ٣١٦.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٧.
(٥) في هامش (خ) حاشية: سديف ـ كزبير ـ بن إسماعيل، شاعر. قاموس. اهـ. قلت: ولم يسمِّ أباه إسماعيل غير صاحب القاموس، وسكت الزبيدي فلم يتعقبه، انظر المحبَّر ص٤٨٦، والشعر والشعراء ص٧٦١، والأغاني ١٦/ ١٣٥، وطبقات ابن المعتز ص٣٧، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤٦، وضعفاء العقيلي ٢/ ١٨٠، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٠ (مخطوط)، وميزان الاعتدال (٢٩٣٨)، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٢٥، ولسان الميزان ٤/ ١٨.

المنظر، خبيثَ المَخْضَر، وكان قد طعن في خلافة أبي جعفر وهجاه، ومدح محمد بن عبد الله.

وقال البلاذُرِيّ: وصل أبو جعفر سُدَيفاً بألف دينار، فأعطاه لمحمد بن عبد الله بن حسن معونة له، فلما خرج محمد صار سُدَيف من خاصّته، ومدحه فقال: [من السريع]

إيهاً أبا إسحاقَ مُلِّيْتَها في صِحَّةٍ تبقى وعُمرٍ يطولْ
اذكُر هداك الله فِعْلَ[1] الأُلى سِيرَ بهم في مُصْمَتاتِ الكُبولْ

وصعد محمد المنبر يوماً بالمدينة، فقام سُديف وأشار إلى العراق وقال يريد أبا جعفر: [من الكامل]

أسْرَفْتَ في قتل البريَّةِ عامداً فاكفُفْ يديك أضَلَّها مَهْدِيُّها
فلتأتينك رايةٌ[2] حَسَنِيَّةٌ جَرَّارةٌ يَحْتَثُّها حَسَنيُّها

وبلغ أبا جعفر فقال: قتلني الله إن لم أقتلْه شَرَّ قِتلة.

وكان سُدَيْف يقول: صار فَيْئُنا دولةً بعد القسمة، وإمارتُنا غلَبَةً بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً، واشتُريت الملاهي والمعازف بأموال الأرامل واليتامى، وحَكم أهلُ الذمَّة في أبشار المسلمين، وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ مَحلَّة، اللهم إنه قد استَحْصَد زرعُ الباطل وبلغ نهايته، فأتِحْ له يداً من الحق حاصدة؛ تُبدِّد شملَه، وتُفرِّق جمعَه، ليظهرَ الحقُّ في أحسن صورته، وأتمِّ أموره[3].

ولما قُتل محمد بن عبد الله هرب سُدَيف إلى المدينة فاختفى فيها، وبلغ أبا جعفر، فكتب إلى عمِّه عبد الصّمد بن علي وهو عامله على مكة والمدينة أن: اقتل سُديفاً، فأخذه، وحَفِظ له ما كان له فيهم من المدائح، وحبسه، وكاتب فيه أبا جعفر مراراً، فكتب إليه: والله لئن لم تقتله لأقتلنَّك، ولا تغترَّ بأنك عمي، أليس هو القائل لي:

أسْرفتَ في قتل البريَّةِ عامداً

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ٤٤٧، والشعر والشعراء ص٧٦٢، وطبقات ابن المعتز ص٤١ : ذَحْل.

(٢) في (خ) و(ب): زلة، والمثبت من العقد الفريد ٥/ ٨٨، وفي ضعفاء العقيلي ٢/ ١٨١، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٢: غارة.

(٣) الشعر والشعراء ٢/ ٧٦١، وطبقات ابن المعتز ص٣٨، وتاريخ دمشق ٧/ ٧١ ـ ٧٢.

فلما حج أبو جعفر أخرج عبد الصّمد سُديفاً من الحرم فقتله، ولقي أبا جعفر عمُّه عبد الصمد في الطريق، فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه السلام، بل قال: ما فعلتَ في أمر سُدَيف؟ قال: قتلتُه، فقال: وعليك السلام يا عمّ، يا غلام، قف فوقف، فأمر عبد الصمد فعادله.

وقيل: إن سُديفاً طلب من عبد الصّمد أماناً، فأعطاه على أنه لا يُبعث من المدينة[1]، واستحلفه على ذلك، فلما قدم أبو جعفر المدينة قيل له: قد رأينا سُدَيفاً، فقال: عليَّ به، فجُعل في جُوالِق، وخيط عليه، وضرب بالخشب حتى مات، ورمي به في بئر. وقيل: كان به رَمَق فمات.

ولما خرج محمد بالمدينة وإبراهيم بالبصرة قال سُديف: [من البسيط]

إن الحمامةَ يوم الشّعب من حَضَنٍ ... هاجتْ فؤادَ محبٍّ دائمِ الحزَنِ
إنا لنأمُلُ أن ترتدَّ أُلفتُنا ... بعد التَّباغُضِ والشَّحناءِ والإحَنِ
وتنقضي دولةٌ أحكامُ قادَتنا ... فيها كأحكام قومٍ عابدي وَثَنِ
فانهض ببيعتكم ننهَضْ بطاعتنا ... إن الخلافة فيكم يا بني حَسَنِ
ألستَ أكرمَهم قوماً إذا انتسبوا ... عوداً وأنقاهُمُ ثَوباً من الدَّرَنِ
وأعظَمَ الناس عند الله منزلةً ... وأبعدَ الناس من عجزٍ ومن أفَنِ[2]

وقد اختلفوا في وفاته؛ فحكينا أن عبد الصّمد قتله بأمر أبي جعفر، وقيل: إنه لما بلغه هجاؤه كتب إلى عمه عبد الصّمد فدفنه حياً.

وقيل: بعث المنصور خُزيمة بن خازم ـ أو خازم بن خزيمة ـ مُتنكِّراً، وقال له: عند السارية الفلانية شيخ آدم طُوال يُكثر التلفُّت، فاجلس إليه، وأظهر الميل إلى آل أبي طالب، ثم قل له بعد أيام: مَن القائل:

أسرفتَ في قتل البرية عامداً؟

فقدم خازم المدينة، وجلس إلى الشيخ الموصوف، وأظهر له الميل إلى الطَّالبيين،

---

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٤، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٢: فأمّنه وأحلفه ألا يبرح من المدينة.
(٢) العقد الفريد ٥/ ٨٧ ـ ٨٨.

وقال له: مَن القائل: أسرفتَ في قتل البرية؟ فقال له الشيخ: إن شئتَ أنبأتُك مَن أنت، أنت خازم بن خُزيمة، بعثك أمير المؤمنين ليعرف من قال هذا الشعر، قل له: والله ما قلتُه، وإنما قاله سُدَيْف بن ميمون، وأنا القائل لما خرج محمد ودعوني إلى الخروج معه هذه الأبيات: [من الطويل]

دعَوني وقد شالت[1] لإبليس راية ... وأُوقد للغاوين نارُ الحُباحِبِ
أبالليثِ يغترُّون يحمي عَرينَه ... ويَلْقون جهلاً أُسْدَه بالثَّعالبِ
فلا يَنْفَعَنّي السِّنُّ إنْ مِلتُ نحوكم ... ولا أحكَمَتْني صادقاتُ التجاربِ

وإذا بالشيخ ابن هَرْمة الشاعر.

قال خازم: فقدمتُ على أبي جعفر فأخبرته فقال: صدق، وأمر بدفن سُديف حياً.

وقد أخرج الحافظ ابن عساكر لسُديف حديثاً عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أبغضنا أهلَ البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً» قال: فقلت: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ قال: «نعم». قال أبو جعفر العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل. وذكر سُديفاً في كتاب «الضعفاء والمتروكين»[2].

وقال ابن عساكر: ما زال سُديف يبحث حتى ظفر بابنين لبسر بن [أبي] أرطاة بساحل دمشق، فذبحهما كما ذبح بسر ابني عبيد الله بن عباس.

وقد روى سُديف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وروى عنه حَنان بن سدير الصَّيرفي[3].

عبد الله بن حسن

ابن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان من العُبَّاد، وله شَرَف وعارضة وهَيبة ولسان شديد، وأدرك دولة بني العباس، ووَفَد على السفَّاح بالأنبار، وكانت له منزلة

---

(١) في (خ) و(ب): فقد شيلت، والمثبت من العقد الفريد ٥/ ٨٩، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٧٠ ـ ٧١، وضعفاء العقيلي ٢/ ١٨٠.

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٧٠، ٧١.

عند الخلفاء، وفد على سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، وكانوا يفضِّلونه ويميزونه ويرفعون منزلته.

وقال له عمر: أَنشُدك الله أن تقف ببابي إلا في الساعة التي آذن للناس فيها؛ فإني أستحيي من الله أن يراك واقفاً ببابي ولا يؤذن لك.

وكان عبد الله بن علي قد عزم على قتل مَن كان بالحجاز من بني أمية، فقال له عبد الله: يا ابن عمّ، إذا أسرعتَ في القتل إلى أكفائك فمَن تُباهي بسلطانك؟ فاعف يعف الله عنك، فأمسك.

وكان عبد الله بن حسن شيخَ أهله، وسيداً من ساداتهم، ومقدَّماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً وحسباً. وحبسه أبو جعفر بالهاشمية فمات في حبسه بالكوفة.

وقال الهيثم: حبسهم أبو جعفر في سِرداب تحت الأرض؛ لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسِّرداب عند قنطرة الكوفة، وهو موضع بَراز، ولم يكن عندهم بئر للماء ولا سقاية، فكانوا يبولون ويتغوَّطون في مواضعهم، وإذا مات فيهم ميت لم يُدفن، بل يَبلى وهم ينظرون إليه، فاشتدَّت عليهم رائحة البول والغائط، وكان الوَرَمُ يبدو في أقدامهم، ثم يترقَّى إلى قلوبهم فيموتون[1].

ويقال: إن أبا جعفر ردم عليهم السرداب فماتوا، فكان يُسمع أنينُهم أياماً.

وقال أبو معقل بن إبراهيم[2]: أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن فقيَّده وحبسه في داره، فلما أراد الخروج إلى الحج وقفت له ابنةٌ لعبد الله بن حسن على الطريق واسمها فاطمة، فلما مرَّ بها قالت: [من الكامل]

ارحم كبيراً سِنُّه مُتهدِّماً ... في السجن بين سلاسلٍ وقيودِ
وارحم صغارَ بني يزيد فإنهم ... يَتُموا لفَقدك لا لفقدِ يزيدِ
إن جُدْتَ بالرَّحِمِ القريبة بيننا ... ما جدُّنا من جدكم ببعيدِ

(١) مروج الذهب ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) في (خ) مغفل، وفيها وفي (ب): بن أبان، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٩١، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٧، والمنتظم ٨/ ٩٢.

فقال أبو جعفر: أذكرتِنيه، ثم أمر به فحُدر إلى المُطْبِق، فكان آخر العهد به، والمطبق بغداد.

والصحيح أنه مات بالكوفة بالهاشمية في سنة خمس وأربعين ومئة، وعمره خمس وسبعون سنة، وقيل: اثنتين وسبعين سنة.

وكانت له أحاديث؛ قال حفص بن عمر مولاه: رأيتُ عبد الله يتوضأ ومسح على خُفَّيه، فقلت له: أتمسح؟ قال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب ﷺ، ومَن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق لنفسه.

وذكر عبد الله يوماً مقتل عثمان ﷺ فبكى حتى بلَّ لحيتَه وثوبَه.

وقال عبد الله: إياك ومعاداة الرجال؛ فإنك لن تَعدم مكرَ حليم، ومفاجأة لئيم.

وقال: المِراء يفسد الصداقةَ القديمة، ويحلُّ العُقَد الوثيقة.

وقيل له: إن فلاناً غيَّرته الولاية، فقال: مَن ولي ولاية أكبر منه غيَّرتْه، وإن كانت نفسُه أكبر منها لم تغيره.

وولد له جماعة من الأولاد وجميعهم من الطبقة الخامسة من أهل المدينة.

وقال الواقدي: وَلَدت هند بنت أبي [عبيدة بن عبد الله بن] زَمْعَة موسى بن عبد الله وهي بنت ستين سنة، ولا يُعلم امرأة وَلدت لستين سنة إلا قرشية، ولا لخمسين إلا عربية[١].

وقال محمد بن حكيم: حبسه أبو جعفر قبل خروج إخوته، ثم أطلقه فخرج معهما، فظفر به، فضربه ألف سوط ولم ينطق، فعجب أبو جعفر وقال: لقد عجبت من صبر هؤلاء، فما بال هذا الغلام الذي لم تره عينُ الشمس؟ وسمعه موسى فقال: [من الكامل]

إنـي مـن الـقـوم الـذيـن يَـزيـدُهـم جَـلَـداً وصَـبْـراً جَـفْـوَةُ الـسُّـلـطـانِ[٢]

وكان فاضلاً شاعراً، كتب إلى زوجته أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد

(١) نسب هذا القول في الأغاني ١٦/ ٣٦٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٣، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٣ (مخطوط) إلى الزبير بن بكار، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٠، ونسب قريش ص٥٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٠٤، ٤٥٠، والتبيين ص٢٧٩، وما بين معكوفين من هذه المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٤.

الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو بالعراق يستدعيها فأبت، فكتب إليها: [من الطويل]

فلا تتركيني بالعراق فإنها بلادٌ بها أُسُّ الخيانةِ والغَدْرِ
فإني زعيمٌ أن أجيءَ بضَرَّةٍ مقابلةِ الأجدادِ طَيِّبةِ النَّشْرِ[(١)]

أسند عبد الله عن أبيه، وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وعن جماعة، وروى عنه مالك حديث السَّدْل وعَمِل به، ولما قيل له في ذلك قال: رأيتُ مَن يوثَق به يفعله. قيل: ومَن هو؟ قال: عبد الله بن حسن[(٢)].

واتفقوا على صدقه وثقته وفضله، وكان ثبتاً مأموناً فقيهاً عالماً، وكان يترضّى عن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويمسح على خُفَّيه ويقول: قد مسح عمر على خفيه، وهو خير من مِلْءِ الأرض مثلي.

وكان يقول: ما أرى أن أحداً يسب أبا بكر وعمر يقبل الله توبته أبداً، وإني لأتقرب إلى الله بحبهما، وكان يأمر أهله وأولاده بمحبتهما، والتبرِّي ممن يسبُّهما[(٣)].

قال المصنف رحمه الله: وعبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسين بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كنيته أبو الغنائم النسَّابة، ابن القاضي أبي محمد العَلَوي الزَّيدي، لم أقف على تاريخ وفاته، صنَّف كتاباً في النسب عشر مجلدات، وسماه: «نزهة عيون المشتاقين إلى وصف السادة الغُرّ الميامين» وتصنيفه يدل على الاعتزال والتشيع.

وله في فخر الدولة بن أبي الجِنّ لما عزل [ابن] مُحرِز البعلبكّيّ عن تولّي أوقاف العلويين، وكان سيئ السيرة، قال: [من الطويل]

ولو لم يكن للفخر أجرٌ يَحوزُه ينال به جناتِ عدنٍ على عِلْم
سوى عزلِه بعد الإياس ابنَ مُحرِزٍ وإنصافهم بعد التظلُّم في القَسْمِ[(٤)]

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٥٢، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٢، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٩٠، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٤٦.

(٣) انظر في ترجمته غير ما سلف من مصادر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٥٢٤ وما بعدها، والعقد الفريد ٥/ ٧٤، وتهذيب الكمال (٣٢١٣)، والتبيين ص١٢٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٠٤.

(٤) تاريخ دمشق ٣٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

عبد الله بن المُقَفَّع

واسمه داذَوِيه من أهل فارس، كان مجوسياً، وإنما سمّي المقفَّع لأنه ولي للحجاج ولاية، فمد يده وأخذ المال، فعذّبه الحجاج حتى تقَفَّعَتْ يدُه، وحرص على تأديب ولده عبد الله، وكان يجمع له العلماء.

وكان عبد الله فصيحاً جواداً، وجاءت الدولة وقد مات أبوه فصحب بني علي بن عبد الله بن عباس، وكان يكتب لهم، وكتب أيضاً لأبي جعفر.

وكان بليغاً، وهو أول من رتب الخطب وقال: شرِبتُ من الخطب رِيًّا، ولم أضبط لها رَوِيّا، فغاضت ثم فاضت، فليست هي نظاماً، ولا في غيرها كلاماً.

وجاء إلى عيسى بن علي فقال له: قد دخل الإسلام في قلبي، وأريد أن أسلم على يدك، فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القوَّاد ووجوه الناس، فإذا كان غداً فاحضر، ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس يأكل ويُزَمْزِم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أن أبيت ليلةً على غير دين، فلما أصبح أسلم على يده.

وكان مع فضله يُتَّهم بالزندقة، وكان بعد أن أسلم إذا مرَّ ببيت النار للمجوس يتمثل: [من الكامل]

إنـي لأمـنَـحُـكَ الـصُّـدودَ وإنـنـي ... قـسـمـاً إلـيـكَ مـع الـصُّـدود لأَمْـيَـلُ[1]

وكان محمد المهدي يقول: ما وجدتُ كتابَ زَنْدَقة إلا وأصله ابن المقفع.

وقد صنَّف المصنفات الحسان، منها: «الدرة اليتيمة» التي لم يُصنَّف في فنِّها مثلها، وكان له الكلام البليغ، فمن كلامه:

ينبغي لمن خَدَم السلطان ألا يغتر به إذا رضي، ولا يتغير له إذا سَخِط، ولا يستثقل ما حَمَّله، ولا يُلْحِف في مسألته.

وقال: لا تكن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك، وكن حافظاً إذا ولاك، أميناً إذا ائتمنك، راضياً إذا أسخطك، ومع هذا فالحذر من صحبته كل الحذر.

---

(١) البيت للأحوص، وهو في ديوانه ص١٦٦.

وقال: لا تغُرَّنَّك سَعَةٌ تكون فيها؛ فإن أعظم الناس خطراً مَن يدبر في ما في يده[١]، والملوك إلى حسن التدبير أحوج إليه من السُّوقة؛ فإن السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك لا بد لهم من المال، ولا قِوام لهم إلا به.

وقال: لا ينبغي للملك أن يغضب؛ لأن القُدرة من وراء حاجته، ولا أن يكذب؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على ما لا يريد، ولا أن يبخل؛ لأن البخل مذموم، ولا أن يكون حَقوداً؛ لأن خطره يَجلُّ عن المجاراة.

وقال: من أوقع الأمور في الدين، وأنهكِها للجسم، وأتلفِها للمال، وأفسدِها للعقل، وأذهبِها للوقار؛ الغَرامُ بالنساء، ومن البلاء على المُغْرَم بهن أنه لا ينفكُّ يَسأم فيما عنده، وتَطمَح عيناه إلى ما ليس عنده، وربما هجم على ما يظنه حسناً وهو قبيح، حتى لو لم يبق في الأرض إلا امرأة واحدة ظن أن لها شأناً غير شأن مَن ذاقه، وهذا غاية الحُمْق.

وقيل له: مَن أدَّبَك؟ قال: نفسي، إذا رأيتُ شيئاً أذُمُّه من غيري اجتنبتُه.

وحضر يوماً مَأْدُبة فيها معن بن زائدة، وفيها جواري يغنّين، فغنت واحدة بمعن فأعطاها ألف دينار، وغنَّت أخرى لابن المقفع فأعطاها مئة ألف درهم، فقال معن: لله در الفارسي فلقد بَرَّز علينا.

واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد، فقيل للخليل: كيف رأيتَه؟ فقال: علمُه أكثر من عقله.

ذكر مقتله:

كان ابن المقفَّع يعيب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب عامل البصرة، وينال من أمه ـ وهي ميسون بنت المغيرة بن المهلَّب ـ ويقول: يا ابن المُغْتَلِمَة، والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نكحها رجال أهل الشام.

وكان أنف سفيان كبيراً؛ فكان ابن المقفع إذا دخل عليه قال: السلام عليكما، يعني نفسَه وأنفَه.

---

(١) في الأدب الكبير لابن المقفع ٦٧، والمنتظم ٨/ ٥٣: فإن أعظم الناس خطراً أحوجهم إلى التقدير.

وقال له يوماً: ما تقول في زوج وامرأة كم لهما من الميراث، يسخر به على ملأ من الناس.

وقال سفيان يوماً: ما ندمتُ على سكوت قط، فقال له ابن المقفع: الخَرَس زَيْنٌ لك فكيف تندم عليه؟ وكان يستخِفُّ به وسفيان لا يقدم عليه لمكانته، وكان سفيان يقول: والله لأُقَطّعنه إرباً إرباً وعينه تنظر.

فقدم سليمان بن علي وعيسى بن علي البصرة ليكتبا أماناً لعبد الله بن علي، وكان ابن المقفّع يكتب لعيسى بن علي، وأمره فكتب كتاب أمان، واتَّفق أن أبا جعفر قال لابن المقفع: اكتب كتابَ أمان لعبد الله بن علي، وسهّل الأمر فيه، فكتب كتاب أمان وفيه:

ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق، ودوابُّه حُبُس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته، وأمواله صدقة، وعليه المشي إلى بيت الله حافياً، وكان ابن المقفع يَتَنَوَّق في الشروط، فلما وقف عليه أبو جعفر عَظُم عليه ذلك، ولما حبس عبد الله بن علي أرسل إليه يقول: ما هذا أمانُك وكتابُك؟! فساءه ذلك، فكتب إلى سفيان بن معاوية يأمره بقتله، وكان سفيان مُضْطَغِناً عليه.

فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان، فأخَّر إذنه حتى خرج مَن عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة، ولما دخل على سفيان قال له: أتذكر ما كنتَ تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أُمِّي مُغْتَلِمَة؟ إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنُّور فسُجِر، ثم أمر به فقُطِّعت أعضاؤه عضواً عضواً، وهو يُلقيها في النار وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور وقال: ليس عليَّ في المُثْلَةِ بك حَرَج؛ لأنك زنديق قد أفسدتَ الناس.

ولما خرج القوم من عند سفيان رأوا غلمانه على الباب، فسألوهم عنه فقيل: دخل بعدكم واختفى أَثَرُه، فخاصم سليمان بن علي وعيسى بن علي سفيان، وأشخصاه إلى المنصور مُقيَّداً، وحضر الشهود الذين شهدوا أنه دخل دار سفيان ولم يخرج، وأقاموا الشهادة، فقال لهم أبو جعفر: إنا ننظر في هذا، أرأيتم إن قتلتُ سفيان بن معاوية وخرج ابن المقفع من هذا الباب ـ وأومأ إلى باب خلفه ـ وخاطبكم، ما تروني صانعاً بكم، أأقتلكم بسفيان، فرجعوا كلهم عن الشهادة، وعلموا أن قتله كان برضاه،

وأضرب عيسى عن ذكره.

وقال البلاذري: لما قدم عيسى بن علي[١] البصرة في أمر عبد الله قال لابن المقفع: اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا، فقال: ابعث إليه غيري فإني أخاف منه، فقال: اذهب فأنت في أماني، فذهب إليه ففعل به ما ذكرنا.

وقيل: ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة.

وقيل: أدخله حماماً وأغلق بابه فاختنق.

وابن المقفع من شعراء «الحماسة»، قال في باب المراثي: [من الطويل]

رُزِئْنا أبا عمروٍ ولا حيَّ مثلَه ... فلله رَيْبُ الحادثاتِ بمَن وَقَعْ

فإنْ تكُ قد فارَقْتَنا وتركتَنا ... ذَوِي خَلَّةٍ ما في انْسِدادٍ لها طَمَعْ

فقد جرَّ نفعاً فقْدُنا لك إننا ... أمِنَّا على كلِّ الرَّزايا من الجَزَعْ[٢]

عبد الله بن محمد

ابن عَقيل بن أبي طالب، وكنيته أبو محمد، وأمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب.

وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، قدم على هشام بن عبد الملك فأمر له بأربعة آلاف دينار، فسُرِقت منه، فجمعوا له مثلها فقال: إن كانت صدقةً لا تحلّ لنا، وإن كانت صِلَةً قبلتُها، قالوا: صلة، فأخذها.

وكانت وفاته في هذه السنة بالمدينة، وكان كثيرَ العلم إلا أنه مُنكر الحديث.

أسند عن ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعلي بن الحسين، وابن المسيب وغيرهم.

---

(١) في (خ) و(ب): لما قدم ابن موسى، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٢.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨٦٣، وانظر أمالي المرتضى ١/ ١٣٤، أخبار الحكماء ص١٤٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، الوافي بالوفيات ١٧/ ٦٣٣، السير ٦/ ٢٠٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٩١٠، لسان الميزان ٥/ ٢١، خزانة الأدب ٨/ ١٧٧، أمراء البيان ٩٩ ـ ١٥٨ لمحمد كردعلي. وذكره ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٥٢ في وفيات سنة (١٤٤ هـ).

وقال يعقوب بن سفيان: هو صدوق إلا أن في حديثه ضعفاً.

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: هو ثقة. وقيل: إنه تغير في آخر عمره[١].

عمرو بن عُبيد بن باب

أبو عثمان البصري المعتزلي، وباب من سبي فارس وهو مولى آل عَرادة بن يربوع ابن مالك.

وقال الخطيب: كان أبوه نَسَّاجاً، ثم صار شُرطياً للحجاج بن يوسف، وهو من سَبْي سجستان.

وقال الزبير: كان أبوه يخلف أصحاب الشُّرَط بالبصرة، فكان الناس إذا رأوه مع أبيه قالوا: خير الناس مع شرِّ الناس! فيقول أبوه: صدقتم هذا إبراهيم وأنا آزر.

وقال الهيثم: كان عمرو عالماً زاهداً ناسكاً عابداً ورعاً عفيفاً، من أهل السنة، يجالس الحسن البصري، وحفظ عنه، واشتهر بصحبته، ثم أزاله عن ذلك واصل بن عطاء المعتزلي[٢]، وغيَّر أحوالَه، ونقله من القول بالسنة إلى القدر والاعتزال.

وقال أبو اليقظان: كان عمرو من دعاة يزيد الناقص في أيام بني أمية، ثم قال بإمامة أبي جعفر.

وكان أبو جعفر يعظمه ويحترمه ويمدحه ويقول: نَثرتُ الحبَّ للناس فلقطوا إلا عمرو بن عبيد.

ذكر نبذة من مواعظه لأبي جعفر:

قال عُقبة بن هارون: دخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور وعنده المهدي بعد أن بايع له ببغداد، فقال له: يا أبا عثمان، عظني فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك لما وصل إليك، وإني أُحذِّرك ليلةً تَمَخَّضُ بيومٍ لا ليلة بعده، ثم أنشده: [من البسيط]

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨١، وأنساب الأشراف ٢/ ٧٢، وتهذيب الكمال (٣٥٤٣)، والسير ٦/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٠٨، وميزان الاعتدال (٤٣٠٩)، ولم أقف على كلام أحمد.

(٢) في (ب): الغَزَّال، وهو وصف لواصل، صحيح، انظر السير ٥/ ٤٦٤.

أيُّهذا الذي قد غَرَّه الأملُ ... ودون ما يأمُلُ التَّنغيصُ والأجَلُ
ألا ترى أنَّما الدنيا وزينتُها ... كمنزل الرَّكب حَلُّوا ثُمَّتَ ارتحلوا
حُتوفها رَصَدٌ وعيشُها نَكَدٌ ... وصَفْوُها كَدَرٌ ومُلْكُها دُولُ
تظلُّ تَقرَعُ بالرَّوعاتِ ساكنَها ... فما يَسوغُ له لِينٌ ولا جَذَلُ
كأنه للمنايا والرَّدى غَرَضٌ ... تظلُّ فيه بناتُ الدَّهرِ تَنتضلُ
تُديره ما أدارتْه دوائرُها ... منها المصيب ومنها المخطئ الزَّللُ
والنفس هاربةٌ والموت يَرصُدها ... وكل عَثْرَةِ رِجْلٍ عندها جَلَلُ
والمرءُ يَسعى بما يَسعى لوارثه ... والقبرُ وارثُ ما يسعى له الرجلُ

فبكى المنصور[1].

وقال إسحاق بن الفضل: بينا أنا على باب المنصور وإلى جانبي عُمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار، فنزل عن حماره، ونحَّى البساط برجله، وجلس دونه، فالتفت إلي عمارة وقال: ما تزال بصرتكم ترمينا بأحمق أحمق، فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع فقال لعمرو: أجب أمير المؤمنين يا أبا عثمان جُعلت فداك، فمرَّ متوكِّئاً عليه، فقلت لعمارة: إن الرجل الذي استَحْمَقْتَ قد دُعي وتُرِكنا! فقال: كثيراً ما يكون مثل هذا.

فأطال اللبث، ثم خرج الربيع وعمرو متكئ عليه فقال: يا غلام، حمار أبي عثمان، فما برح حتى علا سرجَه وسوَّى ثيابَه، واستودعه الله، فأقبل عمارة على الربيع وقال له: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولي عهدكم كنتم قد قضيتم حقَّه! قال الربيع: فما غاب عنك والله أكثر من فعل أمير المؤمنين وأعجب، فقال: حدِّثْنا، فقال: ما هو إلا أن سمع بمكانه فما أمهل حتى فُرِش له مجلسٌ باللُّبود، ثم انتقل هو والمهدي إليه، ثم أذِن له فدخل، فسلَّم عليه، فردَّ عليه ورحَّب به، وما زال يُدنيه حتى أتكأه على فخذه، ثم سأله عن أهله يُسمِّيهم واحداً واحداً الرجال والنساء، ثم قال له: يا أبا عثمان عِظني، فقال:

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٤، والمنتظم ٨/ ٥٨ ـ ٥٩.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ فبكى بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا في تلك الساعة وقال: زدني، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر منه نفسَك ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد مَن كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى مَن هو بعدك، وإني أُحذِّرك ليلةً تَمَخَّضُ صبيحتُها عن يوم القيامة، فبكى والله أشد من الأول، فقال له سليمان بن مجالد: رِفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبتَه اليوم، فقال له عمرو: بمثلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك، ماذا خفت عليه إن بكى من خشية الله تعالى؟

فقال المنصور: يا أبا عثمان أعنِّي بأصحابك، فقال: أظهر الحقَّ يتبعْك أهلُه. قال: قد بلغني أن محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك كتاباً، قال: قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه قال: فما أجبتَه؟ قال: أوليس قد عرفتَ أيامَ كنت تتردَّد إلينا أني لا أرى السيف؟ فقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك، فقال: لا حاجة لي فيها، قال: والله لتأخُذَنَّها، قال: والله لا أخذتها، فقال له المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف؟ وكان على المهدي سوادُه وسيفه، فقال للمنصور: مَن هذا الفتى؟ فقال: هذا ابني محمد المهدي وهو وليُّ العهد، فقال: والله لقد أسميتَه اسماً ما استحقَّه عملُه، وألبستَه لباساً ما هو من لُبس الأبرار، ولقد مهَّدت له أمراً أمتع ما يكون فيه أشغل ما يكون عنه.

ثم التفت إلى المهدي فقال له: يا ابن أخي، إذا حلف أبوك وحلف عمُّك كان أبوك أقدر على الكفارة من عمك، فقال له المنصور: يا أبا عثمان، هل لك من حاجة؟ قال: نعم؛ لا تبعث إليَّ حتى آتيك، قال: إذاً لا تأتيني، قال: عن حاجتي سألتني، ثم ودَّعه ونهض، فأتبعه بصرَه وهو يقول: [من الرجز]

كلُّكم يمشي رويد كلكم يطلب صَيْد[1]

غير عمرو بن عبيد

(١) بعدها في (خ) و(ب) زيادة: كلكم يطلب دنيا، ولم أقف على أحد ذكرها.

وقال البلاذري: دخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر وعليه طيلسان مُخَرَّق، فرمى أبو جعفر طَيلَسانه عليه، ثم قال له: عِظني، فوعظه فبكى وقال: يا أبا عثمان ارفع إليَّ حوائجَك، فقال: أولها أن ترفع هذا الطيلسان عني، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك، ولا تبعث إلي حتى آتيك، واتق الله في أمة محمد ﷺ[١].

فقال: يا أبا عثمان، إن أكثر ما أخاف عمال السوء الذين يظلمون الرعية، والله لوددت أقوى خلق الله عليها يليها دوني، هذا صاحب فارس؛ رفع إليَّ خراجَ ما زعم أنه حصل في السنة الماضية خمسة آلاف درهم، وكتب إليَّ صاحبُ خبري هناك أنه قد احتبس لنفسه خمس مئة ألف درهم من مال المسلمين، فبمن أثق؟ أما بطني فوالله ما أبالي ما جاوز لَهَواتي، وهذه جُبَّتي لها ثلاثون شهراً منذ لبستُها، فعلام أتأسَّف على الدنيا وهذه صفتي، وأما مقدار ما يكفيني من المطعم والمشرب فإذا هو في كل شهر عشرة دراهم[٢]، أفتراني أتعمَّد ظُلمَ مسلم أو ذمي وهذه حالي؟

ودخل عمرو على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين، إن من وراء بابك نيراناً تأجَّجُ من الجَور والظُّلم، واللهِ ما يُعمَل وراء بابك بكتاب الله ولا سنة رسوله، وإن الله سائلك عن مثاقيل الذرِّ من الخير والشر، وإن أمة محمد ﷺ خُصماؤك يوم القيامة، وإن الله لا يرضى منك إلا العَدْل في بريَّته، وكان على رأس أبي جعفر سليمان بن مجالد فقال له: اسكت أيها الشيخ فقد شققتَ على أمير المؤمنين وأبكيتَه، فقال عمرو: مَن هذا؟ فقال أبو جعفر: هذا أخوك سليمان بن مجالد، فقال له: ويحك، والله إنه ميت ومُخَلٍّ ما في يديه، ومُرْتَهَن بعمله، وأنت والله غداً جيفةٌ بالعَراء، ثم التفت إلى أبي جعفر وقال: والله لَقُربُ هذا الجدار خيرٌ لك من قُرب سليمان إذ طوى عنك النصيحة، ومنع مَن ينصحك، وكأني والله بهذا غداً جيفة على الصراط يُجَرُّ برجله إلى النار، وإن هذا وأمثاله اتخذوك سُلَّماً إلى شهواتهم، وإنهم لا يغنون عنك من الله شيئاً يوم القيامة، فقال أبو جعفر: فكيف أصنع؟ فقال: اطرد عنك هؤلاء الشياطين، واصحب أهل الصلاح، قال: فهذا خاتمي فابعث به إلى أصحابك فوَلِّهم، فقال: إن أهل الدين لا

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) كذا، ولم أقف على مَن ذكر هذه القطعة.

يأتونك ومثل هذا معك؛ لأنهم إن أطاعوهم أغضبوا ربهم، وإن عصوهم أغروك بقتلهم، ارفع عَلَم العدل وقد استغنيتَ عن أصحابي[(١)].

عمرو بن مَيمون بن مِهران

أبو عبد الله الجزري، كان فاضلاً زاهداً، عرض عليه أبو جعفر المنصور أن يُقطعه قَطيعةً فأبى وقال: إني رأيت همَّ الرجلِ على قدر انتشار ضَيْعته، وإني يكفيني من هَمِّي ما أحاطت به داري، فإن رأيت أن تُعفيني، فأعفاه، وبلغ هذا الكلام الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، فلم يزل يُردِّده حتى حفظه.

وكان يعطش فما يستسقي من أحد حتى يأتي بيته فيشرب منه، فيقال له في ذلك فيقول: كلٌّ معروف صدقة، وما أحبُّ أن يتصدَّق عليَّ أحد.

وقال الواقدي: مات سنة خمس وأربعين بالجزيرة وقال ابن أخيه عبد الحميد: مات عمرو بالكوفة لأنه قال: بلغني أنه يُحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فأحببتُ أن أموت بها.

وقيل: إنه مات سنة أربعين ومئة، وقيل: سنة ثمان وأربعين، وسمع أباه، وعمر بن عبد العزيز، والزهري وغيرهم، وروى عنه ابن عيينة[(٢)]، وابن المبارك، ويزيد بن هارون، واتفقوا على صدقه وثقته وورعه، وأثنى عليه الإمام أحمد رحمة الله عليه بذلك.

محمد بن عمران

ابن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، أبو سليمان، قاضي المدينة الذي حكم بين الجَمَّالين والمنصور[(٣)]، وهو من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، وأمه أسماء بنت سلمة بن عمر بن أبي سلمة، وأمها حفصة بنت عبد الله بن عمر بن

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٧٢، والمعارف ص٤٨٢، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٦٢، ومروج الذهب ٦/ ٢٠٨، وأمالي المرتضى ١/ ١٦٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٣، وتهذيب الكمال (٤٩٩٥)، والمنتظم ٨/ ٥٨، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٤١، والميزان (٦٠٥٧)، والسير ٦/ ١٠٤.

(٢) الذي في المصادر: سفيان الثوري، انظر تاريخ بغداد ١١/ ٨٩، وتاريخ دمشق ٥٦/ ٧٦، وتهذيب الكمال (٥٠٤٦)، والمنتظم ٨/ ٩٣، والسير ٦/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٤٥، وطبقات ابن سعد ٩/ ٤٨٧.

(٣) سلفت القصة في الصفحة ٩٤.

الخطاب، وأمها أسماء بنت زيد بن الخطَّاب بن نُفَيل.

قضى لبني أمية، ثم للمنصور على المدينة، وكان جَليلاً مَهيباً صَليباً من الرجال، وكان قليل الحديث، ومات بالمدينة في سنة أربع وخمسين ومئة، وقيل: سنة خمس وأربعين ومئة، فبلغ موته أبا جعفر فقال: اليوم استوت قريش.

اتفقوا على صدقه وثقته وديانته وورعه ونزاهته، وكان له من الولد عبد الله وعبد العزيز[١].

يحيى بن الحارث الذِّماريّ

من الطبقة الرابعة من أهل الشام، كان عالماً بالقراءة، إمام جامع دمشق، قرأ على واثلة بن الأَسْقَع، وعبد الله بن عامر، وقال: قلت لواثلة: بايعتَ رسول الله ﷺ بيدك هذه؟ قال: نعم، قلت: أعطنيها حتى أقبِّلَها، فأعطانيها فقبلتُها.

وقال سُويد بن عبد العزيز: سألت الذِّماريّ عن عدد آيِ القرآن، فأشار بيده اليمنى وقال: سبعة آلاف ومئتان، وأشار بيده اليسرى وقال: وستة وعشرون.

وقال الواقدي: مات يحيى بالشام سنة خمس وأربعين ومئة وهو ابن تسعين سنة[٢]، وروى عن عمرو بن مَرْثَد الرَّحَبيّ وغيره، وروى عنه الأوزاعي وغيره.

وفي آخر هذه السنة ثار السودان بالمدينة.

ذكر السبب:

كان رياح بن عثمان المُرِّي قد استعمل على الصدقة أبا بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، وبعثه إلى طيّئ وأسد، فأخذ صدقاتهم، ثم اتَّفق خروج محمد بن عبد الله بن حسن، فقدم ابنُ أبي سَبْرة ومعه أربعة وعشرون ألف دينار قد أخذها من الصدقات، فدفعها إلى محمد بن عبد الله فتقوى بها، وكان رياح محبوساً، فلما قُتل محمد كتب

---

(١) لم أجد من ذكر في أولاد محمد بن عمران: عبد العزيز، انظر نسب قريش ٢٨٥، وطبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٨، والمعارف ص٢٣٢، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣١، وجمهرة ابن حزم ص١٣٩، والتبيين ص٣٢٧.

(٢) في طبقات ابن سعد ٩/ ٤٦٧ وهو ابن سبعين سنة، وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٤٨ (مخطوط)، والسير ٦/ ١٨٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ١٠٠٧.

عيسى بن موسى إلى أبي جعفر يخبره بخبر ابن أبي سبرة، فأمره أن يقيِّده ويحبسه، ففعل، وقُتل عيسى وهو في الحبس.

وقيل: إن كثير بن حُصَين الذي استخلفه عيسى على المدينة ضربه سبعين سَوطاً وقيَّده، وقدم عبد الله بن الربيع الحارثي المدينة من قِبل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوال، وكان معه جند، فأفسدوا وعاثوا فيها، فوثب عليهم سودان المدينة والرَّعاع، وقتلوا جندَه، وانتهبوا رحلَه، وخرج الحارثي من المدينة هارباً، فنزل ببئر المُطَّلب على خمسة أميال من المدينة يريد العراق، وكسر السُّودان باب الحبس، وأخرجوا ابن أبي رُهْم[1]، وكسروا قيدَه، وحملوه حتى وضعوه على المنبر، فحثَّ على طاعة أبي جعفر، ونهى عن مخالفته، فقيل: صلِّ بالناس، فقال: أنا أسير والأسير لا يَؤم، ورجع إلى محبسه.

وبلغ أبا جعفر فعلُ أبي بكر بن أبي سَبْرة بن أبي رُهْم القرشي، فولَّى على المدينة جعفر بن سليمان، وقال له: إن بيننا وبين أبي بكر بن أبي سَبْرة رَحِماً، وقد آسى وأحسن، فإذا قدمتَ المدينة فأطلقه وأحسن جِواره، فلما وصل جعفر أطلقه.

وكان مَعْن بن زائدة عاملَ أبي جعفر على اليمن، فسأل أبو بكر بن أبي سَبْرة جعفراً والي المدينة أن يكتب له كتاب وصية إلى معن، فكتب له، فلقي الرَّابحيَّ الشاعر، فقال له أبو بكر: هل لك أن تخرج معي إلى اليمن؟ فقال: اكفني أمر عائلتي، فأمر لهم بما يصلحهم، ثم خرج معه فقدما على مَعْن، فلما قرأ كتاب جعفر قال له: جعفر أقدر على صِلَتِك مني فلا شيء لك عندي، فانصرف مغموماً، فلما انتصف النهار دعاه معن وقال له: ما الذي حملك على القدوم عليَّ وأمير المؤمنين عليك واجد؟ فقال: قد زال ما عنده وأوصى بي جعفراً، قال: كم عليك دين؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأعطاه ستة آلاف دينار وقال: اقض دينك وأصلح بألفين حالك، فجاء إلى منزله، وأخبر الرَّابِحيّ فجاء إلى معن فأنشده: [من الكامل]

---

(١) هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سَبْرة بن أبي رُهْم.

الـرَّابِـحـيُّ يـقـول فـي مـدحٍ لأبي الـولـيـد أخي[١] الـنَّدى الـغَمْرِ
مـلـكٌ بـصـنـعـاءِ الـمـلـوك لـه مـا بـيـن بـيـت الله والـشِّـحْـرِ

فقال معن بن زائدة: فكان ماذا؟ فقال:

حـمـلـتْ بـه أمٌّ مـبـاركـةٌ وكـأنّـهـا بـالـحَـمْـلِ لـم تـدري

فقال معن: ثم ماذا؟ فقال:

حـتّـى إذا مـا تـمَّ تـاسـعُـهـا وَلَـدَتْـه أولَ لـيـلـةِ الـقَـدْرِ
وأتـتْ بـه بِـيـضـاً أسـرَّتُـه يُـرجـى لـحـمـل نـوائـب الـدّهـرِ
مـسـح الـقـوابـلُ وَجْـهَـه فـبـدا كـالـبـدر بـل أبـهـى مـن الـبـدر
فـنَـشـا بـحـمـد الـلَّـه حـيـن نـشـا حَـسَـنَ الـمـروءة طـيِّـبَ الـذِّكـرِ
حـتّـى إذا مـا طـرَّ شـاربُـه خـضـع الـمـلـوكُ لـسـيِّـدٍ بَـهْـرِ[٢]
فـإذا وَهَـى ثَـغْـرٌ يـقـال لـه يـا مَـعْـنُ أنـت سِـدادُ ذا الـثَّـغْـرِ

فأعطاه ألف دينار، وخرج أبو بكر والرابحيُّ من اليمن، فقال له: أما الأربعة آلاف فلدَيني، وأما الألفان فبيننا نصفان، فقاسمه إياها.

وعتب أبو جعفر على معن، فكتب معن يقول: جاءني كتاب جعفر؛ فظننت أن أمير المؤمنين قد رضي عنه، فكتب أبو جعفر إلى جعفر بن سليمان يعاتبه، فكتب إليه جعفر: إنك لما أوصيتَني به لم يكن من استيصائي به غير كتاب إلى معن أوصيه به.



(١) في (خ) و(ب): مدح الأريب أخي، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ١٠٨، والفرج بعد الشدة ٢/ ٢٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٥، والخبر دون الشعر في تاريخ الطبري ٧/ ٦٠٩ ـ ٦١٤، وتاريخ بغداد ١٦/ ٥٣٦ ـ ٥٣٨، والمنتظم ٨/ ٦٨، والسير ٧/ ٣٣٢.

(٢) في (خ) و(ب): لسيد القهر، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٦ : لسيد فهري، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٤.

السنة السادسة والأربعون بعد المئة

فيها بنى بغداد وتحوَّل إليها أبو جعفر في صفر، وكتب إلى الآفاق أن تَرِد عليه خطباؤهم وشعراؤهم وعلماؤهم، فكان فيمن قدم عليه من شعراء المدينة:

إبراهيم بن علي بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمَة، أبو إسحاق الفِهري المدني، من الخُلُج، والخُلُج قوم من عَدْوان، ألحقهم عمر بن الخطاب ﷺ بالحارث [بن فِهْر] بن مالك بن النَّضْر بن كنانة[١]، وسمُّوا بذلك لأنهم اختُلِجوا من عَدْوان.

وكان ابن هَرْمَة شاعراً فصيحاً، وهو أحد المخضرمين، أدرك الدولتين بني أمية وبني العباس، وكان يمدح الطالبيين ويحبّهم، ويقدّمهم على بني العباس، وخرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قُتل عاد إلى المدينة فأقام بها إلى أن قدم فيمن قدم على المنصور.

قال ابن هَرْمَة: دخلتُ عليه وأنا خائف منه وقد جلس للناس وبينه وبينهم سِتْر، وقد اجتمع الخطباء والشعراء من كل مصر، وأبو الخَصيب الحاجب قائم عند الستر يقول: يا أمير المؤمنين، هذا فلان الخطيب، ثم يقول: اخطب، وهذا فلان الشاعر، ثم يقول: أنشد، قال ابن هرمة: وكنتُ آخر مَن بقي، فقال الحاجب: يا أمير المؤمنين، هذا ابن هَرْمَة فقال: لا مرحباً به ولا أهلاً، ولا أنعم الله به عيناً، فاسترجعتُ وقلت: ذهبتْ والله نفسي، فقلتُ في نفسي: هذا موقف إن لم أُنشد فيه هلكتُ، فقال أبو الخَصيب: أنشِدْ، فأنشدتُ قصيدتي اللامية، إلى أن قلتُ في مدحه: [من الطويل]

لـه لَـحَـظـات فـي خَـفـاء سَـريـرةٍ … إذا كَـرَّهـا فـيـهـا عِـقـابٌ ونـائـلُ
فـأمُّ الـذي أمَّـنـتَـه تـأمَـنُ الـرَّدى … وأُمُّ الـذي حـاولـتَ بـالـثُّـكْـلِ ثـاكِـلُ[٢]

فقال: يا غلام، ارفع الستر، ثم قال: أتممها، وقال: ادنُ فدنوت، فجلستُ بين يديه وبيده مِخْصَرة فقال: يا إبراهيم، قد بلغني عنك أشياء ولولاها لفضَّلتُك على

(١) كذا، وفي الأغاني ٤/ ٣٦٧، وسمط اللآلي ص٣٩٨ أن الذي استلحقهم عثمان بن عفان ﷺ. وما بين معكوفين منهما.

(٢) وتقدمت أبيات ابن هرمة في الصفحة ٤١.

نُظرائك، فأقرَّ لي بذنبك أَعْفُ عنك، فقلتُ في نفسي: هذا عالم فقيه يريد أن يقتلني بحجَّة، فقلت: يا أمير المؤمنين، كلُّ ما بلغك مما عفوت عني بسببه فأنا مقرٌّ به، فضربني بالمِخْصَرة وقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم وخِلْعَة، وألحقتُك بنُظرائك مثل: رؤبة، وطريح بن إسماعيل، ولئن بلغني عنك ما أكره قتلتُك، فقلت: إن بلغك ذلك فأنت في حلٍّ من دمي، فقال: إن الزمان ضيِّقٌ بأهله فاشتر بهذه إبلاً عَوامِلَ، وإياك أن تقول: كلما مدحتُ أمير المؤمنين أعطاني مثلها، هيهات والعَودُ إلى مثلها، قال: فقدمت المدينة، فأتاني رجل من الطالبيين فسلَّم علي، فقلت: تنحَّ عني لا تَشِيط بدمي، فقال: ألستَ القائلَ فينا: [من المتقارب]

ومهما أُلام على حُبِّهم ... فإني أُحبُّ بني فاطمهْ
بني بنت من جاء بالمُحْكَما ... تِ والدِّين والسُّنَّة القائمهْ
ولستُ أُبالي بحبِّي لهم ... سِواهم من النَّعَم السَّائمهْ

قال ابن هرمة: فقلت: أعضَّ قائلَها بهَنِ أُمّه، فقال: قد قلتَها، فقال: أعضُّ بهَنِ أمي خير من أن أُقتل.

ودخلتْ يوماً على المنصور جارية وعليه ثوب مَرْقوع فقالت: خليفةٌ يكون عليه ثوب مرقوع؟! فسمعها فقال: وَيحك أما سمعتِ قولَ ابن هَرْمَة: [من الكامل]

إمَّا تَرَيْني شاحباً مُتَبَذِّلاً ... كالسَّيفِ يَخْلَق جَفْنُه فيضيعُ
ولَرُبَّ لَذَّةِ لَيلةٍ قد نِلتُها ... وحَرامُها بحلالها مَدفوعُ
قد يُدرِكُ الشَّرفَ الفتى ورداؤه ... خَلَقٌ وجَيبُ قميصِه مَرقوعُ(١)

وفيها عزل أبو جعفر عبدَ الله بن زياد الحارثيّ(٢) عن المدينة، وولَّى جعفرَ بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس.

---

(١) الشعر والشعراء ص٧٥٣، طبقات الشعراء ص٢٠، أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٤٦، تاريخ دمشق ٢/ ٤٧٤، المنتظم ٩/ ٢١ (وفيات سنة ١٧٦)، السير ٦/ ٢٠٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٨٠٩، ديوانه ص١٤٤، ١٦٨، ٢١٤.

(٢) كذا في (ب) و(خ). والصواب: عبد الله بن الربيع. انظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٥٦، والمنتظم ٨/ ٩٦، والكامل ٥/ ٥٧٦.

ولد جعفر بالشراة من أرض البلقاء، ونشأ بها عند أهله، وخرجَ معهم منها إلى الكوفة لَمَّا تولَّى أبو العباس الخلافة، وكان مع أبيه سليمان بالبصرة.

قال الأصمعي: ما رأيتُ أشرفَ نفساً من جعفر، ولا أكرم أخلاقاً.

ركبَ يوم جمعة إلى الجامع ومعه جماعةٌ من الموالي، فمر بأبي سعيد الضبعي، وكان لجعفر جارية تسمى الخيزران يحبُّها، فناداه الضبعي: يا جعفر، أتحبُّ الخيزران، قال: نعم، فقال الضبعي: [من البسيط]

نبئتُها عشقَتْ حشّاً فقلتُ لها ما يعشق الحَشَّ إلَّا كلُّ كنَّاسِ

فضرب جعفر وجه دابته، ومضى مسرعاً حياءً من الناس[1].

وركبَ يوماً في مواليه وحشمه وفُهوده وسُقوره[2]، فناداه رجل: يا جعفر، انظر أيَّ رجلٍ تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله، وقد خرجتَ من قبرك وحيداً، ولا ينفعكَ هذا الجمع، ولا يغني عنك من الله شيئاً؟ وليسألنَّكَ اللهُ وحدَك، وأنتَ قائمٌ بين يديه وحدَك، فبكى جعفر، ورجعَ من نزهته إلى داره حزيناً كئيباً.

قال المصنف رحمه الله: ولم أقف على تاريخِ وفاة جعفر، إلَّا أنَّ ابن عساكر قال: كان حياً إلى سنة أربع وأربعين ومئة[3].

وفيها عزل أبو جعفر عن البصرة سلم بن قتيبة، وسببُه أنه كتب إليه يقول: اهدم دورَ من خرج مع إبراهيم، واعقر نخيلَهم، فرقَّ عليهم، وكتبَ إليه يسألُه فيهم، فكتب إليه: افعل ما تؤمر، فكتب إليه سلم: بأيِّ ذلك أبدأ، بالدور أم بالنخل؟ فغضبَ أبو جعفر وكتب إليه: لو كتبت إليك آمرك بإفساد تمرهم لكتبت: بماذا أبدأ بالبرنيّ أم بالشهريز؟ فعزلَه وولى محمد بن سليمان، فعاث في البصرة.

وكانت ولاية سلم عليها شهوراً، وهدم محمدٌ دوراً كثيرة، وحرقَ نخلاً، من ذلك

(١) انظر عقلاء المجانين ص٩٢.
(٢) السقر: الصقر. انظر القاموس (سقر).
(٣) كذا، وفي مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٦٢: سنة أربع وسبعين ومئة.

دار يعقوب بن الفضل[1]، وعون بن مالك، وأبي مروان، وعبد الواحد بن زياد، والخليل بن الحصين، وغيرهم.

ثمَّ عزل أبو جعفر محمد بن سليمان عن البصرة، وولَّاها محمد بن أبي العباس[2]. وعزل عيسى بن موسى عن الكوفة وولَّاه البصرة في جمادى الأولى هذه، وولى الكوفة محمد بن سليمان الذي عاث بالبصرة.

وغزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانيّ.

ودخلت الخزر إلى تفليس، وفيها جبريل[3] بن يحيى، فهزموه وقتلُوا من المسلمين خلقاً كثيراً.

وحجَّ بالناس عبدُ الوهاب بن إبراهيم الإمام.

رياح بن عمرو

أبو المهاصر القيسي، كان من الخائفين المتعبدين.

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسيّ قرابة رياح: كنتُ إذا دخلت عليه المسجدَ أراه يبكي، وإذا دخلت عليه البيت أراه وهو يبكي، ورأيته في الجبَّان وهو يبكي، فقلت له يوماً: أنت دهرَك في مأتم وبكاء، ثم قال: يحقُّ لأهل المصائب والذنوب أنْ يكونوا كذا.

وقال رياح: لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت لكلِّ ذنب مئة ألف مرة.

وجاء رياح بعد العصر يسأل عن ضيغم، فقيل: هو نائم، فقال: أنومٌ في هذه الساعة؟ ثم ولَّى. قال مالك بن ضيغم: فأتبعناه رسولاً وقلنا: ألا نوقظه لك؟ فغاب الرسول حتى غربت الشمس، ثم رجع، فقلنا له: أبطأت! فقال: هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئاً، أدركتُه وهو يدخل المقابر، وهو يعاتبُ نفسه ويقول: قلت: نومٌ هذه الساعة؟ ينامُ الرجل متى شاء، وما عليك من هذا، تسألين عما لا يعنيكِ، لله عليَّ أن

---

(١) في (ب) و(خ): المفضل. والتصويب من تاريخ الطبري ٧/ ١٩١، وسيأتي الكلام عنه في أحداث ١٦٩ هـ.
(٢) في المنتظم ٨/ ٩٦: محمد بن العباس.
(٣) تحرفت في (ب) و(خ) إلى حرملة. وانظر المنتظم ٨/ ٩٦.

لا أوسِّدَك الأرضَ سنة إلَّا من عذر، وجعل يوبِّخُها ولا يعلمُ بمكاني، فانصرفتُ وتركتُه.

وكان رياح إذا صلى على البواري يُسمَع لدموعه عليها وقعٌ كوقعِ المطر: طَقْ طَقْ.

وربما وُجد في بعض سكك المدينة مغشياً عليه من الخوف.

وكان له مِسْحٌ من شَعر، وغُلٌّ من حديد، فكان إذا جنَّهُ الليلُ لبس المسح وجعل الغُلَّ في عنقه، وبكى وتضرَّع إلى الصبح.

وقال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح وخرج بي إلى المقابر وقال: تعال حتى نبكي على ممرِّ الساعات ونحن على هذه الحال، ثم صرخَ ووقعَ مغشيًّا عليه، ثم أفاقَ وهو يقول: وانفسَاه وانفسَاه، ثمَّ قال: لنفسك فابك، ثم قام من غشيته وهو يقول: «تلك إذاً كرة خاسرة» فلم يلبث إلَّا أيَّاماً حتى مات، وكانت وفاته في هذه السنة.

أسند عن حسان بن أبي سنان وطبقته، وشغله التعبُّد والخوفُ والبكاءُ عن الرواية[(١)].

ضيغم بن مالك العابد

كان من الخائفين البكائين المحزونين، وهو من الطبقة الخامسة من أهل البصرة، كان وِردهُ في كلِّ يوم أربع مئة ركعة، وكان يركعُ حتى لا يقدر أن يسجد، ثمَّ يرفعُ رأسه إلى السماء ويقول: قرَّةَ عيني، كيف عزفت قلوبُ الخليقة عنك؟!

وقال أبو أيوب مولى ضيغم: سمعته يقول: إلهي، لو أعلمُ أن رضاكَ في قرضِ لحمي لقرضته بالمقاريض.

وقال مالك بن ضيغم: قالت أم ضيغم له يوماً: ضيغم، قال لها: لبيك يا أماه، قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟ فصاح صيحة لم يُسمع صاح مثلَها قطّ، وسقط مغشيًّا عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت وأمي، ما نستطيعُ أن نذكرَ بين يديك شيئاً من أمر ربك.

---

(١) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٦/ ١٩٢، والمنتظم ٨/ ٩٧، وصفة الصفوة ٣/ ٣٦٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٤.

وقالت له: ضيغم، قال: لبيك، قالت: أتحبُّ الموت؟ قال: نعم، قالت: ولم؟ قال: رجاء خير ما عند الله، فبكت العجوز وبكى، وتسامع أهلُ الدار، فجلسوا يبكون لبكائهم.

وقالت له يوماً آخر: ضيغم، قال: لبيك يا أمَّاه، قالت: أتحبُّ الموت؟ قال: لا، قالت: ولم؟ قال لكثرةِ تفريطي وغفلتي عن نفسي، فبكت العجوز وبكى ضيغم، وبكى أهلُ الدار.

وقال رجلٌ لأمِّ ضيغم: ما أطولَ حزن ضيغم! فبكت وقالت: لمثل ما نُدِبَ إليه فليحزن، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن، وهل رأيتَ محزوناً قط؟

وكان لا يشربُ الماءَ البارد، فقيل له في ذلك، فقال: حَانتْ منِّي نظرةٌ إلى امرأة، فجعلتُ على نفسي ألَّا أذوقَ الماء البارد أيَّام الدنيا، أنغِّصُ عليها الحياة، وكان ينشد: [من الكامل]

قد يَخزُنُ الورِعُ التقيُّ لسانَه ... حذرَ الكلامِ وإنَّه لمفوَّهُ

وكانت وفاته في هذه السنة رحمة الله تعالى عليه[١].

عمرو بن قيس المُلَائي

من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان من الأبدال، وكان يقول: حديثٌ أرقِّقُ به قلبي وأبلغُ به إلى ربِّي أحبُّ إليَّ من خمسين قضيةً من قضايا شريح.

وكان سفيان الثوري يقعُد بين يديه ينظرُ إليه، لا يكاد يَصرِفُ بصرَه عنه. وكان يصوم الدهر ولا يعلم به أحد.

ولَمَّا احتُضر بكى، فقال له أصحابه: علامَ تبكي؟ فلقد كنتَ والله منغَّصَ العيشِ أيَّام حياتك، فقال: والله ما أبكي على الدنيا، وإنَّما أبكي خوفاً أن أحرم خير الآخرة[٢].

وقال سفيان الثوري: عمرو بن قيس هو الذي أدبني، علَّمني قراءةَ القرآن

(١) وكذا أورده ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٩٨ في وفيات هذه السنة. وقال الذهبي في السير ٨/ ٤٢١، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٧٤: توفي سنة ثمانين ومئة. والله أعلم.
وانظر ترجمته أيضاً في صفة الصفوة ٣/ ٣٥٧.

(٢) في صفة الصفوة ٣/ ١٢٥: خوف الآخرة.

والفرائض، فكنت أطلبُه في سوقه، فإن لم أجدهُ وجدتُه في بيته، إمَّا يصلِّي، وإمَّا يقرأُ القرآن، فإن لم أجدهُ في بيته وجدتُه في المسجد في زاوية كأنَّه سارقٌ يبكي، فإن لم أجده في المسجد وجدتُه في المقابر قاعداً ينوح ويبكي على نفسه، فلمَّا مات عمرو أغلق أهل الكوفة حوانيتهم وخرجوا بجنازته إلى الجبَّان، وكان قد أوصى أن يصلِّي عليه أبو حيان التيميّ، فتقدَّم أبو حيَّان وكبَّر أربعاً، وسمعوا صائحاً يصيح: قد جاء المحسِن عمرو بن قيس، وإذا البرِّيَّةُ مملوءةٌ من طير أبيض لم يُر على خِلقتها وحسنها، وجعل الناس يتعجَّبون منها، فقال أبو حيان: من أيِّ شيءٍ تتعجبون؟ هذه ملائكةٌ جاءت فشهدت عَمراً.

وقال الخطيب: لما مات عَمرو رأوا البرِّيَّةَ مملوءةً رجالاً عليهم ثيابٌ بيض، فلمَّا صُلِّيَ عليه ودفن لم يُرَ في الصحراء أحد، وبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى: ما مَنعكُما أن تذكُرا لي هذا الرجل؟ فقالا: قد كان يسألنا أن لا نذكُره لك(١).

وتوفي بالكوفة، وقيل: بالشام، وقيل: ببغداد، وقيل: بسجستان.

سمع عكرمة، وأبا إسحاق السبيعي، وعطاء، ومحمد بن المنكدر، وروى عنه سفيان الثوري وغيرُه، وكان صدوقاً ثقةً سيداً خائفاً ورعاً(٢).



(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٥/ ١٠٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٠، والمنتظم ٨/ ٩٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٠، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٩.

السنة السابعة والأربعون بعد المئة

فيها خلع أبو جعفر ابن أخيه عيسى بن موسى من العهد، وولَّاه المهدي، وجعل عيسى بعدَه، وكان أبو العباس قد عهدَ إلى أبي جعفر، وبعده إلى عيسى بن موسى - وأقرَّه أبو جعفر على ذلك ـ وولَّاه الكوفة وأعمالَها، وقدَّمه على الجيوش، وقتل عيسى محمداً وإبراهيمَ ابني عبد الله بن حسن.

وكان أبو جعفر لعيسى مكرماً، وكان إذا دخل عليه أجلسه عن يمينه، وأجلس محمداً المهدي عن يساره، فلمَّا رأى أبو جعفر من ولده أمارات الصلاح، وأنَّه يصلحُ للأمر، وعزمَ على خلع عيسى وتوليته بعد محمد المهدي، وكان يستحي من عيسى، فأشار إليه أبو جعفر يوماً بألطف إشارةٍ، فصرخ عيسى ـ وكان قد فهم ذلك ـ فقال: [فـ] أين العهودُ والمواثيق والطَّلاق والعِتَاق والحجُّ ماشياً وصدقةُ الأموال؟ فلم يجبه، فأعرضَ عنه أبو جعفر، وقال لابنه محمد: اجلس عن يميني في مجلس عيسى، وكان يجلسُ فيه، وإذا دخلَ عيسى بعد محمد جلسَ دون محمد، ولا يجلس عن يسار أبي جعفر، وأبو جعفر يتغيَّظُ من ذلك، وعيسى صابرٌ لا ينطقُ بحرف، ثم زاد هوانُ أبي جعفر لعيسى، فأمرَ أن يحفر الحائط الذي خلف عيسى كان يقعد عنده، ثمَّ يؤذن له على أبي جعفر، فيقوم فيدخل عليه والترابُ على قلنسوته وطيلسانه لا يغيِّره، فيقول له أبو جعفر [ما هذا؟ فلا يجيبه، فيقصد أبو جعفر][1] أن يشكو، وهو لا يتكلَّم.

وأمر أبو جعفر عيسى بن علي أن يدخل بينه وبين عيسى بن موسى، فيقال: إن عيسى ابن علي سقى عيسى بن موسى سُمًّا، فمرضَ وتناثرَ شعرُه، وطلبَ من أبي جعفر أن يمضيَ إلى الكوفة، فقال له: أقم ها هنا، فقال: الكوفة أصلح، وكان ابن بختيشوع قد قال لعيسى: ما يمكنني أن أعالجـ[ـك] بحضرة أبي جعفر؛ لأنه لا آمنه على نفسي، فأذن أبو جعفر لعيسى في المسير إلى الكوفة، فسارَ وأقامَ يتمرَّض حتى برِئ، فقال أبو زياد يحيى بن زياد البُرْجُمي: [من المنسرح]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

أَفْلَتَ مِن شربةِ الطبيب كما أفلتَ ظبيُ الصَّريمِ من قبرِهْ[1]
من قانصٍ يُنْفِذُ الفريص[2] إذا رُكِّبَ سهمُ الحتوفِ في وترِهْ
دافعَ عنك المليك صولته صولة ليث يزيد في خُمُرِهْ
حتى أتانا وفيه داخِلةٌ تُعرفُ في سمعِه وفي بصرِهْ
أزعرَ قد طارَ عن مفارقِه وحف أثيث النباتِ من شَعَرِهْ

وكان عيسى لما سار من بغداد إلى الكوفة خرج أبو جعفر في إثره، فأقامَ أيَّاماً بالحيرة يُجْرِي الخيلَ في الحلبة، وعاد عيسى مِراراً، ورجع إلى بغداد.

وفي رواية أنَّ عيسى بن علي قال لأبي جعفر: إنما يمتنعُ عيسى بن موسى من البيعة للمهديّ؛ لأنَّه يتربَّصُ هذا الأمرَ لابنه موسى، فموسى هو الذي يمنعُه، فقال أبو جعفر لعيسى بن علي: فكلِّم أنت موسى بن عيسى فكلَّمه، فلم يجبه وامتنع، فتهدده، فخاف أن ينقل عيسى بن علي مجلسَه إلى المنصور فجاء إلى العباس فاستكتمَه ما يريد أن يقوله، فقال له: قل غير خائف، قال: قد علمتَ ما يلاقي هذا الشيخ أبي من الذلِّ وصنوف الهوان، وقد رأيتُ أن أفدي أبي بنفسي، تقول لأمير المؤمنين إذا اجتمعنا تقول له: يا عيسى قد علمتُ سببَ ضنِّك بهذا الأمر عن المهدي؛ لعلوِّ سنِّك ودنوِّ أجلك، وإنما تَضنُّ به لأجلِ ابنك موسى، أفتراني أبقي ابنك بعدك، فيلي على ابني؟ كلا والله، ولآتين على نفس ابنك وأنت تنظر، فإن أجابَ فعسى يجيب من خوفه عليّ، فقال له العباس: يا ابنَ أخي، جزاك الله خيراً، فلقد فديتَ أباك بنفسك.

ثمَّ أتى أبا جعفر فأخبره، فقال: جَزى الله موسى خيراً، وسوف أفعلُ ما أشارَ به.

وجاء عيسى بن موسى فدخلَ على أبي جعفر، وعمومتُه وأهلُه عنده، فقال له: يا عيسى أعلم أنك إنَّما تريدُ هذا الأمر لابنك هذا المشؤوم عليك وعلى نفسه، فقال عيسى بن علي: البول البول، فقال أبو جعفر: ألا ندعو لك إناءً فتبول فيه، فقال: في مجلس أمير المؤمنين، ذاك ما لا يكونُ أبداً، وقام عيسى بن علي إلى أقرب البلاليع،

---

(١) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف ٣/ ٢٨٨، وتاريخ الطبري ٨/ ١١، وأشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق ص٣٠٩ : قتره.

(٢) الفريص: أوداج العنق. القاموس (فرص). وتحرفت في أشعار أولاد الخلفاء ص٣١٠ إلى: من قابض يقبض العريض.

فقال عيسى بن موسى لابنه موسى: قم مع عمِّك، فاجمع عليه ثيابه، فقام موسى من ورائه فجمعَ ثيابه وعيسى لا يعلم، ثم علم فقال: من هذا؟ قال: موسى بن عيسى[١]، [فقال]: بأبي أنت، والله إنكما لأحقُّ بهذا الأمر، ولكن المرء مغرًى بما تعجَّل، قال موسى: فقلت في نفسي: قد أمكنني والله من مقاتله، وهو الذي يغري أبا جعفر بي وبأبي، والله لأقتلنَّه بما قال. ورجع موسى إلى أبيه عيسى فأخبره بما قال عيسى بن علي، وقال: إن هذا قد قتلني وإيَّاك، فدعني أخبر أبا جعفر بما قال ليقتله ويشفي صدورنا منه، فقال له أبوه: أفٍّ لك، ائتمنك عمُّك على مقالةٍ أراد أن يَسرَّك بها فجعلتَها سبباً لهلاكه؟ لا يسمعن هذا منك أحد.

وأعاد أبو جعفر كلامَه على عيسى بن موسى، فلم يجبه، فقال أبو جعفر: يا ربيع، اخنق موسى بحمائل سيفه، فقام فجعلَ يخنقُه خنقاً رويداً، وموسى يصيح: الله الله فيَّ يا أمير المؤمنين، فوالله إني لبعيدٌ مما تظنُّ، والمنصورُ يقول: اشدد يا ربيع، والربيع يوهمه أنه يريد تلفه، وهو يرخي خناقه وموسى يصيح: الله الله فيّ.

فلمَّا رأى ذلك عيسى بن موسى قال لأبي جعفر: والله ما كنتُ لأظنُّ أنَّ الأمرَ يبلغُ بك هذا كلَّه، فوالله ما أرى أن يقتل عبدٌ من عبيدي بسبب هذا الأمر، فكيف بولدي! وقد علمتَ ما فعلتُ معك، أخذت لك البيعة وأنت غائب، وحفظتُ عليك الخزائن، وقتلت إبراهيم ومحمد ابني عبد الله، وفعلت وفعلت، وأمَّا إذا أبيتَ فإنِّي أشهدُك أنَّ نسائي طوالق، وعبيدي أحرار، وما أملك في سبيل الله، وهذه يدي بالبيعة لمحمد المهدي، واصرف أموالي ومماليكي فيمن شئت، فقال له أبو جعفر: إنَّك قد قضيت حاجتي كارهاً، ولي حاجة أحبُّ أن تقضيها طائعاً، فتسلِّي بها ما في نفسي من الحاجة الأولى، قال: وما هي؟ قال: تجعلُ الأمرَ من بعد المهدي لنفسك، فقال: ما كنتُ لأدخلَ فيها بعد إذ خرجتُ منها، فلم يدعه ومن حضر حتى قال: فأميرُ المؤمنين أعلم، ثم خرج عيسى من عند أبي جعفر.

وكان أبو[٢] جعفر لمَّا عزمَ على البيعة لابنه، وامتنع عيسى وعرف الجند فكان

---

(١) فوقها في (خ): كذا، وما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣.

(٢) هذه رواية أخرى فيما جرى بين المنصور وعيسى بن موسى. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٤.

عيسى إذا ركب أسمعوه ما يكره فشكاهم إلى أبي جعفر، فتقدَّم إلى الجند بأن لا يؤذوه، وقال: عيسى جلدة ما بين عيني، ومن آذاه قتلته، فكانوا يكفُّون ثم يعودون، ثم إنَّ أبا جعفر كتبَ إليه كتاباً طويلاً يذكرُ فيه ما كانوا فيه على أيام بني أمية، وأنَّ الله أنقذهم ونصرَهم عليهم، ثم قال في آخره: وإنَّه لما نشأ هذا الغلام - يعني المهدي - قذفَ الله في قلوب شيعتنا وأنصارنا محبَّته، وأشربَها مودَّته، فصاروا لا يذكرون إلَّا فضلَه، وهم لا ينوهون إلَّا باسمه، فلمَّا رأى أميرُ المؤمنين ما قذفَ الله في قلوبهم من ذلك علمَ أنَّ الله تعالى تولَّى ذلك، وأنَّه ليس لأحدٍ فيه من العباد صنعٌ، فلم يجد بدًّا من متابعتهم[١] واستصلاح قلوبهم، فأحبَّ أن يعلمَك ذلك؛ ليكون ابتداؤه من قِبَلك؛ لتعلم شيعتنا وأنصارُنا من أهل خراسان أنَّك أسرعتَ إلى ما أحبُّوا، والسلام.

فكتب إليه عيسى كتاباً طويلاً منه: أما بعد، فإنَّني وصلني كتابُك، تذكرُ فيه ما أجمعتَ عليه من خلاف الحقّ، وركوب الإثم في قطيعة الرَّحِم، ونقضِ ما أخذَ الله عليه الميثاق من العامَّةِ بالوفاء للخلافة، والعهدِ من بعدك؛ لتقطعَ ما أمر الله به أن يوصل من حبله، وتفرِّقَ ما ألَّفَه من جمعه، وتجمع [بين][٢] ما فرق الله من أمره؛ مكابرةً لله في سمائه، ودخولاً[٣] عليه في قضائه، ومتابعةً للشيطان في هواه، ومن كابرَ الله صرعَه، ومن نازعَه قمعَه، ومن خادعه خدعه، ومن توكَّل عليه منعَه، ومن تواضعَ له رفعه، إنَّ الذي أُسِّسَ عليه البناءُ، وحض عليه[٤] الحذاءُ من الخليفة الماضي: عهدٌ ليس لأحدٍ من المسلمين رُخصة فيه، فلا يدعونَّك إلى الأمن من البلاء الاغترارُ بالبقاء، والترخيصُ في ترك الوفاء، فإنَّ من أجابَك إلى ترك ما وجب لي، واستحلَّ ذلك منِّي، لم يخرج إن أفتيته بالرخصة وأمكنته الرخصة[٥] أن يكون إلى ذلك منك أسرع، ويكون بالذي أسَّست من ذلك أبْخَع، فاقبل العافية، وارض من الله بما صنع، وخذ ما أوتيت بقوة، وكن من الشاكرين، ومن راقبَ الله حفظَه، ومن أضمرَ خلافَه

(١) في (خ): مبايعتها.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ١٧ : وحَوْلاً.
(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ١٧ : وخُطَّ عليه.
(٥) في تاريخ الطبري ٨/ ١٧ : إذا أمكنته الفرصة، وأفتتهُ الرخصة ....

خذلَه، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ ولسنا مع ذلك نأمن حوادث الدهر وبغتات الموت قبلَ ما شرعت فيه من قطيعتي، فإنْ عجَّلَ بي أمرٌ كنتَ قد كُفيت مؤنةَ ما اغتممت به، وسترت منك قبيحَ ما أردتَ إظهاره، وإن بقيتُ بعدك لم تكن أوغرتَ صدري وقطعت رحمي، وغير خافٍ عنك أنَّ الشيطان عدوٌّ مضلٌّ مبين، ينزغ بين أهل الحق؛ ليفرِّق جمعهم، ويشتت كلمتَهم، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، ويتبرَّأ منهم عند حقائق الأمور، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، ثمَّ وصفَ الذين اتقوا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] والسلام.

فلمَّا قرأ أبو جعفر كتابَه اشتدَّ غضبُه، وكتب إليه: اسْلُ عنها تنَل منها عوضاً[(١)] [في الدنيا][(٢)]، وتأمن من تبعاتها في الأخرى.

وعاد الجندُ إلى أذاه، فلم يمنعهم أبو جعفر، فكان إذا ركبَ مشوا حوله، ونالوا منه، وقالوا: أنت البقرةُ التي قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] وكانوا يجلسونَ على بابه يمنعون من يدخل إليه، فشكاهم إلى أبي جعفر، فقال: إنِّي أخافُ عليك وعلى نفسي، فإنَّ الجندَ قد أُشربوا حبَّ هذا الفتى، فلو قدَّمتَه بين يديك فكان بيني وبينك لكَفُّوا، فأجابَ إلى خلع نفسه.

وفي روايةٍ أنَّ عيسى لما امتنعَ من الإجابة، قال أبو جعفر لخالد بن برمك: قد أعيتنَا وجوهُ الحيل، وضلَّ عنا الرأي في عيسى، فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، ضمَّ إليَّ رجالاً من أعيان الشيعة، وأذهب إليه أكلمه، فضمَّ إليه ثلاثين رجلاً ومضى إليه، فدخل عليه فكلَّمه، وساعدَه القوم، وما أبقوا في الكلام بقية، وهو يقول: ما كنتُ أخلع نفسي، وقد جعلَ الله لي الأمرَ من بعده، فلمَّا خرجوا من عنده قال لهم خالد: ما عندكم؟ قالوا: تعيدُ على أمير المؤمنين ما قال، فقال: لا، بل نخبره أنَّه قد أجاب، ونشهد عليه أنه قد أنكر[(٣)]، فقالوا: هذا هو الصواب، فدخلُوا على أبي جعفر، فقالوا: قد

---

(١) في (خ) و(ب): غرضاً. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) كذا في (خ) و(ب). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٠: ونشهد عليه إن أنكره.

أجاب، فكتب إلى الآفاقِ بالبيعة للمهدي، وبلغَ عيسى فأنكر، فشهدُوا عليه، ولم ينفع إنكارُه، وشكر أبو جعفر ذلك لخالد، وكان المهديُّ يصفُه بجزالة الرأي.

وفي رواية أنَّ أبا نُخَيلة عمل شعراً منه: [من الرجز]

إلى أميرِ المؤمنين فاغتدي ... سِيري إلى بحرِ البحور المزبدِ
إنَّ الذي ولَّاك ربُّ المسجدِ ... أمسَى وليُّ عَهدِها بالأسعدِ
عيسى فزحْلفها[1] إلى محمدِ ... حتى تؤدَّى من يدٍ إلى يدِ
فقد رضينا بالغلامِ الأمردِ[2]

من أبيات. وشاعت ووقعت في أفواه العالم والخدم، وبلغت أبا جعفر، فاستدعاه ومجلسُه غاصٌّ بالناس، وعيسى بن موسى حاضر والقواد، فقال: أنشدني أرجوزتَك، فأنشده، فأعجبته، وكتب له إلى الرَّيِّ بعشرة آلاف درهم، فأخذَ الخطَّ وخرج، فقال له عقال بن شبة: أمَّا أنتَ فقد سررت أمير المؤمنين، فإن صح الأمرُ نلتَ خيراً منه، وإلَّا فابتغ نفقاً في الأرض أو سلَّماً في السماء من عيسى بن موسى، فبعثَ عيسى في طلبه من ذبحَه وسلخَ وجهه، فلم يعرف.

وقال الهيثم: بلغَ أبا جعفر أرجوزةُ أبي نخيلة فاستدعاه، فأنشدَه إيَّاها بمحضر من عيسى بن موسى والأشراف والقوَّاد، فقال:

قل للأميرِ الواحدِ الموحَّدِ ... ليس وليُّ عهدِنا بالأرشدِ
عيسى فَزَحْلِفْها إلى محمدِ ... وناد بالبيعة جمعاً واحشدِ

فلمَّا انقضى المجلس دعاهُ أبو جعفر، وكتبَ له بالجائزة إلى الرَّيّ، وقال له: احذر عيسى بن موسى، فخرجَ إلى الرَّي وبعثَ عيسى وراءَه مولاه قطري ومعه جماعةٌ، فاغتالوه، فذبحوه وسلخوا وجهَه، ورموا جسدَه للنسورِ فأكلته.

وقيل: إنَّهم قتلوه بعد أخذ الجائزة.

وفي روايةٍ أنَّ سلمَ بن قتيبة قال لعيسى لمَّا امتنع: أيُّها الرجل، بايع، فإنَّه لم

(١) زحلفه: دحرجه ودفعه. القاموس (زحلف).

(٢) انظر الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢، وفيه اختلاف عما هنا.

يخرجك من الأمر، قد جعل لك الأمر بعد ابنه، فأجابَه وأتى سلم أبا جعفر فأخبره بذلك، فسُرَّ وحظي [سلم][(١)] عنده، وبايع عيسى، ووفَى له المهديُّ بما ضمن، وكان قد ضمنَ له عشرة آلاف ألف درهم، وثلاث مئة ألف درهم بين أولاده، وسبع مئة ألف لواحدة من نسائه، فوفى له أبو جعفر بجميع ذلك، وكساه كسوة قيمتُها ألف ألف درهم ومئتي ألف درهم[(٢)].

وكانت ولاية عيسى بن موسى على الكوفة وسوادها ثلاث عشرة سنة.

ولمَّا بويع المهدي قيل لشبيب بن شيبة[(٣)] التميمي: كيف رأيت؟ فقال: رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً.

ولقي عيسى بن موسى شريك بن عبد الله القاضي، وكان قد عُزِل عن القضاء، فقال له: يا أبا عبد الله، أما رأيت قاضياً عُزِل؟ فقال: بلى، ورأيتُ وليَّ عهد خُلع.

ولما عهد أبو جعفر إلى المهدي أوصاه فكان مما قال له: استدم النعم بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع، ولا تُبرِم أمراً حتى تفكِّر فيه، فإنَّ فكر العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته، واعلم أن لا تعمر البلاد إلَّا بالعدل، ولا تدومُ نعمةُ السُّلطان إلَّا بالمال، وأقدر الناس على العفو أقدرُهم على العقوبة، وأعجزُ الناس مَنْ ظَلَمَ من هو دونه[(٤)].

وفيها غارت الترك مع استرخان الخوارزمي على تفليس، وكان بها حرب بن عبد الله الراوندي الذي تنسب إليه الحربية ببغداد، فخرجَ إليهم، فقاتلهم فقتلوه، وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وسبوا.

وفيها انتثرت الكواكب من أوَّل الليل إلى الصباح، فخاف الناس[(٥)].

وفيها حجَّ أبو جعفر، وعزم على قبض جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فنجَّاه الله منه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) في (خ) و(ب): شبه. والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٢٩١.

(٤) المنتظم ٨/ ١٠٥.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٧.

قال الربيع: لَمَّا قدم المنصور في هذه الحجَّة المدينة قال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به متعباً[١]، قتلني الله إن لم أقتله، فبعثت إليه فجاء، فقلت: يا أبا عبد الله، اذكر الله، فقد أَرسَلَ إليك لأمرٍ عظيم، فاسترجع جعفر، فلمَّا دخل عليه قال له: أي عدوَّ الله! أنت الذي اتَّخذك أهلُ العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحدُ في سلطاني، وتبغيه الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ سليمان أُعطيَ فشكر، وأيوبَ ابتُليَ فصبر، وإن يوسفَ ظُلِم فغفر، وأنت من ذلك النسخ[٢].

فقال له أبو جعفر: إليَّ، و[أنت] عندي أبا عبد الله البريءُ الساحة، السليمُ الناحية، القليلُ الغائلة، جزاك الله من ذي رحمٍ أفضلَ ما جازى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثمَّ تناول يده فأجلسَه معه على فرشه، ثم دعا بغاليةٍ فغلَّفه بيده، ثمَّ قال: في حفظ الله وكلاءته.

يا ربيع، الحق أبا عبد الله بجائزته وكسوته، فانصرفَ وتبعته وقلت له: قد رأيتُ العجبَ قبل دخولك وبعده، فأخبرني ما قلت. فقال: إنِّي دعوت بدعاء، قلت: اللهمَّ احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليّ، لا أهلكُ وأنت رجائي، اللهم إنَّك أكبرُ وأجلُّ مما أخاف وأحذر، اللهمَّ بك أدفع في نحره، وأستعيذُ بك من شرِّه.

وكان العامل في هذه السنة على مكة والطَّائف عبد الصمد عمُّ المنصور، وعلى المدينة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة عقبة بن سلم، وعلى قضائها سوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم، وعلى خراسان نوَّابُ المهدي.

---

(١) كذا في (ب) و(خ)، والمنتظم ٨/ ١٠٦، وفي الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٣١٨ ـ وما سيأتي بين حاصرتين منه ـ: بغتة. وفي نسخة أشار إليها محققه: بغتاً.

ووقع في الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٧٥)، وفي نسخة بهامش الفرج بعد الشدة للتنوخي: تعباً.

(٢) كذا في (ب) و(خ)، وفي المنتظم ٨/ ١٠٦ : الشيخ (تحريف). وفي الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، والفرج بعد الشدة للتنوخي: السنخ. وهي الصواب. السنخ: الأصل. القاموس (سنخ)، وسبق الخبر في الصفحة ١٥١.

عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن العباس عم المنصور، وأمه بربريَّةٌ يقال لها: هنَّادة، ولد سنة ثلاثٍ ومئة، وقيل: سنة اثنتين ومئة في آخر ذي الحجة، وهو الذي هَزم مروان بالزاب، وتبعه إلى دمشق، وفتحَ دمشق، وهدمَ سورها، وجعلَ جامعها سبعين يوماً لدوابه وجماله وخيله، وقتلَ من أعيان بني أمية ثمانين رجلاً بنهر أبي فُطْرس من أرض الرملة، وطلبَ الخلافةَ، وهزمه أبو مسلم إلى البصرة، وشفعَ فيه أخوتُه إلى أبي جعفر، وأخذُوا ماله أماناً منه، واستوثقوا بالأيمان والطلاق والعتاق والمشي حافياً إلى مكة، فلما وقفَ أبو جعفر عليه قال: كل هذا يلزمني إذا وقعتْ عيني عليه، فلمَّا جاؤوا به إليه حبسَهُ، ولم تقع عينُه عليه، ولمَّا حُبس قال: [من الوافر]

أضـاعـونـي وأيَّ فـتًـى أضـاعـوا[1]

وبلغَ أبا جعفر فقال: نحن ما أضعناه، هو أضاعَ نفسَه، وأرادَ ضياع نفوسنا، فكانت نفوسُنا أعزَّ عندنا من نفسه.

وقال ابن عساكر: دخلَ عبد الله بن عليّ يومَ فتح دمشق من باب كيْسان، وعليه قميصٌ أسود وعمامةٌ سوداء، وهو متقلِّدٌ سيفاً أسود، فرأته امرأة، فقالت: ما أقبحَ وجهَك وأشد لونَ سوادِك[2]. ودخلَ دمشق، وقتل منها من أعيانِ بني أمية أربع مئة رجل[3].

وكان عبدُ الله قد خرجَ مع عبد الله بن معاوية [بن عبد الله][4] بن جعفر، فأسره ابن ضبارة، وبعث به إلى مروان بن محمد، فقال: ما الذي أخرجك مع ابن معاوية؟ قال: إنما أتيتُه طالباً لرفده، فأحسنَ إليه وخلَّى سبيله، فلما كان يوم الزاب قال مروان: ما صفةُ الذي يحاربني؟ قالوا: ذاك المصفار[5] اللون، الدقيقُ الذراعين، الذي عفوتَ عنه، فقال مروان: رب معروف يجني[6] لصاحبه شراً، فذهب مثلاً.

---

(١) وتمامه: ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ. وهو لعبد الله بن عمرو العرجي. انظر الشعر والشعراء ١/ ١٢٥.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٦ (طبعة مجمع اللغة) غير أن القائل فيه في هذا الخبر شيخ لا امرأة.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر أنساب الأشراف ٣/ ١٢٧.

(٥) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف ٣/ ١٢٧ : المصغَّر. وفيه أيضاً أنه شديد البياض حسن الوجه.

(٦) في أنساب الأشراف: يجيء.

ومن شعر عبد الله: [من مجزوء الكامل]

الظلمُ يصرع أهلَهُ والظلم مرتعُه وخيمُ
ولقد يكون لك البعيـ ـدُ أخاً ويقطعُك الحميمُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

بني أمية قد أفنيتُ آخرَكم فكيف لي منكم بالأوَّلِ الماضي
يطيِّبُ النفسَ أنَّ النار تجمعُكم عُوِّضتم من لظاها شرَّ مُعتاضِ
منيتُمُ لا أقالَ الله عثرتكُم بليثِ غابٍ إلى الأعداءِ نهَّاضِ
إن [كان] غيظي لفوتٍ منكم فلقد رضيتُ منكم بما ربِّي به راضي[1]

ذكر وفاته:

حجَّ أبو جعفر في سنة سبعٍ وأربعين ومئة بعد أن عقدَ البيعة لابنه محمد وبعده لعيسى ابن موسى، فلما عزم على الحجّ دعا عيسى بن موسى سرًّا وقال له: إنَّ عبد الله بن عليّ أرادَ أن يُزيل النعمةَ عنِّي وعنك، وأنتَ وليُّ عهدي بعد ابني، والأمرُ صائرٌ إليك، فخذ عبدَ الله بن عليّ فاضرب عنقَه، وإيَّاك أن تَخُورَ أو تضعف، فينتقضَ عليَّ ما دبرتُ لك. ثمَّ مضى أبو جعفر إلى الحجّ، وكتبَ إليه من الطريق يقول: يا عيسى، ما فعلتَ في الأمر الذي أُوعِزُ إليك فيه؟ فكتبَ إليه قد أنفذتُ ما أمرتَ به، فلم يشك أبو جعفر أنَّه قتلَه، وكان عيسى قد سترَ عبد الله بن عليّ، واستشار كاتبه يونس بن فروة[2] وابن شبرمة وابن أبي ليلى، فقال: إنَّ هذا الرجل قد دفعَ إليَّ عمَّه سرًّا، وأمرني بقتلِه، فماذا ترون؟ قال يونس: إنه أراد أن يقتلَه ثمَّ يقتلك بعده، قال فما ترى؟ قال: استره في منزلك بحيث لا يراه أحد، فإن طلبه منك، فادفعه علانيةً، ولا تدفعه سرًّا، وأمَّا ابن أبي ليلى فقال: امض لما أمرك به، وأمَّا ابنُ شبرمة فإنَّه قال: لا تقتله فيقتلَك ويستريحَ منكما جميعاً.

فلمَّا قدم أبو جعفر من الحج دسَّ إلى عمومته من يحرِّكُهم على مسألته في عبد الله، فجاؤوا إليه واستعطفوه وسألوه الرحم، فأجابَهم ودعا بعيسى، فقال: يا عيسى، إنِّي

---

(١) انظر الأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ص٢٩٨، وتاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٧. وما بين حاصرتين منهما.

(٢) في (ب) و(خ) بن أبي فروة. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٨، وتاريخ دمشق ٣٦/ ٦٥٦.

كنتُ لمَّا خرجتُ إلى الحجِّ دفعتُ إليك عبد الله يكون في منزلك، وقد كلَّمني فيه عمومتي، وقد أجبتُهم إلى سؤالهم فيه، فسلِّمه إليهم، فقال: ألم تأمرني بقتله؟! وقد امتثلتُ أمرك، فقال: ما أمرتُك إلَّا بحبسِه، قال: هذا كتابُك من الحج، فقال: كذبت، فقال: والله ما كذبت، وما الكذبُ من شيمتي، ولقد قلتَ لي كذا وكذا في ليلة كذا وكذا، فقال أبو جعفر لعمومته: إنَّ هذا قد أقرَّ بقتل أخيكم، وادَّعى أنَّني أمرتُه، وما أمرته، فخذوه واقتلوه، فقاموا إليه وخرجوا به إلى ظاهر القصر ليقتلوه، فلمَّا رأى أنَّه مقتولٌ، قال: ردُّوني إلى أبي جعفر، فردُّوه فقال: إنَّما أردتَ أنْ أقتلَه ثم تقتلني، وقد انعكس عليك الأمرُ، هذا عمُّك حيٌّ، فتسلَّمه، فأخذهُ أبو جعفر فحبسَه عنده في قصره، فوقع عليه البيتُ الذي كان فيه فمات.

وقيل: بنى له داراً وجعل في أساسِها الملح، وأطلقَ الماء في الليل على الأساسات، فذابَ الملحُ، فوقعت الحيطانُ عليه فمات.

وقيل: دفعَه إلى أبي الأزهر المهلّب بن عيسى(١) وقال: اقتله، فدخلَ عليه وهو نائمٌ فخنقَه، وكان إلى جانبه جاريةٌ، قال أبو الأزهر: فأردتُ خنقَها، فقالت: بالله يا أبا الأزهر قتلةٌ غير هذه، فما رحمتُ أحداً غيرها، فأدرتُ وجهي عنها، وأمرت من خنقَها، ووضعتها إلى جانبه في الفراش، ووضعت يديه تحتها كأنَّهما متعانقين، ثم هدمتُ البيت عليهما، ثم دعوت القاضي ابن عُلاثة والشهود، وقلت: سقطَ البيتُ عليهما، فشاهدوهما، ثم دفنتُهما.

ومات عبد الله وله خمسٌ وأربعونَ سنة.

وسأل أبو جعفر ابن عياش المنتوف، هل تعرف ثلاثةً أوائلُ أسمائهم عين، قَتلوا ثلاثةً أوائل أسمائهم عين؟ قال: نعم؛ عبد الرحمن بن ملجم قتل عليًّا عليه السلام، وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقطَ البيتُ على عمِّك عبد الله بن عليّ، فقال أبو جعفر: فسقطَ عليه البيتُ، فما ذنبي؟ قال: ما قلتُ إنَّ لك ذنباً.

وقيل: إنَّ الواقعةَ كانت مع أبي دلامة قال: وأنت أوَّلُ اسمك عين، قتلتَ عبد الله

(١) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف: المهلب بن العبيثر. وهو الصواب.

ابن حسن، وعبدَ الرحمن أبا مسلم، ووقعَ البيتُ على عمِّك عبد الله بن علي، فقال له أبو جعفر: وما كان فيه؟ قال: ما أدري ولكنَّني أحببتُ إعلامك.

وقد قتل جماعةٌ أعمامَهم، منهم المنصور، والمعتضدُ غرَّق عمَّه أبا عيسى في الماء، وسَقى المعتضدُ عمَّه المعتمد السم، وكذا فعل جماعةٌ من ولاة المغرب، وقتل جماعة أولادَ إخوتهم، فأبو جعفر سمَّ محمد بن السفاح، والمعتصمُ قتل العباس بن المأمون، والقاهرُ قتل ابن أخيه [أبا] أحمد بن المكتفي بعصر خصييه[١].

أسند عبد الله بن علي الحديثَ عن أبيه وإخوته محمد وداود ابني علي[٢]، ورَوى عنه سلمةُ قاضي دمشق، والله أعلم.



(١) انظر رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم ضمن مجموع رسائله ٢/ ٩٢.

(٢) في تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٥: حدث عن أخويه محمد وداود ابني علي.
ولم أقف على من ذكر أنه روى عن أبيه. بل روايته ـ كما في تاريخ ابن عساكر ـ عن أخويه عن أبيه، فالله أعلم. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٤.

السنة الثامنة والأربعون بعد المئة

فيها توفي

جعفر الصادق

ابن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، أبو عبد الله، وقيل: أبو إسماعيل، ويلقب بالصابر، والفاضل، والطاهر، وأشهر ألقابه الصادق.

من الطبقة الخامسة من أهل المدينة.

وأمه أمُّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ .

وكان جعفر مشغولاً بالعبادة عن طلب الرياسة.

قال عمرو بن أبي المقدام: كنتُ إذا رأيت جعفر بن محمد علمتُ أنَّه من سُلالة النبيين.

وقال جعفر لسفيان[١] : إذا أنعمَ الله عليك بنعمةٍ فأحببتَ بقاءها ودوامَها فأكثر من الحمد لله والشكر عليها، فإنَّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وإذا استبطأتَ الرزق فأكثر من الاستغفار، فإنَّ الله يقول في كتابه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ الآيات [نوح: ١٠ ـ ١٢] يا سفيان، إذا حزبك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، فإنها مفتاح الفرج، وكنزٌ من كنوز الجنة.

وقال: لا يتم المعروف إلَّا بثلاث؛ بتعجيله، وتصغيره، وستره.

وسئل: لم حرم الله الربا؟ فقال: لئلَّا يتمانع الناسُ المعروف.

وقال بعض أصحاب جعفر: دخلتُ عليه وبين يديه ابنُه موسى وهو يوصيه، فكان مِمَّا حفظتُ من وصيته أن قال: يا بنيّ، احفظ وصيتي، فإنَّك إن حفظتَها عشتَ سعيداً ومتَّ حميداً، يا بنيّ، إنَّه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد

---

(١) في (ب) و(خ): وسفيان. والتصويب من صفة الصفوة ٢/ ١٦٨. وانظر حلية الأولياء ٣/ ١٩٣.

غيره ماتَ فقيراً، ومن لم يرض بما قسمَ الله له اتَّهم الله في قضائه، ومن استصغرَ زلَّة نفسه استعظمَ زلَّة غيره، ومن استصغرَ زلَّة غيره استعظمَ زلَّة نفسه، ومن كَشَفَ حجابَ غيره انكشفت عورات بيته، ومن سلَّ سيفَ البغي قُتِل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخلَ السفهاء حُقِّر، ومن خالط العلماءَ وُقِّر، ومن دخل مداخلَ السوء اتُّهم، قل الحق لك وعليك، وإيَّاك والنميمة؛ فإنَّها تزرعُ الشحناء في قلوب الرجال، وإذا طلبت الجودَ فعليك بمعادنه.

ووقع الذباب على وجه أبي جعفر المنصور، فذبَّه عنه، فعاد فذبَّه، فعاد حتى أضجره، فدخل عليه جعفر بن محمد، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله، لم خلق الله الذُّباب؟ فقال: ليُذِلَّ به الجبابرة.

وكان جعفر يقول: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

وقال: أصلُ الرجل عقلُه، وحَسَبُه تقواه، وكرمه دينه، والناس في آدم مستوون.

وقال: لقد عزَّت السلامةُ حتى خفيَ مطلبُها، فإن تكن في شيء ففي الخمول، [فإن طُلِبت في الخمول][1] ولم توجد فيوشكُ أن تكون في التخلِّي، فإن لم توجد، ففي الصمت، والسعيدُ من وجد في نفسه حالة[2] يشتغلُ بها.

وقال الليث بن سعد: حججتُ سنة ثلاث عشرة ومئة، فارتقيتُ أبا قبيس بعد العصر، وإذا برجلٍ جالسٍ يدعو، فقال: يا رب يا رب، حتَّى انقطعَ نفَسُه، ثم قال: يا رباه يا رباه، حتى انقطعَ نفسه، [ثم قال: يا الله يا الله، حتى انقطع نفسُه][3]، ثمَّ قال: يا حيّ يا حيّ، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا إلهي، أشتهي العنبَ فأطعمنيه، وإنَّ بُرْدَيَّ قد أخلقَا فاكسُني، قال الليث: فوالله ما استتمَّ كلامَه حتى نظرتُ إلى سلَّةٍ مملوءةٍ عنباً، وليس على وجه الأرض عنب، وإذا ببردين موضوعين لم أر في الدنيا مثلهما، فلمَّا أرادَ أن يأكل قلت: أنا شريكك، قال: ولم؟ قال: لأنِّي أمَّنْتُ على دعائك، فقال: تقدَّم فكل، فتقدَّمت فأكلت عنباً لم أرَ قط مثلَه، ما كان له عَجَم، حتى شبعتُ ولم تتغيَّر

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر صفة الصفوة ٢/ ١٧١.
(٢) في صفة الصفوة ٢/ ١٧١: خلوة.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

السلَّة، فقال: لا تدَّخر شيئاً، ثم قال: خذ أحد[١] البردين، فقلت: أنا في غنى عنه، فاتَّزرَ بواحد وارتدى بالآخر، ثم نزل والبردان اللذان كانا عليه بيده، فلقيَه رجلٌ في المسعى فقال له: يا ابن رسول الله ﷺ اكسني، فإنِّي عريان، فدفع إليه البردين، فقلت للرجل: من هذا؟ قال: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال الليث: فطلبتُه بعد ذلك فلم أقدر عليه.

وكان جعفر من الأجواد، كان يُطعِم الناسَ حتَّى لا يُبقي لعياله شيئاً.

قال سفيان الثوري: قلت له: يا ابن رسول الله، اعتزلت الناس! فقال: فسدَ الزمان، وتغيَّر الإخوان، ورأيتُ الانفرادَ أسكنَ للفؤاد، وأنشد: [من الكامل]

ذهبَ الوفاءُ ذهاب أمس الذاهبِ فالناسُ بين مخاتلٍ ومُواربِ
يفشون بينهم المودَّة والصفا وقلوبُهم محشوَّةٌ بعقاربِ

وقال جعفر: الوقوفُ عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة.

وقال: إنَّ على[٢] كلِّ صوابٍ نوراً فما وافق الحقَّ فخذوه، وما خالفَ الصوابَ فدعوه.

وقال: من أخرجَه الله من ذلِّ المعصيةِ إلى عزِّ الطاعة فقد أغناهُ بغير مال، وأعزَّه بغير عشيرة، ومن خافَ الله خافَه كلُّ شيءٍ، ومن لم يخف منه أخافَه من كلِّ شيء، ومن زهدَ في الدنيا غرسَ الله الحكمةَ في قلبه، فنطقَ بها لسانُه.

وقال محمد بن عمر: سمعتُ جعفر بن محمد يقول لغلامه مُعَتِّب: اذهب إلى مالك ابن أنس فاسأله عن كذا وكذا، ثم ائت فأخبرني.

قال الواقدي: أخذَ المنصور مُعتِّباً هذا لما حجَّ المنصور فضربه ألف سوط حتى مات.

ولمَّا خرجَ محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة هربَ جعفر إلى ماله بالفُرْع، فلم يزل به هناك مقيماً متنحياً عمَّا كانوا فيه حتى قُتِل محمد واطمأنَّ الناس، فرجعَ إلى المدينة،

(١) في صفة الصفوة ٢/ ١٧٤ : أحب. وليست في (ب).

(٢) في (ب) و(خ): وقال ابن علي. والمثبت هو الصواب وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨١.

فأقام بها إلى سنة ثمان وأربعين ومئة، فتوفِّي بها وهو ابن إحدى وسبعين سنة[١].

ودُفن بالبقيع عند أبيه وجدِّه، وعلى قبره رخامةٌ مكتوبٌ عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبرُ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، سيِّدة نساء العالمين، وقبر عليِّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد عليهم الصلاة والسلام[٢].

وقال الهيثم: سُمَّ جعفر، فما زالَ مريضاً حتَّى مات رحمة الله عليه.

ذكر أولاده:

فولد إسماعيلَ الأعرج، وعبدَ الله، وأمَّ فروة، وأمُّهم فاطمة بنت الحسين الأثرم بن حسن بن علي بن أبي طالب، وموسى بن جعفر، حبسه هارون ببغداد عند السندي مولى هارون، فمات في حبسه، وإسحاق، ومحمداً، وفاطمة تزوَّجَها محمد بن إبراهيم الإمام، فهلكت عنده، وأمهم أم ولد، ويحيى، والعباس، وأسماء، وفاطمة الصغرى، وهم لأمهاتِ أولادٍ شتى[٣].

فأمَّا محمد فكان يسمى الديباج لحسنه، وأمَّا موسى فالنسلُ له، وأمَّا إسماعيل فإليه ينسب الإسماعيليَّة، وأمَّا محمد فإنَّه خرج على المأمون في سنة ثلاث ومئتين، وتوفي سنةَ أربعٍ ومئتين.

أسند جعفر عن أبيه، ونافع، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم.

وروى عنه سفيانُ الثوري، ومالك بن أنس، وشعبة، وأيوب السختياني في آخرين.

قال ابن أبي حازم: كنت عند جعفر بن محمد إذ جاء ابنه فقال: سفيانُ الثوريّ على الباب، فأذن له، فدخل، فقال له جعفر: إنَّك رجلٌ يطلبك السلطان، وأنا أتَّقي السلطان، فقم فاخرج غير مطرود، فقال سفيان: حَدِّثني حتى أسمع وأقوم، فقال جعفر: حدّثني أبي عن جدِّي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه نعمةً فليحمد

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٤.
(٢) مروج الذهب ٦/ ١٦٥.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٤.

الله، ومن استبطأَ الرزقَ فليستغفر الله، ومن حزبهُ أمرٌ فليقل: «لا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم» فلمَّا قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاثاً، وأيُّ ثلاث[(١)(٢)].

الأعمش

[سليمان][(٣)] بن مهران الأسدي مولى بني كاهل.

من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، ولد يوم عاشوراء سنةَ ستين يوم قتل الحسين رضي الله عنه، وقيل: ولد سنة ثمان وخمسين، ويقال: إن أباه مهران شهد مقتل الحسين عليه السلام[(٤)].

ولد الأعمش بدنباوند، وقيل: بطبرستان، وقيل: ولد بالكوفة[(٥)] ونشأ بها.

وكان صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث، علامة الإسلام.

قال عيسى بن يونس: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ما رأيَنا الأغنياء والسلاطين في مجلس أحدٍ أحقرَ منهم في مجلسِه، وهو محتاجٌ إلى درهم.

وقال وكيع: منذ سبعينَ سنة لم يفت الأعمشَ التكبيرةُ الأولى في جماعة[(٦)]، ورأيتُه يومَ الجمعة قد راح إلى الجامع وعليه فروةٌ قد قلبَها، فجعلَ جلدَها على جلده، وصوفها إلى خارج[(٧)].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٦٩. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤٢)، (٤١٣٢) (طبعة دار الرشد)، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٦. وقال البيهقي: تفرد به الزنبري... والمحفوظ هذا الكلام من قول جعفر نفسه، وقد روي من وجه آخر ضعيف نحو رواية الزنبري.

قال المناوي في فيض القدير ٦/ ٩٠ : والزنبري هذا أورده الذهبي في الضعفاء وقالوا: ضعفه أبو زرعة وغيره....

(٢) انظر ترجمته بالإضافة إلى المصادر السابقة في تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨١، وأنساب الأشراف ٣/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥ وغيرها.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦١، ٤٦٣.

(٥) لم أقف على من ذكر أنه ولد بالكوفة!؟

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢.

(٧) من قوله: ورأيته يوم الجمعة... إلى هنا ذكره الخطيب في تاريخه لكن من قول أحمد بن عبد الله العجلي، لا من قول وكيع.

وقال الربيع بن نافع: كنَّا نجلسُ إلى الأعمش، فيقول: هل في السماء غيم؟ يعني: هاهنا من نكره؟

ذكر وفاته

قال أبو بكر بن عياش: دخلتُ على الأعمش في مرضه الذي مات فيه، فقلت: ألا أدعو لك طبيباً؟ فقال: ما أصنعُ به، فوالله لو كانت نفسي بيدي لطرحتُها في الحشّ، فلا تؤذنن أحداً بي إذا مت، واذهب واطرحني في لحدي[(١)].

ومات سنة ثمانٍ وأربعين ومئة، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة. وقيل: سنة سبعٍ وأربعين.

وأدرك جماعةً من الصحابة وعاصرهم، ورأى أنس بن مالك، وقال: سمعت أنساً[(٢)] يقرأ: «إنَّ ناشئةَ الليل هي أشدُّ وطأً وأصوبُ قيلاً» فقيل له: ﴿أَقْوَمُ﴾، فقال: «أصوب» و﴿أَقْوَمُ﴾ سواء.

وسمع خلقاً من التابعين، وروى عنه الجمُّ الغفير، وكان ثقةً، وقيل: إنَّه كان يدلس، وشنَّع عليه المحدِّثون، فلذلك وقعَ فيهم.

وكان يَرى الماء من الماء، فما كان يغتسلُ من الجنابة حتى يُنزل، وأقامَ مدَّةً على ذلك حتى بلغه حديثُ عائشة رضوان الله عليها: «إذا التقى الختانان وجبَ الغُسل، أنزلَ أو لم ينزل»[(٣)]، فرجع عن مذهبه رحمة الله عليه[(٤)].



(١) حلية الأولياء ٥/ ٥١.

(٢) في (ب) و(خ): إنساناً. تحريف. وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٦.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٦٣ بهذا اللفظ لكن من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرج ابن ماجه (٦٠٨) من حديث عائشة أنها قالت: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله ﷺ فاغتسلنا. وانظر مسند أحمد (٢٤٢٠٦).

(٤) انظر المبسوط للسرخسي ١/ ٦٨ ـ ٦٩، ولم يذكر فيه رجوعه عن مذهبه.

السنة التاسعة والأربعون بعد المئة

فيها تمَّ بناءُ أسوار بغداد وخنادقها، وأجري الماء في قنواتٍ عليها من نهر طابق وغيره.

وفيها انفتقَ على أبي جعفر فتقٌ عظيمٌ من خراسان، وقيل: في السنة الآتية.

وفيها توفي

سلم بن قتيبة

ابن مسلم بن عمرو بن الحصين، أبو عبد الله الباهلي [الخراساني]، والد سعيد بن سلم.

ولي إمرة البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد، ثمَّ وليها في أيام أبي جعفر.

وكان أميراً كبيراً، عاقلاً عادلاً، عَرَضَتْ حاجةٌ لأبي عمرو المديني إلى سلم وهو والي البصرة، فذكرهَا لبعضِ أصحابه، فضمن [له][1] قضاءها، ثم مطلَه، فلم يقضها، قال أبو عمرو: فوقفت له على طريقه، وكانت بيني وبينه مودَّةٌ قديمةٌ، فلمَّا رآني قال: أطالبٌ قبلَنا حاجةً يا أبا عمرو؟ قلت: نعم، حاجةٌ حمَّلتُها فلاناً منذ أيام، فقال: أخطأت الحزم، إذا كانت لك حاجةٌ فلا تحمِّلها من يرتشي، فإنَّما يؤثر من يطعمه ولا يؤثرك، ولا كذَّاباً فإنَّه يُقرب إليك البعيد، ولا أحمق فإنَّه يجهدُ نفسه ولا يصنعُ لك شيئاً، ثم أمر بقضائها.

مات سلم بن قتيبة بالرَّيّ في سنة تسع وأربعين ومئة، فصلَّى عليه المهدي؛ لعظم شأنه.

ودخل رجلٌ على سلم بن قتيبة في حاجةٍ، وسيفه بيده، فانحنى عليه متكئاً، وجعلَ يُكلِّم سلماً فجرح رجله، ولم يعلم الرجل وسلم ساكت، حتى فرغ الرجل من حاجته

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

وخرج، وكادت أصبع سلم تنقطع، فدعا بمنديل فشدَّها، فقيل له: ألا أمرتَهُ برفع سيفه عن رجلك، فقال: خشيتُ أن أقطعَه عن حاجته.

وقال: المروءة الصبر على أخلاق الرجال(١).

عيسى بن عُمر

النحويُّ، الثقفيُّ، العالم الفاضل [الزاهد](٢).

صنف في النحو كتباً كثيرة، منها «الإكمال» و«الجامع»، فقال الخليل بن أحمد: [من الرمل]

بطلَ النحوُ جميعاً كلُّه غير ما أحدثَ عيسى بنُ عمرْ
ذاك «إكمالٌ» وهذا «جامعٌ» فهما للنَّاس شمسٌ وقمرْ(٣)

كُرْز بن وَبَرة الكوفيّ

سكن جُرجان، وهو من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة، كان عابداً زاهداً، خائفاً مجتهداً، يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر، فيضربونَه حتى يغشى عليه.

وسأل ربه أن يعطيه الاسم الأعظم، على أن لا يَسألَ به من الدنيا شيئاً، فأعطاه، فسأل أن يقوِّيَه على ختم القرآن، فكان يختمُه في اليوم والليلة ثلاثاً.

قال الفضيل بن غزوان: كان كرز يختمُ القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات، ولم يرفع رأسَه إلى السماء أربعين سنة؛ حياءً من الله تعالى.

وقال أبو سليمان المُكْتِب: صحبتُ كرزاً إلى مكَّة، فكان ينزلُ فيصلِّي، فرأيت يوماً سحابةً تظلُّه، وكان يوماً شديدَ الحرّ، فقال: اكتم عليّ، فحلفتُ له، وما حدَّثتُ به

(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٧/ ٥٢٢ (مخطوط)، والمنتظم ٨/ ١١٧، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٧٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) انظر ترجمته في المنتظم ٨/ ١١٨، وإنباه الرواة ٢/ ٣٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٧٨، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٦٣.
قال الذهبي في السير: أرخ القفطي وابن خلكان موته في سنة تسع وأربعين ومئة، وأراه وهماً، فإن سيبويه جالسه وأخذ عنه، ولعلَّه بقي إلى بعد الستين ومئة.

أحداً حتَّى مات.

وروى أبو نعيم عنه أنَّه دُخِل عليه وهو يبكي، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: بابي مغلقٌ، وستري مسبلٌ، ومنعتُ حزبي أن أقرَأه البارحة، وما ذاك إلَّا من ذنبٍ أحدثْته[١].

ولَمَّا مات رأى رجل فيما يرى النائم كأنَّ أهلَ القبور جلوسٌ على قبورهم، وعليهم ثيابٌ جُدُد، فقيل لهم: ما هذا؟ قالوا: إنَّ أهل القبور كُسوا ثياباً جُدُداً؛ لقدوم كُرْز عليهم.

أسند كرز عن طاوس، وعطاء، والربيع بن خُثَيم، والقرظي، وغيرهم[٢].

قلت: ومن ولد كرز رحمة الله عليه الشيخُ الصالح، العارفُ الزاهدُ، الورعُ الرباني، عيسى بن أحمد بن إلياس بن أحمد بن خليل بن محمود بن محمد بن سالم بن سليم بن يوسف بن خالد بن بركة بن مبارك بن داود بن شريف بن ربيح[٣] بن رباح بن كرز بن وبرة، اليونينيُّ المولد والمنشأ رحمة الله عليه، كان من أعيان [أصحاب][٤] شيخ الإسلام أسد الشام عبد الله اليونيني رحمة الله عليه، وممن يشارُ إليه بالزهد والعبادة، والاجتهاد والعلم بالطريق، والعمل بما يعلم، ولم يزل مقيماً بقرية يونين ظاهرَ بعلبك في زاويته شمالي القرية، منقطعاً إلى العبادة والاجتهاد، غيرَ مكترثٍ بمن يزوره من أرباب الدنيا، لا يختار رؤيتهم، وكان يصومُ النهار ويقوم الليل، ولم يتزوَّج في عمره[٥]، ولا اشتغلَ بغير عبادةِ ربِّه ومطالعةِ كتب الأحاديث النبويَّة والرقائق وما يجري مجراها، وله الكراماتُ الظاهرة[٦].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٧٩.

(٢) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٥/ ٧٩، والمنتظم ٨/ ١١٨، وصفة الصفوة ٣/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٨٤.

(٣) في ذيل مرآة الزمان لليونيني ١/ ٢٤: رميح.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٥.

(٥) ذكر القطب اليونيني في ذيل المرآة ١/ ٢٥ أنَّه عقد على امرأة عجوز كانت تخدمه لاحتمال أن يتناول منها شيئاً فتمسَّ يده يدها.

(٦) توفي سنة ٦٥٤هـ، وانظر ترجمته أيضاً في تاريخ الإسلام ١٤/ ٧٦٠.

كَهْمَس بن الحسن

أبو[١] عبد الله[٢] القيسي، كان زاهداً ورعاً، يصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعة، ويقول لنفسه: قومي يا مأوى كلِّ سوء، فوالله ما رضيتك لله ساعة[٣] قط.

وهو من الطبقة الرابعة من أهل البصرة.

وكان يعملُ كلَّ يوم بدانقين في الجصّ، ثم يشتري بهما فاكهةً لأمِّه.

وقال بشر بن الحارث: خرج كهمس ومعه دينار، فسقطَ منه، فطلبَه فوجده، فتركَه وقال: لعلَّه غيرُ ذلك الدينار.

وأكلَ ذات يومٍ سمكاً، فأخذ من حائطِ جاره طيناً فغسلَ به يده، قال: فأنا منذ أربعينَ سنة أبكي على ذلك الطين، كيفَ أخذتُه بغير علمه؟!

وكان يصلِّي حتى يُغْشَى عليه.

وكان مشغولاً بالعبادة وخدمةِ أمِّه، فماتت، فخرج إلى مكَّة فماتَ بها.

أسندَ عن عبد الله بن شقيق العقيلي، وعبد الله بن بُرَيدة، ومصعب بن ثابت، وغيرهم، وكان ثقةً.

الوَضِينُ بن عطاء

ابن كنانة، أبو كنانة الخزاعي، من الطبقة الخامسة من أهل الشام، كان ضعيفاً في الحديث، ماتَ بدمشق في عشر ذي الحجة سنة تسعٍ وأربعين ومئة، وأصله من بانياس، وسكن كفر سوسية.

وكان بينه وبين المنصور صداقةٌ قديمة قال: فلما وليَ الخلافة وفدتُ عليه، فسألني

---

(١) في (خ): بن.

(٢) وكناه أبا عبد الله أيضاً أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢١١، وابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١١٩، ووقع في صفة الصفوة ٣/ ٣١٣: يكنى أبا عبيد الله.
وفي غيرها من مصادر ترجمته أن كنيته أبو الحسن. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٥٤، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٦.

(٣) بعدها في (خ): واحدة. وانظر حلية الأولياء ٦/ ٢١١، والمنتظم ٨/ ١١٩، وصفة الصفوة ٣/ ٣١٤.

عن حالي وعيالي، فقلت: عندي ثلاثُ بنات، والمرأة، وخادم، فجعلَ يردِّدُها ويقول: في بيتك ثلاثة حتى ظننت أنَّه سيمولني، ثم قال: أنت أيسرُ العرب، أربعة مغازل تدق[1] في بيتك، ولم يعطني شيئاً.

أسند عن سالم بن عبد الله بن عمر، وعطاء ومكحول وغيرهم، وروى عنه الوليد بن مسلم وغيره[2][3].



(١) في تاريخ دمشق ١٧/ ٧٧٩ (مخطوط): تدور.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٤٧٠، وتاريخ دمشق ١٧/ ٧٧٦.

(٣) بعدها في (ب): آخر الجزء الخامس ولله الحمد، ويتلوه إن شاء الله في الجزء السادس: السنة الخمسون بعد المئة فيها عزل أبو جعفر.

السنة الخمسون بعد المئة

فيها خرج أستاذسيس العجمي في ثلاث مئة من أهل سجستان وهراة وباذغيس وكور خراسان، وغَلب على هذه الأماكن، وهزم قوَّاد أبي جعفر، واستولى على مرو الروذ، وكان محمد بن أبي جعفر المهدي يومئذ بالرَّيّ، فجهَّز إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة في جيشٍ كثيف، وأمرَه بقتال أستاذسيس، وكان أكثر عسكر أستاذسيس رجالة، فهزمَهم الله، وقُتِل من أصحاب أستاذسيس سبعون ألفاً، وأسروا أربعةَ عشر ألفاً، فضرب خازمٌ رقابَهم، والتجأ أستاذسيس إلى جبل، وأقامَ خازم يحاصره وكان قد بقي مع أستاذسيس ثلاثون ألفاً، فنزلوا على حكم خازم، فأسرَ أستاذسيس وأولاده وأَعْتَق الثلاثين ألف، وكتب خازم إلى المهدي بالفتح.

وقال الواقدي: كانت هذه الوقعة في سنة إحدى وخمسين ومئة[١].

وفيها عزل أبو جعفر جعفرَ بن سليمان عن المدينة وولاها الحسن بن زيد بن الحسن[٢][٣] بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيها توفِّي جعفر بن أبي جعفر المنصور، ويقال له: الأكبر.

وفيها توفي أبو حنيفة.

وكان على المدينة الحسنُ بن زيد العلويّ، وحجَّ بالناس محمد بن إبراهيم الإمام، وكان على مكة في هذه السنة[٤]، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علي، وعلى

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٢ أن الواقدي ذكر أن خروج أستاذسيس كان في سنة خمسين ومئة، وأن هزيمته في سنة إحدى وخمسين ومئة.

(٢) في (خ): الحسين. والتصويب من المصادر.

(٣) وقع في المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٥، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٢، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٠٦ : بن الحسن بن الحسن.

والمثبت هو الصواب انظر الكامل ٥/ ٥٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٤١٤.

وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٢، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ثمان وستين ومئة.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٢ : وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان العامل على مكة والطائف... وقيل كان العامل على مكة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام. وانظر الكامل =

البصرة عقبة بن سالم، وعلى قضائها سوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم، وعلى خراسان المهدي.

الحجاج بن أرطاة

ابن ثور النخعيّ، وكنيته أبو أرطاة، ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة، وكان شريفاً مَرِيًّا[١]، وكان في صحابة أبي جعفر، فضمَّه إلى المهدي، فلم يزل معه حتى توفي بالري، والمهدي بها يومئذٍ في خلافة أبي جعفر .

وذكره الخطيب وقال: وهو أوَّلُ من ولي القضاءَ بالبصرة لبني العباس، جاء يوماً إلى حلقة عثمان البَتِّي، فجلس في عرض الحلقة، فقيل له: ارتفع إلى الصَّدر، فقال: أنا صدرٌ حيثُ كنت. قال: وكان فيه تيهٌ شديد[٢].

وكان من حفَّاظ الحديث والفقهاء، استُفتي وهو ابن عشرين سنة[٣] ، وحضر مع أبي جعفر بناءَ بغداد، وولي خطها، ونصبَ قبلةَ مسجدِها[٤].

وروى الخطيب عن القاضي أبي يوسف قال: كان الحجاج بن أرطاة لا يشهدُ جمعةً ولا جماعة ويقول: أكرهُ مزاحمةَ الأنذال[٥].

وكانت وفاته بالرَّيّ في هذه السنة.

عبدُ الملك بن عبد العزيز بنِ جُرَيج

إمامُ أهل مكة، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل مكَّة، وكنيتُه أبو الوليد.

= ٥/ ٥٩٤، والمنتظم ٨/ ١٢٢ .

(١) كذا وقع في (خ) وطبقات ابن سعد ٨/ ٤٧٩، والمريّ: الرجل المقبول في خَلْقِه وخُلُقِه. اللسان (مرا). ووقع في تاريخ بغداد ٩/ ١٣٤ ـ نقلاً عن ابن سعد ـ : سريًّا. وسريًّا أي صاحب شرف ومروءة. انظر اللسان (سرا).

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٣٧، ١٣٩.

(٣) في تاريخ بغداد ٩/ ١٣٥ من قول حجاج: استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة .

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٣٣.

(٥) ونقل في السير ٧/ ٧٢ عنه أنه قال: لا تتمُّ مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة. قال الذهبي: لعن الله هذه المروءة، ما هي إلا الحمق والكبر، كي لا يزاحمه السوقة.

قال: وولد عبدُ الملك بنُ عبدِ العزيز سنةَ ثمانين، عام الجحاف؛ سَيْلٌ كان بمكَّة[١].

واختلفوا في وفاته، فحكى ابنُ سعد عن الواقدي أنَّه ماتَ في أول عشر ذي الحجَّة سنة خمسين ومئة، وهو ابنُ ستٍّ وسبعين سنة، وكان ثقة كثيرَ الحديث[٢].

وقال أحمد العجلي: مات سنة تسع وأربعين ومئة[٣]. وقال علي ابن المديني: في سنة إحدى وخمسين ومئة.

سمع ابنُ جريج من عطاء بن أبي رباح، وكان عطاء يقول: هو سيدُ شبابِ أهل الحجاز[٤].

عبد العزيز بن سلمان[٥]

أبو محمد الراسبي البصري، من الطبقة السادسة من أهل البصرة. قال ابن أبي الدنيا: كانت رابعةُ تسمِّيه سيدَ العابدين من أهل البصرة[٦].

وقال ابن أبي الدنيا: كان عبد العزيز إذا ذَكَر القيامةَ والموت صرخَ كما تصرخُ الثَّكلى، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد[٧]. قال: وربَّما رُفع الميِّت والميتان.

وروى ابن أبي الدنيا عن مسمع بن عاصم قال: بت أنا وعبد العزيز بن سلمان[٨] وكلاب بن جري وسلمان الأعرج على بعض سواحل البحر، فبكى كلاب حتى خشيت

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٤.

(٣) المنتظم ٨/ ١٢٥. ونقل هذا القول عن ابن المديني وأبي حفص الفلاس. وقال الذهبي في السير ٦/ ٣٣٤: وهذا وهم. فقد قال يحيى القطان ومكي بن إبراهيم وأبو نعيم وعدة: مات سنة خمسين ومئة...
ثم قال: عاش سبعين سنة، فسنه وسنُّ أبي حنيفة واحد، ومولدهما ووفاتهما واحد.

(٤) انظر ترجمته أيضاً في تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٢، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨.

(٥) في (خ) والمنتظم ٨/ ١٢٥: سليمان، والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٢٤٣، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٨٣.

(٦) انظر صفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، والقول فيه من رواية أحمد بن أبي الحواري عن عبد العزيز بن عمير.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٤٣ بإسناده إلى أبي طارق التبان، وانظر صفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، والمنتظم ٨/ ١٢٦.

(٨) في (خ): سليمان. والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٢٤٤، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٧.

أن يموت، وبكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان وأنا لبكائهم، لا أدري ما أبكاهم! فسألت عبد العزيز عن بكائه فقال: إني نظرت إلى أمواج البحر تموجُ، فذكرت أطباق النيران وزفراتها، فذلك الذي أبكاني، ثم سألت كلاباً وسلمان فقالا نحواً من ذلك، قال مسمع: فما كان في القوم شر منّي، ما كان بكائي إلَّا لبكائهم رحمةً لما يصنعون بأنفسهم.

وروى أبو نعيم عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كان أبي إذا قامَ من الليل ليتهجَّد سمعتُ في الدار جلبةً شديدةً، واستقاءً للماء الكثير، قال: فنرى أنَّ الجن كانوا يستيقظون للتهجُّد، فيصلُّون معه.

وروى ابن ناصر بإسناده إلى دهثم ـ وكان من العابدين ـ قال: كنت آتي عبد العزيز، فأبطأتُ عليه يوماً ثم جئتُه، فقال: ما الذي أبطأك عنّي؟ قلت: العيال، قال: هل وجدت لهم شيئاً؟ [قلت: لا]، قال[1]: فهلمَّ لندعو، فدعا بدعاءٍ، وأمَّنتُ، وإذا والله الدراهمُ والدنانير تتناثرُ في حجورنا، فقال: دونكها، ومضى ولم يلتفت، قال: فأخذتُها وعددتها، وإذا مئةُ دينار ومئة درهم، قيل له: فما صنعت بها، قال احتبستُ قوتَ عيالي جمعةً حتى لا يشغلوني عن خدمة عبد العزيز ورؤيته[2]، ثم أخرجت الباقي في سبيل الله. فقال الراوي: يحقُّ والله لهؤلاء أنْ يُرزقوا بغيرِ حساب.

وروى ابن أبي الدنيا قال: قيل لعبد العزيز: ما بقي من لذَّتك؟ قال: سردابٌ أخلو فيه بربي.

قال: وكان لا ينام إلَّا مغلوباً، ويقول: لا نومَ في دار الدنيا، ما للعابدين والنوم!

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً قال: دعا عبد العزيز يوماً في مجلسه لمُقْعَدٍ من إخوانه، فوالله ما انصرفَ المقعد إلى أهله إلَّا ماشياً على رجليه بإذن الله تعالى[3].

(١) فوقها في (خ): كذا. وما بين حاصرتين من المنتظم ٨/ ١٢٥، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٨.

(٢) في المنتظم ٨/ ١٢٦، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٩: حتى لا يشغلني عن عبادته وشكره وخدمته فكرٌ في شيءٍ من عرض الدنيا.

(٣) كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا (١٢٣).

مسعود الضرير العابد

وكنيته أبو جهير، البصريُّ الزاهدُ العابد، من قتلى صالح المري، ذكر واقعته جماعةٌ منهم ابن أبي الدنيا والخطيب، فقال الخطيب: أخبرني عبيدُ الله بن أبي الفتح الفارسيّ بإسناده عن صالح المُرِّيّ قال: قال لي مالك بن دينار: اغدُ بي يا صالح إلى الجبَّانة، فإنِّي قد وعدتُ نفراً من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير، نسلِّم عليه، فقال صالح: وكان أبو جهير هذا قد انقطعَ إلى زاوية يتعبَّدُ فيها، لا يدخل البصرة إلَّا يومَ الجمعة في وقت الصلاة، ثمَّ يرجع من ساعته، قال: فغدوتُ لموعد مالك إلى الجبانة، وإذا به قد سبقني ومعه محمد بن واسع وثابت البُناني وحبيب العجمي، فقلتُ: هذا يوم سرور، فانطلقنَا نريدُه، فأتينَا منزلَه، فسألنا عنه، فقيل: الآن يخرجُ إلى الصلاة قال: فانتظرناه فخرج رجلٌ إن شئتُ أن أقولَ قد خرجَ من قبره لقلت. قال: فوثَبَ رجلٌ فأخذ بيده، فأقامَه عند باب المسجد، فأذَّن، ثم دخلَ فصلَّى ما شاء الله، ثم أقامَ الصلاة، فصلَّينا معه، فلمَّا قضى صلاته جلس كهيئة المهموم، فتوافر القوم في السلام عليه، فتقدَّم محمد بن واسع فسلَّم عليه، فردَّ السلام وقال: من أنت؟ قال: محمد بن واسع، قال: مرحباً وأهلاً، أنتَ الذي تقول هؤلاء ـ وأومأ بيده إلى البصرة ـ إنَّك أفضلُهم، لله [أبوك إن قمت بشكر ذلك]، فقام ثابت البناني فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ قال: ثابت، قال: مرحباً، أنت الذي يزعم أهل هذه القرية أنَّك من أطولهم صلاةً؟ فقام إليه حبيب العجمي فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ [قال: أنا حبيبٌ، أبو محمد] قال: مرحباً أبا محمد، أنت الذي تزعم هؤلاء القوم أنَّك لم تسأل الله شيئاً إلَّا أعطاك؟ فهلَّا سألتَه أن يخفيَ لك ذلك، وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه، فقام مالكٌ فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ فقال: مالك بن دينار، قال: بخٍ بخٍ! أبو يحيى، إن كنت كما يقولون، أنت الذي يزعمُ هؤلاء أنَّك أزهدهم، الآن تمَّت الأماني، قال صالح: فقمتُ لأسلِّمَ عليه، فأقبل على القوم وقال: انظروا كيف تكونون في مجمع القيامة، قال: فسلَّمتُ عليه، فقال: من أنت؟ قلت: صالح، قال: أبو بشر القارئ، قلت: نعم، فقال: مرحباً بك، قد أتمنَّاك على ربِّي، ثم قال: اقرأ عليَّ، فابتدأتُ، فما أتممتُ الاستعاذَة حتى خرَّ مغشياً عليه، ثم أفاق، فقال: عد إلى قراءتك، فقرأت قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] قال: فصاح

صيحة [ثم] انكبَّ لوجهه، وانكشفَ بعض جسده، وجعل يخورُ كما يخور الثور، ثم هدأ، فدنوتُ منه لأنظر ما به، فإذا قد فارق الدنيا، فخرجنا نسألُ هل له أحد؟ قالوا: عجوزٌ تخدمه، فأرسلنا إليها فجاءت، فقالت: ما له؟ قلنا: قُرِئ عليه القرآن فمات، قالت: فمن قرأ عليه، صالح القارئ لعلَّه قرأ عليه؟ قلنا: نعم، وما يدريك من صالح؟ قالت: لا أعرفه، غيرَ أنِّي كثيراً ما كنت أسمعُه يقول: إن قرأ عليَّ صالحٌ قتلني. فهيأناه ودفنَّاه رحمةُ الله عليه[١].

إمامُ الأئمَّة وسراجُ الأمَّة

أبو حنيفة النعمان بن ثابت

ذكرهُ ابنُ سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة[٢]، والكلام على ترجمته في فصول:

الفصل الأول في ذكر نسبتهِ ومنشئِه ومولده وطلبه العلم:

أمَّا مولده، قال أبو بكر الخطيب بإسناده إلى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت: يقول: نحنُ من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقعَ علينا رقٌّ قط[٣].

وفي رواية الخطيب أيضاً عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: جدِّي النعمانُ بن ثابت بن النعمان بن المرزبان بن زوطى من أهل كابل الأكاسرة، استرق جدي زوطى يوم القادسية، فولد النعمان، فذهبَ به أبوه إلى عليٍّ عليه السلام وهو صغير، فدعا له بالبركة وفي ذريته، فنحنُ نرجو أن نكونَ قد استجابَ الله فينا[٤].

واختلفوا في مولد أبي حنيفة على ثلاثة أقوال: أحدها: في سنة ثمانين من الهجرة، والثاني: سنة إحدى وثمانين، والثالث: سنة إحدى وستين[٥].

---

(١) المنتظم ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٤. وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨.

(٤) لم أقف على هذا الخبر بهذا السياق، وفي تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨ بعد قول إسماعيل بن حماد السالف قريباً: والله ما وقع علينا رقٌّ قط: ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب الله ذلك لعلي بن أبي طالب فينا.

(٥) قال الخطيب في تاريخه ١٥/ ٤٥٣ بعد ذكر هذا القول: لا أعلم لصاحب هذا القول متابعاً.

وأمَّا منشؤه فبالكوفة، بها ولد، وبها نشأ ثم سافر إلى الحجاز وغيره.

وأما طلبه العلم فروى الخطيب بإسنادِه قال: قال أبو حنيفة: لما أردتُ العلمَ جعلتُ أتخيَّر العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل لي: تعلَّم القرآن، قلت: فماذا يكون إذا تعلَّمتُ القرآن وحفظتُه آخر أمري؟ قالوا: تجلسُ في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثمَّ لم تلبث أن يخرجَ فيهم من هو أحفظُ منك، فتذهبُ رياستُك.

قلت: فإن سمعتُ الحديث وكتبتُه حتى لم يكن في الدنيا أحفظُ منِّي، فما يكون آخر أمري؟ قالوا: إذا كبِرت وضعفت حَدَّثت واجتمعَ عليك الصبيان والأحداث، ثمَّ لا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب، فيصير عاراً عليك في عَقبك، فقلت: لا حاجةَ لي في هذا.

ثمَّ قلت: أتعلَّمُ النحو، فإذا حفظتُ النحوَ والعربيَّة فما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعدُ معلماً، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة.

قلت: فإن نظرتُ في الشعر فلم يكن أحدٌ أشعرَ منِّي، ما يكون من أمري؟ قال: تمدحُ هذا فيَهبُ لك ويخلع عليك، فإن حرمَكَ هجوتَه، فتقذف المحصنات، فقلت: لا حاجةَ لي في هذا.

قلت: فإن نظرتُ في الكلام فما يكون آخره؟ قالوا: لا تسلم من النظر في مشنَّعاتِ الكلام، فتُرمى بالزندقة، فإمَّا أن تؤخذ فتقتل، وإمَّا أن تسلم فتكون مذموماً ملوماً.

قلت: فإن تعلَّمتُ الفقهَ، قالوا: تُسألُ وتُفتي الناس، وتُطْلَبُ للقضاء وإن كنت شاباً.

قلت: فليس في العلوم شيء أنفع من هذا، فلزمتُ الفقه وتعلَّمتُه(١).

قلت: وقد أتى أبو حنيفة على جميع هذه العلوم، فحكى الخطيب في «تاريخه» في غير موضع أنه ختمَ القرآن ثلاثين سنة(٢)، وسمعَ الحديثَ من خلقٍ كثير، وكان نحويًّا لغويًّا.

---

(١) انظر لزاماً ما علقه الذهبي في السير ٦/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ حول وضع هذه القصة، وما في متنها من نكارةٍ دالَّة على اختلاقها.

(٢) أخرج الخطيب في تاريخه ١٥/ ٤٨٤ بإسناده إلى حفص بن عبد الرحمن قال: كان أبو حنيفة يحيي الليل بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة.

فصل: وأما ورعه وزهده ونحو ذلك:

فرَوى الخطيبُ عن يحيى بن سعيد القطَّان قال: جالسنا والله أبا حنيفة وسَمعنا منه، وكنتُ إذا رأيتُه أو نظرتُ في وجهه علمتُ أنَّه يخشى الله تعالى، أو يتَّقي الله[(١)].

وروى الخطيب عن ابن المبارك قال: قدمتُ الكوفةَ فسألتُ عن أزهد أهلها وأورعهم، فقالوا: أبو حنيفة[(٢)].

قد جعلَ على نفسه أنَّه لا يحلف بالله تعالى إلَّا تصدَّق بدرهم، فحلفَ بالله اتِّفاقاً فتصدَّق بدرهم، ثمَّ جعل على نفسه أنه متى حلف بالله تعالى تصدَّق بدينار، وكان على ذلك، وكان إذا أنفقَ على عياله نفقةً تصدَّق بمثلها، وكان إذا اكتسَى ثوباً جديداً كسا بقدر ثمنه الشيوخ من العلماء والزهاد، وكان إذا وُضِع بين يديه طعامٌ رفع منه جزءاً للفقراء والمساكين.

وروى الخطيب عن وكيع أنه قال: كان والله أبو حنيفة عظيمَ الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً عظيماً، يؤثرُ رضاه على كلِّ شيء، ولو أخذته السيوفُ في الله تعالى لاحتمل، فرضي الله عنه رضا الأبرار، فلقد كان والله منهم[(٣)].

وروى الخطيب أيضاً عن ابن المبارك قال: ما رأيتُ أحداً أورعَ من أبي حنيفة، لقد جُرِّبَ بالسياط والأموال فما التفت[(٤)].

وحكى الخطيب أيضاً عن المسعوديّ [عن أبيه][(٥)] قال: ما رأيتُ أحسنَ أمانة من أبي حنيفة، مات وعنده ودائع بخمسين ألفاً، ما ضاع منها دينارٌ ولا درهم.

وحكى أيضاً عن يوسف السَّمتيّ قال: أجاز أبو جعفر أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دُفعات لَمَّا قدم عليه بغداد، فقال: يا أمير المؤمنين إنِّي غريبٌ ببغداد، وليس لي منزلٌ، فاجعلها في بيت المال، فإذا خرجتُ أخذتها، فأجابه أبو جعفر إلى ذلك، فلمَّا

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٢.

(٢) هنا تم كلام عبد الله بن المبارك، وما بعده من كلام وكيع. انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٩، ٤٩٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩١.

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩١.

ماتَ أبو حنيفة أُخرجت ودائعُ الناس من بيته، فقال المنصور[١] : خدعنا أبو حنيفة رحمه الله.

فصل في عبادته وخشيته:

رَوى الخطيبُ عن سفيان بن عيينة قال: كان لأبي حنيفة مروءةٌ وصلاةٌ من الليل في داره، وكان الناس ينتابونَه فيصلُّون[٢] معه.

وكان يختمُ القرآنَ في ركعة وتره، وكان يُسمَّى الوَتِد لكثرة صلاته. وفي رواية: كان يُحيي الليلَ بركعةٍ يختمُ فيها القرآن ثلاثين سنة.

وروى الخطيب عن أسد بن عمرو قال: صلى أبو حنيفة الفجرَ بوضوءِ العشاء الآخرة أربعين سنة، وكان يُسمعُ بكاؤه عامَّة الليل حتى ترحمَه جيرانُه، وحُفِظ عنه أنَّه ختمَ القرآن في الموضع الذي كان فيه ساكناً[٣] سبعة آلاف مرة .

ورَوى الخطيبُ عن ابن المبارك أنَّه كان بالقادسية، فجاءَ رجلٌ فوقعَ في أبي حنيفة، فقال له ابن المبارك: ويحكَ! أتقعُ في رجل صلَّى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات بوضوءٍ واحد، وكان يجمعُ القرآن في ركعتين في ليلة، وتعلَّمتُ العلمَ[٤] الذي عندي منه.

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمع رجلاً يقول: هذا أبو حنيفة لا يَنامُ الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدَّث الناس عنِّي بما لا أفعل، وكان يحيي الليل كلَّه، صلاةً ودعاءً وتضرُّعاً[٥].

وروى الخطيب عن مِسْعر بن كِدام ـ وكان من العباد ـ قال: أتيتُ أبا حنيفة في مسجده، فرأيتُه يصلِّي الغداةَ ثم يجلسُ يعلِّمُ الناس طولَ نهاره إلى العشاء، فقلت في نفسي: متى يتفرَّغ هذا للعبادة؟ لأتعاهدنَّه الليلة، فتَعاهدته، فلمَّا هدأ الليل انتصبَ في المسجد قائماً إلى الصباح، فصلَّى الفجر، ثمَّ جلسَ للناس إلى العشاء الآخرة، ثم فعل

(١) في (خ): أبو حنيفة. وفوقها: كذا. والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٢ .
(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٣.
(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٥ : في الموضع الذي توفي فيه.
(٤) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٥ : الفقه.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٦.

في الليلة الآتية كفعلِه في الماضية، ثم تعاهدتُه ففعل أيَّاماً كثيرة، فقلت: لألزمنَّه حتى أموت، فيقال: إنَّ مِسْعراً ماتَ في مسجد أبي حنيفة وهو ساجد(١).

وقال خارجة: ختمَ القرآن في الكعبةِ أربعةٌ من الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الداريّ، وسعيد بن جُبير، وأبو حنيفة(٢).

قال(٣): وكان أبو حنيفة يختمُ القرآنَ في شهر رمضان كلَّ يومٍ وليلةٍ مرتين.

وكان يقوم الليلَ بآيةٍ يردِّدُها، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧].

وحُكيَ عن الحسن بن صالح قال: كان أبو حنيفة ينشدُ دائماً هذا البيت: [من الطويل]

كفى حَزناً أنْ لا حياة هنيَّة ... ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ(٤)

فصل: وأما حلمه واحتماله:

فروى القاضي الصيمريُّ عن يزيد بن هارون قال: ما رأيتُ أحلَمَ من أبي حنيفة، كان إذا بلغَهُ عن رجلٍ أنَّه نالَ منه، بعث إليه برفقٍ وقال: غفرَ الله لك، قد وكَلتُكَ إلى من يَعلمُ منِّي خلافَ ما قلت.

قال: وجاءه رجلٌ فنال منه. وقال: يا ابنَ الفاعلة، فبكى وقال: إنَّ الله يَعلمُ مني خلافَ ما قلت، فَرَقَّ الرجل وقال: أسألُك بالله إلَّا جَعلتني في حلّ، فقد أخطأت، فازداد بكاءُ أبي حنيفة وقال: أنت في حلّ.

فصل في فتاويه وما يتعلق بها:

قال أبو يوسف: قيل لأبي حنيفة: إن العرزميَّ(٥) يقول: كانت عائشةُ تسافر مع غير محرم، فقال أبو حنيفة: إنَّها أمُّ المؤمنين، فهي من جميع المسلمينَ ذاتُ محرم.

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٨.

(٣) القائل هو يحيى بن نصر، كما في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٨.

(٤) ذكره الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٣٦، لكن من رواية أبي يوسف.

(٥) في (خ): العرمي. والتصويب من شرح معاني الآثار للطحاوي ٢/ ١١٦.

وحكى الليث بن سعد قال: كنتُ أسمع بأبي حنيفة، فتَتوقُ نفسي إليه، فبينما أنا في المسجد الحرام إذا بالناس مجتمعين على رجلٍ، فدنوتُ من الحلقة ورجلٌ جالس، فقال له رجل: يا أبا حنيفة، إنِّي رجلٌ ذو مال، ولي ولد عاقّ، أزوِّجه المرأةَ وأنفق عليه المال الكثير، فيطلقها، فيذهب مالي، وأشتري له الجاريةَ بالألوف، فيعتقها، فيذهب ثمنها، فهل عندك من فَرَجْ؟ فقال أبو حنيفة من غير فكرةٍ ولا رويَّة: نعم أدخله سوق الرقيق، فإذا وقعتْ عينُه على جارية فاشترها لنفسك، ثمَّ زوِّجْهُ إيَّاها، فإنْ طلَّقها رجعت مملوكةً لك، وإن أعتقَها لم ينفذ عتقه.

قال الليث: فوالله ما أعجبني ما رأيتُ من صوابه كما أعجبني ما رأيتُ من سرعةِ جوابه.

وقال شريك القاضي: عَجزت النساءُ أن تلدنَ مثل أبي حنيفة، فقيل له: وكيف؟ قال: كنَّا في جنازة غلامٍ من بني هاشم قد تبعَه وجوهُ الناس وأشرافهم، وإلى جانبي ابنُ شبرمة، فوقف الناس، فقلنا: ما للجنازة لا تنبعث؟ قالوا: خرجت أمُّ الغلام والهةً حاسرةً، وكانت جميلةً، فحلفَ أبوه بطلاقها لترجعن، وحلفتْ هي بصدقةِ ما تملك وعتق عبيدها لا رجعت حتى يصلَّى عليه، وكان في الجنازة علماء الكوفة، فسئلوا عن ذلك، فلم يكن عندهم فَرَج، وكان أبو الغلام قد رأى أبا حنيفة في طرف الناس فجاءه مستصرخاً وأخبره الخبر، فقال: ضعُوا الجنازةَ فوُضِعت، ثم قال للرجل: تقدَّم فصلِّ على ابنك، فصلى عليه، وقال لأمِّه: ارجعي، فقدْ خَرجت من يمينك، احملوا الميِّتَ. فتحيَّر الناس من سرعة فتياه وتدقيقِ فطنته.

وقال شريك القاضي: حدثني عليُّ بن عاصم قال: سألت أبا حنيفة عن درهمٍ لرجل، ودرهمين لآخر، اختلطوا، ثمَّ ضاع درهمان وبقيَ درهم واحد، ولم يُعلم من أيِّ الثلاثة هو، فقال: الدرهمُ الباقي بينهما أثلاثاً، قال: فلقيتُ ابن شبرمة، فسألتُه عنها، فقال: هل سألتَ أحداً؟ قلت: نعم، أبا حنيفة، قال: فما الذي قال؟ فأخبرتُه فقال: أخطأ، الدرهمُ الباقي بينهما نصفان احتياطاً وتعديلاً للقسمة، فلقيت أبا حنيفة فأخبرته وقلت: خُولفتَ في المسألة، وذكرَ له قول ابن شبرمة ـ وكان أبو حنيفة لو وزن عقلُه بعقلِ الأرض لرجح عليهم ـ فقال: إنَّ الثلاثة لَمَّا اختلطت وجبت الشركةُ بينهما، فصار لصاحب الدرهمِ ثلثُ كلِّ درهم، ولصاحب الدرهمين ثلثا كلِّ درهم، فأيُّ درهمٍ

ذهب ذهبَ بحصتهما. قال: فاستحسنتُ جوابه.

وقال عبد الله بن محمد العقيلي: شهدتُ بالكوفة وليمةَ أخوين تزوَّجا بأختين، فبني بهما في الليل، واجتمعَ الناسُ صبيحةَ تلك الليلة، وفي الوليمة أبو حنيفة وابن شبرمة والثوريُّ وابنُ أبي ليلى وغيرهم، فأبطؤوا بالطعام، فقيل: ما لهم؟ فقيل: غُلِطَ بالمرأتين فابتنى كلُّ واحدٍ من الأخوين بامرأة الآخر، فسُئل الثوريُّ فقال: لكلِّ واحدةٍ منهما مهر، وتعتدُّ بثلاثة قروء، وترجعُ إلى زوجها إن شاء، وقال كلُّ واحدٍ قولاً فلم يوافق القوم، وأبو حنيفة ساكت، فاجتمعوا إليه وسألوه فقال: عليَّ بالغلامين، فجاءَ فخَلا بكلِّ واحدٍ منهما وقال له: أراغبٌ أنت فيما هجمتَ عليه، فقالا: نعم، فقال: لكلِّ واحد منهما طَلِّق امرأتَك واعقد على التي دَخَلْتَ بها، ففعلا، وكبَّر الناس، وحضرتِ الموائدُ فأكلوا.

وروى الخطيبُ عن الحسن بن زياد اللؤلؤيّ قال: كانت بالكوفة مجنونةٌ يقال لها: أم عمران، وكانت تجلس بالكُناسة، فمرَّ بها رجلٌ فكلَّمها بشيءٍ لم تؤثره، فقالت له: أيا ابن الزانيين، وابن أبي ليلى يسمع، فأمرَ بإدخالها المسجد، وأقام عليها حدَّين؛ حداً لأبيه، وحداً لأمِّه، وبلغ أبا حنيفة فقال: أخطأ في ستة مواضع؛ أقام الحدَّ في المسجد، ولا تقامُ الحدود في المساجد، وضربَها قائمةً، ولا تُضربُ النساءُ قياماً بل قعوداً، وضربها حدَّين، وإنما تضرب حداً واحداً، وهي مجنونةٌ، والمجنونُ لا حدَّ عليه، وضربها حدين لأبيه وأمه، وهما غائبان، ولا يجوزُ إقامة الحدِّ للغائب حتى يحضر.

قلت: وقد أخطأ ابن أبي ليلى في كونه قَضى بعلمه من غير دعوى؛ لأنَّه قال في أول الحكاية: وابن أبي ليلى يسمع[(١)].

وسُئل أحمد بن حنبل عن مسألةٍ، فأجاب، فقيل له: إنَّ ابن المبارك لم ينزل من السماء[(٢)]. وقد ينبه الصغيرُ لمَا يخفى على الكبير والمتأخِّر عن المتقدم في كلِّ عصرٍ

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٠. وجاء في هامش (خ) ما نصه. قلت: الظاهر أن يكون بعد الدعوى، وقد طويت في الكلام بناء على متعارف الفقهاء بل العوام من أن الحكم لا يتحقق قبل الدعوى.
وانظر تفسير القرطبي ٨/ ١٥١ـ١٥٢.

(٢) كذا، ولم أقف عليه بهذا السياق. وفي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٢٩: سأل رجل أحمد بن حنبل، فقال: أكتب كتب الرأي؟ قال: لا تفعل، عليك بالآثار والحديث. فقال له السائل: إن عبد الله بن المبارك قد كتبها، فقال له أحمد: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وأوان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال عبد الله بن أبي داود الحربي: أرادَ الأعمشُ الحجَّ، فقال: من هاهنا، نذهبُ إلى أبي حنيفة، يكتب لنا منه مناسكَ الحجّ.

فصل في مناظرته لقتادة:

روى النضر بن محمد قال: قدمَ قتادةُ الكوفة، فنزل دارَ أبي بُردة، فجلسَ يوماً للناس، وقد اجتمع إليه أشرافُ الكوفة وعلماؤهم، فقال: لا يسألني اليومَ أحدٌ عن الحلال والحرام إلَّا أجبتُه، فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقولُ في رجلٍ غاب عن أهله أعواماً، فظنَّتِ امرأتُه أنَّه قد مات، فتزوَّجت، ثمَّ رجعَ زوجُها الأول، ما تقول في صداقها؟ فقال: أوَقَعَتْ هذه المسألة؟ قال: لا، قال: فلم تسألني عن شيءٍ ما وقع[1]؟ فقال أبو حنيفة: إنَّا نستعد للأشياء قبلَ وقوعها[2]، فإذا وقعَ الشيءُ عرفنَا الدخول فيه والخروج منه.

فقال: اسألوني عن التفسير، فقال أبو حنيفة: ما تقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠] من هو؟ قال: آصف بن برخيا، وكان يعرفُ الاسم الأعظم، فقال أبو حنيفة: أفيجوز أنْ يكون في زمان نبيٍّ من هو أعلم منه؟ فانقطع قتادة[3].

وفي روايةٍ أنَّ أبا حنيفة سأله فقال له: ما تقول في امرأة غاب زوجها فنُعِيَ إليها، فاعتدَّت ثم تزوَّجت رجلاً، فقدم الأول الغائب؟ فقال لها: كيف تزوَّجْتِ وأنا غائب؟ وقال لها الثاني: كيف تزوَّجتِ ولكِ زوج؟ فقال قتادة: لا أجيبُكم في هذا بشيء، اسألوني عن التفسير، فسأله عن آصف، فقال قتادة: من أين أنت؟ فقال: من أهل الكوفة، فقال: من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ فقال: لا، ولكنِّي أفضِّلُ الشيخين،

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧: فلم تسألني عمَّا يقع.

(٢) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧: للبلاء قبل نزوله.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨. قال محققه: إسناده ضعيف، فإن النضر بن محمد القرشي العامري المروزي المتوفى سنة ١٨٣ هـ يبعد أن يكون أدرك الخبر، فإن قتادة توفي سنة ١١٧ تقريباً ولا نعلم للنضر رواية مبكرة مثل هذه، فهو يروي عن أبي حنيفة وطبقته.. وآثار الوضع ظاهرة عليه.

وأحبُّ الحسنين أو الختنين، وأمسحُ على الخفين، وأصلي خلف كل برٍّ وفاجر، ولا أُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب، فقال له قتادة: عرفْتَ فالزم. وتفرَّق الناس عن قتادة.

وقال أبو مطيع: كان ابن المبارك يقول إذا ذُكر أبو حنيفة: ما يُقال في رجلٍ عُرِضت عليه الدنيا والأموالُ الجليلة فردَّها.وقد ذكرنا أنَّ أبا جعفر أعطاهُ مالاً فلم يقبله.

فصل: فأمَّا جودُه وسماحتُه وكرم أخلاقه:

رَوى الخطيب عن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محسوداً، وكان كثير الصلةِ والبرِّ لكلِّ من جاء إليه، كثير الإفضالِ على إخوانه(١).

وقال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يبعثُ بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة وما يحتاجُ إليه الشيوخُ المحدِّثين والفقهاء والزهَّاد، ويدفعُ إليهم النفقات، ويقول: احمدوا الله تعالى، فإنِّي ما أعطيتُكم من مالي شيئاً، هذه أرباحُ بضائع أجرى الله أرزاقَكُم منها على يدي(٢).

وروى الخطيب عن شيخٍ سمَّاه أبو سعيد الكندي قال: كان أبو حنيفة يبيع الخَزَّ، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجتُ إلى ثوب خَزٍّ، فقال: ما لونه؟ قال: كذا وكذا، قال: اصبر حتى يقع وآخذه لك، فما دارت الجمعة حتى وقعَ، فجاء الرجل، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتُك، ثم أخرج إليه ثوباً فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة كم أزن للغُلام، فقال: درهماً، فقال: أتهزأ بي؟ فقال: لا والله، إنِّي اشتريتُ ثوبين بعشرين ديناراً ودرهماً، فبعتُ أحدَهما بعشرين ديناراً، وبقي هذا بدرهم، وما كنتُ لأربحَ على صديقٍ، فأخذه(٣).

ورُوي عن أبي يوسف ورواه الخطيب عن أبي مطيع عن أبي حنيفة قال: دخلتُ على أبي جعفر فقال: يا أبا حنيفة، عمَّن أخذتَ العلم؟ قلت: عن حماد بن أبي سليمان

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٣. قال محققه: إسناده تالف، فيه أحمد بن عطية هو الحماني الكذاب، ومتن الخبر منكر، فأين كانت بغداد، وإنما قدمها أبو حنيفة عند تأسيسها، وتوفي ولم تكن قد أصبحت مدينة حضرية فيها الأسواق.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٥.

[عن إبراهيم] عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، فقال: لقد استوثقتَ لنفسك(١).

وروى الخطيب عن عبد الله بن رجاء قال: كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكاف، يعمل نهارَه، فإذا جاء إلى بيته شربَ ليلاً، فإذا دبَّ فيه السكر غزل بصوت يقول: [من الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدَادِ ثغرِ
كأنِّي لم أكن فيهم وسيطاً ولم تكُ نسبتي في آل عمرو
أُجرَّرُ في المجامعِ كلَّ يومٍ فيالله مظلمتي وصبري

والأبيات للعرجي وقد ذكرناها في ترجمته.

قال: فلا يزالُ يردِّدُ الأبيات حتى ينام، وأبو حنيفة يسمعُ صوتَه عامة الليل، ففقدَ صوته ذاتَ ليلة، فسأل عنه، فقالوا: أخذه العَسَس وهو محبوس، فصلَّى أبو حنيفة الفجرَ ومضى إلى الأمير، فلما علمَ بمجيئه قال: لا يدخل عليَّ إلَّا راكباً حتى يطأ بساطي، وخرج إليه والتقاه ورحَّب به، وقال: أنا كنتُ أولى بقصدك، ما حاجتك؟ قال: جاري الإسكاف أخذه العسس، فأمر بإطلاقِه وإطلاق كلِّ المحبسين(٢)، فركبَ أبو حنيفة، وجاء الإسكافُ فقبَّل يديه، فقال: يا هذا ما أضعناك(٣)؟ فقال: لا والله، بل حفظتَ ورعيتَ، فجزاكَ الله عن جوارك خيراً، ثمَّ تاب الرجلُ فلم يعد إلى ما كان عليه.

وروى الصيمري عن أبي يوسف قال: قال هارون الرشيد: صف لي أبا حنيفة، قال: فقلتُ: كان والله شديد الذبِّ عن محارم الله، طويلَ الصمت، دائمَ الفكر، لم يكن مِهْذَاراً ولا ثرثاراً(٤)، مشتغلاً بما هو فيه عن الناس، لا يذكر أحداً إلَّا بخير. فقال هارون: هذه والله أخلاق الصالحين.

وذكر أبو القاسم بن النفيس بإسناده إلى خارجة بن مصعب قال: خرجتُ إلى

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٨. قال محققه: إسناده ضعيف، أبو مطيع هو الحكم بن عبد الله البلخي، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث... وكلُّ الأخبار التي رويت له مع أبي جعفر فيها نظر، فإن العلاقة بينهما كانت متوترة، وقلَّما اتصل أبو حنيفة به.

(٢) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧ أنه أفرج عن كل من أخذ في تلك الليلة إلى ذلك اليوم.

(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧: يا فتى أضعناك؟
وانظر الخبر أيضاً في أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤١.

(٤) في (خ): ترثا. والتصويب من التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٢٢.

الحجِّ، فأودعتُ جاريتي عند أبي حنيفة، ثم مضيتُ إلى اليمن فأقمت أربعة أشهر، وعدتُ إلى الكوفة، فدخلتُ على أبي حنيفة مسلِّماً، فقلت: كيف رأيتَ خدمة الجارية؟ فقال: والله ما أبصرتها، وكيف تتوهَّم أني استخدمتُها؟ فسألت الجارية عن أخلاقه في منزله فقالت: والله ما رأيتُ في الدنيا مثلَه، لقد رصدته أربعةَ أشهر فما اغتسلَ من جنابة، فسألتُ جاريته فقالت: إنَّما ترك هذا خشيةَ أن تحنين إلى مثل ذلك[١].

وقال أبو يوسف: جاءه رجل فقال: إنِّي وضعتُ كتاباً على لسانكَ إلى فلان، فوهبَ لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعونَ بهذا فافعلوا.

وروى الخطيب عن سهل بن مُزاحم قال: كان أبو حنيفةَ كثير التفضُّل على إخوانه، باذلاً لهم حتى عرضه، وكان يقول: اللهم من ضاق صدره بنا، فإنَّ قلوبَنا قد اتسعتْ له[٢].

فصل: وأما وفور عقله وبره بوالديه:

روى الخطيب عن ابن المبارك قال: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، ما سمعتُه يغتابُ عدوًّا له قط، فقال سفيان: هو والله أعقلُ من أن يسلِّطَ على حسناتِه ما يذهب بها[٣].

وروى الخطيب عن عليِّ بن عاصم قال: لو وُزِنَ عقل أبي حنيفة بعقل نصفِ [أهل] الأرض لرجَحَ[٤].

وحكى الخطيب عن خارجة بن مصعب أو يزيد بن هارون قال: ما رأيتُ أورعَ ولا أعقلَ ولا أفضلَ من أبي حنيفة[٥]، وما وقع أحدٌ في أبي حنيفة إلَّا دلَّ على نقصانِ عقله[٦].

وحكى الخطيب أيضاً أنَّ أبا حنيفةَ كان يجيء بوالدتِه في شهر رمضان إلى مسجد

(١) وأخرجه أيضاً الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٣٨.
(٢) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨١.
(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧.
(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧، وما بين حاصرتين منه.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٨ من قول يزيد بن هارون.
(٦) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٨ من قول خارجة بن مصعب.

عمر بن ذر، فيصلِّي إلى السحر، وكان بيتُه بعيداً من المسجد[١].

وقال حجر بن عبد الجبَّار الحضرميّ: كان في مسجدنا قاصٌّ يقال له زُرعة، فأرادت أمُّ أبي حنيفة أن تستفتي في شيءٍ، فأفتاها أبو حنيفة، فلم تقبل وقالت: لا أقبل إلَّا من زُرعة القاصّ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زُرعة، فقال: هذه أمِّي تستفتيك في كذا وكذا، فقال: سبحان الله، معك أَيْشٍ أقول؟! فقال: لا بدَّ أن تفتيَها، فقال لها: الجواب كذا وكذا، فقال أبو حنيفة: قد قلت لها هذا ولم تقبل، فقال لها زرعة: القولُ ما قالهُ أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت[٢].

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: قال لي أبو حنيفة: لا تسألني عن أمر الدين وأنا ماشٍ، ولا قائم، ولا متكئ، فإنَّ هذه الأماكن لا يجتمعُ فيها عقلُ الرجل[٣].

فصل: فأمَّا صفتُه وصفة لباسه:

فروي عن أبي يوسف أنَّه قال: كان أبو حنيفة ربعةً من الرِّجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، وكان أحسنَ الناس منطقاً، وأحلاهم نغمةً[٤]، حسنَ الوجه، حسنَ الثياب، طيِّبَ الرائحة، سريعاً إلى مواساة الإخوان.

وروى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال: كان أبي طوالاً[٥] تعلوه سمرةٌ، وكان كثيرَ التعطُّر، يُعرَف بطيب الريح إذا أقبلَ من شدَّة تعطُّره. والأول أشهر.

فصل: وأمَّا ضربُه على القضاء ونحوه:

روَى الخطيب بإسناده قال: كلَّم ابنُ هُبيرة أبا حنيفة أنْ يَليَ القضاء، فأبى، فضربه مئةَ سوطٍ وعشرةَ أسواط، كلَّ يومٍ عشرة، وكان ابن هُبيرة عاملَ بني أمية على العراق[٦].

قال أبو بكر بن عياش: وكان ذلك في أيَّامٍ باردة، ثمَّ قُيِّدَ بأثقلِ الحديد وحبس.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر الخبر بنحوه في تاريخ بغداد ١٥/ ٥٠١.

(٣) انظر الخبر في التذكرة الحمدونية ١/ ٤٤٢.

(٤) إلى هنا كلام أبي يوسف، وما بعده هو من كلام أبي نعيم. انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٣.

(٥) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٤ : عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة أن أبا حنيفة كان طوالاً.

(٦) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨.

قال الخطيب: فجاءتهُ أمه فقالت: يا نعمان، إنَّ علماً أفادك الضرب والحبس لحقيقٌ بك أن تنفر عنه، فقال: يا أمَّاه لو أردتُ الدنيا لما ضُربت، ولكن أردتُ وجهَ الله وصيانةَ العلم، ولم أعرِّضه للهلكة.

وقال الخطيب بإسناده عن ابن داود: لما امتنعَ أبو حنيفة من ولاية القضاء حَلف ابن هُبيرة لئن لم يفعل ليضربنَّه بالسياط على رأسه، فقال أبو حنيفة: ضربهُ في الدُّنيا أسهلُ عليَّ من مقامع الحديد في الآخرة، والله لو قتلني لما فعلت. وبلغَ ابن هُبيرة فقال: بلغ من قدره أن يعارضَ يميني بيمينه، فدعا به فشافهه، فقال: يا ابنَ هبيرة، إنَّما هي موتةٌ واحدةٌ، فضربَه على رأسه عشرين سوطاً، فقال له أبو حنيفة: يا ابنَ هُبيرة، اذكر مقامك غداً بين يدي الله تعالى، فإنَّه أذلُّ من مقامي بين يديك، ولا تتهدَّدني، فإنِّي أقول: لا إله إلَّا الله، واللهُ سائلُك عنِّي، فأمرَ به إلى السجن، فانتفخَ رأسُه ووجهُه، فرأى ابن هُبيرة في تلك الليلة رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يوبِّخه ويعاتبُه لأجله، فاستحضَره واستحلَّه وأطلقَه.

ورَوى الخطيب أنَّ أبا حنيفة كان يخرجُ كلَّ يوم فيضرب، فبكى بكاءً شديداً وقال: إنَّ غمَّ والدتي أشدُّ عليَّ من الضرب[1].

وروى الخطيب عن ابن المبارك قال: أشخص أبو جعفر أبا حنيفة إلى بغداد وأراده على القضاء، فأبى فحلفَ ليفعلنّ، فحلفَ أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع: أميرُ المؤمنين: يحلفُ وأنتَ تحلف، فقال: هو أقدر على كفارة يمينه منِّي، فأمر به إلى السجن فمات فيه[2]، وسنذكره.

وقال أبو حنيفة لبعض أصحابه: أوصيكُم أن لا يليَ أحدٌ منكم القضاء، وإن دعته الضرورة إلى الدخول فيه فلا يجعلْ بينه وبين الناس حاجباً، وأوصاهم.

فصل في رؤياه النبيَّ ﷺ:

روى الخطيب عن هشام بن مهران قال: رَأى أبو حنيفة في المنام كأنَّه نبشَ قبر النبيِّ ﷺ، فبعث إلى ابن سيرين فسأله فقال: صاحبُ هذه الرؤية يثوِّرُ علماً لم يُسبق إليه،

(١) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٩.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٠.

فحينئذٍ نظرَ أبو حنيفة وتكلَّم[١]. وفي رواية: هذا رجلٌ يحيي سنَّةَ رسول الله ﷺ.

وروي أنَّ الشافعيَّ ولد في السنة التي مات فيها أبو حنيفة.

وروى القاضي أبو حازم عن وكيع بن الجرَّاح قال: كنَّا عند أبي حنيفة، فجاءته امرأةٌ فقالت: يا أبا حنيفة مات أخي وترك ستَّ مئة دينار، فأعطوني ديناراً واحداً، فأطرقَ، ثمَّ رفعَ رأسه وقال: خلَّف أخوك بنتين وأمًّا وزوجةً واثني عشر أخاً وأنت؟ قالت: نعم، قال: للبنتين الثلثان أربع مئة، وللأم السدس مئة دينار، وللمرأة الثمن خمس وسبعون ديناراً، بقي خمسةٌ وعشرون؛ للإخوة أربعة وعشرين، لكلِّ واحدٍ ديناران، بقي لك دينارٌ واحد[٢].

وقال محمد بن الحسن: دخلَ اللصوصُ دارَ رجلٍ، فأخذوا متاعَه، وأحلفوه بالطلاق ثلاثاً أنَّه لا يتكلَّم، وأصبح الرجل، فرأى قماشه في السوق يباع، وهو لا يقدرُ على الكلام، فجاء إلى أبي حنيفة، وأشار إليه أدنى إشارة، ففهم، فجمعَ أبو حنيفة أربابَ التُّهم في المسجد، وقال للرجل: اقعد على باب المسجد، وجعل يُخرِجُ واحداً واحداً، ويقول: هذا الذي أخذَ قماشك، فإن كان غيرَه أخذ، قال: لا، وإن كان أخذ سكت، فردُّوا عليه جميعَ ما أخذ منه.

فصل في وفاته:

حكى الخطيب عن الواقديِّ قال: أشخصَ أبو جعفر المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد[٣]، وعَرضَ عليه القضاء فامتنع، فحبسَهُ فأقام في حبسِه خمسة عشر يوماً، وماتَ فدُفنَ في مقابر الخيزران سنة خمسينَ ومئة، وعمرُه سبعون سنة.

وحكى الخطيبُ أيضاً عن الصيمريِّ أنه سمَّ في سويق، فامتنع من شربه، فقال: لتشربنَّه مُكرهاً، فشربه، ثم قام مبادراً، فقال له أبو جعفر: إلى أين؟ قال: إلى حيثُ بعثتَ بي! فمضوا به إلى السجن، فمات وهو ساجد[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٩.

(٢) جاء في هامش (خ) ما نصه: روي هذا عن علي ﷺ.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٢.

(٤) انظر أخبار أبي حنيفة للصيمري ص٨٧.

وحكى الخطيب عن عبد الله بن مطيع عن أبيه قال: رأيتُ جنازةً أيَّام أبي جعفر يحملُها اثنان، وخلفَها رجلٌ بباب خراسان. وقيل يحملها أربعة[١]، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لرجلٍ من أهل الكوفة يقال له: أبو حنيفة، مات في السجن، فلمَّا جازوا بها بابَ خراسان، كأنَّما نُودي في الناس، فعبرنا به إلى الجانب الشرقي، وصلَّوا عليه عند باب الجسر، ثمَّ كثر الزحام، فلم يصلُوا به إلى مقبُرة الخيزران إلى بعد العصر، وجاء أبو جعفر المنصور فصلَّى على قبره، ومكثَ الناسُ يصلُّون على قبره أربعين يوماً، وقيل: عشرين يوماً، وكان قد أوصَى أن يُدفن في الجانب الشرقيّ؛ لأنَّ الجانب الغربي غَصْبٌ، وقد ذكرناه.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: كنتُ بالكوفة أتوقَّع قدومَه، فجاء نعيُه[٢].

وقيل: إنَّه تكلَّم في أيَّام خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فحُبس بهذا السبب.

واختلفوا في أي شهر مات فقال الخطيب: في رجب[٣]، وقال الصيمري: في شعبان[٤]، وقال أبو يوسف: في شوال.

قال: ولَمَّا دُفِن سمع الناس ثلاثَ ليالٍ عند قبره صوتاً ـ ولا يرون شخصاً ـ وهو يقول: [من الرمل]

ذهبَ الفقهُ فلا فقهَ لكم ... فاتَّقوا اللهَ وكونوا خلفَا
مات نعمان فمن هذا الذي ... يحيي الليل إذا ما سدفا[٥]

وروى الربيع عن الشافعي أنه قال: إنِّي لأتبرَّك بقبر أبي حنيفة، فإذا عرضت حاجةٌ إلى الله تعالى قصدتُه، وصلَّيتُ عنده ركعتين، فما يبعدُ قضاؤها[٦].

ورؤيت له مناماتٌ كثيرة، فروى الخطيب عن السري بن طلحة قال: رأيتُ أبا حنيفة

(١) في أخبار أبي حنيفة ص٨٨. وخلفها رجل ومعها أربعة أنفس.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٥٨٤.
(٤) في أخبار أبي حنيفة ص٨٩ : توفي أبو حنيفة في رجب أو شعبان.
(٥) في أخبار أبي حنيفة ص٢ : سجفا.
(٦) أورده الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٨٩ من طريق علي بن ميمون.

في المنام، فقلت له: من أينَ أقبلت؟ قال: من عند ربِّ العزَّة، أنصفَني من سفيانَ الثوري.

وروى شبابة بن سوار عن أبيه قال: رأيتُ أبا حنيفة في المنام في حالةٍ حسنة، فقلت: ما فعلَ الله بك؟ قلت[1]: غفرَ لي، قلت: بالعلم؟ فقال: هيهات: إنَّ للعلم آفات، وإنَّما غفرَ لي بقول الناس فيَّ ما لم يعلمه الله منِّي.

وقال القاضي الصيمري: ومن مدائح ابنِ المبارك في أبي حنيفة هذه الأبيات: [من الوافر]

لقد زانَ البلادَ ومن عليها ... إمامُ المسلمين أبو حنيفَهْ
بآثارٍ وفقهٍ مع حديثٍ ... كآيات الزبورِ على صحيفَهْ
فما في المشرقينِ له نظيرٌ ... ولا في المغربين ولا بكوفَهْ
رأيتُ العائبين له سِفاها ... خلاف الحقِّ مع حُججٍ ضعيفَهْ
يبيتُ مشمِّراً سهرَ الليالي ... وصامَ نهارَه لله خيفَهْ
وصانَ لسانَه عن كل إفْكٍ ... وما زالتْ جوارحه عفيفَهْ
يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضاةُ الإلهِ له وظيفَهْ
فمن كأبي حنيفةَ في نداهُ ... لأهل الفقر في السنةِ الجحيفَهْ
وكيف يحلُّ أن يؤذَى فقيهٌ ... له في الدين آثارٌ شريفَهْ
وقد قال ابنُ إدريسٍ مقالاً ... صحيح النقل في حِكَمٍ لطيفَهْ
بأنَّ الناس في فقهٍ عيالٌ ... على فقهِ الإمام أبي حنيفَهْ

وقيل فيه أشعار كثيرة.

وروى الخطيب عن أحمد بن الحسن الترمذي قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، ما ترى ما الناس فيه من الاختلاف؟ فقال: في أيِّ شيء؟ فقلتُ: فيما بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، فقال: أمَّا أبو حنيفة فما أدري من هو، وأمَّا

(١) فوقها في (خ): كذا، وبالهامش: لعلها: قال.

مالك فقد كتب العلم، وأمَّا الشافعي فمنِّي وإليَّ[(١)].

قلت: هذا من قلَّة فهم الخطيب والذي رأى المنام؛ لأنَّه كيف يُظَنُّ برسول الله ﷺ أنَّه لا يعرفُ أبا حنيفة، أليس قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «تُعرَضُ عليَّ أعمالُ أمتي يوم الاثنين والخميس»[(٢)]؟ فلا بدَّ أن يَعْرفَ من يعرض عليه من أمَّته[(٣)]، ثمَّ هذا معارَضٌ بما رَوى الفضلُ بن خالد قال: كنتُ أبغضُ أبا حنيفة، فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: إنَّ كلامَ أبي حنيفة ككلام لقمان الحكيم، لا بل يزيدُ عليه، فرجعتُ إلى عند أبي حنيفة[(٤)].

وقد قال العوَّام بن حوشب: اذكروا محاسن السلف؛ لتجمعوا القلوبَ عليهم، ولا تذكروا مساوئَهم فتنفِّروا النفوس عنهم.

انتهت ترجمةُ أبي حنيفة رضي الله عنه.



---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٠ (ترجمة أحمد بن عبد الله بن علي الفرائضي).

(٢) لم أقف عليه، ولعله يريد ما أخرجه الحارث في مسنده (٩٥٣ ـ بغية الباحث) من حديث بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيءٍ استغفرت الله لكم». قال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة ٧/ ٧٤: هذا مرسل ضعيف، جسر بن فرق القصَّاب أبو جعفر البصري؛ مجمع على ضعفه، ولم أر من وثقه.

(٣) جاء في هامش (خ) ما نصه: لعله يريد أن كلًّا من الخطيب والترمذي حملا النفي الواقع في كلام النبي ﷺ ـ فيما رآه الترمذيُّ ـ على ظاهره، والذي ينبغي أن يحمل عليه الحمل على زيادة فضله، وعدم بلوغ التحمل إلى حقيقته ونهايته، والتعبير بصيغة التكلم من قبيل قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ والله أعلم.

(٤) ولا يخفى أن المنامات لا يعتمد عليها في إثبات فضيلة ولا في إنقاص منزلة.

السنة الحادية والخمسون

فيها عزل أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة عن السند وولّاه إفريقيَّة، وولّى مكانه على السند هشام بن عمرو التغلبي[(١)].

وفيها ابتدأ أبو جعفر بعمارة الرصافة بالجانب الشرقيّ، وعمل لها سوراً، وخندقاً، وأجرى إليها الماء كما فعلَ ببغداد.

وسببه أن أبا جعفر استشارَ بعضَ أقاربه فقال: ما ترى ما نحن فيه من شغبِ الجند ووثوبهم علينا كلَّ وقت؟! فقال له: الرأيُ عندي أنْ تعبُر بولدك إلى الجانب الشرقيّ، وابنِ له هناك قصراً وبلداً، وحوِّل معه من الجيوش جيشاً، فيصير ذاك بلداً وهذا آخر، فإن فسدَ عليك أحد البلدين ضَربهم بالآخر، وإن فسدت عليك المضريَّةُ ضربها باليمانية، أو اليمانية ضربها بالمضريَّة، الخراسانية ضربها بأعدائها[(٢)].

ففعل أبو جعفر ذلك، فاستقامت له الأمور.

ووُزِنَ ما بين الرصافة وبغداد فكانت بغداد أعلى من الرصافة بذراعين وثلاثين ذراع[(٣)]، كذا ذكره الخطيب. وهو بعيدٌ في رأي العين اليوم.

وفيها قدم المهديُّ على أبي جعفر ببغداد، فالتقاه أبوه، وأحسن إلى أصحابه، وكساهم، وحملهم، وكذا فعل المهدي[(٤)].

وفيها جدَّد أبو جعفر البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدي، ثمَّ لعيسى بن موسى من بعده، فكان من يبايعه يقبِّلُ يدَه ويد المهدي، ثم يمسحُ على يد عيسى بن موسى ولا يقبِّلُها[(٥)].

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٧.

(٢) كذا في (خ)، ونص الكلام كما في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩: فإن فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب، وإن فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة والخراسانية، وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها.

(٣) كذا، وفي تاريخ بغداد ١/ ٣٩٤: ذراعين ونحو من ثلثي ذراع. وانظر أيضاً المنتظم ٨/ ١٤٨.

(٤) يريد أن المهدي فعل مثل ذلك بمن وفد عليه من عامة أهل بيته. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٦ - ٣٧، والمنتظم ٨/ ١٤٦.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩.

وحج بالناس محمد بن إبراهيم الإمام، وهو كان العامل على مكَّة والطائف، وعلى المدينة الحسنُ بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابيّ، وعلى قضائها سَوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم(١).

وفيها توفي

أشعث الحُدَّاني

من الطبقة الرابعة من عباد البصرة، وكان من الخائفين.

قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حزم قال: قال لنا أشعث الحداني: انطلقوا بنا إلى أبي محمد حبيب العجمي نسلِّم عليه، وذلك عند ارتفاع النهار، فانطلقنا معه، فسلَّمنا عليه وجلسنا، فأخذ حبيب في البكاء وبكى أشعث، فما زالا كذلك حتى حضرت صلاة الظهر، فصلَّينا، ثم أخذا في البكاء إلى العصر، فصلَّينا، وما زالا يبكيان إلى المغرب، ثم قام وخرج، ثمَّ التفتَ إلينا وقد ركب حماره وقال: إنَّ أناساً ينهون عن هذا فأطيعهم؟ قلنا: إذاً أنت أعلم، فقال: والله لا أطيعُهم أبداً.

أسندَ عن الحسن وابن سيرين، وأقرانهما(٢).

قلت: وفي الطبقة الرابعة من أهل البصرة رجلٌ آخرُ يقال له الحُدَّاني أيضاً، إلَّا أنَّ اسمَه عبد الله بن غالب كان من الزهَّاد الخائفين.

قال أبو نعيم بإسناده إلى المغيرة بن حبيب قال: قال عبد الله بن غالب الحُدَّاني لما برز للعدو: على ما آسى من الدنيا؟ فوالله ما فيها للبيب جذلٌ، والله لولا محبَّتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل؛ رجاءَ ثوابك وحلول رضوانك لقد كنتُ متمنِّياً لفراقِ الدنيا وأهلها. ثمَّ كسرَ جفن سيفه، وتقدَّم فقاتل حتَّى قُتل، فحُمِل في المعركة وبه رمق، فماتَ دون العسكر، فلمَّا دُفِنَ أصابوا من قبرِه رائحة المسك.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٤٠.

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ٨/ ١٥٠، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٤.

قال: فرآه رجلٌ من إخوانه في منامه، فقال: يا أبا فراس إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجُّد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحةُ الطيِّبةُ التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحةُ التلاوة والظَّمأ، قال: فقلت: أوصني، قال: اكسب لنفسك خيراً، لا تخرج عنك الليالي والأيَّام عطلاً[(١)].

قلت: تقدَّمتْ وفاةُ عبد الله بن غالب الحُدَّاني على وفاة أشعث الحُدَّاني؛ لأنَّ جدِّي ذكر في «صفوة الصفوة» عن مالك بن دينار أنَّه قال: نزلتُ في قبر عبد الله بن غالب، وأخذتُ من ترابِه، فإذا هو مسك، قال: وفُتِنَ الناسُ به فبُعِثَ إلى قبره فسوِّي[(٢)].

ومالك بن دينار توفِّي في سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومئة.

جعفر بن أبي جعفر المنصور

كان يتولى إمارة الموصل والجزيرة وتوفي في حياة أبيه[(٣)]، وكان للمنصور جعفران، أكبر وأصغر، وهذا هو الأكبر، وهو شقيقُ محمد المهدي، وأمُّهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميري، وكنيةُ جعفر أبو الفضل[(٤)].

قيل: إنه مات في سنة خمسين ومئة، وصلَّى عليه المنصور أبوه ودفنه بمقابر قريش[(٥)].

حسان بن أبي سنان[(٦)]

من الطبقة الرابعة من أهل البصرة، وكان من الخائفين المتعبِّدين الورعين. قال ابنُ أبي الدنيا بإسناده: عن محمد بن عبد الله الزرّاد قال: خرجَ حسان إلى العيد، فلمَّا

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٣٤. وانظر حلية الأولياء ٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، وذكر الخبر فيه مختصراً من غير طريق المغيرة ابن حبيب.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣٣٥. ووفاة عبد الله بن غالب في سنة ثلاث وثمانين، كما في تهذيب الكمال ١٥/ ٤٢١.

(٣) المنتظم ٨/ ١٥١.

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ٣١٢.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢، وانظر ما سلف ص٢٠٦ من هذا الجزء.

(٦) كذا أورده أيضاً في هذه السنة ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٥٢، ولم أقف على من ذكر تاريخ وفاته، لكن أورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٥ في الطبقة الثالثة عشرة (١٢١ ـ ١٣٠ هـ)، فالله أعلم.

رَجع قالت له امرأتُه: كم من امرأة حسناء نظرت إليها اليوم؟ فلم يجبها، فألحَّت عليه، قال: ويحك! والله ما نظرت إلَّا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

وروى ابن أبي الدنيا أنَّ غلاماً لحسان بن أبي سنان كتبَ إليه من الأهواز: إنَّ قصب السكر أصابته آفةٌ، فاشتر السكَّر فيما قبلك، فاشتراه من رجل، فلم يأت إلَّا القليل فإذا مِمَّا ربح ثلاثون ألفاً، قال: فأتى صاحبَ السكَّر فقال له: يا هذا، إنَّ غلامي كان كتب إليَّ ولم أعلمك بكذا وكذا، فأقلني، فقال الرجل: قد علمتُ الآن وطيبتُه، فقال: لم آت الأمر من وجهه[1]، أقلني، فما زال به حتى أقاله، وردَّ عليه ماله.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يحيى الزرَّاد قال: كان حسان يتمثل كثيراً: [من البسيط]

لا صحَّةُ المرء في الدنيا تؤخِّرُه ولا يقدم يوماً موته الوجَعُ

قال: وكان يدخلُ مع امرأته في الفراش، ثمَّ يخادعها ويخرج فيصلِّي إلى الصباح، قال: وكان يبكي حتى يبلَّ ما بين يديه، ولا يُسمَع له صوت.

قال ابن أبي الدنيا أيضاً: ومرَّ حسان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبلَ على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك؟! لأعاقبنَّك بصوم سنة، فصامها.

قال: وكان يقول: لولا المساكين لما اتّجرتُ، وكان يأخذ الربحَ فيخرجُ منه قوتَ عياله، ويتصدَّق بالباقي.

ذكر وفاته:

حدثنا عبد الوهاب بن علي الصوفي بإسناده عن يحيى بن بسطام التميميّ جارِ حسان قال: كان حسان يصوم الدهرَ، ويفطر على قرص، ويتسحَّر بآخر، فنحل وسقم جسمه، حتى صار كهيئة الخيال، فلمّا مات وأدخل مغتسله لغسله، كشف الثوب عنه، فإذا هو كهيئة الخيط الأسود، وأصحابه يبكون حوله فسمعوا قائلاً يقول من ناحية البيت: [من الوافر]

تجوَّعَ للإله لكي يراهُ نحيلَ الجسم من طولِ الصيامِ

(١) في (خ): لم أت الأمر إلاَّ من وجهه. والمثبت من الحلية ٣/ ١١٨، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣٧.

وقــام لــربِّــه فــي الـلـيـل حـتـى أضـرَّ بـجـسـمِـه طـولُ الـقـيـامِ
سـيـنـعـمُ فـي الـجـنـان بـحـورِ عـيـنٍ نـواعـم قـاصـراتٍ فـي الـخـيـامِ

فكانوا يرون أنَّ بعض الجن بكاه، قال: فوالله ما رؤي في البيت إلَّا باكياً.

أسندَ حسَّان عن أنس والحسن وابن سيرين وثابت البُناني وغيرهم، وإنَّما شغلته العبادة عن الرواية.

عبد الله بن عون بن أَرْطبان

ذكره ابنُ سعد في الطبقة الرابعة من أهل البصرة وقال: كنيتُه أبو عون، مولى عبد الله ابن ذَرَّة[١] بن سرَّاق[٢] المزني، وكانَ أكبرَ من سلمان التيميّ، وكان عثمانياً، ثقةً، كثيرَ الحديث، ورعاً.

وقال حماد بن زيد: ولد ابنُ عون قبلَ الطاعون الجارف بثلاث سنين.

وكان لا يسلِّمُ على القدريَّة إذا مرَّ بهم.

قال: وكان إذا حدث بالحديث تخشَّعَ عنده حتى يرحمه من حضره مخافة أن يزيد فيه أو ينقص منه.

ويقول: وددتُ أنِّي خرجتُ منه كَفافاً، يعني العلم.

قال: وكان له إخوانٌ يأتونَه فيأذن لهم خاصة، ولا يأذن للجماعة.

قال: وكانوا إذا جاؤوه سلَّموا عليه، فيردُّ، ويجلسون كأنَّ على وجوههم[٣] الطير من الخشوع والخضوع، وكان لا يدعُ أحداً يمشي معه، واتَّبعه يوماً محمد بن سيرين[٤] فقال له: ألكَ حاجة؟ قال: لا، قال: فانصرف.

قال: وكان لا يمازح أحداً، ولا يماري أحداً، ولا ينشد شِعراً.

وإذا صلَّى الغداة مكثَ مستقبلَ القبلة يذكرُ الله تعالى، فإذا طلعتِ الشمسُ صلَّى، ثم

---

(١) في (خ): درة. غير معجمة. وانظر طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٧.

(٢) في (خ): سراقة. والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٩ .

(٣) كذا في (خ). وفي طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢ : رؤوسهم.

(٤) كذا في (خ). وهو خطأ، والذي في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢ : واتبع ابن عون محمدَ بن سيرين...

أقبلَ على أصحابه.

قال ابن سعد: وحدثنا بكّار بن محمد بهذا كلِّه.

قال بكّار: وما رأيتُ ابن عون شاتماً أحداً قط، لا عبداً[١]، ولا أمةً، ولا شاةً، ولا دجاجةً، ولا رأيتُ أحداً أملكَ للسانه منه.

قال: وكان بلال بن أبي بردة قد ضربه بالسِّياط؛ لأنه تزوَّج امرأة عربية، قال بكار: فما سمعتُه يذكرُ بلالاً بشيءٍ قطّ، ولقد بلغني أنَّ أقواماً قالوا: يا أبا عون، فعلَ بلالٌ كذا وكذا، فقال: إنَّ الرجل قد يكون مظلوماً، فلا يزالُ يقول حتى يصيرَ ظالماً.

وقال بكّار: لقد صحبتُه مدَّةً فما سمعتُه حالفاً على يمينٍ برَّةٍ ولا فاجرة حتَّى فرق الموت بيننا.

قال: وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وما رأيتُ بيده ديناراً ولا درهماً وما رأيته وزنَ شيئاً قط، وكان إذا توضَّأ لا يعينُه على وضوئه أحد، ويمسح وجهه بمنديلٍ أو خرقة.

قال: وكان يغتسلُ للجمعة والعيدين ويتطيب، ويَرى ذلك سُنَّةً، ويلبس أنظفَ ثيابه، وما رأيتُه دخلَ حمَّاماً، ولا أكل طعاماً فيه ثوم قط.

وكان إذا وصل إنساناً وصلَهُ سرًّا، وما كان يحب أن يطَّلعَ على عمله أحدٌ.

قال: وكان عثمان البتي يقول في شهادة الرجل لابنه[٢]: لا يجوزُ إلَّا أن يكون مثل ابن عون.

وكان ابن عون إذا اجتهدَ في الدعاء يقول: يا أحد يا أحد.

قال بكار بن محمد: ورأيت بعض أسنان ابن عون مشدودةً بالذهب.

قال: ومات في رجب سنة إحدى وخمسين ومئة. وهذا الذي ذكرناه روايات ابن سعد[٣].

وروى أبو نعيم عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما سادَ ابنُ عون الناسَ أن كانَ

(١) في (خ): ولا عبداً. والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢.

(٢) في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٥ وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٠٠: لأبيه.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١ ـ ٢٦٨.

أتركَهم للدُّنيا، وإنَّما سادَهم بحفظ لسانه.

وروى أبو نعيم أيضاً عن يونس بن عبيد أنه قال: إنِّي لأعرفُ رجلاً منذ عشرين سنة يتمنَّى أن يَسْلَمَ له يومٌ من أيام ابن عون فلا يقدر عليه، وليس ذلك أن يسكت يوماً لا يتكلَّم، ولكن يتكلَّم فيسلم كما يسلم ابنُ عون.

وقال ابن المبارك: إنما ارتفعَ ابنُ عون بالاستقامة.

ورَوى أبو نعيم عن خارجة بن مصعب قال: صحبتُ عبد الله بن عون أربعةً وعشرين سنةً، فما أعلمُ أنَّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً قط.

قال: وكان لا يغضبُ فإذا أغضبَه أحدٌ قال: باركَ الله فيك[1].

وروى ابن بطة أنَّ ابن عون كان له حوانيتُ يكريها لأهلِ الذمَّة ولا يكريها للمسلمين، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ لمجيء رأس الشهر روعة، وأنا أكرهُ أن أروِّعَ مسلماً[2].

وقال عثمان البتي: ما رأت عيناي مثلَ ابن عون، قيل: ولا الحسن وابن سيرين، قال: ولا الحسن ولا ابن سيرين.

وروى أبو نعيم أن أمَّ ابن عون نادته فأجابها فارتفع صوته على صوتها فأعتق رقبتين[3].

قال: وكان له جمل يغزو عليه ويستقي عليه الماء، وكان يحبُّه، فضربه غلام لابن عون على وجهه فسالت عين الجمل على خدِّه، فجاء به الغلام وقد خاف، فقال له ابن عون: فهلَّا كان على غير الوجه، اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله.

وكان ابن المبارك يقدم البصرة فيقال: ما الذي أقدمك؟ فيقول آخذ من أخلاق ابن عون وآدابه.

وقال ابن معين: ولد ابن عون سنة أربعٍ أو ستٍّ وستين، وكان أكبر من أيوب

(١) انظر حلية الأولياء ٣/ ٣٧ ـ ٤٠.
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣١٠.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣٩.

بسنتين، وعاش ابن عون بعد أيوب عشر سنين(١).

قال: وقال ابن عون(٢): كنت شمَّاساً في بيعة مَيْسان فوقعتُ في سهم عبد الله بن ذرَّة المُزَني.

ذكر وفاته

اتفقوا على أنه مات في هذه السنة.

أدركَ ابنُ عون أنس بن مالك وصحبه(٣)، ويقال: إنَّه رَوى عنه، ورَوى عن الحسن وابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والقاسم بن محمد ومجاهد ونافع وغيرهم.

وقال بكَّار بن محمد: ما رأيتُ أصبرَ منه في مرضه؛ ما شكا علَّةً قطّ حتى مات.

وقال الحافظ ابن عساكر: قدم ابن عون الشام وشاهد غيلان القدري مصلوباً(٤).



(١) كذا في (خ). وفي تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٦ (طبعة مجمع اللغة): عشرين سنة.

(٢) القائل هو أرطبان جدُّ عبد الله. انظر تاريخ خليفة ١/ ١٢٨، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٣١.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٤١، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٦٤: وما وجدت له سماعاً من أنس بن مالك ولا من صحابي، مع أنه ولد في حياة ابن عباس وطبقته، وكان مع أنس بالبصرة وقد ورد عنه أنه رأى أنساً وعليه عمامة خز. اهـ.

وهذا الأخير الذي رواه ابن عون عن أنس أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٤١ ـ ٤٢.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٥.

السنة الثانية والخمسون بعد المئة

فيها غَزا الصائفة محمد بن الإمام، وغزا حُميدُ بن قحطبة كابُل، وكان والياً على خراسان.

وفيها قتلت الخوارج معنَ بن زائدة بسجستان، وقَتل أبو جعفر هاشم بن الأسماهيج[1] ، وكان قد عصى عليه بإفريقيَّة، فحُمِل إلى العراق، فالتقاه أبو جعفر بالقادسيَّة، فضرب عنقَه.

وفيها توفي

سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى[2]

وكنيته أبو أيوب التميمي، ويُعرف بابن بنت شرحبيل، فقيه أهل دمشق.

وقال الحافظ ابن عساكر: كان ثقةً، إلَّا أنَّه لسلامةِ صدره يروي عن الضعفاء.

وحج المنصور في هذه السنة ولم يعلم به محمد بن سليمان بالكوفة ولا عيسى بن موسى حتى جاوز الكوفة أو قرب منها، وكان قد أَخفى عليهما مسيرَه لغرضٍ له.

وكان العمالُ على ما هم عليه في العام الماضي إلَّا مصرَ والبصرة، وقد ذكرنا ذلك.

وفيها توفي

صالح بن علي

ابن عبد الله بن عباس، ولد بالسراة من أرض البلقاء سنة ستٍّ وتسعين، وأبو جعفر أكبر منه بشهرين، وأمُّ صالح سعدى، وقد ذكرنا أنه كان مع أخيه عبد الله بن علي على فتح دمشق، وأنَّه تَبع مروان إلى مصر حتى قتله، وولي الموسم وإمرة دمشق.

وذكره خليفة فقال: وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة نزلَ صالح مرجَ دابق، وأقبلت جيوش الروم مع قسطنطين في مئة ألف، فلقيه صالح فنصره الله عليه، فقتلَ وسبى،

(١) كذا في (خ) وأصول المنتظم كما أشار إلى ذلك محققه ٨/ ١٥٥، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤١ : الأشتاخنج. وفي الكامل ٥/ ٦٠٨ : الأساجيج.

(٢) إيراد سليمان بن عبد الرحمن في وفيات هذه السنة وهم؛ لأنه توفي سنة ٢٣٣ هـ، وولادته في هذه السنة أو التي بعدها. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٩٨.

ونجا سالماً.

قال: وصالح حجَّ بالناس في سنة إحدى وأربعين ومئة[(١)].

وقال الوليد بن مسلم فيما حكاه عنه الحافظ ابن عساكر: وفي سنة سبع وثلاثين ومئة لَمَّا أفضى إلى أبي جعفر الأمرُ غزا صالح الروم، فقدم الشام فنزل بدير سمعان وحلب وما يليها، ثم أغزى الصائفة في سنة ثمان وثلاثين ومئة في أهل المشرق، وأغزاه أبو جعفر الصائفةَ في سنة ثلاث وأربعين ومئة، فنزلَ على جسر جيحان وبنى عليه حصن أذنة[(٢)]. وقد ذكرنا ذلك.

واختلفوا في وفاته قال يعقوب بن سفيان: توفي في سنة اثنتين وخمسين ومئة، وهو على حمص وقنسرين، فاستخلفَ ابنه الفضل بن صالح مكانه، فأقرَّه أبو جعفر[(٣)].

وقال يعقوب بن سفيان: وبلغني أنه مات بعين أباغ من ناحية الشام وقد بلغ ثمانيةً وخمسين سنة[(٤)].

معن بن زائدة بن عبد الله الشَّيباني

وكنيته أبو الوليد، وقيل: أبو يزيد، وقد نسبه الجوهريُّ فقال: وقولهم: حَدِّث عن معنٍ ولا حرج، فهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني، وهو عم يزيد [بن مَزْيَد][(٥)] بن زائدة.

وكان معن أجود العرب، وكان شجاعاً فطناً، سيِّد الأجواد ممدحاً.

وقد ذكرنا أنَّه كان مع ابن هبيرة بواسط، فلمَّا وقع الصلحُ بعثَه أبو جعفر إلى أخيه أبي [العباس[(٦)]] السفاح ببشارة فتح واسط وأن يستحلفَه لابن هبيرة، وقَتل أبو جعفر ابنَ هبيرة،

(١) تاريخ خليفة ص٤١٧، ٤١٩.

(٢) في تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٨ (مخطوط) أنه وجه هلال بن ضيغم السلامي من أهل دمشق في جماعة من أهل دمشق فبنوا على جسر سليمان حصن أذنة.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩.

(٤) قوله: وبلغني، هو من كلام الحافظ ابن عساكر. انظر تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٨ .

(٥) ما بين حاصرتين من الصحاح (معن).

(٦) في (خ): أبي السفاح وما بين حاصرتين زيادة من عندنا.

ونجا معن؛ لأنَّه كان عند أبي العباس بالهاشمية.

ذكر طرف من أخباره:

قال الهيثم بن عدي: كان أبو جعفر قد ولَّاه الولايات، فنُقِل إليه أنه احتجز الأموال، فغضب عليه وتهدده إلى يوم الهاشمية، فلمَّا فدى المنصورَ بنفسه وقاتلَ بين يديه تقدَّم عنده تقدُّماً عظيماً، فولَّاه اليمن، فأعطَى عطايا لم يعطها أحدٌ غيره؛ أتاهُ أعرابيٌّ فأنشدَه أبياتاً من الشعر، فأعطاه مئة ألف درهم.

وقال المدائني: دخلَ عليه أبو جعفر[١] يوماً ومعن يقاربُ في الخُطا فقال: يا معن كَبُر سنُّك، فقال: يا أمير المؤمنين في طاعتك، قال: وإنَّك لتتجلَّد، فقال: على أعدائك، فقال: إنَّ فيك لبقية، قال: هي لك.

قال: ودخلَ عليه يوماً، فنظرَ إليه أبو جعفر، ففكَّر واحمرَّ وجهُه وقال: لست أنسى لك يوم واسط مع ابن هبيرة، وهمَّ أن يضربَه بعمود، فقال: يا أمير المؤمنين، ذاك نصري لباطلهم، فكيف بحقِّك؟ فقال له: أحسنت، وولَّاه سجستان.

ورَوى مروان بن أبي حفصة قال: كان المنصورُ قد طلبَ معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالاً، قال: فحدثني معن باليمن أنَّه اضطُّر لشدَّة الطلب، قال: وكنت ببغداد فوقفت في الشمس حتى لوَّحَتْ وجهي، وخَفَّفتُ عارضَي لحيتي، ولبستُ جبَّة صوف خشنة، وركبت جملاً في زيِّ الأعراب، وتنكرت، وخرجت من بغداد أريدُ البادية، فلمَّا صرت بباب حرب تبعني أسودٌ متقلِّدٌ سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبضَ على خطام الجمل فأناخه وقبضَ عليّ، فقلت: ما لك؟ فقال: أنت طَلِبَةُ أميرِ المؤمنين، فقلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال: أنت معنُ بن زائدة، فقلت له: يا هذا اتَّق الله[٢]، فقال: دع عنك هذا، فأنا والله أعرفُ بك من نفسك، قال: فقلت: فإن كنتُ كما تقول فهذا جوهرٌ له قيمة، حملتُه معي بأضعاف ما بذل المنصور في طلبي لمن جاء بي، فخذه ولا تسفك دمي، فقال: هاته، فأخرجتُه إليه، فنظر فيه ساعةً، فتحيَّر، قال: صدقت في قيمته، ولست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتَني أطلقتك، قلت: قل، قال: فإنَّ الناسَ قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبتَ قطُّ

---

(١) كذا في (خ). والصواب ـ كما في تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٧ ـ : دخل على أبي جعفر.

(٢) في الأغاني ١٠/ ٨٤، والفرج بعد الشدة ٤/ ٥٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٤٥ : اتق الله، وأين أنا من معن.

مالكَ كله؟ قلت: لا، قال: فنصفه؟ قلت: لا، قال: فثلثه؟ قلت: لا، حتى بلغ العشر، فاستحييت منه وقلت: أظنّ، فقال: ما أراك فعلته، أنا رجلٌ[1] ـ أو عبد ـ رزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهرُ قيمته آلاف الدنانير، قد وهبتُه لك، ووهبتُ لك روحك؛ لجودك المأثور بين الناس، ولتحتقرَ بعد هذا كلَّ شيءٍ تعملُه، ولا تتوقَّف في مكرمة، ثمَّ رَمى بالعقد في حجري، وخَلَّى زمام البعير وانصرف، قال: فقلت له: يا هذا، والله لقد فضحتَني ولَسَفكُ دمي أهونُ عليَّ مِمَّا فعلت، فخذ هذا العقد، فإنِّي غنيٌّ عنه، فضحك وقال: أردتَ تكذبني في مقالي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمناً أبداً، قال: فوالله لقد طلبته لَمَّا أمنت، وبذلتُ لمن جاءَ به ما شاء، فما عرفت له خبراً.

وفي رواية أن معن قال: فلمَّا رضي عنِّي المنصور سألني عمَّا جرى لي في غيبتي، فأخبرتُه خبرَ العبد، فطربَ وقال: لا يبقى في العبيد عبدٌ إلَّا ويعرض عليّ وأنا قاعد، فجعلوا يعرضون العبيد حتى مرَّ بي صاحبي، فقلتُ: هذا والله هو، فأحسنَ إليه المنصور ووصلَه، وجعلَه من خاصته.

وروى الخطيب عن أبي عبيدة قال: وقف شاعرٌ بباب معن حولاً لا يصلُ إليه، وكان معن شديدَ الحجاب، فكتب إليه: [من الوافر]

إذا كـان الـجـوادُ لـه حـجـابٌ   فـمـا فَـضْـلُ الـجوادِ عـلـى الـبـخـيـلِ

وفي رواية غير هذا:

إذا كـان الـكـريـمُ لـه حـجـابٌ   فـمـا فـضـلُ الـكـريـمِ عـلـى الـلـئـيـمِ

فكتب إليه معن:

إذا كـان الـجـوادُ قـلـيـلَ مـالٍ   ولـم يُـعـذَرْ تـعـلَّـلَ بـالـحـجـابِ

فقال الشاعر: إنَّه قد آيسني من معروفه، ثمَّ ارتحلَ منصرفاً، وأُخبِر معن بانصرافه، فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم. وقال: هي لك عندنا في كل زَوْرَة[2].

---

(١) كذا في (خ)، وفي الأغاني ١٠/ ٨٤، والفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٥٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٤٦: راجل. وهو الصواب.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٨ ـ ٣١٩.

وحكى أبو عثمان المازني قال: بينما معن جالس في أصحابه إذ أقبلَ أعرابيٌّ راكبٌ على بعير، فجاء حتى أبركَ بعيرَهُ ووقف بين يدي معن وقال: [من المنسرح]

أصلحكَ الله قلَّ ما بيدي فما أطيقُ العيالَ إذ كثروا
ألحَّ دهرٌ رمى بكلكلِهِ فأرسَلُوني إليكَ واعتذروا[1]

قال: فأخذت معن أريحيَّة وقال: لا جرمَ، والله لأُعجلنَّ أوبتَك، ثمَّ قال: يا غلام، ناقتي الفلانيَّة وألفُ دينار، فدفعَها إلى الأعرابيِّ وهو لا يعرِفُه.

وحكى القاضي التنوخي قال: إنَّ معنَ بن زائدة أُتي بثلاث مئة أسير، فأمرَ بضرب أعناقهم، فقال له غلام منهم: يا معن، تقتلُ أسراك وهم عِطاش؟ فقال: اسقوهم، فسقوهم، فقال: اقتلوهم، فناداه ذلك الغلام: يا معن، تقتلُ أضيافك؟! فأطلقهم[2].

وقال العتبي: كان معن مع جوده أحلمَ الناس.

ذكر وفاته:

حكى البلاذري قال: ولَّى أبو جعفر معن بن زائدة سجستان، فاندسَّ له قومٌ من الخوارج مع قومٍ من الصنَّاع كانوا يعملون في داره، فقتلوه وهو يحتجم، فقتلهم يزيد ابن مزيد[3].

وقال يعقوب بن سفيان: قتل معن بأرض خراسان سنة اثنتين وخمسين ومئة[4].

وقال الخطيب: بلغني أنَّ المنصور ولَّاه سِجستان، فنزل بُست، فأساء السِّيرةَ في أهلها فقتلوه[5].

ورثاه الشعراء، فقال الحسين بن مطير وهو من شعراء الحماسة هذه الأبيات: [من الطويل]

أَلِمَّا على معنٍ فقولا لقبره سقتكَ الغوادي مَرْبعاً ثم مَرْبَعَا

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٧ : وانتظروا.
(٢) الفرج بعد الشدة ٤/ ٩١.
(٣) أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٠.
(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

فيا قبر معنٍ كيف واريتَ جُودَهُ   وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا
ويا قبر معنٍ أنت أوَّلُ حفرةٍ   من الأرض خَطَّتْ للسماحة مَضْجَعا
بلى قد وسعتَ الجود والجودُ ميِّتٌ   ولو كانَ حيًّا ضِقْتَ حتى تَصدَّعا
فتًى عِيْشَ في معروفه بعدَ موتِه   كما كان بعد السَّيلِ مجراهُ مرتعا
ولما مضَى معنٌ مضَى الجود وانقضى   وأصبحَ عِرْنينُ المكارمِ أجدعا[1]

وهي من قصيدة منها:

وما كان إلَّا الجودُ صورةَ وجهه   فعاش كريماً ثم ولَّى مودِّعا
وقد كان معن في المواقف غُرَّةً   لآل نزارٍ سامِيَ الطَّرفِ أروَعا[2]

ولما بلغت هذه الأبيات محمد المهدي شقَّ عليه فغضب وقال: ما أبقى ابن مطيرٍ لنا ولغيرنا شيئاً، فحكى البلاذري قال: خرج محمد المهدي يتصيَّد، فلقيَه الحسينُ بن مطير فأنشده: [من البسيط]

أضحَتْ يمينُك من جودٍ مصورةً   لكن يمينُك[3] منها صورةُ الجودِ
من حُسنِ وجهك تُضْحِي الأرضُ مشرقةً   ومن بنانكَ يجري الماءُ في العودِ

فقال له المهدي: كذبتَ، وهل تركتَ لأحدٍ في شعركَ موضعاً بعد قولك في معن:

ألِمَّا على معنٍ وقولا لقبره

فقال له الحسين بن مطير: يا أمير المؤمنين، وهل معنٌ إلَّا حسنةٌ من حسنات أبيك، أو من حسناتك، فرضي عنه، وأمرَ له بألفي دينار.

وقال الحافظُ ابن عساكر: كان الشافعيُّ ينشد للحسين بن مطير هذه الأبيات: [من الطويل]

وليس من الفتيان من راحَ أو غدا[4]   لشربِ صَبُوحٍ أو لشربِ غَبُوقِ
ولكن فتى الفتيانِ من راحَ واغتدى   لضرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صديقِ

---

(١) الأمالي ١/ ٢٧٥.
(٢) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ٣٢١ - ٣٢٢.
(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ٥/ ١٣٠ (مخطوط): لا بل يمينك.
(٤) في تاريخ دمشق ٥/ ١٣١ : وليس فتى الفتيان من راح واغتدى.

السنة الثالثة والخمسون بعد المئة

وفيها قدمَ أبو جعفر البصرة، وبنى بها قصراً، ونزل عند الجسر الأكبر. وكانت الحبشةُ[١] قد أغارت على جُدَّة، فجهَّز إليهم المراكب. وقيل: إنَّ هذه القِدْمةَ هي الأخيرة إلى البصرة، وقيل: إنَّما قدمَ البصرة في سنة خمسٍ وخمسين ومئة، ولم يعدْ إليها[٢].

وفيها ادَّعى الخلافة أبو حاتم الإباضيُّ بالمغرب، وسُلِّمَ عليه بها أربعين يوماً، فسار إلى إفريقية، وبها عمر بن حفص بن عمار بن أبي صفرة الذي كان أميراً على السند، وانضاف إلى أبي حاتم الإباضي أبو عادي[٣] وأبو قُرَّة الصُّفْري، وكانوا في ثلاث مئة ألف وخمسين ألفاً، منهم خمسةٌ وثمانون[٤] ألفاً فوارس، فخرج إليهم عمر في البربر، والتقوا، فقتلوه ومن كان معه من البربر[٥]، ومَلَكُوا إفريقية.

وفيها أخذ أبو جعفر الناسَ بلبس القلانس الطِّوال، فكانوا يرفعونها بالقصب من داخل، فقال أبو دلامة الشاعر في ذلك: [من الطويل]

وكنا نرجِّي من إمامٍ زيادةً ... فزادَ الإمامُ المصطفى في القلانِسِ

تراها على هامِ الرجال كأنَّها ... دنانُ يهودٍ جُلِّلت بالبرانسِ

وفيها توفي عبد الله بن أبي ليلى[٦] القاضي، فاستقضي مكانه على الكوفة شريكُ بن عبد الله النخعي.

وفيها غزا الصائفة معتوق[٧]، وقيل: معروف بن يحيى الهمداني، فأوغل في بلاد

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢، والمنتظم ٨/ ١٦٦، والكامل ٥/ ٥٩٥، ٦٠٩: الكرك.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٤٢، والمنتظم ٨/ ١٦٦.

(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩: أبو عاد.

(٤) كذا في (خ) وتاريخ الإسلام ٤/ ٩. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٢: خمسة وثلاثون.

(٥) كذا، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٢: قتله أبو حاتم الإباضي وأبو عاد ومن كان معهما من البربر.

(٦) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٣: عبيد ابن بنت أبي ليلى. ووقع في الكامل ٥/ ٦١٠: عبيد ابن بنت ابن أبي ليلى. وفي المنتظم ٨/ ١٧١: عبيد الله بن أبي ليلى. وفي تاريخ خليفة ص٤٣٤: فاستقضى أبو جعفر عبدَ الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ثم شريك...

(٧) كذا في (خ). وفي تاريخ خليفة ص٤٢٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩، وتاريخ الطبري ٨/ ٤٣، والمنتظم =

الروم، وفتح حصوناً منها اللاذقية، وأخرج منها ستَّة آلاف رأس من السبي الصغار سوى الرجال البالغين(١).

وقيل: إنَّما فتح اللاذقية مسعود بن عبد الله الجحدري.

وحجَّ بالناس محمد المهدي، وكان على المدينة الحسن بن زيد العلوي، وعلى مكة محمد بن إبراهيم الإمام.

الحسن بن عُمارة بن المُضَرِّب

أبو محمد القاضي الكوفي، ولي القضاء ببغداد في خلافة أبي جعفر، وكان جواداً.

قال الخطيب: جاءه رجل فقال: أيُّها القاضي، لي على مِسْعَر بن كِدَام سبعُ مئة درهم من ثمن دقيق، وقد مطلَني، فدفعَها إليه الحسنُ بن عُمارة وقال: أعط مسعراً كلَّما أراد، وتعال إليَّ فأنا أعطيكَ ثمنَه.

حدَّثَ الحسنُ عن الزهري، وأبي إسحاق السَّبيعي، وغيرهم، وأبي الزبير المكِّيّ. وكان ثقة(٢).

حيوة بن شريح

ابن صفوان بن مالك، أبو زرعة، ذكره ابنُ سعد في الطبقة الرابعة من أهل مصر وقال: كنيتُه أبو يزيد وكان ثقةً(٣).

وكان فقيهاً عابداً مجتهداً مجابَ الدَّعوة، وروي عن ابن المبارك أنَّه قال: ما وصف لي أحد فرأيتُه إلَّا كانت رؤيتُه دون صفتِه إلَّا حيوة بن شريح فإنَّ رؤيته كانت أكثر(٤) من صفته.

= ٨/ ١٦٧، والكامل ٥/ ٦١٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٤٢٨: معيوف.

(١) في المنتظم ٨/ ١٦٧ : وأخرج منها ستة آلاف امرأة سوى الرجال البالغين.

(٢) بل هو متروك الحديث. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨/ ٣٢٢، والمنتظم ٨/ ١٦٩، وتهذيب الكمال ٦/ ٢٦٥ وغيرها.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٥٢٢.

(٤) في تهذيب الكمال ٧/ ٤٨١ : أكبر.

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده قال: كان حيوة من البكائين، وكان ضيِّقَ الحالِ جدًّا، فجلستُ إليه ذات يوم وهو مختلٍ يدعو وحدَه، فقلت له: يرحمُك الله، لو دعوتَ الله يوسِّع عليك في معيشتك؟! قال: فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فأخذ حصاةً من الأرض وقال: اللهمَّ اجعلها ذهباً، فإذا هي والله تبرةٌ في كفِّه ما رأيتُ أحسن منها، قال: فرمى بها إليّ وقال: أنفقها، ثمَّ قال: هو أعلمُ بما يصلحُ به عباده.

ورَوى أبو الفضل بن ناصر عن أشياخه أنَّ أبا عون لَمَّا قدم مصر ووليها، وقتلَ من قتل بها، واستولى عليها، أرسلَ إلى حيوة بن شريح، فلمَّا حضر قال: إنَّا معاشر الملوك لا نُعصَى، ومن عصانا قتلناه، وقد ولَّيتُك القضاء، فقال: حتى أُآمر أهلي، قال: اذهب، فجاء إلى أهلِه فاغتسلَ وتطيَّبَ ولبسَ أنظف ثيابه، ثمَّ جاء فدخل عليه فقال: من جعلَ السحرة أولى بما قالوا منا؟ اقضِ ما أنت قاض، لا أتولَّى لك شيئاً، فافعل ما بدا لك، فقال له: قد أعفيتُك فاخرج، فخرجَ من عنده.

أسندَ حيوة عن جماعةٍ من التابعين، ورَوى عنه ابن المبارك، والليثُ بن سعد، وابنُ وهب، وكان ثقةً صدوقاً[١].

شقيق بن إبراهيم البلخي

أبو علي، من كبار مشايخ خراسان، له لسانٌ في التوكُّل، وهو أوَّل من تكلَّم بكُورة خراسان في علوم الأحوال، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان له دنيا واسعة، فخرجَ منها، وتزهَّد وصحبَ إبراهيم بن أدهم وغيره.

ذكر طرف من أخباره:

رَوى أبو نعيم الحافظ بإسنادهِ عن عليِّ بن محمد بن شقيق قال: كان لجدِّي ثلاثُ مئة قرية، ولم يكن له كفنٌ يكفَّنُ فيه، قَدَّم ذلك كلَّه بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلق يتباركون به[٢].

وذكر أبو عبد الله بن خميس في كتاب «مناقب الأبرار» قال: سببُ توبةِ شقيق أنَّه كان من أبناء الأغنياء، فخرجَ في تجارةٍ إلى أرض الترك وهو حَدَثٌ، فدخلَ بيت

---

(١) المنتظم ٨/ ١٦٨، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٤.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٥٩.

الأصنام، فرأى خادمها وقد حلقَ رأسَه ولحيته، ولبسَ ثياباً أرجوانية، فقال له شقيق: إنَّ لك صانعاً حيًّا عالماً قادراً، فاعبده، ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع، فقال: إنْ كان قادراً كما تقول فهو يرزُقك وأنت في بلدِك، فلم تعنَّيتَ إلى ها هنا؟ فانتبه شقيقٌ وأخذ في الطريق[1].

وحكى عنه أبو نعيم الحافظ قال: خرجت من ثلاث مئة ألف درهم، وكنت مرابياً، ثمَّ لبستُ الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم، حتَّى لقيتُ عبد العزيز بن أبي روَّاد، فقال لي: يا شقيق، ليس الشأنُ في لبس الصوف وأكل خبز الشعير، إنَّما الشأن في المعرفة، وأن تعبدَ الله لا تشرك به شيئاً، قال: فقلت: فسِّر لي هذا، فقال: جميعُ ما تعملُه يكون لله خالصاً، ثم تلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي رواية: وتكون بما في يد الله أوثقَ منك بما في أيدي المخلوقين، ثم يكون الإخلاصُ منك في جميع ما تعملُه لله تعالى[2].

وروى أبو نعيم بإسناده إلى محمد بن أبي عمران قال: سمعتُ حاتماً الأصمّ يقول: كنَّا مع شقيق البلخيّ، ونحن مصافو الترك، في يومٍ لا أرى فيه إلا رؤوساً تندَر وسيوفاً تَقطَع، فقال لي شقيق ونحن بين الصَّفَّين: يا حاتم، كيف ترى نفسك في هذا اليوم، تراها مثل الليلة التي زفَّت إليك فيها امرأتك؟ فقلت: لا، فقال: ولكنِّي أرى نفسي والله في مثل تلك الليلة، ثمَّ نام بين الصفين ودرقتُه تحتَ رأسه، حتى سمعتُ غطيطَه[3].

في «المناقب» قال: فقد عليُّ بن موسى بن ماهان أميرُ بلخ كلباً للصيد في عنقِه قلادةٌ من ذهب، فسُعِي برجلٍ من جيران شقيق إليه أنَّه أخذَه، فطلبه فهرب، فدخلَ دار شقيق مستجيراً به، فجاء أعوانه خلفَه، فقام شقيق ومضى إلى الأمير وقال له: لا تتعرَّض له، فبعدَ ثلاثة أيَّامٍ آتيك بالكلب، وأقام شقيق مهتماً، فلما كان في اليوم الثالث قدم صديقٌ لشقيق من السفر، فوجد الكلبَ بقلادة الذهب في الطريق، فأخذَه وقال: أهديه لشقيق، فجاء بالكلب إلى شقيق، فتحيَّر وقال: هذا كلب الأمير، فحملَه إليه، وبرئ

(١) مناقب الأبرار ١/ ١٧٩.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٦٤.

من الضمان. فيقال: إنَّه سلكَ طريق الفقر بعد ذلك[١].

قال: ودخلتُ البصرة، فوُصف لي رجلٌ من المنقطعين إلى الله تعالى، فقصدتُه ودخلت عليه، فقال: من أنت؟ قلت: شقيقٌ البلخيّ، قال: معلِّمُ أهل خراسان؟ قلت: كذا يقال: قال: ما بلغَ من توكُّلك؟ قلت: استوى عندي الريف والبرِّيَّة، والأمصارُ والفيافي، فنظر إليَّ كالمنكر عليّ وقال: إنَّما يشكُّ في الرزق ويشتغلُ به من يشكُّ في الخالق، ثمَّ قال: لو كنتُ طيراً ما استحللتُ أن أطيرَ فوق دارٍ أنت ساكنها[٢].

وقال حاتم الأصم: دخل شقيقٌ البلخيُّ الريّ[٣]، فجاءَه محمد بن مقاتل الرازي قاضيها وفقيهها، فقال له: أشتهي أن تجعلَ مقامَك عندي، قال: أخافُ أن تطَّلع مني على عيبٍ فتبعدني، ثم أرجعُ إليك فلا تقبلني، وأنا مع من يطلعُ منِّي على العيوب فيسترُ عليَّ ويرزقُني، ولم ينزل عليه.

وقال حاتم: قال لي شقيق: حججتُ فطُفتُ بالبيت، ثمَّ نمتُ في جانب المسجد، وإذا قد نزلَ ملكان من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: كم حجَّ العام؟ فقال الآخر: ثلاثة، وعدَّهم، فقال: وشقيق فيهم؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: عليه فضلُ ثوبٍ، قال: فلمَّا كان في العام القابل حججتُ في عباءةٍ ورقدتُ في مكاني، وإذا بهما قد نزلا، فقال أحدُهما لصاحبه مثلَ مقالته عام أول، فقال: وفيهم شقيق؟ قال: نعم، وقد شفَّعه الله في كلِّ من حجّ.

قلت: فضلُ ثوبٍ لا يمنعُ من قَبول الحج، وإنَّما شقيق كان يشيرُ إلى التجرُّد المحض والتوكُّل السديد، فعوقِبَ على قدر ما كان يشيرُ إليه.

ذكر المختار من كلامه:

حكى أبو نعيم عنه أنَّه قال لحاتم الأصمّ: اصْحَبِ الناس مثلما تصحبُ النَّار، خُذْ منفعتها واحذر أن تحرقك[٤].

وحكى عنه في «المناقب» أنَّه قال: قرأتُ القرآن عشرين سنة حتى ميَّزتُ الدنيا من

(١) مناقب الأبرار ١/ ١٨١.
(٢) مناقب الأبرار ١/ ١٨٤.
(٣) في (خ): الذي. وفوقها: (كذا). والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ١٨٥، وهو الصواب.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٧٧ (ترجمة حاتم الأصم).

الآخرة، فأصبتُه في حرفين؛ قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ الآية [الشورى: ٣٦][١].

وقال حاتم: سمعتُه يقول: قرأتُ أربعةً وعشرين كتاباً في التوحيد، فوجدتُ معانيها كلَّها في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ الآية [الأنبياء: ٢٢].

وقال: الزاهد الذي يقيم زُهْدَهُ بلسانه.

وقال: طهِّر قلبَك من حبِّ الدنيا؛ ليدخلَ فيه حبُّ الآخرة.

وقال: جعلَ الله أهلَ طاعتِه أحياءً في مماتهم، وأهلَ معصيته أمواتاً في حياتهم.

وقال حاتم: قدمَ شقيقٌ الكوفة حاجًّا، فلقيه سفيان الثوريّ، فقال له: أنت شقيق الذي تدعو إلى التوكل وتنهى عن المكاسب؟ فقال شقيق: ما قلت كذا. قال: فكيف قلت؟ قال: قلت: حلالٌ بيِّن، وحرامٌ بيِّن، ومتشابهٌ فيما بين ذلك، ولكن دخلت الآفةُ من الخاصَّة على العامَّة، وهي خمس طبقات؛ العلماءُ، والزهَّادُ، والغزاةُ، والتجَّارُ، والملوك.

فأمَّا العلماءُ فهم ورثة الأنبياء، لم يرثُوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورثوا العلمَ، فإذا كان العالمُ طامعاً، فالجاهل بمن يقتدي؟

وأمَّا الزُّهَّاد فهم ملوكُ الدنيا، فإذا أصبحَ الزَّاهدُ راغباً، فالراغب بمن يقتدي؟

وأمَّا الغزاةُ فجندٌ من جنود الله في أرضه، وإذا كان الغازي يحبُّ التصدُّر في المجالس والراحة، فمن يغزو؟

وأمَّا التجَّار فهم أمناء الله في أرضه، فإذا كان التاجرُ خائناً فبمن يقتدي الأمين[٢]؟

وأمَّا الملوك فهم الرُّعاة، وإذا كان الراعي هو الذئب، فالذئب كلُّ ما يجده يأكله.

يا سفيان، لا تجمعن[٣] للدنيا إلَّا على مقامك فيها. فسلَّمَ عليه سفيانُ ومضى.

وقال: الفقرُ تقارنُه ثلاثة أشياء؛ فراغُ القلب، وراحةُ النفس، وخفَّة الحساب،

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ١٨٠.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ١٨٥: الخائن.

(٣) في (خ): لا تحمص. والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ١٨٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٣. وانظر تاريخ دمشق ٨/ ٩٩ (مخطوط).

والغنى يقارنُه ثلاثة أشياء؛ تعبُ اليقين، وشُغلُ القلب، وشدَّة الحساب.

وقال: العبادةُ عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الهرب من الناس، والعاشرُ في السكوت.

قال: وسأله رجل عن الفتوة أو عن التوكُّل، فقال له شقيق: فما تقول أنت؟ فقال: إنْ أُعطينا شكرنا، وإن منعنَا صبرنا، فقال له شقيق: فكلابُ بلخ عندنا بهذه الصفة، قال: فما تقول أنت؟ فقال: إنْ فقدنا صبرنا، وإن وجدنا آثرنا. وفي رواية: وإنْ مُنِعنا سُررنا.

وقال ابن باكويه الشيرازي: توفي شقيق ببلخ في سنة ثلاث وخمسين ومئة[١].

أسند الحديث وصحب المشايخ، ولازمَ إبراهيم بن أدهم مدَّةً.

وهيب بن الورد

مولى بني مخزوم، ذكره ابن سعد من الطبقة الثالثة من أهل مكة، وقال: كان يسكن مكَّة، وكان من العُبَّاد، وكانت له أحاديث ومواعظ وزهد، وكان اسمه عبد الوهاب فصُغِّر، فقيل: وهيب. وروى عنه عبد الله بن المبارك وغيره. وأخوه عبد الجبار بن الورد[٢]، وروى عن ابن أبي مليكة وغيره. وهذا قول ابن سعد[٣].

وقال أبو نعيم: كنيته أبو عثمان وقيل: أبو أميَّة. وكان زاهداً ورعاً خائفاً، ينظر في دقائق الورع. ورَوى أبو نعيم عن بشر الحافي أنَّه قال: أربعةٌ رفعَهم الله بطيبِ المطعم؛ وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسالم الخوَّاص[٤].

وقال زهير بن عباد: جلس الفضيلُ بن عياض والثوريُّ[٥] وابن المبارك ووهيب

---

(١) وكذا أورده ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٧٠ في وفيات سنة ١٥٣.

وفي تاريخ دمشق ٨/ ١٠٢ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٣٠، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٧٣ أنه توفي سنة أربع وتسعين ومئة. وستأتي ترجمته في تلك السنة مضافة من (ب) فقط.

(٢) في (خ): بن أبي الورد. وهو خطأ.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) لم أقف عليه في الحلية.

(٥) الخبر في حلية الأولياء ٨/ ١٤٣، وصفة الصفوة ٢/ ٢١٨ دون ذكر الثوريّ فيه.

بمكة، فتذاكروا الرطب، فقال وهيب: أوقد جاء أوانه؟ فقال له ابنُ المبارك: يرحمُك الله، فهذا آخره، أو لم تأكل؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال وهيب: بلغني أنَّه من القطائع، قال له ابن المبارك: أوليسَ عامَّة ما في السوق من القطائع؟ لو منعنا هذا لضاق على الناس، أوليس القمحُ الذي يأتي من مصر من القطائع، وما أحسبك تستغني عن القمح، فصعق وهيب، فقال الفضيل لابن المبارك: ما الذي صنعتَ بالعبد الصالح؟ فقال: ما كنت أرى أنَّ كلّ هذا الخوف قد أعطيه، فلمَّا أفاق وهيب قال: يا ابن المبارك، دعني من ترخيصك، لا آكلُ من القمح إلَّا كما تأكل المضطرُّون الميتة، فزعموا أنه نحلَ جسمُه حتى مات هزالاً.

وقال قادم الديلمي [قيل][1] لوهيب: ألا تشربُ من ماء زمزم؟ فقال: بأيِّ دلو؟ وما كان يشرب إلَّا بدلوه.

وقال أبو نعيم: كان سفيان الثوريّ إذا حدَّث الناس في المسجد الحرام وفرغَ يقول: قوموا بنا إلى الطبيب، يعني وهيب بن الورد.

وما كان يأكلُ من الفواكه شيئاً.

ورَوى ابن أبي الدنيا بإسناده عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وُهيب بن الورد: عَجباً للعالم كيف تجيبُه دواعي قلبه إلى الضحك! وقد علمَ أنَّ له في القيامة روعات ووقفات وفزعات، ثمَّ غشي عليه.

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً عن وهيب أنَّه كان قد حلف أن لا يضحكَ حتى يعلم ما تأتي به رسلُ الله، قال: فسمعوه عند الموت يقول: وَفيتَ لي وما وفيتُ لك.

وقال بشر الحافي: كانت خضرةُ البقل تبينُ من بطنِه من الهُزال.

أسند وهيب عن عطاء ومنصور بن زَاذان وغيرهما، وشغله التعبُّد عن الرواية[2]. والله أعلم.



(١) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة ٢/ ٢١٩.

(٢) انظر ترجمته إضافة إلى ما ذكر في المنتظم ٨/ ١٧٢، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٦٩.

السنة الرابعة والخمسون بعد المئة

فيها خرج أبو جعفر إلى الشام، فنزل البيت المقدس، وجهَّز يزيدَ بن حاتم إلى إفريقية في خمسين ألفاً، وأنفق فيهم ستة وثلاثين[١] ألفَ ألف درهم، وأمرهُ بقتال الخوارج الذين قَتلوا عمرَ بن حفص بإفريقيَّة، فسار إلى إفريقية، ولَمَّا رجع من الشام مر بالرقَّة، فعزمَ على بناء الرافقة مدينة إلى جانبها، فامتنع أهلها وقالوا: تخرب مدينتنا، وتتعطَّلُ أسواقنا، فلم يلتفت إليهم، فأرادوا محاربتَه، فلم يقدروا، فشرع في بناء الرافقة، وهي اليوم القائمةُ، وخربت الرقة، وهي العتيقةُ الخراب اليوم.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة وقعت صاعقةٌ في المسجد الحرام، فأحرقت خمسة نفر، وكانت قدرةُ الله عظيمة[٢].

جعفر بن بُرْقان الكلابيّ الجزري

ذكره ابنُ سعد فيمن نزلَ الجزيرة من الفقهاء والمحدِّثين بعد الصحابة، وقال: كان ثقة صدوقاً، له روايةٌ وفقهٌ وفتوى في دهره، وكان كثيرَ الخطأ في حديثه، وكان ينزل الرقَّة، وبها مات في سنة أربعٍ وخمسين ومئة[٣].

وحكى الحافظ ابن عساكر عن سفيان الثوري قال: ما رأيتُ أفضلَ منه، كان من بقايا المسلمين[٤].

وقال ابن معين: كان أُمِّيًّا لا يكتب.

الحكم بن أبان العدني

ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل اليمن، وقال: هو من أهل عدن، مات سنة

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٤، والمنتظم ٨/ ١٧٤ : ثلاثة وستين.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٤٤، والمنتظم ٨/ ١٧٤، والكامل ٥/ ٦١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٨٨.

(٤) قوله: ما رأيت أفضل منه. هو من قول سفيان الثوري. أمَّا قوله: كان من بقايا المسلمين، فهو من قول سفيان بن عيينة. انظر تهذيب الكمال ٥/ ١٥ ـ ١٦.

أربعٍ وخمسين ومئة[١].

وقال أبو نعيم: كنيته أبو عبس[٢]. قال: وحدَّثنا عبد الله بإسناده إلى عبد الله بن الضيف[٣] قال: سمعتُ مشيخةً يقولون: كان الحكمُ بنُ أبان سيِّدَ أهلِ اليمن، وكان يصلِّي بالليل، فإذا غلبَه النوم ألقَى نفسه في البحر، وقال: أُسبِّح الله عزَّ وجلَّ مع الحيتان.

سمعَ الحكمُ من عكرمة مولى ابن عباس وغيره، وكان ثقةً زاهداً ورعاً.

عمر بن ذر بن عبد الواحد[٤]

أبو ذر الهمذاني الكوفي، ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة قال: وكان قاصًّا[٥].

وقال النضر بن إسماعيل[٦] : حضرتُ جنازةً فيها عُمر بن ذَرّ، وحولَه الناسُ، فلمَّا وُضِع الميت في قبرِه قام عمر وأشار إليه وقال: أمَّا أنت فقد قطعتَ سفر[٧] الدنيا، فطوبى لك إنْ لقيت في سفرك إلى الآخرة خيراً. فضجَّ الناسُ بالبكاء.

وذكر جدِّي رحمةُ الله عليه أنَّه مات له ولدٌ، فوقف على قبره وقال: ليت شعري ماذا قلتَ، وماذا قيل لك؟ لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، اللَّهمَّ إنِّي قد وهبتُ له إساءته إلي، فهبْ له إساءتَه إليك، فإنَّكَ أكرمُ مني .

وفي رواية: لقد شغلَنَا البكاءُ لك عن البكاء عليك، والحزنُ لك عن الحزنِ عليك، اللَّهمَّ إنِّي قد وهبت له ما قصَّر فيه من حقِّي، فهب له ما قصَّر فيه من حقِّك، فإنَّك أولى بالكرم. فلمَّا دفن قال: يا ذرّ، خلوتَ وخُلِي بك، وانصرفنا عنك وتركناك، ولو أقمنا

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٥.

(٢) لم أقف عليه في ترجمته في الحلية ١٠/ ١٤٠ ـ ١٤١. وانظر صفة الصفوة ٢/ ٢٩٧.

(٣) كذا في (خ). والصواب ـ كما في الحلية ١٠/ ١٤١ ـ : إسحاق بن الضيف.

(٤) كذا في (خ). وفي المصادر: عمر بن ذر بن عبد الله.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٢.

(٦) في (خ): شميل. وهو تصحيف. والمثبت من حلية الأولياء ٥/ ١١٦، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢٢.

(٧) في (خ): شرف.

عندك ما نفعناك[١].

وقال الهيثم: حجَّ عمر بن ذر فلما لبَّى قال: لبيك اللهمَّ لبيك، ما زلنا نهبطُ وادياً، ونعلو شرفاً، ويبدو لنا علمٌ حتى أتيناك بها، نَقِبَةً أخفافها[٢]، دَبِرةً ظهورُها[٣]، ذبِلةً أسنمتُها، قد أتعبنَا أبداننا، وأنفقنَا أموالَنا، وليس لنا همٌّ لذلك، بل أعظمُ المؤنة أن نرجع بالخسران، يا خير من نزل النازلون بفنائه.

وقال ابنُ أبي خيثمة: كان كلَّما لبَّى يقولُ ذلك، فيبكي ويُبكي الناس.

وقال ابن أبي خيثمة[٤]: قيل لعمر بن ذرّ: أيُّما أعجب إليك، البكاء للخائف أم الكمد؟ فقال: طولُ الكمَد؛ لأنَّه إذا بَكَى استراحَ، وإذا لم يبكِ لم يتسلّ. وأنشد: [من الطويل]

إذا رقَّ قلبُ المرء درَّت جفونُه ... دموعاً له فيها سُلُوٌّ من الكَمَدْ
وإنْ غصَّ بالأشجانِ من طول حُزنِه ... علاه اصفرارُ اللونِ في الوجهِ والجسَدْ

ذكر وفاته:

حكى ابنُ سعد أنه مات في سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة[٥].

وقال النضر بن شميل[٦]: في سنة أربعٍ وخمسين ومئة.

وقال ابن أبي خيثمة: لا يختلفون في خوفه وزهده وورعه.

وقال ابن سعد: كان مرجئاً [فمات][٧]، فلم يشهده سفيانُ الثوريّ ولا الحسنُ بن صالح بن حي، وكان ثقةً كثير الحديث.

---

(١) انظر حلية الأولياء ٥/ ١٠٨.

(٢) نَقِبَ الخفُّ: تخرَّق، ونَقِب البعير: حفي. القاموس (نقب).

(٣) الدَّبَرَة: قرحة الدابة والبعير، ودَبِرَ البعير يَدْبَرُ دَبَراً فهو دَبِرٌ وأدبر، والأنثى: دَبِرَةٌ ودَبْرَاء، وإبلٌ دَبْرَى. اللسان (دبر).

(٤) هو في الحلية ٥/ ١١٢، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢١ (طبعة مجمع اللغة) من غير طريق ابن أبي خيثمة.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٢.

(٦) كذا، ولم أقف عليه.

(٧) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٢.

وقال ابنُ أبي الدنيا: سأَلَه بعض الخلفاءِ عن القدر، فقال: ها هنا شيءٌ يشغلُ عن هذا، قال: وما هو؟ قال: ليلةٌ صبيحتُها القيامة[١]. انتهى[٢].

علي بن صالح بن حيّ[٣] الهمداني

من الطبقة السادسة من أهل الكوفة، من أقران سفيان الثوري.

وقال ابن سعد: كنيتُه أبو محمد، قال: وكان علي صاحب قرآن، وهذا عليّ وأخوه حسن ابنا صالح ولدا توأمين في بطنٍ واحد، تقدَّمه علي بساعةٍ، فلم أسمع حسناً يسمِّيه باسمه قط، كان يقول: قال أبو محمّد.

توفي علي في سنة أربع وخمسين ومئة.

قال: وقال هشام بن محمد: أمُّ علي وحسن أمُّ الأيسر بنت المقدام بن مسلم، هَمْدانية.

وقال أبو نعيم الأصفهاني بإسناده إلى وكيع بن الجراح يقول: كان عليّ والحسن ابنا صالح وأمُّهم قد جزؤوا الليلَ بثلاثةِ أجزاء، فكان عليٌّ يقومُ الثُّلث ثم ينام، ويقوم الحسن ثم ينام، وتقوم أمُّهم الثلث، فماتت أمهما، فجزآ الليلَ بينهما، فكانا يقومان حتى الصباح، ثم مات عليّ فقام الحسنُ كلَّه[٤].

وفي روايةٍ عن صالح العجليّ أنَّهم كانوا يختمونَ القرآن في كل ليلةٍ يقرأ عليٌّ ثلثه، والحسن ثلثَه، وأمُّهُم الثلث، فماتت أمُّهما، فجزآه بينهما، فمات عليٌّ فقام به الحسن، فكان يختمُه في كلِّ ليلة.

وقال يحيى بن آدم: قال الحسنُ بن صالح: قال لي أخي عليّ في الليلة التي مات فيها: يا أخي، اسقني ماءً، وكنت قائماً أصلِّي، فلمَّا قضيتُ صلاتي أتيتُه بماء، فقال:

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ١٧.

(٢) انظر ترجمته أيضاً في تهذيب الكمال ٢١/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٥، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٣.

(٣) في طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٥ : علي بن صالح، واسم صالح حي بن صالح. وفي تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦٤ : علي بن صالح بن صالح بن حي.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

يا أخي، ما هذا، أليس قد شربتُ الساعة؟ قلت: ومن سقاك، وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ فقال: أتاني جبريلُ عليه السلام بقدحٍ من ماء الساعة، فسقاني وقال: أنتَ وأخوك وأبوك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وخرجتْ روحُه.

وفي رواية: وأمّك.

وقال أبو نعيم[١]: مات علي بن صالح في سنة أربع وخمسين ومئة، وماتَ أخوه حسن بعده بثلاثة عشر سنة، في سنة سبعٍ وستين ومئة، وسنذكرُه هناك إنْ شاء الله تعالى[٢].

أبو عمرو بن العلاء بن عمار العريان

من الطبقة الخامسة من أهل البصرة.

واختلفوا في اسمه على أربعة أقوال؛ أحدها: زبَّان، والثاني: عريان، والثالث: سفيان[٣]، والرابع: يحيى، وقيل: إنَّ اسمَه كنيته، قال الأصمعيُّ: ما عرفنا له اسماً إلَّا الكنية.

وولدَ أبو عمرو سنةَ سبعين في أيَّام عبد الملك بن مروان، ونشأَ بالبصرة، وقرأَ القرآن على جماعةٍ، منهم مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، والحسن، وغيرهم، وكان أبو عمرو من سادات الفضلاء، وهو أحدُ الأئمَّة القراء السبعةِ المذكورين.

وقال الأصمعيُّ: سألتُه عن ثمانية آلاف مسألة من القرآن والشعر والنحو والعربيَّة، فأجابَ عنها، كأنَّه في قلوب العرب.

وذكره خليفة في الطبقة السادسة من أهل البصرة[٤].

---

(١) هو الفضل بن دكين، لا صاحب الحلية. انظر التاريخ الصغير للبخاري ص١١٩.

(٢) انظر ترجمته أيضاً في صفة الصفوة ٣/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧١، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٦٨.

(٣) لم أقف على من ذكر أنَّ اسمه سفيان سوى ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٨٢، وذكر له الذهبيُّ في معرفة القرّاء الكبار ١/ ٢٢٤ نقلاً عن أبي عبد الله القصار تسعة عشر اسماً. ليس سفيان واحداً منها.
واسم أخي أبي عمرو أبو سفيان. فالله أعلم.

(٤) طبقات خليفة ص٢٢٠.

وأمُّه عائشة بنت عبد الرحمن بن ربيعة من بني حنيفة، وقال أبو عبيد[١] : كان أبو عمرو صدوقاً، صحيحَ السماع، عالماً بفنون العلوم، عارفاً بالقرآن، وكان قد كتب عند العرب الفصحاء ما ملأ به بيتاً، فاحترقَ البيت، فرجع إلى ما كان في حفظه وخاطره.

وذكره الخطيب وأثنى عليه وقال: دخل عليه رجلٌ من أصحابه، وأبو عمرو مريضٌ، فقال له الرجل: إنِّي أريدُ أن أساهرَك الليلة، فقال له: أنتَ معافى، وأنا مريض أو مبتلى، فالعافيةُ تمنعُك أن تسهر، والمرضُ لا يدعني أنام، فأسأل الله لكَ دوام العافية، ولي عظيمَ الأجر.

قال: ومن كلام أبي عمرو: من سألَ الناسَ حاجةً، فقد عرَّضَ نفسَه للرقِّ، فإن قضاها المسؤول استعبَده، وإن ردَّه ولم يقضها رجعَ كلاهما ذليلان؛ هذا بذلِّ السؤال وهذا بذلِّ الردّ.

وقال: رأيتُ أعرابياً وأنفُه كأنَّه كوزٌ من عظمه، فضحكتُ منه، فقال: ما لك؟ والله لقد كنتُ في قوم ما كانوا يسمونَني إلَّا الأفطس.

قال: وسمع أعرابيًّا منادياً ينادي على غلامٍ: من يشتريه بعيبه؟ قال: وما عيبُه؟ قال: يبولُ في الفراش، فقال: إنْ وجد فراشاً يبولُ فيه.

وقال الأصمعي: حدثني أبو عمرو بن العلاء قال: بينما أنا أمشي في شدَّة الحرّ، سمعتُ قائلاً يقول: [من الطويل]

وإنَّ امرأً دُنياهُ أكبر همِّه لمستمسكٌ منها بحبلِ غرورِ

قال: فقلت: أجنيٌّ أم إنسيّ؟ فقال: بل جنّي، فنقشته على خاتمي.

وقال الأصمعيّ: قال لي أبو عمرو: يا عبد الملك، كن على حذرٍ من الكريم إذا أهنتَه، ومن اللئيم إذا أكرمتَه، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا ماجنته[٢]، ومن الفاجر إذا عاشرتَه، وليس من الأدب أن تجيبَ من لا يسألُك، ولا تسأل من لا يجيبُك، أو تحدِّث من لا يُنصِتُ إليك.

(١) كذا في (خ). ولعله أبو عبيدة. انظر معرفة القراء ١/ ٢٣٥.

(٢) في تهذيب الكمال ٣٤/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٩ : مازحته.

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها، فقيل: إنَّه مات بالكوفة وعمرُه يومئذ أربعةٌ وثمانون سنة.

وقال ابن زبر: مات سنة أربعٍ وخمسينَ ومئة.

وقال ابنُ قتيبة: ماتَ وهو مسافرٌ في طريق الشام[١]، وهو ابن سبعٍ وثمانين سنة.

وقال وكيعُ بن الجرَّاح: رأيتُ قبرَه بظاهر الكوفة.

وقيل: إنَّ الذي قبرُه بالكوفة أبو عمرو بن العلاء، حليفٌ لبني أمية، وليس بصاحبِ هذه الترجمة[٢].

أسند عن أبيه العلاء، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم، وكان جليلَ القدرِ في زمانه.



(١) المعارف ص٥٤٠.

(٢) في معرفة القراء ١/ ٢٣٦: قال وكيع: قرأت على قبر أبي عمرو بالكوفة: هذا قبر أبي عمرو بن العلاء مولى بني حنيفة.

قال الذهبي: إن صح هذا فلعله أراد ولاء الحلف.

السنة الخامسة والخمسون بعد المئة

فيها قال الواقدي: بَنى أبو جعفر أسوارَ الكوفة والبصرة ونيسابور[(١)] ، وأدارَ عليها الخندق من أموال أهلها، وإنَّما قصدَ عقوبةَ أهل الكوفة، أمرَ مناديه فنادى: احضروا عطاء أمير المؤمنين، فحضروا، فأعطى كل واحدٍ خمسةَ دراهم، وأحصى عددهم، ووضعَ على كل واحد خمسة دنانير[(٢)] ، فقال شاعرهم: [من مجزوء الرمل]

يـا لـقـومـي مـا لـقـيـنَـا مـن أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـنَـا
قـسـمَ الـخـمـسـةَ فـيـنـا وجَـبـانَـا أربـعـيـنَـا

وولى عمارة سور الكوفة الهيثم بن معاوية العكي[(٣)] وسعيد بن دعلج، وقيل: إنَّما ولى عِمَارة سور البصرة الهيثم وسعيداً.

وعزل عن البصرة عبد الملك بن [أيوب بن][(٤)] ظبيان، واستعملَ عليها الهيثم، وضمَّ سعيد بن دعلج إليه.

وفيها وردت كتبُ يزيد بن حاتم على أبي جعفر بأنه قَتل الخوارج الذين قتلُوا عمر ابن حفص، واستقامت إفريقية والقيروان ليزيد بن حاتم.

وقال الطبريُّ: وفيها بعث المنصور ابنه محمداً المهدي لبناء الرافقة على بناءِ مدينة بغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسورها وخنقها[(٥)].

قلت: وأيُّ مناسبةٍ بين البلدين، بينهما بينٌ وأيُّ بين، وقد ذكرنا أنَّ الرافقةَ هي القائمةُ يومئذٍ، أمَّا الرقَّة، فإنَّه استولى عليها الخراب![(٦)]

وفيها عزل أبو جعفر أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة، وأغرمهُ أموالاً وحبسه.

---

(١) قوله: ونيسابور. ليس في تاريخ الطبري ٨/ ٤٦، والمنتظم ٨/ ١٨٣، والكامل ٦/ ٥.
(٢) في المصادر السابقة: أربعين درهماً.
(٣) كذا في (خ) والمنتظم ٨/ ١٨٣. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٦، والكامل ٦/ ٦ : العتكي.
(٤) ما بين حاصرتين من المصادر.
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٤٦.
(٦) لا وجه لهذا الاستبعاد، وأراد الطبري أن بناء الرّافقة على نسق بناء بغداد في أبوابها وفصولها...إلخ.

وحجَّ بالناس عبدُ الصمد بن علي وكان على مكَّة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام.

وفيها توفِّي

أشعبُ بن جبير الطامع

ويقال: إنَّ اسمَه شعيب، وقيل: شعبان، وأشعبُ أصح.

وكان أشعب خالَ الأصمعي، وقيل: خال الواقدي.

وكنيته أبو العلاء، وقيل: أبو إسحاق.

واختلفوا في اسم أمِّه، والمشهور جعدة مولاةُ أسماء بنت أبي بكر الصديق، وقيل: أم حُميدة، وقيل: أم حَميدة.

[واتفقوا أنه مولى][(١)] ، وإنما اختلفوا في اسم مولاه، فقال قومٌ: كان مولى عثمان ابن عفان، وقيل: مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى عبد الله بن الزبير، وقيل: مولى فاطمة بنت الحسين.

وذكره أبو الفرج الأصفهاني فقال: كان أبوه مولى لآل الزبير، خرجَ مع المختار بن أبي عبيد، فقتله مصعب بن الزبير، وقال: تخرجُ عليَّ وأنت عبدي؟

قال: وأمُّه حميدة، ويقال لها: أم الجلندع[(٢)] مولاة أسماء بنت أبي بكر، ويعرف أشعب بابن أم حميدة، قال: كان أزرقَ أحولَ أكشف، والأكشف الذي في ناصيته زغبات شعرٍ متفرِّقة، وكان أقرع[(٣)].

نشأ بالمدينة في دور آل أبي طالب؛ لأنَّه قد قيل إنَّه مولى فاطمة بنت الحسين، وربته عائشة بنتُ عثمان بن عفان.

وذكر جدِّي في «المنتظم» أنَّ أشعبَ ولد في سنة تسع من الهجرة، وعاشَ دهراً طويلاً، وأدركَ عثمان بن عفان[(٤)].

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ٨/ ١٧٥ (في وفيات سنة ١٥٤ هـ).

(٢) في الأغاني ١٩/ ١٣٥ : أم الخلندج.

(٣) الأغاني ١٩/ ١٤٠.

(٤) المنتظم ٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: قال أشعب: كانت أمِّي تغري بين أزواجِ رسول الله ﷺ، وأنَّ النبيَّ ﷺ دعا على أم أشعب فماتت[١].

وامرأة أشعب: بنتُ وردان الذي بنى قبر رسول الله ﷺ حين هدمَ الوليدُ بن عبد الملك المسجد على يد عمر بن عبد العزيز[٢].

وكان أشعب قد تعبَّدَ وقرأ القرآن وتنسَّك وروى الحديث، وكان حسنَ الصوت بقراءة القرآن، وربَّما صلى بهم في المسجد، وله أخبارٌ مستطرفة.

ذكر طرف من أخباره:

قال الخطيب بإسناده إلى أبي العباس الكاتب قال: قيل لأشعب: طلبتَ العلمَ، وجالستَ الناس، ثمَّ تركت، فلو جلست لنا فسمعنا منك؟ فقال: نعم، فجلسَ لهم، فقالوا له: حدثنا، فقال: سمعت عكرمةَ يقول: سمعتُ ابن عباس يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «خَلَّتان لا تجتمعان في مؤمن» ثم سكت، قالوا: وما هما؟ قال: نسي عكرمةُ واحدة، ونسيت أنا الأخرى[٣]. فضحكُوا وانصرفوا.

وقال الهيثم بن عدي: مرَّ أشعب برجلٍ يعملُ طبقاً، فقال: اعمله واسعاً؛ لعلَّهم يهدونَ إلينا فيه شيئاً.

قال: وقال أشعب: ما خرجتُ في جنازةٍ فرأيتُ اثنين يتشاوران[٤]، إلَّا ظننتُ أنَّ الميتَ قد أوصى لي بشيء.

وقال سليمان الشاذكوني: كان لي ابنٌ في المكتب، وأشعبُ جالس عند المعلم، فقرأ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ﴾ [القصص: ٢٥] فقام أشعب ولبس نعليه، وقال: امش بين يدي، قال: فقال: إنَّني إنَّما أقرأ حزبي، فقال: قد عجبت أنَّك تفلح أنت وأبوك.

وحكى الزبير بن بكار قال: كان سالم بن عبد الله بن عمر يستخفُّ أشعب ويضحك منه، فخرج يوماً سالمٌ إلى بستان له بظاهر المدينة ومعه حرمه وأهله يتنزَّه، وعلم به

(١) الأغاني ١٩/ ١٣٥.
(٢) الأغاني ١٩/ ١٣٧.
(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٥٠٤.
(٤) في تاريخ بغداد ٧/ ٥٠٩: يتسارَّان.

أشعب، فجاء فوجدَ الباب مغلقاً، فتسوَّر الحائط، فقال له سالم: ويحكَ، تسوَّرت على بناتي وحرمي، فقال: قد علمتَ ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنك لتعلم ما نريد، فضحك سالم وأعطاه طعاماً، فأكل وحملَ معه إلى بيته.

وقال الزبير: أكل أشعبُ يوماً مع سالم[١] تمراً، فجعل يقرنُ تمرتين تمرتين، فقال له سالم: قد نهَى رسول الله ﷺ عن القِرَان في التمر[٢]، فقال: لو رأى رسولُ الله ﷺ هذا التمرَ لرخَّصَ فيه حفنةً حفنة.

قال: وقيل لأشعب: لم لا تتزوَّج؟ فقال: أريدُ امرأةً أتجشَّأُ في وجهها فتشبع، وتأكلُ فخذَ جرادةٍ فتتخم.

وقال الزبير: وفدَ أشعبُ على الوليد بن عبد الملك، فاستدعى بالمغنين، قال أشعب: فمنعني الحاجب فقلت: مكِّنِّي من الدخول ولك نصفُ ما يحصلُ لي، فقال: قد مكَّنتُك، فدخلتُ، فغنَّى القوم فأجازهم ولم يجزني، فقلت: يا أمير المؤمنين، اضربني مئةَ سوط نصفُها للحاجب، ففهم فقال: لا بل أعطيكَ مئة دينار وللحاجب مثلها.

وقيل: إنَّ هذه الواقعة جرت لأشعب مع الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وقال الهيثم: رأى أشعب رجلاً يشوي دجاجةً أوَّل النهار فلم يأكلها، ثمَّ عاد آخرَ النهار فشواها، فقال أشعب: هذه الدجاجةُ مثل آل فرعون يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا.

وبلغَ فاطمة بنت الحسين وكانت مولاته، فقالت: أوَبَلَغ من هزل الخبيث أنْ يتلاعبَ بالقرآن؟ وضربَتْهُ مئةَ سوط، وأعطتهُ مئة دينار.

وقال الزبير: قيل له: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما زفَّت امرأةٌ إلى زوجها إلَّا كنستُ بيتي رجاءَ أن تهدى إليّ، ولا رأيتُ دخاناً طالعاً من دارٍ إلَّا ظننت أن أهله يبعثون إليَّ بطعام.

قال: واجتازَ يوماً بقومٍ ينسجونَ شقة[٣]، فقال: طوِّلوها لعلَّ أن يُهدَى إليَّ منها شيء.

---

(١) هو سالم بن أبي الجعد، كما في تاريخ بغداد ٧/ ٥٠٤ (من غير طريق الزبير).

(٢) حديث النهي عن القران أخرجه البخاري (٢٤٥٥)، (٢٤٨٩)، (٢٤٩٠)، (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٠٤٥).

(٣) كذا.

قال: ورأى قوساً ينادى عليه من يشتريه بدينار، فقال أشعب: لو أنَّ هذا إذا ضُرِب به طائرٌ وقعَ مَشويًّا بين رغيفين ما شريتُه بدينار.

وقال الهيثم: وقيل له: هل رأيتَ أطمعَ منك؟ قال: نعم، أمِّي كنت إذا جئتُها بشيءٍ أتهجَّاه حرفاً حرفاً مخافةَ أن أخبرها به جملةً فتموت فرحاً.

واختلفوا في وفاته، فقال الأصمعيُّ: مات في هذه السنة.

وقال الجاحظ: عاشَ إلى أيَّام المهدي، وكان في فتنة عثمان بن عفان يسقي الماء.

وقال [أبو][١] القاسم بن عساكر: أسندَ أشعب عن أبان بن عثمان، وعبد الله بن جعفر، وسالم بن عبد الله.

وقد حكى ابنُ عساكر[٢] عن الدارقطنيِّ أنَّهما أشعبان؛ أحدهما الطامع مولى عثمان ابن عفان، وهو ابن أم حميدة، والثاني أشعب بن جبير، مولى ابن الزبير.

وقال عبد الغني بن سعيد: هما واحد[٣].

وذكره الخطيب[٤] قال: وهو خال الواقدي، قدمَ بغداد في أيام المنصور والمهدي، وغنَّى بها، وكانت له ألحانٌ مطربة.

وهذه الروايةُ تدلُّ على أنَّه مات في أيام المهدي.

عبد الكريم بن أبي العوجاء

وكان متَّهماً بالزندقة، وهو خالُ معن بن زائدة، فأُتي به إلى محمد بن سليمان[٥] عامل أبي جعفر على الكوفة، فحبسَه، وبلغَ أصحابَهُ ببغداد، فألحُّوا على حاشية أبي جعفر بالشفاعات فيه، فكتبَ أبو جعفر إلى محمد: لا تحدثنَّ فيه حدثاً حتى يأتيك أمري، وبذلَ ابنُ أبي العوجاء لمحمد بن سليمان مئة ألف درهم على أن يؤجِّله ثلاثة أيام على يدي ابن أبي الجبَّار صاحب شرطة محمد، ولأبي الجبار أيضاً وعده بمال،

(١) ما بين حاصرتين ليس في (خ). وانظر تاريخ دمشق ٣/ ٤٩ (مخطوط).

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٥٩ (مخطوط).

(٣) وكذا قال الخطيب في تاريخه ٧/ ٥٠٢: والذي عندي أنهما واحد.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٥٠١.

(٥) في (خ): سلمان. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨، والمنتظم ٨/ ١٨٤، وغيرها.

فأخبر أبو الجبَّار محمداً، فقال: والله لقد أذكرتنيه، وكنتُ قد نسيتُه. وكان محمد قد خرجَ إلى الجمعة، فلمَّا عاد من الجمعة أخرجَه وأمرَ بضرب عنقه، فلما أيقن بالقتل قال: أمَا والله لئن قتلتموني لقد وضعتُ على نبيِّكم أربعةَ آلاف حديث، أحرِّمُ فيها الحلال، وأُحِلُّ فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومِكم، وصوَّمتكم في يوم فطركم. فقتله.

وذكر جَدِّي أنَّ عبد الكريم بن أبي العوجاء كان من الزنادقة الذين قصدوا إفسادَ الشريعة، وهو خالُ معن بن زائدة، وخال زيد بن حماد بن سلمة(١).

وورِدَ في ذلك اليوم كتابُ أبي جعفر يقول: إيَّاك أن تحدثنَّ في ابن أبي العوجاء حدثاً، فأفعل بك كذا وكذا، فلمَّا قرأ محمدٌ كتابه قال للرسول: هذا رأسُ ابن أبي العوجاء، وذاك بدنُه مصلوب بالكُناس، فعاد الرسول فأخبر أبا جعفر، فغضب وقال: لقد هممتُ أن أفتديه به(٢)، فعزله عن الكوفة وولَّاها عمرو بن زهير، وقال لعيسى بن موسى أو لعيسى بن علي: هذا عملُك أنت! أشرتَ بتولية هذا الغلام الجاهل، يقتلُ رجلاً بغير أمري. فقال له عيسى: إنَّه قتلَه على الزندقة، فإنْ كانَ قتلُه صواباً فهو لك، وإن كان خطأً فهو عليه، والله لئن عزلتَه على ما صنع بالزنديق لينصرفنَّ بالثناء الحسن والذكر الجميل، ولترجعنَّ اللائمة من العامة عليك، فمزَّق أبو جعفر عهدَ عمرو بن زهير، وأقر محمداً على الكوفة.

قلت: ومحمد بن سليمان هو الذي قتلَ حمَّاد عجرد على الزندقة أيضاً، وإنما لُقِّبَ بعجرد لأنَّ أعرابيًّا مرَّ به وهو يلعبُ مع الصبيان في يومٍ شديد البرد وهو عريان، فقال: تعجردت يا غلام. والمتعجرِد المتعرِّي.

وذكره الخطيب فقال: كان شاعراً ماجناً خليعاً ظريفاً، نادم الوليد بن يزيد، وهجا بشار بن برد(٣)، وقدمَ إلى بغداد في أيام المهدي.

---

(١) كذا، وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٩ عند ذكر أقسام الرواة الذين تعمدوا الكذب:... كعبد الكريم بن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة، فكان يدس الأحاديث في كتب حماد... وكان خال معن بن زائدة.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٨، والمنتظم ٨/ ١٨٥، والكامل ٦/ ٧: أقيده به.

(٣) في تاريخ بغداد ٥١٩: وهاجى بشار بن برد.

وكان حمَّاد قد شبَّب بزينب بنت سليمان بن علي أخت محمد بن سليمان ومن قوله فيها: [من مجزوء الكامل]

إنِّـــي أحــبُّـــكِ فـــاعـــلـــمـــي ... إنْ لـــم تـــكـــونـــي تـــعـــلـــمـــيـــنَـــا
حـــبًّـــا أقـــلُّ قـــلـــيـــلِـــه ... كـجـمـيـعِ حـبِّ الـعـالـمـيـنَـا[1]

فطلبه أخوها محمد بن سليمان، فالتجأ إلى محمد بن السفاح، فلمَّا هلك ابن السفاح استجار عجرد بقبرِ سليمان، فقال محمد: والله لأبلنَّ قبرَ أبي سليمانَ من دمِه، فهرب إلى بغداد فاستجار بأبي جعفر المنصور فأجاره، وقال له: اهجُ محمداً فهجاه، فبعث إليه محمد من اغتاله فقتله[2].

وقيل: إنَّما خرج من الأهواز يريد البصرة، فمرض فمات في طريقه، فدفن على تلٍّ هناك، فلمَّا قَتَل المهديُّ بشاراً في الزندقة بالبطيحة، حُمِلَ فدفن على عجرد، فمرَّ بهما أبو هشام الباهلي، فكتب على القبرين: [من السريع]

قـد تـبـع الأعـمـى قـفـا عـجـردٍ ... فـأصـبـحَـا جـاريـنِ فـي دارِ
صـارا جـمـيـعـاً فـي يـديْ مـالـكٍ ... فـي الـنـار والـكـافـرُ فـي الـنَّـارِ
قـالـت بـقـاعُ الأرض لا مـرحـبـاً ... بـقُـربِ حـمَّـادٍ وبـشَّـارِ[3]

قال: وكان بشار لَمَّا بلغه مرضُ حمادٍ قال: [من السريع]

لـو عـاش حـمَّـادٌ لَـهـونَـا بـه ... لـكـنَّـه صـارَ إلـى الـنـارِ

قال ومن شعر حماد: [من البسيط]

إن الـكـريـم لـتـخـفـى عـنـك عـسـرتُـه ... حـتـى تـراهُ غـنـيًّـا وهـو مـجـهـودُ
بُـثَّ الـنـوال ولا يـمـنـعـكَ قـلَّـتـهُ ... فـكـلُّ مـا سـدَّ فـقـراً فـهـو مـحـمـودُ
ولـلـبـخـيـلِ عـلـى أمـوالـه عِـلَـلٌ ... زرقُ الـعـيـون عـلـيـهـا أوجـهٌ سـودُ[4]

وقيل: إنَّ حماد عجرد مات سنة ثمان وستين، والأصح أن محمدَ بن سليمان قتلَه

---

(١) في الأغاني ١٤/ ٣٥٦ أنه قالها في جوهر جارية ابن عون.
(٢) انظر الأغاني ١٤/ ٣٧٨ ـ ٣٨٠.
(٣) الأغاني ١٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.
(٤) المنتظم ٨/ ٢٩٧.

في سنة خمسٍ وخمسين ومئة.

مِسْعر بن كِدَام بن ظُهير

أبو سلمة، الكوفيُّ الزاهد العابد، ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة، قال: وقال سفيان بن عيينة: رأيتُ مسعراً، وربَّما يجيئه الرجلُ فيحدِّثه بالشيء هو أعلم به منه، فيتسمَّع له وينصت.

قال: وقال الهيثم: لم يسمع مِسعرٌ حديثاً قطُّ إلَّا في المسجد الجامع، وكانت له أمٌّ عابدةٌ، وكان يحملُ لها لِبْداً ويمشي معها حتى يدخلا [المسجد]، فيبسط لها اللِّبد، فتصلّي، ثم يعودُ فيحمل اللبدَ معها إلى بيتها(١).

وحكى أبو نعيم عن سفيان الثوري أنَّه قال: ما رأيتُ في زمانِه مثله.

قال: وقال سفيانُ بن عيينة: ما لقيتُ أحداً أُفَضِّله عليه(٢).

قال: وقال ابنُه محمد بن مسعر: كان أبي لا ينامُ حتى يقرأَ نصف القرآن(٣).

وكان يخفي أعمالَه ويقول: أشتهي أنْ أسمعَ صوتَ باكيةٍ حزينة(٤).

وروى ابن أبي الدنيا قال: بكى مسعرٌ يوماً، فبكت أمُّه، فقال لها: يا أمَّاه، ما أبكاكِ؟ فقالت: رأيتُك تبكي فبكيتُ لبكائك، فقال: يا أمَّاه، لمثلِ ما نهجمُ عليه غداً فلنُطِلِ البكاء، قالت: يا بنيَّ، وما هو؟ قال: القيامة وما فيها.

وكان لا يزال باكياً طول دهره، وما كان له مأوى إلَّا المساجد(٥).

وقال سفيان بن عيينة: قال رجل لمسعر: أتحبُّ أن يخبركَ الرجلُ بعيوبك؟ فقال: إنْ كان ناصحاً فنعم، وإن كان يريدُ أن يوبِّخني فلا(٦).

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٠٩.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢١٦.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢١٨.
(٥) في طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٥ : ولم يكن له مأوى إلا منزله والمسجد.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢١٧.

قال عبد الله بن المغيرة: سمعتُ مسعراً ينشد هذه الأبيات: [من الهزج]

ألا قــد فــســدَ الــدَّهــرُ فــأضــحَــى حُــلــوُه مُــرَّا
وقــد جــرَّبــتُ مــن أهــوى فــقــد أنــكــرتُــهــم طُــرَّا
فــألــزِم نــفــســك الــيــأسَ مــن الــنــاس تــعــشْ حُــرَّا[١]

وروى أبو نعيم عن عبد الرحمن بن صالح[٢]، قال: قال مسعر هذه الأبيات: [من البسيط]

تفنى اللَّذاذةُ مِمَّن نال صَفوتَها من الحرامِ ويبقَى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقب سُوءٍ من مَغَبَّتِها[٣] لا خيرَ في لذَّةٍ من بعدها النارُ

ذكر وفاته:

ذكر ابنُ سعد عن أبي نُعيم الفضل بن دُكَين أنَّه ماتَ في سنة خمس وخمسين ومئة، وحَكى أيضاً في سنة اثنتين وخمسين ومئة[٤].

قال ابن سعد: مات مسعر ولم يشهد سفيانُ الثوري والحسنُ بن صالح جنازتَه؛ لأنَّه كان مُرجئاً[٥].

قلت: وليس كما ذكر ابنُ سعد، فإنَّ عامَّة العلماء قد اتفقوا على دينِ مسعر وزهده وخوفه وصدقه.

وقال أبو نعيم الحافظ بإسناده عن حسين[٦] بن يحيى بن آدم عن أبيه قال: لما حضرت مسعراً الوفاةُ دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً، فقال له: لم تجزع، فوالله لوددت أنِّي متُّ الساعة، فقال مسعر: أقعدوني، فأقعدوه، فأعاد عليه سفيان

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٣٠.

(٢) كذا في (خ)، وتمام الإسناد كما في الحلية ٧/ ٢٢١: حدثنا الحسين بن محمد: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت عبد الله بن صالح يقول.

(٣) في (خ): مغيبها. والمثبت من الحلية.

(٤) وهو قول محمد بن عبد الله الأسدي. طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٤. وكذا أورده ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٥٩ في وفيات سنة ١٥٢ هـ.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٥.

(٦) في حلية الأولياء ٧/ ٢١٢: حسن.

الكلام، فقال: إنَّك إذاً لواثقٌ بعملك، لكنِّي والله يا سفيان لكأنِّي على شاهق جبل، لا أدري أين أهبط، فبكى سفيان وقال: أنتَ أخوفُ لله منِّي.

وروى أبو نعيم أيضاً عن مصعب بن المقدام قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وسفيان الثوري آخذ بيده وهما يطوفان، فقال الثوريُّ: يا رسول الله، مات مسعر بن كدام، فقال: نعم، وقد استبشر بموته أهلُ السماء[(١)]. انتهت ترجمته.

أبو هاشم البغدادي الزاهد

ذكره الخطيب وأثنى عليه وقال: قال أبو هاشم: إن الله تعالى وَسَمَ الدُّنيا بالوَحْشة؛ ليكون أُنسُ المريدين به دونها، فأهلُ المعرفة فيها مستوحشون، وإليه مشتاقون.

وقال أبو هاشم: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

وكان أبو هاشم من أقران أبي عبد الله البراثي، وصحبه الثوريُّ، وكان سفيان يقول: ما زلت أُرائي وأنا لا أشعر حتى جالستُ أبا هاشم، فأخذتُ منه ترك الرياء، وأدَّبني بذلك. والله أعلم[(٢)].



(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٣، والمنتظم ٨/ ١٨٦.

السنة السادسة والخمسون بعد المئة

فيها عزلَ أبو جعفر المنصور الهيثمَ بن معاوية عن البصرة، فأقدمَه بغداد، فأقام أيَّاماً وتوفِّي، فخرج المنصورُ في جنازته، وصلّى عليه، ودُفن في مقابر قريش[١].

وفيها مات

حمزةُ بن حبيب بن عُمارة

أبو عمارة الزيَّاتُ القارئ.

ذكره ابنُ سعد في الطبقة السادسة من أهل الكوفة، وقال: هو مولى لآل عِكرمة بن ربعي[٢] التيمي، وكان يجلبُ الزيت من الكُوفة إلى حُلْوان، ويجلب من حُلوان الجبنَ والجوز إلى الكوفة، وكان صاحبَ قراءات القرآن والفرائض.

قال: ومات حمزة بحُلوان سنةَ ستٍّ وخمسين ومئة، وكان رجلاً صالحاً، وكانت عنده أحاديث، وكان صدوقاً صاحبَ سنَّة. وهذا قول ابن سعد[٣].

وكان الأعمشُ إذا رآه يقول: هذا حبرُ القرآن.

وحمزة صاحب المنام، حدثنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضل بن ناصر بإسناده إلى خلف ابن هشام البزَّار قال: قال لي سليم بن عيسى: دخلتُ على حمزة بن حبيب الزيَّات، فوجدتُه يمرِّغ خدَّيه على الأرض ويبكي، فقلت: أعيذك بالله، فقال: لماذا استعذت؟ رأيتُ البارحة في منامي كأنَّ القيامة قد قامت، ودعي بقرَّاء القرآن، فكنتُ فيمن حضر، فسمعت قائلاً يقول بكلامٍ عذبٍ: لا يدخل عليَّ إلَّا من عمل بالقرآن، فرجعتُ القهقرى، فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟ فقلت: لبَّيك داعيَ الله، فبدرني ملكٌ وقال: قل: لبيك اللَّهمَّ لبيك، فقلت كما قال لي، فأدخلني داراً سمعت فيها

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٥٠، والمنتظم ٨/ ١٨٧، ١٩٢.

(٢) في (خ): ربيعة. والتصويب من طبقات ابن سعد ٨/ ٥٠٧، والمعارف ص٥٢٩، والمنتظم ٨/ ١٨٨.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥٠٧.

ضجيجَ القرآن، فوقفت أرعد، فإذا بقائلٍ يقول: لا بأسَ عليك، اقرأ وارقَ[١]، فرقيت، فقيل لي: اقرأ سورةَ الأنعام، فقرأت ـ وأنا لا أدري على من أقرأ ـ حتَّى بلغتُ الستين آيةً، فلما بلغتُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ قال لي: يا حمزة، ألستُ القاهرَ فوق عبادي؟ قلت: بلى، قال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى أتممتها، ثم قال لي: اقرأ فقرأتُ الأعراف حتى بلغت آخرها، فأومأتُ إلى الأرض بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ قلت: سليمان، قال: صدق سليمان، من أقرأ سليمان؟ قلت يحيى، قال: صدق يحيى، من أقرأ يحيى؟ قلت: أبو عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمي، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ قلت: ابن عم نبيك عليّ، قال: صدق عليّ، فمن أقرأ عليًّا؟ قلت نبيُّك محمدٌ ﷺ، فقال: ومن أقرأ نبيِّي؟ قلت؟ جبريل، قال: صدق جبريل، ومن أقرأ جبريل؟ قال حمزة: فسكت، فقال لي: يا حمزة قل: أنت، قلت: ما أتجاسرُ أن أقول: أنت، فقال: قل: أنت، فقلت: أنت، فقال: صدقتَ يا حمزة، وحقِّ القرآن لأكرمنَّ أهلَ القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن، يا حمزة، القرآنُ كلامي، وما أحبُّ أحداً كحبِّي أهلَ القرآن، ادن يا حمزة، فدنوتُ فضمخني بالغالية وقال: ليس أفعل بك وحدك هذا، قد فعلتُ ذلك بنظرائك من فوقك، ومن دونك، ومن أقرأَ القرآن كما أقرأته لم يردْ بذلك غيري، وما خبأتُ لك عندي أكثر، فأعْلِم أصحابك بحبِّي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المطيعون[٢] الأخيار، وعزَّتي وجلالي، لا أعذبُ لساناً تلا القرآن بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذناً سمعتهُ، ولا عيناً نظرت إليه، فقلت: سبحانك سبحانك. ثم انتبهت، أفتلومني أن أبكي وأتمرَّغَ في التراب؟!

وقال جرير بن عبد الحميد: مرَّ بنا حمزةُ فاستسقى بماء، فأتيتُه بماء، فقال: أنت ممن يحضرنا في القراءة؟ قلت: نعم، قال: لا حاجة لي في مائك.

---

(١) بعدها في المنتظم ٨/ ١٨٩، وتهذيب الكمال ٧/ ٣١٩: فأدرتُ وجهي فإذا أنا بمنبرٍ من درٍّ أبيض، دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه زبرجد أخضر، فقيل لي: ارق واقرأ، فرقيت.

(٢) في المنتظم ٨/ ١٩٠، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٢٠: المصطفون.

أسند حمزة عن الأعمش وغيره.

وروى الخطيبُ عن أبي مسحل قال: رأيتُ الكسائيَّ في المنام كأنَّ وجهه القمرُ أو البدر، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقراءة القرآن، فقلت: فما فعلَ بحمزة الزيَّات؟ قال: ذاك في أعلى عِلِّيين، لا نراه إلَّا كما نرى الكواكب[١].

الربيع بن أنس

من[٢] بكر بن وائل، ذكره ابنُ سعد في الطبقة الخامسة من أهل البصرة[٣]، وكان عالماً فاضلاً، وله في تفسير القرآن.

وكان قد هرب من جورِ الحجَّاج، فسكنَ قرية من قُرى مرو، يقال لها: بُرْز، ثم تحوَّل إلى أخرى يقال لها: سَذَوَّرْ، فأقامَ بها حتى مات.

ولما ظهرت دولةُ بني العباس بخراسان طُلِبَ فتغيَّبَ، فخلصَ إليه ابنُ المبارك وهو مختفي، فسمعَ منه أربعينَ حديثاً[٤].

وقيل: إنَّه مات في أيام أبي جعفر من غير تاريخ[٥].



(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٨ (ترجمة الكسائي).
وانظر ترجمة حمزة إضافة إلى ما سبق في معرفة القراء الكبار ١/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٩٠.

(٢) في (خ): ابن. وهو تصحيف، والتصويب من المصادر.

(٣) كذا قال، وذكره ابن سعد في طبقاته ٩/ ٣٧٣ فيمن كان بخراسان بعد الصحابة من الفقهاء والمحدثين.

(٤) ونقل الذهبي في السير ٦/ ١٧٠ عن ابن أبي داود قال: سجن بمرو ثلاثين سنة. قال الذهبي: سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيَّل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه.

(٥) لم أقف على من ذكره في هذه السنة. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ٣/ ٦٤٧ : بقي الربيع إلى سنة تسع وثلاثين ومئة. وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٠ .

السنة السابعة والخمسون بعد المئة

فيها بنى أبو جعفر قصره المسمَّى بالخُلْد على شاطئ دجلة، وكان يعاقب من يسميه الخلد ويقول: إنَّما الخُلْدُ في الجنَّة، فقال الناس: تسمِّيه بالخلد وتعاقبُ عليه.

وفيها حوَّل المنصور أسواقَ بغداد إلى ظاهرها من الضواحي إلى الكرخ وباب محول ودرب الشعير ـ ذكر ذلك الخطيب ـ لئلَّا تخالطه العامة في مدينته، ورتَّبَ الأسواق، فجعل سوقَ البزازين في أعلاها، وسوق القصَّابين في أسفلها، وأباحها للناس، ولم يأخذ منهم خراجاً ولا غلَّة عن الأسواق مدَّة حياته، فلمَّا قام المهديُّ حَسَّنَ له أصحابُه، فأمرَ بوضع الخراج على الحوانيت وعلى التجَّار[1].

وروى الخطيب عن حميد بن الصباح مولى المنصور قال: لَمَّا أراد المنصورُ أن يذرعَ الكرخ ومكان الأسواق قال لي: احمل الذِّراعَ معك، فخرجتُ ونسيتُه، وخرج المنصور، فلمَّا صرنا إلى الكرخ قال لي: أين الذراع؟ فقلت: نسيتُه ودهشت، فضربني بمقرعةٍ وشجَّني، وسال الدم على وجهي، فلمَّا رآني قال: حدثني أبي عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضربَ عبدَهُ في غير حدٍّ حتى يسيلَ دمُه فكفارتُه عتقُه»؛ أنت حر[2].

وفيها حجَّ بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. قال الواقديُّ: وكان والياً على المدينة[3].

وفيها توفِّي

سَوَّار بن عبد الله

القاضي بالبصرة، وكان عادلاً يقضي بالحق.

روى أبو عبد الله الحاكم قال: شكا أهلُ البصرة سواراً الحاكم إلى المنصور،

(١) انظر تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧.
(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٥٣.

فاستقدمَه، فلمَّا دخل عليه جلسَ، فعطسَ المنصورُ، فلم يشمِّته سوَّار، فقال له أبو جعفر، ما لك لا تشمتُني، فقال: لأنَّك لم تحمد الله، فقال: أنت ما حابيتني[١] في عطسة، تحابي غيري؟! ارجع إلى عملك.

قال: وكتبَ أبو جعفر إلى القاضي سوّار وهو بالبصرة: انظر إلى الأرضِ التي تخاصم فيها فلانٌ القائد وفلانٌ التاجر، فادفعها إلى القائد، فكتب إليه: قد قامتِ البيِّنة عندي أنَّها للتاجر، فلستُ أخرجُها من يديه إلَّا ببينة، فكتبَ إليه أبو جعفر: والله الذي لا إله إلَّا هو لتدفعنَّها إلى القائد، فكتب إليه سوَّار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتُها من يد التاجر إلَّا بحقّ، فلمَّا وقف أبو جعفر على كتابه قال: الله أكبر، مُلئت ـ والله ـ الدنيا عدلاً، صارت قضاتي تردني إلى الحق.

وكانت وفاة سوَّار بالبصرة، وصلى عليه سعيد بن دعلج[٢].

عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام

ابن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبَّاس.

ولد بالشراة من أرض البلقاء، ولَّاه المنصور إمرةَ دمشق وفلسطين والصائفة سنة أربعين ومئة.

قال الحافظ ابن عساكر: فلم تحمد ولايتُه، وولَّاه أيضاً ما هدم ملك الروم من سور مَلَطْية في سنة أربعين ومئة[٣].

قال: وقال يعقوب بن سفيان[٤]: خاصمَ عبدُ الوهاب امرأتَه في ضيعةٍ بدمشق،

---

(١) في (خ): حبيتني. ولعل المثبت هو الصواب. انظر أخبار القضاة ٢/ ٦١ ـ ٦٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٥٢، وانظر أخبار سوار في أخبار القضاة ٢/ ٥٧ ـ ٨٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٠. وفيه:
سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة.
وهذا خطأ، والصواب ـ كما في نسخة بهامشه ـ سوَّار بن عبد الله بن قدامة...
وسوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة هو حفيد المذكور، توفي سنة ٢٤٥ هـ، وستأتي ترجمته.
وذكره الذهبي في وفيات الطبقة الخامسة والعشرين ٥/ ١١٤٩.

(٣) تاريخ دمشق ٤٤/ ٦٤، ٦٥ (طبعة مجمع اللغة).

(٤) الخبر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٦٥ من طريق الأوزاعي، والخبر الذي قبله من طريق يعقوب بن سفيان، فلعله انتقال بصر، والله أعلم.

فقال: بيني وبينك القاضي، فقالت: إنَّه يقضي لك، فقال: اختاري رجلاً يحكمُ بيننا، فقالت: الأوزاعيّ، فاستدعاه، فحكم بينهما، فظهر الحقُّ لها عليه، فلمَّا خرجَ من عنده بعثَ إليه مع غلامه بثلاث مئة دينار، وقال: قل له يستعين بها على وقته ورباطه، فلحقَه وأدَّى الرسالة، فقال الأوزاعي: معاذَ الله أن آخذ على حكمي أجرةً، فلما عاد إليه قال: لقد وُفِّق هذا الشيخُ في رَدِّها.

وقال الخطيب: عبدُ الوهَّاب هو صاحب سُويقة عبد الوهَّاب ببغداد، وليَ الشام لأبي جعفر، وكان عظيم القدر، قال: ومات بالشام[١].

وقال ابن أبي الدنيا: لما احتضر جعل يقول: ويحكم أيموت مثلي؟

وقيل: مات وهو والٍ على دمشق في سنة ثمانٍ وخمسين ومئة، واستخلف ابنَه إبراهيم بن عبد الوهاب على دمشق بعد وفاته[٢].

عبيد الله بن أبي زياد الرُّصافي

أبو مَنيع الدمشقي، وهو أخو امرأة هشام بن عبد الملك من الرضاعة، واسمُها عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، وهي التي قتلَها عبدُ الله بن علي لَمَّا فتح دمشق، وقد ذكرناها هناك.

وسمع من الزهريِّ لما قدم على هشام بالرصافة.

ومات عبيدُ الله صاحب هذه الترجمة وهو أسود الرأس أبيضُ اللحية، وكان ثقةً صدوقاً[٣].

أبو عمرو الأوزاعيّ

ذكرهُ ابنُ سعد فيمن كان بالعواصم والثغور بعد الصحابة، وقال: اسمُه عبد الرحمن ابن عمرو، والأوزاع بطنٌ من هَمْدان، وهو من أنفسهم.

ولد سنة ثمانٍ وثمانين، وكان ثقةً، مأموناً، صدوقاً، فاضلاً، خَيِّراً، كثيرَ الحديث

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧١.

(٢) تاريخ دمشق ٤٤/ ٦٧ (طبعة مجمع اللغة).

(٣) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٨ (طبعة مجمع اللغة)، وتهذيب الكمال ٩/ ٣٩.

والعلم والفقه، وكان مكتبُه باليمامة، وكان يسكنُ بيروت، ومات بها في سنة سبعٍ وخمسين ومئة في آخرِ خلافة أبي جعفر وهو ابنُ سبعين سنة. هذا صورةُ ما ذكره ابنُ سعد في ترجمة الأوزاعيّ[(١)].

قلت: وقد ذكره الأئمة، فقال البخاريُّ: اسمُه عبدُ الرحمن بن عمرو: ويقال: ولدَ سنة تسعين، والأوزاعُ من حِمير الشام[(٢)].

وقال البخاري أيضاً في «تاريخه»: والأوزاع قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس[(٣)].

وحكى ابنُ عساكر قال: كان الأوزاعيُّ يسكنُ الأوزاع قرية بدمشق بباب الفراديس، ثمَّ انتقلَ إلى بيروت مرابطاً إلى أنْ مات بها[(٤)].

وقال الجوهريُّ: والأوزاع بطنٌ من هَمْدان، الأوزاعيُّ منها[(٥)].

وحَكى ابن عساكر عن العباس بن الوليد[(٦)] قال: كان الأوزاعيُّ قد ولدَ ببعلبك ونشأ بالبقاع، ونقلته أمُّه إلى بيروت.

قال: وقال الأوزاعي: كنتُ محتلماً في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد حكاه البخاريُّ أيضاً[(٧)]، وهذا يدلُّ على أنه ولد سنةَ ثمانٍ وثمانين.

وقال الواقديُّ: كان رَبْعةً، خفيفَ اللحم، أسمر، يخضب بالحنَّاء[(٨)].

وكان إمامَ أهل الشام في الحديث، وله المواعظُ الحسنة البالغة.

وروى أبو نعيم الأصفهاني قال: كتبَ الأوزاعيُّ إلى أخٍ له: أما بعد: فإنَّه قد أُحيطَ

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٩٤.
(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٣٢٦، والتاريخ الصغير ٢/ ١٢٤، وليس فيهما قوله: ولد سنة تسعين.
(٣) التاريخ الكبير ٥/ ٣٢٦، والتاريخ الصغير ٢/ ١٢٥.
(٤) تاريخ دمشق ٤١/ ١٤٢ (طبعة مجمع اللغة).
(٥) الصحاح (وزع).
(٦) في تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٢ عن العباس بن الوليد عن أبيه.
(٧) تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٢، والتاريخ الكبير ٥/ ٣٢٦، والتاريخ الصغير ٢/ ١٢٥ .
(٨) هو في تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٣ من قول عبد الرحمن السلمي.

بك من كلٍّ جانب، وإنه يُسارُ بك كلَّ يوم وليلة مرحلة، فاحذر الله تعالى والمقام بين يديه، وأن يكون آخر العهد بك، والسلام[١].

وقال بشرُ بن الوليد[٢] : كنتُ إذا رأيتُ الأوزاعيَّ كأنَّه أعمَى من شدَّة الخشوع.

وروى أبو نعيم بإسناده عن يوسف بن موسى القطَّان قال: قال الأوزاعيُّ: رأيت ربَّ العزَّة في المنام، فقال لي: يا عبدَ الرحمن، أنتَ الذي تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟قال: قلت: بفضلِك يا رب، ثم قلت: يا ربّ أَمِتْنِي على الإسلام، فقال: وعلى السُّنَّة[٣].

ذكر وفاته:

عن ابن سعد أنه قال: مات في سنة سبع وخمسين ومئة، هذه السنة[٤].

وقال ابن المديني: في سنة إحدى وخمسين. وقيل: في سنة ستٍّ أو خمس وخمسين ومئة في صفر.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن خيران بن العلاء قال: دخل الأوزاعي الحمام ببيروت، فوجدوه مستقبل القبلة، ويدُه اليمنى تحت خده، وهو ميِّت[٥].

وحكى عن أبي مسهر[٦] قال: بلغنا أن امرأة[٧] أغلقت على الأوزاعيِّ باب الحمام، ولم تتعمد، فماتَ فيه، فأمرها سعيد بن عبد العزيز أنْ تعتق رقبة.

قال: وقال الصوري: شيَّعَ جنازةَ الأوزاعيّ أربعةُ أديان، المسلمين، واليهود، والنصارى، والقبط[٨].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ١٤٠.
(٢) في تاريخ دمشق ٤١/ ١٨٨ : بشر بن المنذر.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٩٤.
(٥) تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٤.
(٦) في (خ): ابن مسهر. والمثبت من تاريخ ابن عساكر ٤١/ ٢١٤.
(٧) في تاريخ دمشق: امرأته.
(٨) تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٩.

ولم يخلف سوى ستٍّ دنانير(١).

قال: وقال محمد بن عبيد الطنافسي: كنتُ جالساً عند سفيان الثوريّ، فجاءَه رجلٌ فقال: رأيتُ في المنام كأنَّ ريحانةً من المغرب قلعت، فقال: إن صدقَتْ رؤياك فقد مات الأوزاعي، فجاء الخبر بعد أيَّامٍ أنَّه ماتَ في تلك الليلة(٢).

وروى ابنُ أبي الدنيا عن يزيد بن مذعور(٣) قال: رأيتُ الأوزاعيَّ في المنام، فقلت: دلَّني على عملٍ أتقرَّب به إلى الله تعالى، فقال: ما رأيتُ هناك درجةً أرفعَ من [درجةِ العلماء، ومن بعدها](٤) درجة المحزونين.

أسند الأوزاعيُّ عن خلقٍ كثير.

وذكر الحافظ ابن عساكر عن أبي عثمان الحرَّاني قال: قدمتُ على الأوزاعيّ ببيروت لأسمع عليه، فقال: من أين جئت؟ قلت: من حَرَّان، قال: كم لك عنها؟ قلت: ثمانية أيام، قال: فمِنْ دمشق إليها عشرة أيام، فكيفَ إلى هاهنا في ثمانية أيام؟ قلت: على دواب البريد، فقال: والله لا حدَّثتُك حتى تعود إلى حرَّان وتأتي على راحلتك، قال: فرجعتُ إلى حرَّان واكتريتُ دابَّةً، وجئت إلى بيروت ومعي المكاري وآخر يشهدُ لي بذلك، فحدَّثني(٥).

وروى الخطيب عن الأوزاعيِّ حكايةً عجيبةً قال: حدثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد بن جُمَيع الغساني بصيدا بإسناده عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعيِّ قال: خرجتُ أريد بيت المقدس، فرافقني يهوديٌّ، فلما صرنا إلى طبرية نزلَ فاستخرجَ ضفدعاً، فشدَّ في عنقه خيطاً، فصار خنزيراً، فقال: اصبر حتى أذهبَ فأبيعَه من هؤلاء النصارى، فذهب فباعَه وجاء بطعام، ثمَّ ركبنا، فما سرنا غير بعيد، وإذا القومُ في

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٤.

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٣.

(٣) في (خ): مذكور. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) مابين حاصرتين من تاريخ دمشق ٤١/ ٢٢٠.

(٥) الخبر في تاريخ دمشق ٣/ ٢٧١ (مخطوط) (ترجمة أيوب بن خالد أبو عثمان الحراني)، وفيه بعض اختلاف فينظر.

طلبه، فقال: أحسبُه صارَ في أيديهم ضفدعاً، قال: فحانت منِّي التفاتةٌ، وإذا بدنُه ناحيةً ورأسُه ناحية، قال: فلما نظروا إليه خافوا من السُّلطان، فرجعوا، فقال لي الرأس: أَرَجعوا؟ قلت: نعم، قال: فالتأمَ الرأسُ إلى البدن، فقلت: والله لا أرافقُك أبداً، ففارقتُه ومضيتُ إلى حال سبيلي[١].

حكايةٌ أخرى حكاها الحافظ ابن عساكر عن ابن المبارك[٢] قال: قدمتُ الشام، فأتيتُ الأوزاعيَّ ببيروت، فقال لي: يا خراسانيّ، من هذا الذي خرج بالكوفة؟ يعني أبا حنيفة، فقلت: رجلٌ فقيهٌ يقال له أبو حنيفة، فقال: أنهاك عنه، قال: فرجعتُ إلى منزلي، فاستخرجتُ من كتابي مسائل وقعت عليها النعمانَ بن ثابت، ثم أتيتُه وهو يؤذِّنُ للصلاة، فناولتُه، فما زال قائماً حتى قرأَ صدراً منها، ثم وضعَها في كُمِّه، وأقام الصلاة، ثمَّ تقدَّم فصلَّى، وكان هو الإمام والمؤذِّن، فلما فرغَ من الصلاة نظر في المسائل حتى أتى على آخرها، وقال: يا خراسانيّ، من النعمان بن ثابت؟ فقلت: شيخٌ لقيتُه بالعراق، فقال: هذا شيخٌ جليلٌ نبيلٌ من المشايخ، فاذهب إليه واستكثر منه، فقلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيتَ عنه، فقال: الزمه، فلنعمَ الشيخ هذا، فلنعم الشيخُ هذا.

حكايتُه مع الزاهد:

حدَّثنا عبد العزيز بن محمود البزاز بإسناده عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعيِّ قال: حدثني بعضُ الحكماء قال: خرجتُ أريدُ الرِّباط، حتى إذا كنتُ بعريش مصر أو دونه، وإذا بمظلَّةٍ[٣] فيها رجلٌ قد ذهبت عيناه ويداه ورجلاه، وهو يقول: اللَّهمَّ إني أحمدكَ حمداً يوافي محامدَ خلقك، إذ فضَّلتني على كثير من خلقِك تفضيلاً، قال: فقلت: والله لأسألنَّه، أعُلِّمه أم أُلهِمَه؟ فدنوتُ منه فسلَّمت عليه، فردَّ، فقلت: على أيِّ شيء تحمده؟ والله ما أعلمُ من البلاءِ نوعاً إلَّا وهو بك.

وفي رواية: على أيِّ نعمةٍ من نعمه تحمده، أم على أيِّ فضيلةٍ تشكره؟

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٨٩ (ترجمة إسماعيل بن عبد الله بن مهرجان).
(٢) وأخرجها الخطيب في تاريخه ١٥/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(٣) في (خ): بظل. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٠/ ٢٢٣ (طبعة مجمع اللغة).

فقال: أليسَ ترى ما قد صنع بي؟ قلت: بلى، فقال: وعزته لو أنَّه صبَّ عليَّ من السماء ناراً فأحرقتني، وأمرَ الجبال فدمَّرتني، والبحارَ فغرقتني، والأرض فخسفت بي ما ازددتُ له إلَّا حبًّا وشكراً.

وفي رواية: أفلا أحمدُه حيث أبلى جوارحي وأنطقَ لساني بذكرِه، أو أطلق لساني.

ثمَّ قال: لي إليك حاجة، كان لي ابنٌ يتعاهدني في وقت صلاتي ويطعمني عند إفطاري، وقد فقد منذ أمس، فانظر هل تحسُّه[1] لي؟ قال: فقلت: إنَّ في قضاء حاجةِ هذا العبد الصالح قربةٌ إلى الله تعالى، فخرجتُ في طلبه، وإذا بالسبعِ قد افترسَه في كثيب رمل، وهو يأكله، فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، كيف أخبرُ هذا العبدَ الصالح بمثل هذا؟ قال: فأتيته، فقلت له: أيُّما أفضل مرتبةً عند الله وأكرم، أنت أم أيوب؟ فقال: أيوب قلت: فإنَّ الله ابتلاه فصبر، قال: بلى، فأخبرته بخبر ولده، فقال: الحمدُ لله الذي لم يجعل في قلبي حسرةً من الدنيا، ثم شهق شهقةً فمات، فقلت: إنَّا لله! من يعينني على غسلِه ودفنه؟ وإذا بركبٍ يريدون الرِّباط، فأشرتُ إليهم فأقبلوا، فأخبرتُهم خبرَه، فنزلوا فغسلناه من ماء البحر، وصلَّيتُ عليه وهم خلفي، ودفناه في مظلته، ومضوا، ونمتُ عندَه تلك الليلة، فرأيته في المنام في روضةٍ خضراء وعليه ثيابٌ خضر، وهو قائمٌ يتلو القرآن، فسلَّمتُ عليه، فردَّ، فقلتُ له: بم صرتَ إلى هذا؟ فقال: وردتُ من الصابرين درجةً لم ينالوها إلَّا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

فقال الأوزاعي: فما زلت أحبُّ ذلك البلاء منذ حدثني الحكيمُ بهذا الحديث[2].

محمد بن طارق المكي

من الطبقة الثالثة من أهل مكَّة، كان زاهداً عابداً ورعاً.

قال أبو نعيم الحافظ بإسناده عن محمد بن فضيل قال: رأيتُ في الطوافِ محمد بن طارق وقد انفرجَ له أهلُ الطواف، فحزروا طوافَه في اليوم والليلة فكان عشرة فراسخ.

وقال أبو نعيم: وبه ضَرَب المثلَ ابنُ شبرمة فقال: [من البسيط]

---

(١) في (خ). تجبيه. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٠/ ٢٢٤.

(٢) تاريخ دمشق ٦٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥ (طبعة مجمع اللغة).

لـو شـئـتَ كـنـت كَـكُـرزٍ فـي تـعـبُّـده أو كـابنِ طـارق حـولَ الـبيت فـي الحـرمِ
قـد حـالَ دون لـذيـذِ الـعـيـشِ خـوفُـهـمـا وسـارعَـا فـي طـلابِ الـفـوزِ والـكـرمِ

قال: وكانَ ابنُ طارق يطوفُ في كلِّ يوم وليلة سبعينَ أسبوعاً[١]، وكان كُرز يختمُ القرآن في يوم وليلةٍ ثلاث مرات. وقد ذكرناه.

وحكى أبو نعيم عن ابن شبرمة قال: لو اكتفى أحدٌ بسفِّ التراب كفى ابن طارق كفٌّ من تراب[٢].



(١) يقال: طاف بالبيت أسبوعاً، أي: سبع مرات. مختار الصحاح (سبع).

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٨١ ـ ٨٢ (ضمن ترجمة كرز)، وصفة الصفوة ٢/ ٢١٧، والمنتظم ٨/ ١٩٨، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٠٤.

السنة الثامنة والخمسون بعد المئة

فيها انتقل المنصور إلى قصره المسمى بالخُلْد، وكان عند باب خراسان، ثمَّ اندرس فلا عين ولا أثر[١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني ابن جهور قال: مررتُ [مع] علي بن هاشم الكوفي بالخُلْد، فوقف ينظرُ إلى تلك الآثار فقال: [من مجزوء الكامل]

بنوا وقالوا لا نموتُ ... وللخرابِ بنى المُبَنِّي

ما عاقلٌ فيما رأيتُ ... إلى الحياة بمطمئنِّ[٢]

وفيها سقط أبو جعفر عن دابته بجرجرايا[٣] فانشجَّ ما بين حاجبيه، وكان قد خرجَ معه ابنُه المهدي مشيِّعاً له إلى الموصل[٤]، فوقعَ عند عَوده.

وفيها أمر أبو جعفر ببناء قصر كسرى الذي بالمدائن ـ ويسمَّى القصر الأبيض ـ وأن يرمَّم، وقال: كلُّ من وجد في داره شيءٌ من الآجرِّ الخسروانيّ مما نقضَه من بناء الأكاسرة فليغرمه، قال: لأنَّ هذا من أموالِ المسلمين من الفيء، فمات المنصورُ ولم يتم ذلك.

وقال عمر بن شبة: وفيها سخطَ المنصور على محمد بن إبراهيم الإمام وهو أمير بمكة، قال: وسببُه أنَّ المنصور كتب إليه يأمرُه بحبسِ رجل من آل أبي طالب، وعبّاد ابن كثير، وسفيان الثوري، وابن جريج، ففعل، فلمَّا كان في بعض الليل أفكر فيهم، وبلغَه أنَّ أبا جعفر قد خرجَ من بغداد متوجِّهاً إلى مكَّة في شوّال حاجًّا، وكان قد قلّد المهدي، وكان قد أحرم ونوى الحجَّ والعمرة، فلمَّا كان في الطريق أفكر محمد بن إبراهيم الإمام في الطالبيِّ وسفيان ومن حبسه وقال: لعلَّه يقتلُهم فأهلك عند الله، ثمَّ

(١) المنتظم ٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، وانظر تاريخ بغداد ١/ ٣٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤٠٧، والمنتظم ٨/ ٢٠١.

(٣) في (خ): بجرجانا. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧، والمنتظم ٨/ ١٩٧.

(٤) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٥٧، والمنتظم ٨/ ١٩٧: الرقة.

أرسل إليهم فأطلقَهم، وقال: إنَّه واصلٌ فاستتروا، وطلبَ منهم أن يحاللوه، ففعلوا ودعوا له، ولَمَّا قرب أبو جعفر من مكَّة بعث إليه محمد بن إبراهيم بألطاف وهدايا، فلمَّا أُخبِر بها المنصور أمرَ أن تضربَ وجوهها نحوَ مكَّة، ففعلوا، ولقيه محمد في بعضِ الطريق فسلَّم عليه، فلم يرد، وكان محمد يسير ناحيةً، فعُدِل بمحمل أبي جعفر عن الطريق إلى شعب، فنزل فبال فيه، ثم ركب ومحمدٌ واقفٌ ومعه طبيب، فقال له محمد: اذهب وانظر نجوه، فمضى الطبيب وعاد، وقال له: قد رأيتُ نجو رجلٍ لا يعيش إلَّا يسيراً، فماتَ بعد أيام، وسَلِم محمدٌ منه[١].

ذكر وصية أبي جعفر لابنه المهدي لما سار إلى مكة

وقد اختلفت الرواياتُ في ذلك، أمَّا الهيثمُ بن عديّ فإنَّه قال: شخصَ المنصورُ متوجِّهاً إلى مكَّة، فنزل بقصر عَبْدَويه، وأقام به ثلاثاً، وانقضَّ كوكبٌ عظيمٌ بعد إضاءة الفجر، وبقي أثرُه بيِّناً إلى طلوع الشمس، وذلك لثلاثٍ بقين من شوَّال. فكان مِمَّا أوصاه أنْ قال له: إنِّي سأوصيك، وما أظنُّك تفعلُ شيئاً منها، وكان لأبي جعفر سَفَطٌ فيه دفاتر، لا يأمنُ أحداً عليه، ومفتاحُه في كمه، فأعطاه للمهدي وقال له: احتفظ به، فإنَّ فيه علمَ آبائكَ، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن حزبك أمرٌ فانظر في الدفتر الكبير، فإنْ أصبتَ ما تريد فيه، وإلا فالثاني والثالث، حتى بلغَ سبعة، فإن لم تصب، فالكراسة الصغيرة، فانظر فيها فإنَّك واجدٌ ما تريد فيها، وما أظنك تفعل.

وانظر إلى هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها، فإن فيها عزَّك، وقد جمعت لك فيها من الأموال ما لو حُبس عنك الخراج عشرَ سنين كان عندك كفايةٌ لأرزاقِ الجند والنفقات وعطاء الذُّرِّيَّة ومصالح الثغور، فاحتفظ ببيوت الأموال، فإنَّك لا تزالُ عزيزاً ما دامَ بيتُ مالِك عامراً، وما أظنك تفعل.

وأوصيكَ بأهل بيتكَ أن تُظهر كرامتَهم وتقديمهم والإحسانَ إليهم، وتعظِّمَ أمرَهم، وتولِّيَهم المنابر، وتوطئ الناسَ أعقابهم، فإنَّ عزَّكَ عزُّهم وذكرهم لك، وما أظنك تفعل.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥٨ ـ ٥٩.

وانظر أهل خراسان، فأحسن إليهم، فإنَّهم أنصارُك وشيعتُك الذين بذلُوا أموالَهم وأرواحَهم في دولتك، وأن تتجاوزَ عن مسيئهم، وتحسنَ إلى محسنهم، وتخلُفَ من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل.

وإياك أن تبني مدينةَ الشرقيَّة فإنَّك لا تتمُّ بناءَها، وما أظنك تفعل.

وإياك أن تستعين برجلٍ من بني سُليم، وأظنك ستفعل.

وإياك أن تدخل النساء في أمرك ومشورتك، وأظنُّك ستفعل[(١)].

وهذه رواية الهيثم بن عدي، وأمَّا غيرُ الهيثم فقال: إنَّ أبا جعفر لَمَّا ودع ولدَه المهدي قال له: يا أبا عبد الله، إنِّي سائرٌ، وإنِّي غيرُ راجع، فأسألُ الله بركةَ ما أقدم عليه، هذا كتابُ وصيتي مختوم، فإذا بلغَك موتي فافتحه واقرأه، وعليَّ ثلاثُ مئة ألف درهم دين، ولست أستحلُّها[(٢)] من بيت المال، فاضمنهَا عنِّي، وما يفضي إليكَ من الأمر أعظمُ منها.

وذكر أبو يعقوب بن سليمان قال: حدَّثتني عطَّارةُ أبي جعفر قالت: لَمَّا عزمَ أبو جعفر على الحجِّ دعا ريطة بنت أخيه أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهديُّ بالرَّيّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وسلم إليها مفاتح الخزائن، ولا يطَّلع عليها أحدٌ إلَّا المهدي ولا هي، حتَّى يصحَّ عندهم موتُه.

ومضى إلى الحجّ، وقدم المهديُّ من الرَّيّ، فأخبرته الخبرَ، فلمَّا ماتَ أبو جعفر، وولي المهديُّ الخلافة فتحَ ذلك الباب ومعه ريطة، وإذا أزجٌ[(٣)] عظيمٌ فيه جماعةٌ من آل أبي طالب قد قُتِلوا وفي آذانهم رقاعٌ فيها أسماؤهم وأنسابهم، وإذا فيهم أطفالٌ وشبابٌ ومشايخ، فلمَّا رأى المهديُّ ذلك ارتاع واسترجع، ثمَّ حفرَ لهم حفيرةً ودفنهم فيها، وبنى عليهم دكاناً[(٤)].



(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٤.

(٢) في (خ): أتحملها. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٠٤.

(٣) الأزج: ضرب من الأبنية. القاموس (أزج).

(٤) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

الباب الثالث في خلافة المهدي

واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله. وقال الخطيب : وأمُّه أمُّ موسى بنت منصور بن عبد الله.

واختلفوا في مولده، فقال الخطيب: ولد سنة سبعٍ وعشرين ومئة[١] . وقال الهيثم: سنة تسعٍ وعشرين بالبلقاء بالحميمة، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومئة.

وكلٌّ من قام بالمغرب يسمِّي نفسَه المهدي.

ذكر صفته:

كان أسمرَ طوالاً أبيض حسن الوجه. وذكرَ أبو محمد بن حزم في كتاب «نقط العروس» وقال: كان المهديّ أعور[٢].

قلت: وقد وهم ابن حزم، فإنَّ الخطيب قال: كان بعينِ محمد المهدي اليمنَى بياض[٣] ، لا يبصر به، وقال الهيثم: كان بعينه اليسرى نكتةُ بياض لا تظهرُ إلَّا لمن تأمَّله، لم تضره.

وفيها توفي

شيبان الراعي[٤]

الزاهد العابد، وحجَّ مع سفيان الثوري.

وروى جدي عن أبي نعيم أنَّه قال بإسناده إلى محمد بن حمزة قال: كان شيبان إذا أجنبَ وليس عنده ماءٌ دعا ربَّه، فتجيء سحابة فتظلُّه فيغتسل منها، وكان يذهب إلى

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٢.

(٢) نقط العروس ٢/ ٧٧ (ضمن رسائل ابن حزم).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٤.

(٤) المنتظم ٨/ ٢١٩، وترجمة شيبان في حلية الأولياء ٨/ ٣١٧.

وقال الصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ٢٠١. توفي في حدود السبعين ومئة، فالله أعلم. وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٤١٠ في الطبقة السابعة عشرة. وقال: لا أعلم متى توفي، ولا من حمل عنه.

الجمعة فيخطُّ على غنمه خطاً، فيجيء فيجدها لم تتحرك.هذا صورة ما ذكره جدي في ترجمته.

قلت: وقد روي أن شيبان عاشَ إلى زمان ذي النون المصري، واجتمعَ به في جبل لبنان. وذكر المعافى بن زكريا أنَّه اجتمع بهارون الرشيد في الحج، فقال: حجَّ هارون، فقيل له: شيبان في الركب، فقال: اطلبوه، فأتوه به، فقال له: يا شيبان عظني، فقال: لأنْ تصحبَ أقواماً يخوفونَك حتَّى تبلغَ المأمن خيرٌ لك من أن تصحبَ أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف، إنَّما أنت رجلٌ من هذه الأمة، استرعاك الله عليها، وقلَّدكَ أمورَها، وأنت مسؤول عنها، فاعدل فيها، واقسم بينها بالسويَّة، واتَّقِ الله في نفسك، هذا الذي يخوِّفُك، فإذا بلغتَ المأمن انتفعت[1] به، وإذا أمَّنوك قبل أن تبلغَ المخاوف عطبت. فبكى هارون حتى رحمَه من حوله.

وذكره الحافظ ابن عساكر[2]، فقال: كان شيبان من أكابر أهل دمشق، تركَ الدنيا، وخرج إلى جبل لبنان فانقطعَ به، وأكلَ المباحَ.

وصحبَ سفيان الثوريّ، فعرضَ لهما سبعٌ، فقال سفيان، أما ترى السبع؟ فقال شيبان: لا تخف غير الله، فلمَّا سمعَ السبعُ صوتَ شيبان جاء إلى بين يديه وبصبص، فأخذ بأذنه فعركها، وقال له: اذهب، فذهب، فقال له سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال شيبان: لولا مخافةُ الشهرةِ ما حملَ زادي إلى مكَّة على ظهره سواه.

وروى ابن ناصر قال: قرأ رجلٌ عند شيبان: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] فهام شيبان على وجهه سنةً، فلمَّا كان بعد سنة لقيه الرجل، فقال: يا شيبان، من أين؟ فقال: من ذاك الحساب الدقيق، وقرأ الآية[3].

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٦: أمنت.

(٢) ذكر ابن عساكر في تاريخه ٨/ ١٥٠ (مخطوط) شيبان المجنون وقال: أحد الزهاد، كان بجبل لبنان من جبال أطرابلس من ساحل دمشق، حكى عنه ذو النون المصري حكاية تقدمت في ترجمة سالم خادم ذي النون المصري (٧/ ٤٥). انتهى.
وذكر ابن حبان في الثقات ٦/ ٤٤٨ شيبان الراعي وقال: من عباد أهل مرو.

(٣) انظر صفة الصفوة ٤/ ٣٧٧.

وذكر أبو عبد الله بن خميس في كتاب «مناقب الأبرار» في ترجمة ذي النون المصري عن صاحبه سالم قال: بينما أنا مع ذي النون في جبل لبنان إذ قال لي: مكانك يا سالم حتى أعود إليك، فغاب عنِّي في الجبل ثلاثةَ أيَّام، فلمَّا كان بعد ثلاثٍ رجعَ متغيِّر اللون، ذاهب العقل، فقلت له بعدما رجعَتْ نفسُه إليه: يا أبا الفيض، أعارضَك سبع؟ فقال: دعني من تخويف السباع، إنِّي غبت في هذا الجبل ثلاثةَ أيام، كلَّما هاجت النفس أطعمتُها من نبات الأرض، وسقيتُها من العيون، ثم إنِّي دخلتُ كهفاً من الكهوف فرأيتُ رجلاً أبيضَ الرأس واللحية، أشعث أغبر نحيفاً، كأنَّما نشر من قبر، وهو قائمٌ يصلِّي، فلمَّا سلَّم من صلاته سلَّمت عليه، فردَّ السلام، ثمَّ عاد إلى صلاته، فما زال يصلي إلى العصر، ثم استندَ إلى حجر هناك مقابل المحراب يسبِّح، فقلت له: رحمك الله، ادع لي دعوةً، فقال: آنسك الله بقربه، ثم سكت فقلت: زدني، فقال: من آنسَه الله بقربه أعطاه أربع خصال، عزًّا في [غير] عشيرة[1]، وعلماً من غير طلب، وغنًى من غير مال، وأُنساً من غير جماعة، ثم شهقَ شهقةً وغشيَ عليه، فلم يفق إلَّا بعد ثلاثة أيام حتى توهمتُ أنَّه قد مات، فلمَّا كان بعد ثلاث قام فتوضَّأ من عين هناك ثم قال: كم فاتني من الفرائض؟ قلت: صلاة ثلاثة أيَّام فقضاهن، ثم استند إلى الصخرة وقال:

إنَّ ذكرَ الحبيب هيَّج شوقي ... إنَّ حبَّ الحبيب أذهلَ عقلي

ثم بكى وقال: قد استوحشتُ من ملاقاة المخلوقين، وأنست بربِّ العالمين انصرف عني بسلام، فقلت: وقفتُ عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة منك، فقال: حب مولاك، ولا ترد بحبِّه بديلاً، فالمحبون لله هم تيجان العباد، وأعلام الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه، ثمَّ صرخ صرخة وسقطَ ميتاً، فبقيتُ متحيِّراً فيه، وإذا بجماعةٍ من العُبَّادِ منحدرين من الجبل، فتولَّوا أمره ودفنوه، فسألتُهم عنه فقالوا: هذا شيبان المصاب، قلت: فهل تعرفونَ من كلامه شيئاً، قالوا: كلمةً واحدة، كان إذا ضجرَ يقول: إذا بك لم أجن، يا حبيبي فبمن؟! فقلت: عميَ والله عليكم.

قلت: وبسفحِ لبنان بالبقاع قريةٌ يقال لها: قبر إلياس، قريبٌ منها قبرٌ يقال: إنَّه قبرُ شيبان الراعي. والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين من مناقب الأبرار ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٦ (مخطوط).

عبد الله بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن عباس، أبو جعفر المنصور.

وقد ذكرنا سيرتَه متفرقةً في الكتاب، فنذكرُ ما وقعَ إلينا من أخبارِه وذكرِ طرف منها.

قال علماء السير: عن الربيع الحاجب قال: كان أبو جعفر يصلِّي الفجرَ، ثم يجلسُ فينظر في مصالح الرعية إلى الظهر، فيصلِّي، ثمَّ يقيل إلى العصر، ثم يجلس من وقت العصر إلى المغرب يقضي حوائجَهم، ثمَّ يصلِّي ويقرأ ما بين المغرب والعشاء الآخرة، ثمَّ يجلسُ مع سُمَّاره إلى ثلث الليل الأوَّل، ثم ينام الثلث الأوسط، ثم ينتبه فيصلِّي إلى الفجر، ثم يقرأ في المصحف حتى ترتفعَ الشمس، فيجلس للناس، وكان هذا دأبَه طولَ خلافته إلى أن توفي.

ذكر مذهب أبي جعفر في الغناء:

قال الصولي: إنَّ أبا جعفر لم يكن يظهر لندمائه بشربٍ ولا غناء، ولا رآه أحدٌ يشربُ غير الماء، وبينه وبين ندمائه ستارة، فإذا أعجبه غناءُ مغنٍّ قال: باركَ الله فيك، وما كان يعطي الندماء والمغنين من بيت المال. وقال الأصمعيّ: لم يكن يُسمَع في دار المنصورِ لهوٌ ولا غناء ولا لعب.

قال حماد التركي: كنتُ واقفاً على رأسه، إذ سمعَ صوت جلبة في الدار، فقال لي: انظر ما هذا؟ فنظرت، وإذا خادمٌ بيده طنبور، وقد جمعَ الجواري حولَه، وهو يلعب به، وهنَّ يضحكن منه، قال: فأخبرته فقال: وما الطنبور؟ قلت: ملهاةٌ تعمل بخراسان، فقال: خذه من يده، واضرب به رأسَ الخادم حتى تكسرَه على رأسه، ثمَّ اذهب بالخادم إلى السوق فبعه، قال: ففعلتُ ما أمرني به[(١)].

وهذا يدلُّ على أنَّه كان يكرهُ الغناء.

ذكر أخباره متفرقة:

حكى الهيثم بن عديّ قال: كان المنصور يبخلُ إلَّا في الطيب، فإنَّه كان يُغلِّفُ رأسه ولحيته في كل شهرٍ بألف مثقالٍ من أنواع الطيب، وكان يأمرُ أهله به.

---

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٦٣.

وقال سالم الأبرش[١] : كان المنصورُ من أحسن الناس خُلقاً ما لم يخرج إلى الناس، فإذا لبسَ ثيابه وجلس على سريره، تغيَّر لونُه، واربدَّ وجهه، واحمرَّت عيناه، وتغيرت صفاته، فسفكَ الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وكان يقول: إذا رأيتموني قد لبستُ ثيابي وجلستُ على سريري، فلا يدنونَّ مني أحدٌ منكم إليَّ لا أعره بشرّ[٢].

وقال عبد الصمد بن علي: خلوت يوماً بأبي جعفر المنصور، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لقد لهجت بالعقوبة حتَّى كأنَّك لم تسمع بالعفو، فقال: لأنَّ بني أميَّة لم تبل رممهُم، وآل أبي طالب لم تسكن بعد سيوفُهم، ونحن بين قوم قد رأونا بالأمس سوقةً واليوم خلفاء، ولا تتمهَّدُ هيبتُنا في صدورهم إلَّا باطِّراح العفو وإكمال العقوبة.

وقال الزبير بن بكار: قال المنصور: الخليفةُ لا يصلحُه إلَّا التقوى، والسلطان لا يصلحُه إلا الطاعة، والرعيَّةُ لا يصلحها إلَّا العدل[٣].

وروى المعافى بن زكريا عنه أنَّه قال للمهدي: لا تجلسْ مجلساً إلَّا ومعكَ رجلٌ من أهل العلم يحدِّثك، فإنَّ محمد بن شهاب الزهري قال: إنَّ الحديثَ ذكَرٌ لا يحبُّه إلَّا الذُّكور من الرجال، ويكرهه مؤنَّثهم. وصدق أخو بني زهرة.

قال: وكتبَ إلى عامله بالمدينة أن لا تبع الثمارَ التي في الأشجار إلَّا ممن نغلبه ولا يغلبنا، فأمَّا الذي يغلبُنا فهو المفلس الذي لا مال له، فيذهب مالنا قبله.

وقال محمد بن سلَّام الجمحي: قيل للمنصور: هل بقيَ من لذَّات الدنيا شيءٌ لم تنله؟ قال: نعم، خصلةٌ واحدة، أنْ أقعد على مصطبة، وحولي أصحابُ الحديث، فأملي عليهم، قال: فغدى عليه الندماء والوزراءُ بالمحابر والدفاتر، فقال: لستم هم، إنَّما هم أصحابُ الثياب الدنسة، المشققة أرجلُهم، الطويلة شعورُهم، الشعث الغبر، أصحاب الآثار ونقلةُ الحديث.

وقال محمد بن سليمان الهاشمي: دخلتُ على أبي جعفر وهو في بيتٍ صغير وعليه

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٣ : سلَّام الأبرش.

(٢) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٦٤ : فلا يدنون مني أحدٌ منكم، مخافة أن أعرَّه بشيء. وفي المنتظم ٧/ ٣٤٦ :... لئلا أغره بشر.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٤٧.

جُبَّةٌ هرويَّة مرقوعةٌ، فقال: هذا بيتي، وهذه جبَّتي، ليس لي غيرهما، قال: وتحته مِسْحٌ على باريَّة.

وبلغ أبا جعفر بن سليمان(١) فقال: الحمدُ لله الذي ابتلاه بفقر نفسه مع اتِّساع ملكه.

وحكى المدائنيُّ قال: ماتَ إسحاق بن مسلم من بثرةٍ خرجتْ في ظهره، فشيَّع أبو جعفر جنازَته، وحمل سريره، وصلى عليه، وجلس عند قبره، فقال له موسى بن كعب: أتفعلُ هذا وقد كان مبغضاً لك كارهاً لخلافتك، فقال: ما فعلت هذا إلَّا شكراً لله تعالى حيثُ قدَّمه أمامي، قال: أفلا أخبرُ أهل خراسان بهذا، فقد دخلتهم وَحْشةٌ؟ قال: بلى، فأخبرهم، فكبَّروا.

وحكى المدائني قال: نظرَ أبو جعفر إلى بعض القضاة وبين عينيه أثرُ السجود، فقال: لئن كنت أردتَ بهذا وجهَ الله، فما ينبغي لنا أن نشغلكَ عنه، وإنْ كنت إنَّما أردتنا به، فينبغي أن نحترزَ منك، وعزلَه.

وقال المدائني أيضاً: أتي أبو جعفر برجلٍ، فأمرَ بقتله، وعنده عمرو بن عبيد، فقال عمرو: حدثني الحسن البصري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي غداً يوم القيامة منادٍ بين يدي الله تعالى: من كانت له يدٌ عند الله فليقم، فلا يقومن إلَّا من عفا». فقال له أبو جعفر: أنت سمعتَ هذا من الحسن، قال: نعم. فأطلقَه(٢).

ذكر وفاته:

واختلفوا في سببها على قولين:

أحدهما: أنه كان كثير الأكل ولا يستمرئُ طعاماً، ويشكو ذلك إلى الأطباء، و[يسألهم أن](٣) يعملوا له الجوارشنات برأيه لا برأيهم، وكانوا يأمرونه بتقليلِ

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٨١: محمد بن جعفر.

(٢) أورد الخبر الغزالي في الإحياء، وفيه: سوار بن عبد الله، بدل: عمرو بن عبيد. والخبر فيه عن الحسن مرسلاً.

وأخرج الحديث البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٧٧) (طبعة مكتبة الرشد) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال البيهقي: تفرد به عمر بن راشد.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٩، والمنتظم ٨/ ٢١٩.

الطعام، ويقولون: هذه الجوارشنات ضررُها أكثر من نفعها، وإنَّها تُحدِثُ من الأمراض ما لا يفيدُ معها دواء، وإنَّ علتها شديدة. وكان عنده طبيبٌ من الهند قد قدم عليه، فأمره أن يتخذ له سفوفاً لهضم الطعام، فيه الأفاويه والأدوية الحارَّة، فكان الهنديُّ ينهاه ويوافق أطباءه ولا ينتهي.

فقال بعض أطبائه: لا يموتُ هذا إلا بالبَطَن، فقيل له: ومن أين ذاك؟ قال: لأنَّه يأخذ الطعام كلَّ يوم ويتناول الجوارشنات الحارَّة فيهضم الطعام، ويهضم معه شيئاً من شحم بطنه ومصارينه ومعدته، فتخلو وترن[1] وتضعف عن حملِ ما حملَها، فيحدث له مرض البَطَن، ثم ضربَ لذلك مثلاً فقال: أرأيتَ لو أنَّك وضعتَ جرَّة على مرفع، والجرَّة جديدة وتحتها آجرة[2]، فقطرت عليها دائماً أليس تثقب الآجرَّة؟ قالوا: بلى، قال: فكذا هذا، فكان كما قال مات بالبَطَن.

والثاني: أنَّ أبا جعفر كان كثيرَ الركوبِ في الهواجر، وكان محروراً مع علو سنِّه، فغلبَ[3] عليه المرار الأحمر، فانخرق مزاجه، واتَّفق حجُّه في تلك السنة، وكان الحرُّ شديداً، فمرضَ بالحوف[4]، وكان قد تيقَّن أنَّه يموتُ في تلك السَّفرة؛ لأنَّه رأى أماراتِ ذلك.

حدثنا عبد الوهاب بن علي الصوفيّ بإسناده إلى أبي سهل الحاسب عن طيفور قال: كان سبب إحرامِ أبي جعفر من الكوفة للحج أنَّه نامَ ليلةً بمدينة السلام، ثمَّ انتبه فزعاً، ثم عاود النوم، ثم انتبه فزعاً، فعل ذلك ثلاثاً، ثم قال: يا ربيع، قد رأيتُ في منامي عجباً، كأنَّ آتياً أتاني فهينم بشيءٍ لم أفهمه، ثمَّ كرره حتى حفظتُه، قال: وما هو؟ قال: [من الطويل]

كأنِّي بهذا القصر قد بادَ آهلُهْ ... وعُرِّي منه أهلُه ومنازلُهْ
وصارَ رئيسُ القومِ من بعد بهجةٍ ... إلى جدثٍ تُبنى عليه جنادلُهْ

(١) كذا.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠: ووضع تحتها آجرة جديدة.
(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري: يغلب. وهو الأشبه.
(٤) كذا.

وما أحسبني إلَّا وقد دنت وفاتي، وحانَ أجلي، وما لي غير ربِّي، ثمَّ قام فاغتسلَ، وصلَّى ركعتين، وقال: قد عزمت على الحجّ، ثمَّ خرج ونحن معه حتى انتهى إلى الكوفة، فنزل النجف، وأمر بالرحيل بعد أيام، ثم قدَّم جنده وأثقاله، وبقيتُ أنا وهو في القصر، فقال: ائتني بفحمة، فأتيتُه بها، فكتب على الحائط شيئاً، وخرجَ فعدت إلى القصر كأنِّي أطلبُ شيئاً، وإذا به قد كتبَ على الحائط بالفحمة هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

المرءُ يأملُ أنْ يعيـ ـش وطولُ عَيشٍ قد يضرُّهْ
تفنى بشاشتُه ويحـ ـدثُ بعد حلوِ العيش مرُّهْ
وتضرُّه الأيام حتـ ـتى ما يرى شيئاً يسرُّه[1]

وروى ابنُ الأنباريِّ أيضاً بإسناده عن أبي إسحاق الخُتَّلي[2] قال: لما حجَّ المنصور في آخر عمره، نزلَ بعض المنازل، فرأى كتابةً على الحائط، فقرأها فإذا هي هذه الأبيات: [من الطويل]

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بدَّ واقع
أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجِّمٌ لك اليومَ عن حَرِّ المنيَّة دافعُ[3]

وقد رواها الخطيب أيضاً عن الربيع، إلَّا أنه قال: خرجَ المنصور يتبرَّز، فقضى حاجته، فإذا الريح قد ألقت إليه ورقة فيها مكتوب البيت الأول. قال الربيع: فناداني: يا ربيع، نُعيتْ إليَّ نفسي في رقعة، فقلت: لا والله ما أعرف رقعةً، ولا أدري ما هي! فمات في وجهِهِ ذلك.

وقال سليمان بن أبي شيخ: حدَّثني أبي قال: خرجتُ مع المنصور حاجًّا في سنة ثمان وخمسين ومئة، فرأيتُ في منامي كأنَّ رأسَاً قد قُطِع، فسألتُ عديلي سعيد بن خالد فقال: الرأسُ أبو جعفر، وما أراه إلا سيموت عن قريب، فمات.

وقال أبو اليقظان: جلسَ المنصورُ يبولُ بطريق مكَّة، فألقت إليه الريحُ ورقةً فيها:

---

(١) انظر المنتظم ٨/ ٢٢٠.

(٢) المنتظم ٨/ ٢٢١. وفيه: الجيلي. بدل: الختلي.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٢.

[من الطويل]

أبا جعفر حانت وفاتُك وانقضت [سنوك] وأمرُ الله لا بدَّ نازلُ
أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو منجِّمٌ يردُّ قضاءَ الله أم أنتَ جاهلُ

فقال: بادروا بي إلى حَرم الله.

وقال الربيع: لَمَّا نزلَ بستان بني[1] عامر اشتدَّ وجعه فسارَ منه إلى بئر ميمون، فنزلَها، وكان قد أمر بنصبِ الخشب ليصلبَ عليها سفيانَ الثوريّ وعبَّادَ بن كثير وابنَ جريج.

قال جدي في «المنتظم» بإسناده: عن عبد الرزاق يقول: بعثَ أبو جعفر الخشَّابين حين خرج إلى مكَّة، وقال: إنْ رأيتم سفيان الثوريّ فاصلبوه، فجاء النجَّارون، ونصبوا الخشب، ونودي سفيان، وإذا رأسه في حجر الفضيل ورجلاه [في حجر] ابن عيينة، فقالوا له: يا عبد الله، اتَّقِ الله ولا تشمت بنا الأعداء، فقام إلى أستار الكعبة فأخذها، ثمَّ قال: برئتُ منه إن دخلَها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخلَها، فأخبر سفيان بموته فلم يقل شيئاً[2].

وقال ابن البراء: فتوفِّي أبو جعفر ببئر ميمون لستٍّ خلونَ من ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومئة[3]، وذلك ليلةَ السبت مع طلوع الفجر، ولم يحضره عندَ وفاته إلَّا الربيع وخدمُه، وكتمَ الربيعُ موتَه، ومنعَ النساءَ وغيرهنَّ من البكاء عليه والصراخ، ثمَّ أصبح الربيع فأحضرَ أهلَ بيته، فأولُ من دعا عيسى بن موسى وعيسى بن علي وموسى بن المهدي، وأخذ عليهم البيعةَ للمهدي وبعده لعيسى بن موسى، ثمَّ دعا بالقوَّاد فبايعوا، وتوجَّه محمد بن سليمان والعباس بن محمد إلى مكَّة فأخذا البيعة للمهديِّ على الناس بين الركن والمقام، ثمَّ خرجا إلى بئر ميمون، وأخذا في جهاز المنصور وغسله وتكفينه ودفنه، وكان المتولِّي لذلك الربيع وأهلُ بيت المنصور ومواليه، ودُفن عندَ صلاة العصر، وكُشِفَ رأسُه لأجل الإحرام.

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦٠ : بستان ابن عامر.
(٢) المنتظم ٨/ ٢٠٤. وما بين حاصرتين منه.
(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٥٣.

واختلفوا فيمن صلَّى عليه، فقال الواقدي: عيسى بن موسى، ونزل في قبره في شعب الخوز، وقيل: الذي صلَّى عليه إبراهيم بن محمد بن علي[١] كان المنصور قد أوصى بذلك، و[ذلك] أنَّه خليفته على الصلاة بدار السلام.

وروي أنَّ الربيع: قال لا يصلِّي عليه أحدٌ يطمعُ في الخلافة، فقدَّموا إبراهيم بن محمد، وقيل: إبراهيم بن يحيى، وهو يومئذٍ حَدَث، ودُفن عند ثنية المَعْلاة قريباً من كداء بأعلى مكة، ونزلَ في قبره عيسى بن موسى، وقيل: عيسى بن علي، والعباس بن محمد، والربيع والريّان مولياه، ويقطين بن موسى.

ويقال: إنَّ البغلةَ عثرت بين بستان بني عامر وبئر ميمون فسقطَ فمات.

وقال الطبري: ركب فرساً فلما صار في الوادي الذي يقال له: سَقَر، وكان آخر منزلٍ في طريق مكة، كبا به الفرس، فدُقَّ ظهرُه، فمات[٢].

وقال الصوليّ: دفن بين الحجون وبئر ميمون بمكانٍ يقال له: الحوري.

ويقال: إنَّه حُفِر له قبورٌ كثيرة، دُفن سرًّا في بعضها، وعموا آثارَ قبره خوفاً عليه من آل أبي طالب لئلَّا ينبشوه.

وقد أشارَ الطبريُّ إلى هذا فقال: وحُفر له مئةُ قبرٍ؛ لئلَّا يعرفَ موضعُ قبره، ودفن في غيرها خوفاً عليه.

واختلفوا في مبلغ سنِّه على أقوال: أحدها: أربعٌ وستون سنة، والثاني: خمس وستون سنة، والثالث: ثلاث وستون، والرابع: ثمان وستون.

وقد ذكرنا أنَّه ولد في سنة أربعٍ وتسعين، أو خمسٍ وتسعين، السنة التي مات فيها الحجاج.

واختلفوا في مدة خلافته بعد اتِّفاقهم على أنها كانت اثنتين وعشرين سنةً إلَّا أيَّاماً، وإنما اختلفوا في تلك الأيام، فقال هشام بن محمد: إلَّا أربعة وعشرين يوماً، وقال أبو معشر: إلَّا ثلاثة أيام، وقال الزُّبير بن بكَّار: إلا سبع ليالٍ، وقال الواقدي: إلَّا

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٦١: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٧.

يومين[١].

وولي الخلافةَ في ذي الحجَّة.

ذكر ما ترك من المال:

قال الربيع: جمعَ ما لم يجمعه أحدٌ قبلَه، ترك ستّ مئة ألف ألف وستين ألف ألف درهم، وأربعة عشر ألف ألف دينار، وكان قد حُمل إليه من خزائنِ مروان اثنا عشر ألف عِدْلٍ خز، فأخرجَ ثوباً ففصله جبَّتين، له واحدة، ولمحمد المهدي واحدة، وترك من الخيل والبغال والدواب عشرةَ آلاف دابة، ومن الموالي خمسةَ آلاف، ومن الجواهر واليواقيت عدَّة صناديق، وغير ذلك.

قال المسعوديّ: ومع هذا فإنَّه كان ينظر فيما لا قيمة له، ولا ينظر فيه أحدٌ من العوام، اتَّفق مع صاحب مطبخه على أنْ يكونَ له الرؤوس والجلود والأكارع، وعلى الطباخ الحطبُ والتوابل[٢].

انتهت ترجمته.



(١) هذا قول عمر بن شبة، وقال الواقدي: كانت ولاية أبي جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٢.

(٢) مروج الذهب ٦/ ٢٢٢.

السنة التاسعة والخمسون بعد المئة

فيها خرج المهدي من بغداد، فنزل البردان، فأقام يجهِّزُ الجيوشَ إلى الصائفة، فجهَّزَ العباس بن محمد، وبين يديه الحسنُ الوصيف في الموالي، وقُوَّاد خراسان، وغيرهم، فساروا إلى الروم حتَّى بلغوا أنقرة، وفتحُوا مدينةً يقال لها: المطمورة، وعادوا سالمين غانمين.

وفيها توفي حميدُ بن قحطبة والي خراسان.

وفيها فتحَ المهديُّ الخزائن وفرَّق الأموال.

وفيها بنَى المهدي جامع الرُّصافة، وأدارَ عليها السُّور والخنادق.

وفيها وجَّه المهديُّ عبدَ الملك بن شهاب المسمعي في المراكب إلى الهند في جيشٍ كثيفٍ، منه ألفان من أهل البصرة، ومن الشام سبع مئة، ومن مطوِّعة أهل البصرة ألفُ رجل ـ وقيل: كانوا ثمانية آلاف ـ فوصلوا إلى الهند، ونزلوا على مدينةٍ يقال لها: باربد في سنة ستين ومئة.

وفيها توفِّي معبدُ بن الخليل عامل السند.

وفيها أمر المهديُّ بإطلاق من كان في حبس أبيه أبي جعفر، إلَّا من كان عليه دم، أو كان عنده لأحدٍ مظلمةٌ أو حقٌّ، أو كان ساعياً في الأرض بالفساد(١).

وفيها أعتق المهديُّ أمَّ ولده الخيزُران وتزوَّجها.

وفيها تزوَّج المهديّ أيضاً أمَّ عبد الله بنت صالح بن عليّ أخت الفضل بن صالح.

وحجَّ بالناس في هذه السنة يزيدُ بن منصور خالُ المهدي، في قول الواقديِّ وأبي معشر وغيرهما(٢).

حُمَيْد بن قَحْطَبَة

أحدُ قوَّاد أبي جعفر، وهو الذي غرقَ أبوه في الفرات، وهو الذي حزَّ رأس محمد ابن [عبد الله بن] حسن بن حسن، وقد ذكرناه في عدة مواضع.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ١٢٣.

وولَّاه أبو جعفر مصر، فأقام عليها سنةً وشهرين، وولَّاه أبو جعفر خراسان في سنة إحدى وخمسين ومئة، وماتَ بخراسان في هذه السنة(١).

وفيها توفي

عبدُ العزيز بن أبي رَوَّاد

مولى المغيرة بن المهلَّب بن أبي صُفرة.

ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل مكَّة، وحكى عن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي قال: توفي عبد العزيز بمكَّة سنة تسعٍ وخمسين ومئة، وله أحاديث، وكان معروفاً بالصَّلاح والورع والعبادة، وهذا قول ابن سعد(٢).

وقال أبو نعيم الحافظ بإسناده إلى عبد الصمد بن يزيد قال: سمعتُ شقيقاً البلخي يقول: ذهب بصرُ عبد العزيز عشرينَ سنةً، فلم يعلم به أهلُه ولا ولده، فتأمَّله ابنُه ذات يومٍ فقال: ذهبت عينُك يا أبه، فقال: نعم يا بنيّ، الرضا عن الله أذهب عين أبيك منذ عشرينَ سنة(٣).

وروى الخطيب عن شعيب بن حرب الزاهد قال: جلستُ إلى عبد العزيز خمسَ مئة مجلس، فما أحسبُ صاحبَ الشمال كتب عليه شيئاً(٤).

وروى أبو نعيم بإسناده قال: مكثَ عبد العزيز أربعين سنةً لم يرفع رأسَه إلى السماء حياءً من الله تعالى، فبينما هو يطوفُ بالبيت، إذ طعنَه المنصور أبو جعفر بأصبعه في خاصرته، فالتفتَ إليه فقال: قد علمتُ أنَّها طعنة جبَّار(٥).

وقد ذكرنا طرفاً منه.

وكانت وفاتُه في هذه السنة بمكَّة.

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٥/ ٣٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٥. وفيه: وكان مرجئاً، وكان معروفاً بالصلاح والورع والعبادة.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٩١.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٥٨٦ (ترجمة أبي سهل المدائني)، والمنتظم ٨/ ٢٣١.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٩١.

أسنَد عن جماعة من كبار التابعين، كعطاء وعكرمة ونافع وغيرهم[١].

محمد بن عبد الرحمن

ابن المغيرة بن الحارث بن هشام بن شعبة، أبو الحارث القرشي، ويعرف بابن أبي ذئب.

ذكره ابن سعد في الطبقةِ الخامسة من أهل المدينة. وقال: وأمّ أبي ذئب أم حبيب بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

وكان أبو ذئب قد أتى قيصر، فسعى به عثمان بن الحويرث شيطان قريش، فحبسَ قيصرُ أبا[٢] ذئب، حتى مات في حبسه.

قال: وقال محمد بن عمر: ولدَ محمد بن أبي ذئب سنةَ ثمانين عام الجُحَاف، وكان من أورع الناس وأفضلهم، وكانوا يرمونه بالقَدَر، وما كان قدريًّا، لقد كان ينفي قولَهم ويعيبه، ولكنه كان رجلاً كريماً، يجلس إليه كلُّ أحدٍ ويغشاه فلا يطرده، ولا يقول شيئاً، وإن هو مرض عادَه، فاتَّهموه بالقدر لهذا.

وكان يصلِّي الليلَ كله، ويجتهدُ في العبادة، ولو قيل له: إنَّ القيامة تقومُ غداً ما كان فيه مزيد من الاجتهاد.

قال: وأخبرني أخوه أنَّه كان يصومُ يوماً ويفطرُ يوماً، فقدم رجلٌ من الشام، فسأله عن الرجفة، فحدَّثه، فلمَّا قَضى حديثَه ـ وكان ذلك يوم إفطاره ـ فقلت له: قم تغدَّى، فقال: دعه اليوم، فسردَ الصومَ من ذلك اليوم إلى أن مات.

وكان شديدَ الحال، يتعشَّى بالخبز والزيت، وكان يحفظ حديثه كلَّه، لم يكن له كتاب ولا شيءٌ ينظرُ فيه.

قال: ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة لزمَ ابنُ أبي ذئب بيتَه، فلم يخرج منه حتى قُتل محمد.

قال: وقال محمد بن عمر: دعا زياد الحارثيُّ محمد بن أبي ذئب ليستعملَه على

---

(١) انظر ترجمته أيضاً في تهذيب الكمال ١٨/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٤.

(٢) في (خ): ابن أبي ذئب. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٥٨.

بعض عمله، فأبى، فحلفَ زياد ليعملن، فحلف ابنُ أبي ذئب أن لا يعمل، فقال زياد: جرُّوه برجله ابن الفاعلة، فقال له: والله ما هو من هيبتك تركتُ أن أردَّها عليك مئة مرة، ولكن تركتها لله تعالى.

وندم زياد على ما قال له، وقال من حضره: إنَّ مثل ابن أبي ذئب لا يصنعُ به مثل هذا، إنَّ من شرفِهِ وحاله وفضله في نفسه وقدرِه عند أهل البلد [أمراً] عظيماً[1]، فازداد زياد ندماً وقال: أنا آتيه، فأستحلُّه، فقالوا: لا تأمن أن يسمعك ما تكره، فأرسلَ زياد إلى أخيه طالوت مئة دينار وقال: أعطها لأخيك، وتحلَّل لي منه، فقال: ما أفعل، فقال: فافعل بها ما شئت، فاشترى بها جاريةً فأهداها لأخيه، فهي أم ولده، واسمها سلامة، ولو علم أنَّها من زياد ما قبلَهَا.

قال: وقال الواقدي: كان الحسن بن زيد والي المدينة يُجري على ابن أبي ذئب في كل شهر خمسةَ دنانير، فلمَّا غضب أبو جعفر على الحسن بن زيد عزله عن المدينة، وولَّى عبد الصمد بن علي.

قال: وقال الواقدي: دخلَ ابنُ أبي ذئب: على عبد الصمد وهو والي المدينة، فكلَّمه في شيء، فقال له عبد الصمد: إنِّي لأظنُّك مرائياً، فأخذ عوداً من الأرض وقال: لمن أرائي؟ والله، الناسُ عندي أهون من هذا.

قال: وقال محمد بن عمر: حجَّ المنصور، فدعا الحسن بن زيد وابن أبي ذئب، فأراد أن يغريَ بينهما، فقال لابن أبي ذئب، نشدتُك، ما تعلم من الحسن بن زيد؟ فقال: أمَّا إذا نشدتني فإنَّه يدعونا فيستشيرنا، فنخبره بالحق، فيدعُه ويعملُ بهواه، فقال الحسن بن زيد: نشدتُك الله يا أمير المؤمنين إلَّا سألتَه عن نفسك، فقال له أبو جعفر: نشدتك الله ما تعلم مني؟ ألستَ تراني أعملُ بالحق؟ ألست تراني أعدل؟ فقال له: أما إذا نشدتني بالله فأقول: اللهمَّ لا، فما أراك تعدل، ولا تعملُ بالحق، وإنَّك لتستعملُ الظَّلمةَ، وتدعُ أهلَ الخير والفضل.

قال الواقدي: فحدَّثني محمدُ بن إبراهيمَ بن محمدِ بن عليّ، وإبراهيمُ بن يحيى بنِ

(١) في (خ): عظيم. والمثبت وما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٦١.

محمد بن علي، وأُخبرتُ عن عيسى بن عليّ، قالوا: نحن عند أبي جعفر حين كلَّمه ابنُ أبي ذئب بما كلَّمه به من ذاك الكلام الشديد، فظننا أنَّ أبا جعفرٍ سيعاجلُه، فجعلنا نكفُّ ثيابنا، ونتنحى(١) مخافة أن يصيبنا من دمه.

قال: وجزِعَ أبو جعفر واغتمّ، وقال له: قم فاخرج فخرج، ورزقَه اللهُ السلامة من أبي جعفر.

قال الواقدي: وخرجَ ابنُ أبي ذئب إلى أمِّ ولده سلامة، فقال لها: احتسبي دنانيرك التي كان حسن بن زيد يجريها عليك. قالت: ولم؟ قال: سألني أبو جعفر عنه، فقلت: كذا وكذا، فقالت: ففي الله خلفٌ وعوضٌ منها.

وخرجَ الحسنُ بن زيد، فذكر ذلك لابن أبي الزناد وقال: والله ما ساءني(٢) كلامه، ولقد علمتُ أنَّه أراد الله بذلك، ولم يرد به الدنيا ولا رضا أبي جعفر، فلمَّا كان رأسُ الشهر بعثَ إليه بعشرة دنانير؛ زاده خمسةً أخرى، وقال: إنَّما زدته لإرادته وجه الله. فلم يزل يجريها عليه في كلِّ شهرٍ حتى مات.

قال الواقدي: أرسَلُوا إلى ابن [أبي] ذئب، فأقدموه إلى بغداد، فأعطوه ألفَ دينار فلم يقبلها، فقالوا: خذها ففرقها في أهل المدينة، فأخذَها، فلمَّا كان بالكوفة اشتكى، فماتَ فدُفن بالكوفة في سنة تسع وخمسين ومئة، وهو يومئذ ابنُ تسعٍ وسبعين سنة.

قال: وكان يُفتي بالمدينة، وكان عالماً ثقةً فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً. هذا قول ابن سعد(٣).

وقال جدِّي في «المنتظم» عن محمد بن خلَّاد قال: لما حجَّ المهدي دخلَ مسجدَ رسول الله ﷺ، فلم يبق أحدٌ إلَّا قام، إلَّا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم فهذا أمير المؤمنين، فقال ابن أبي ذئب: إنَّما يقومُ الناس لربِّ العالمين، فقال المهدي: دعهُ فلقد قامت كل شعرةٍ في رأسي(٤).

---

(١) في (خ): ونتحاذا. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٦٢.

(٢) في (خ): سألني. وفوقها: كذا. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٦٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٥٨ ـ ٥٦٣.

قلت: كذا وقعتْ هذه الرواية، وهي وهم؛ لأنَّ المهدي حجَّ في سنة ستين، وابنُ أبي ذئب مات باتِّفاقهم في سنة تسعٍ وخمسين ومئة، فلعلَّ الواقعةَ كانت مع المنصور، فغلط الكاتب، والله أعلم. انتهت ترجمته.



(١) المنتظم ٨/ ٢٣٤.

السنة الستون بعد المئة

فيها خلع المهدي عيسى بن موسى، قد ذكرنا أنَّه كتب إليه يسأله أن يخلعَ نفسه فامتنع[١].

وفيها فتحَ عبدُ الملك بن شهاب المسمعيّ مدينةَ باربد بأرض الهند، وقد ذكرنا أنَّ المهدي جهَّزَهُ إليها في السنة الماضية، وكانوا قد أقاموا عليها مُدَّةً، وكانوا قد نصبوا عليها المجانيق، فافتتحوها عَنْوةً، وقتلوا وسبوا، وكان في السبي ابنة ملك باربد، وأرادوا الرجوعَ إلى البصرة، فهاج عليهم البحر، فلم يقدروا على ركوبه، فأقاموا حتى يطيبَ لهم البحر، فأصابَهم داءٌ في أفواههم، فمات منهم ألفُ رجلٍ منهم الربيع بن صبيح، ثمَّ ركبوا البحرَ، فهاج عليهم فتكسَّرت مراكبُهم، فغرق بعضُهم ونجا البعض، وقدموا البصرة، وبها محمد بن سليمان[٢].

وفيها خرج يوسف بن إبراهيم ـ ويقال له البرم ـ بخراسان منكراً على المهديِّ سيرتَه، واجتمعَ إليه خلقٌ كثير، فبعثَ إليه المهدي يزيدَ بن مزيد، فاقتتلا، فظفر به يزيد، فأسره وحملَه إلى المهدي، فلمَّا قربَ من بغداد أُركِبَ على بعيرٍ، وحُوِّل وجهه إلى ذنبه، وفُعِل بأصحابه كذلك، وكان البرم قد قتل أخاً لهرثمة بن أعين بخراسان، فأمرَ المهديُّ هرثمةَ، فقطعَ يدي البرم ويدي أصحابه، وضرب أعناقهم، وصلبَهم.

وفيها توفِّي عبدُ الله بن صفوان[٣] الجمحيّ والي المدينة.

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد المهدي، وحجَّ مع المهدي ابنُه هارون، واستخلفَ على بغداد ابنه موسى ومعه يزيد بن منصور خال المهدي، وحج معه جماعةٌ

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٢٤ ـ ١٢٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٢٨.

(٣) كذا في (خ) والمنتظم ٨/ ٢٤٥، والكامل ٦/ ٤١، ٤٨. وفي تاريخ الطبري ٨/ ١٢٣، ١٣٢ : عبيد الله بن صفوان. وتمام اسمه: عبيد الله بن محمد بن صفوان. انظر المعرفة والتاريخ ١/ ١٤٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٤٥، والعقد الثمين ٥/ ٣١٧.
وانظر أيضاً أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥١.

من أهل بيته، وحجَّ معه يعقوب بن داود على منزلته التي كانت عنده، وأتاه حين وافى مكة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأحسنَ إليه المهديّ، ووصله، وأقطعه مالاً بالحجاز، ووفّى له ما أمنه به.

ونزع المهديُّ كسوةَ البيت وكساه كسوةً جديدة، وكانت الكسوة قد أثقلت الكعبة، فخافت الحجبةُ أن تنهدم، فأنهوا ذلك إليه، فنزعَها وجَرَّد الكعبةَ وخَلّقَها[١]، ثم كساها كسوة واحدة، ونزع ما كان من كسوة بني أمية، وكان هشام قد كساها ديباجاً ثخيناً، فأزاله.

وكان قد حملَ معه من العراق ثلاثين ألف ألف درهم، ومتاعاً كثيراً، وقُدِم عليه وهو بمكة من مصر بثلاثِ مئة ألف دينار، ومن اليمن مئتي ألف دينار، فقسَّم الجميع في أهل الحرمين، وفرَّق فيهم الثياب، وكانت [مئة ألف ثوب، و][٢] خمسين ألف ثوب.

ووسَّع في مسجد النبي ﷺ، وأمرَ بنزع المقصورة التي في مسجد رسول الله ﷺ، فنُزِعت، وأراد أن ينقص من المنبر ما كان معاوية زاد فيه، فشاورَ مالك بن أنس، فقال مالك[٣]: إنَّ المسامير التي عملَها معاوية في الخشب الأوَّل قد عتقت، ومتى نُزِعت ربَّما تكسَّر الجميع، فتركَه.

وتزوَّج المهديُّ في هذه السفرة في مقامه بالمدينة رقيَّة بنت عمرو العثمانيَّة.

وحمل محمد بن سليمان الثلج إلى المهدي بمكّة، فكان أوَّلَ من حُمل الثلج له من الخلفاء إلى مكَّة المهديُّ.

وفي هذه السفرة كان على قضاء المدينة عثمانُ بن طلحة بن عمر بن عبيد الله[٤] بن مَعمر، فدخل على المهديِّ وسأله أن يعفيَه من القضاء، فأبى، فقال له عثمان: والله لو علمتُ أن بلد الروم يجيروني ولا يمنعوني من الصلاة لاستجرتُ به. فقال له المهدي:

---

(١) أي: طلاها بالخَلوق. والخلوق: ضرب من الطيب. مختار الصحاح (خلق).

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ١٣٣، والمنتظم ٨/ ٢٣٨.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ١٣٣: فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور في ذلك، فقيل له...

(٤) في (خ): عبد الله. والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ١٥١، والمنتظم ٨/ ٢٣٩.

وأنت على الأوَّل، فقال: إي والله، قال: قد أقلتُك. وكان قد استوجبَ رزقَ عشرة أشهر، فقال له المهدي: فخذ ما لك عندنا من الرزق، فقال: والله ما بي عنه من غنى، ولكنّ إخواني كانوا يكرهونَ هذا، ولي بهم أُسوة، ولم يأخذ شيئاً مِمَّا أَمَر له المهديُّ من الرزق. انتهى.

وفيها توفي

إبراهيم بن أدهم

ابن منصور بن يزيد بن جابر التميمي العجلي، أبو إسحاق البلخي، وأصله من كورة بلخ، من أبناء الملوك.

ذكر مولده:

روى الحافظ ابن عساكر عن إبراهيم بن شمَّاس قال [سمعت الفضل بن موسى يقول][1] : حجَّ أدهم أبو إبراهيم، ومعه أمُّ إبراهيم، وكانت حبلى به، فولدت إبراهيم بمكة، فطافَ به أبوه حولَ البيت ودار به على الحلق في المسجد وقال: ادعو الله لولدي أن يجعلَه ولداً صالحاً.

وعاد به إلى بلخ، فنشأ به إلى حين ما ترك الدنيا.

واختلفوا في سبب تركه الدنيا وإقباله على الآخرة على وجوه:

أحدها ما قرأتُه على شيخنا الموفق عبد الله بن أحمد المقدسي رحمه الله في كتاب «التوابين» قال: حدثنا محمد بن عبد الباقي بإسناده عن محمد بن إسحاق السرّاج قال: سمعتُ إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم يقول: قلت: يا أبا إسحاق، كيفَ كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل بَلخ، وكان من ملوك خُراسان، وحُبِّبَ إلينا الصيدُ، فخرجتُ راكباً فرسي، وكلبي معي، فبينما أنا كذلك، ثار أرنب أو ثعلب، فحرَّكتُ فرسي، فسمعتُ نداءً من ورائي: ليس لهذا خُلِقْتَ، ولا به أمرت، فوقفتُ أنظر يَمْنةً ويَسْرةً، فلا أرى أحداً، فقلت: لعنَ الله إبليس، ثم حرَّكتُ فرسي فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم، ما لهذا خلقت، ولا به أمرت، فلعنت إبليس، فسمعتُ

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٢/ ٣٧٣.

نداءً من قربوس سرجي يقول ذلك، قال: فقلت: أُنبِهت أُنبِهت، جاءني نذيرٌ من ربِّ العالمين، والله لا عصيتُ الله بعد يومي هذا ما عصمني ربِّي.

فرجعتُ إلى أهلي، ثم جئتُ إلى أحد رعاةِ أبي، فأخذتُ منه جُبَّةً وكساء، وألقيتُ إليه ثيابي، ثم أتيتُ العراق، تخفضُني أرض وتضعُني أخرى، فعملت أيَّاماً، فلم يصفُ لي الحلال، فقيل لي: عليك بالشام؛ فإنَّ الحلال الصافي بطرَسُوس، فقصدتُها أحصدُ مع الحصَّادين[1].

وسنذكرُ تمام الحكاية.

وفي رواية ابنِ بشار أيضاً[2] أنَّه سُئِل عن إبراهيم فقال: كان أبوه من أبناء الأشراف، وكان أبوه كثيرَ المال والخدم، فخرج إبراهيمُ يوماً إلى الصيد مع الغلمان ومعه البُزَاة والصقور، فركضَ فرسه، وإذا بصوتٍ من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ الآية، اتَّقِ الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، فنزل عن دابته، وأخذ في عمل الآخرة.

وفي رواية: صادفَ راعياً فأخذ جبَّته وأعطاه ثيابَه وفرسه، وفارقَ غلمانَه وأتى مكَّة فصحبَ بها سفيان الثوري والفضيلَ بن عياض، ثمَّ أتى الشام فأقام بطرسوس، وأنَّه صادف داود عليه السلام في بعض البراري، فعلَّمه الاسمَ الأعظم، فدعا به، فرأى الخضرَ عليه السلام، فقال له: إنِّي لقيتُ رجلاً ولم أعرفه، علَّمني الاسمَ الأعظم، فقال: ذاك أخي داود عليه السلام[3].

والوجه الثاني قرأته أيضاً على شيخنا الموفَّق من «التوابين» قال: حدَّثنا أبو بكر عبدُ الله بن محمد بن أحمد بن النَّقُّور بإسناده عن عبد الله بن الفرج العابد قال: حدَّثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان، قال: كنتُ جالساً يوماً في منظرةٍ لي إلى الطريق، وإذا بشيخٍ عليه أطمَار، وكان يوماً حارًّا، فجلسَ في [ظلِّ][4] القصر ليستريح، فقلت

(١) انظر تمام الخبر في التوابين ص١٧٤ ـ ١٧٥.
(٢) الخبر في تاريخ دمشق ٢/ ٣٧٣ (مخطوط) من رواية يونس بن سليمان البلخي. وانظر صفة الصفوة ٤/ ١٥٢.
(٣) انظر تاريخ دمشق ٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.
(٤) ما بين حاصرتين من التوابين ص١٧٧.

للخادم: اخرج إلى هذا الشيخ، فأقرئه منّي السلام، واسأله أن يدخلَ إلينا، فقد أخذ بمجامع قلبي. فخرجَ إليه، فقام معه فدخل إليَّ، فسلَّمَ، فرددتُ عليه السلام، واستبشرتُ بدخوله، وأجلستُه إلى جانبي، وعرضتُ عليه الطعام، فأبى أن يأكل، فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراءِ النهر، فقلت: أين تُريد؟ قال: الحجّ إن شاء الله تعالى، قال: وكان ذلك في أول يومٍ من العشر، أو الثاني. فقلت: في هذا الوقت؟! فقال: يفعل الله ما يشاء، فقلت: فالصحبة. قال: إن أحببتَ ذلك.

فلمَّا كان الليل قال لي: قم، فلبستُ ما يصلحُ للسفر، فأخذ بيدي، وخرجنا من بلخ، فمررنا بقريةٍ لنا، فلقيني رجلٌ من الفلَّاحين، فأوصيتُه ببعض ما أحتاجُ إليه، فقدَّم إلينا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل، فأكلنا، وجاء بماء فشربنا، وقال: بسم الله، قم، فأخذَ بيدي، وجعلنا نسير، وأنا أنظرُ إلى الأرض تجذبُ من تحتنا كأنَّها الموج، فمررنا بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا، هذه مدينةُ كذا، هذه الكوفة، ثم قال: الموعدُ هاهنا في مكانك هذا في هذا الوقت من الليل، حتَّى إذا كان الوقت من الليل، إذا به قد أقبل، فأخذَ بيدي وقال: بسم الله، وجعل يقول: هذا منزل كذا، هذا منزل كذا، هذه كذا، هذه المدينة، وأنا أنظرُ إلى الأرض تجذبُ من تحتنا كأنَّها الموج، فصرنا إلى قبرِ النبيِّ ﷺ فزرناه، ثمَّ فارقني، وقال: الموعدُ في هذا الوقت من الليل في المصلَّى [حتى إذا كان الوقتُ خرجتُ، فإذا به في المصلَّى][1] ، فأخذ بيدي، وفعلَ كفعله الأول والثاني، حتى أتينا مكَّة، ففارقني، فقبضتُ عليه وقلت: الصحبة، فقال: إنِّي أريدُ الشام فقلت: وأنا معك، فقال: إذا انقضى الحجُّ فالموعدُ هنا عند زمزم، حتَّى إذا انقضى الحجُّ إذا به عند زمزم، فأخذ بيدي، فطُفنا بالبيت، ثمَّ خرجنا من مكَّة، ففعل كفعله الأوَّل والثاني والثالث، وإذا نحنُ ببيت المقدس، فقال: السلامُ عليك، أنا عازم على المقام هاهنا إنْ شاء الله تعالى، ثمَّ فارقني، وما رأيتُه بعد ذلك، ولا عرَّفني اسمه.

قال إبراهيم: ورجعتُ إلى بلدي أسيرُ سيرَ الضعفاء منزلاً بعد منزل، حتى رجعتُ

(١) ما بين حاصرتين من التوابين ص١٧٨.

إلى بَلْخ، فكان ذلك أول أمري.

والثالث ذكرهُ ابن خميس في «المناقب» عن أحمد بن عبد الله صاحب إبراهيم بن أدهم قال: كان إبراهيم من أبناء ملوك خراسان، فبينما هو ذات يوم مشرف من قصره، إذ نظر إلى رجل بيده رغيف يأكله في فناء قصره، ثم قام فشرب الماء بكفيه، ثمَّ نام، فوكَّل به إبراهيم غلاماً له وقال: إذا قامَ من نومه فأتني به، فلمَّا استيقظَ الرجل أخذه الموكَّل به، فأدخلَه على إبراهيم، فقال له: أكلت الرغيف وشبعت؟ قال: نعم، قال: وشربتَ من الماء فرويت؟ قال: نعم، فقلت في نفسي: وما أصنع بالدنيا والنفس تقنعُ بهذا؟ فخرجَ إبراهيمُ سائحاً إلى الله تعالى، فلقيَهُ رجلٌ يسيحُ، حسنُ الثياب والوجه، طيِّبُ الرائحة، فقال لإبراهيم: يا غلام من أين؟ قال: من الدنيا إلى الآخرة، فقال: أجائعٌ أنت؟ قال: نعم، فقام الرجلُ فصلَّى ركعتين، وإذا عن يمينه طعام وعن شماله ماء، قال: فقال لي: كل، فأكلت بقدر شبعي، وشربت بقدر رِيِّي[1]، ثم قال لي الشيخ: اسمع واعقل، ولا تعجل، فإنَّ العجلةَ من الشيطان، ولا تحزن، وإياك والتمرُّد على الله، فإنَّ العبد إذا تمرَّد عليه أورثَه في قلبه ظلمةً وضلالةً، وحرمَهُ الرزق، ولا يبالي في أي وادٍ أهلكه الله، يا غلام، إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعلَ في قلبه نوراً يفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل، وإنِّي معلِّمُك أمرَ دينك واسم الله الأعظم، فإذا جُعْتَ فادع الله به حتَّى يُشبعك، وإذا عطشتَ فادعُ الله به حتى يرويك، وإذا جالستَ الأخيار فكن لهم أرضاً يطؤوك، فإنَّ الله يغضبُ لغضبِهم ويرضى لرضاهم، يا غلام، خذ كذا حتى آخذ أنا كذا.

قال: فلم أبرح، فقال الشيخ: اللهمَّ احجبه عني واحجبني عنه. قال: فلا أدري أين ذهب، قال: فلقيني رجلٌ، حسن الثياب، حسن الوجه، طيِّبُ الرائحة، فسلَّم علي وقال: لقيتَ في طريقك شيخاً من صفته كذا وكذا؟ قلت: نعم، فبكى، فقلت: أقسمتُ عليك بالله من ذاك الشيخ؟ فقال: أخي إلياس أرسلَهُ الله إليك ليعلِّمَكَ اسمَه الأعظم، قلت: فبالله من أنت؟ قال: أنا الخضرُ، عليه السلام.

---

(١) في (خ): وشبعت بقدر أربي، والمثبت من مناقب الأبرار ١/ ٧٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٧٥.

ذكر طرفٍ من أخباره:

قال أبو نعيم الحافظ: حدثنا الغطريفي، حدثنا إسحاق بن دَيْمُهر، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا بشر بن المنذر قال: كنتُ إذا رأيتُ ابن أدهم كأنَّه ليس فيه روح، لو نفخَتْهُ الريحُ لسقط، قد اسودَّ، متدرع بعباءة(١).

وروى أبو نعيم عن شقيق البلخي قال: قلتُ لإبراهيم: تركتَ مُلْكَ خراسان، فقال: ما تهنَّيت بالعيش إلَّا في بلاد الشام، أفرُّ بديني من شاهقٍ إلى شاهق، أو من جبلٍ إلى جبل، من يراني يقول: موسوِس، من يراني يقول: هو حمال(٢).

وروى أبو نعيم بإسناده إلى إبراهيم بن بشار قال: كنت يوماً مارًّا مع إبراهيم بن أدهم في الصحراء، فأتينَا على قبرٍ مسنَّمٍ، فترحَّم عليه وبكى، فقلت: قبر من هذا؟ فقال: قبرُ حميد بن جابر أمير هذه المدن كلِّها، كان غريقاً في بحار الدنيا، فأنقذَه الله منها، ولقد بلغني أنَّهُ سرَّ يوماً بشيء من الملاهي، فنام في مجلسه ذلك مع من يخصُّه مع أهله، فرأى في منامه رجلاً قائماً على رأسه بيده كتاب، فناولَه إيَّاه، ففتحَه، فإذا فيه مكتوب بالذهب: لا تؤثرنَّ فانياً على باق، ولا تغترنَّ بملكك وقدرتك وسلطانك، وخدمك وعبيدك، ولذَّاتك وشهواتك، فإنَّ الذي أنت فيه جسيم لولا أنَّك عديم، [وهو ملكٌ](٣) لولا أنَّ بعدَه هُلك، وهو فرحٌ وسرور لولا أنَّ بعدَه غرور، وهو يوم لو كان يُوثَقُ له بِغدٍ، وسارع إلى أمر الله تعالى، فإنَّ الله يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣]، فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيهٌ من الله عزَّ وجلَّ، وهو موعظة، فخرجَ من ملكه ولم يعلم به، وقصدَ هذا الجبل فتعبَّد فيه، فلمَّا بلغني حديثُه قصدتُه فسألتُه، فحدثني ببدوِّ أمره، وحدَّثتُه ببدوِّ أمري، وما زلتُ أقصدُه حتى مات، ودفن هاهنا، فهذا قبرُه رحمه الله تعالى(٤).

وروى أبو نعيم عن ابن بشار عن إبراهيم بن أدهم، وذكر بدايته وأنه سمع نداءً يقول

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩، ٢٧.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٩. ووقع في صفة الصفوة ٤/ ١٥٥ : جمَّال.

(٣) ما بين حاصرتين من حلية الأولياء ٨/ ٣٣.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٣.

له: ما لهذا، ما لهذا خلقت، ولا به أمرت، قال: فوصلتُ إلى العراق، فعملتُ به أيَّاماً، فلم يصفُ لي منها، يعني العراق، فسألتُ بعض المشايخ، فقال لي: إن أردت الحلال فعليك ببلاد الشام، فسرتُ إلى مدينةٍ يُقالُ لها: المنصورة، وهي المصيصة، فعملتُ بها أيَّاماً، فلم يصفُ لي شيءٌ من الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردتَ الحلال الصافي فعليك بطَرَسُوس؛ فإنَّ فيها المباحات والعملَ الكثير، فتوجَّهتُ إلى طَرَسُوس، فعملت أيَّاماً أنظر البساتين، وأحصدُ مع الحصَّادين، فبينما أنا قاعدٌ على باب البحر جاءني رجلٌ فاكتراني أنظر بستاناً له، فكنتُ فيه أيَّاماً كثيرةً، فإذا بخادمٍ قد أقبلَ ومعه أصحابه، فقعدَ في مجلسه وصاح: يا ناظور، فقلت: هو ذا أنا، فقال: اذهب فأتني بأكبر رمانٍ تقدرُ عليه وأطيبه، فذهبتُ وأتيتُه بأكبر رمان، فأخذ الخادم رمانةً فكسرَها، فوجدَها حامضة، فقال: يا ناظور أنت في بستاننا منذ كذا وكذا، تأكل فاكهتنا ورمانَنا، لا تعرفُ الحلو من الحامض، قال إبراهيم: فقلت: والله ما أكلتُ من فاكهتكَ شيئاً، ولا أعرفُ الحلوَ من الحامض، فقال الخادم لأصحابه: أما تسمعون كلام هذا؟ أتراكَ لو أنَّك إبراهيم بن أدهم، زاد على هذا؟ فانصرف، فلمَّا كان من الغدِ ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعضُ الحاضرين، فجاء الخادم ومعه عنق من الناس، فلمَّا رأيتُهم اختفيتُ خلفَ الشجر، والناسُ داخلون، فاختلطتُ معهم وأنا هارب[1].

وقرأتُ على شيخنا الموفق رحمه الله بإسناده عن إبراهيم بن بشار قال: ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم، فبينما نحنُ نسير بريحٍ طيِّبةٍ، وكانت مراكب كثيرة، فعصفت ريحٌ شديدةٌ على المراكب، فتقطَّعت، وإبراهيمُ ملفوفٌ في عباءةٍ مستلق، فجاء أهلُ المركب إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، وأنت مستلقٍ غير مكترث؟! فجلسَ وهو يقول: لا أفلحَ من لم يكن استعدَّ لمثل هذا اليوم، ثم حرَّك شفتيه، وإذا بهاتفٍ ينادي: من اللُّجَّة تخافون، وفيكم إبراهيمُ بن أدهم، أيُّها الريحُ والبحرُ الهائج، اسكنَا بإذن الله، فسكنَ البحرُ، وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دُفّ، يعني لوحاً من خشب.

وفي رواية أنَّهم لَمَّا قالوا: ما ترى ما نحن فيه من الشدَّة، قال: ليس هذا بشدَّة، إنَّما الشدَّة الحاجة إلى الناس، ثم قال: اللهمَّ قد أريتنَا قدرتك فأرنَا عفوك.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري قال: مرَّ بعضُ الجند بإبراهيم وهو ينظرُ كرماً، فقال له: ناولني من هذا العنب، فقال: ما أذنَ لي صاحبُه فيه، فقلب السوط وجعل يقنِّعُ رأسَه، وإبراهيمُ يطأطئ رأسَه ويقول: اضرب رأساً طالما عصى الله، فأعجز الرجل عنه ومضى[1].

وفي رواية: فرآهُ رجلٌ يَعرِفُ إبراهيم، فقال للجندي: ويحكَ ما الذي صنعت، هذا إبراهيم بن أدهم، ترك مُلْكَ خراسان، فنزلَ الجنديُّ عن فرسه، وجاءَ فوقع على قدمي إبراهيم يُقَبِّلهما ويبكي ويعتذر إليه، فقال له إبراهيم بن أدهم: الرأسُ الذي يحتاجُ اعتذارَك تركته ببلخ.

وروى أبو نعيم عن عليِّ بن بكَّار قال: كنَّا جلوساً يوماً بالمصيصة، وفينا ابنُ أدهم، فقدم رجلٌ من أهل خراسان، فقال: أيُّكم إبراهيم بن أدهم؟ فقلنا: هذا، فقال: إنَّ إخوتك قد بعثوني إليك، فلمَّا سمع بذكر إخوته قام وأخذ بيده فنحَّاه ناحيةً وقال: ما الذي جاء بك؟ فقال: أنا عبدك، ومعي فرس وبغلةٌ وعشرةُ آلاف درهم، بعثَ بها إليك إخوتك، فقال: إن كنت صادقاً فأنت حرّ، وما معك لك، ولا تخبرن أحداً، اذهب. فانصرف الرجل[2].

وحكى ابن باكويه الشيرازي قال: كان إبراهيم بعسقلان جالساً، فجاء خادم، فلمَّا رآه نزل من فرسه وجعل يقبِّل يدي إبراهيم وقدميه ويبكي، فقال له إبراهيم: ما الذي أقدمَك إلى هاهنا؟ قال: ماتَ بعض مواليك، وقد أتيتُك بميراثه ثلاثين ألف درهم، فقال: ما لكم ولاتِّباعي، فقال الخادم: قد تعنَّيتُ من بلخ إلى هاهنا، فاقبلها مني، فقال: إنْ كان ولا بد، فاقسمها ثلاثة أثلاث، ثلثٌ لك ولعيالك[3]، وثلثٌ لمساكين بلخ، وثلثٌ لمساكين عسقلان، ففعل الخادم ذلك.

وحكى ابن باكويه أيضاً عن أبي سليمان الداراني قال: صلَّى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاةً بوضوءٍ واحد.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٧٩.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٨٣.

(٣) في صفة الصفوة ٤/ ١٥٦ : ثلث لك لعنائك.

وحكى ابن باكويه عن عبد الله بن الفرج[١] العابد قال: اطَّلعت يوماً على إبراهيم بن أدهم وهو نائمٌ في بستان بالشام، وعندَ رأسه أفعى في فيها طاقةُ نرجس، وهي تروِّحُ عليه.

وحكى القاضي أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الموصلي في كتاب «مناقب الأبرار» طرفاً من أخبار ابن أدهم، فحكَى عن سهل بن عبد الله[٢] قال: صحبتُ إبراهيم بن أدهم، فمرضت، وكان معه نفقة قد أخذها من نِظَارة البساتين، فأنفقها عليَّ، فنفدت، فاشتهيتُ شهوةً فباع حمارَه، واشترى لي ما طلبت، فلمَّا تماثلتُ قلت: أين الحمار؟ قال: بعته، قلت: لم ذاك؟ قال: لأجل حاجتك التي أردت، قلت: فعلامَ أركب؟ قال: عنقي، فحملني ثلاثة منازل.

وفي «المناقب» عن إبراهيم بن بشار قال: أسرينا ليلةً وليس معنا شيء، ولا لنا ما نفطرُ عليه، فرآني حزيناً مهموماً، فقال: يا ابن بشار، لا تهتمّ، ماذا أنعمَ الله على الفقراء من الراحة في الدنيا والنعيم في الآخرة، وإنما يَسأل ويُحاسِب هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء يوم القيامة، أعزَّة في الدنيا أذلَّة في الآخرة، لا تحزن، فرزقُ الله مضمون، وها هو سيأتيك عن قريب، نحن والله الذين تعجَّلنا الراحةَ في الدنيا لا نبالي على أي حالٍ أصبحنا من الدنيا وأمسينا إذا أطعنا الله، ثمَّ قام إلى صلاته، وإذا برجلٍ قد جاء بثمانية أرغفةٍ وتمرٍ كثير، فوضعَه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله، فسلَّم إبراهيم من صلاته وقال: كل يا مغموم، فدخلَ سائلٌ، فقال: أطعمونا لله، فأعطاهُ ثلاثةَ أرغفة، وأعطاني ثلاثة، وأخذ هو رغيفين، وقال: المواساةُ من أخلاق المؤمنين[٣].

قال: وقال ابن بشار: خرجتُ أنا وإبراهيم وأبو يوسف الغسولي نريدُ الإسكندرية، فمررنا بنهر الأردن، فقعدنَا في مكانٍ نستريحُ، وكان مع أبي يوسف كسيراتٌ يابسة، فألقاها بين أيدينا، فأكلناها وحمدنا الله تعالى، وقام إبراهيم فدخلَ النهرَ فخاضه إلى ركبتيه، ثم سمَّى وشرب بكفيه ثلاثاً حتى روي، ثمَّ خرجَ من النهر، فمدَّ رجليه وقعد وقال: لو علم الملوكُ وأبناء الملوك ما نحنُ فيه من لذيذ العيش لجالدونا عليه بالسيوف أيَّام الدنيا، أو أيام الحياة، لا نُسألُ عن حجٍّ ولا زكاة، قال: فقلت: طلبُوا الراحةَ

(١) في (خ): عبد الله بن أبي الفرج. والتصويب من تاريخ دمشق ٢/ ٣٩٢، وصفة الصفوة ٤/ ١٥٧.
(٢) في مناقب الأبرار: سهل بن إبراهيم.
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٥٢_٥٣.

والنعيم، فضلُّوا الطريقَ المستقيم، فنظرَ إليَّ، وتبسَّم وقال: من أين لك هذا الكلام[(١)]؟

وحكى في «المناقب» أيضاً عن إبراهيم أنَّه كان يقول: ما كانت لي قطُّ مؤنة على أصحابي إلَّا في شيءٍ واحد، ما كنتُ أحسن أن أكري نفسي من الحصادين، فكانوا يكرونني ويأخذونَ الأجرةَ لهم[(٢)].

وحَكى أيضاً عن يزيد بن سفيان قال: كان إبراهيمُ قاعداً شرقي دمشق[(٣)]، فمرَّ به رجلٌ راكبٌ على بغلة، فقال: يا أبا إسحاق، إنَّ لي إليك لحاجة، قال: وما هي؟ إن أمكنني قضاؤها فعلت، فقال: إنَّ برد الشام لشديد، وإنِّي أريدُ أن أبدِّل ثوبيك هذين بثوبين جديدين، فقال له إبراهيم: إن كنت غنيًّا قبلتُ منك، وإنْ كنتَ فقيراً لم أقبل منك، فقال: أنا والله كثير المال والضياع والعبيد والتجارات، فقال له إبراهيم: ألا أراكَ تغدو وتروح على بغلتك هذه؟ فقال: أعطي هذا، وآخذ من هذا، فقال له إبراهيم: فأنتَ فقيرٌ؛ لأنَّك تبتغي الزيادة، لا أقبلُ منك شيئاً.

وحكى أيضاً في «المناقب» عن إسحاق بن فديك [حدثنا أبي] قال: خرجتُ أنا وإبراهيم نريدُ الغزو، فبينما نحن في الطريق إذ سمعنا جلبةً، فإذا بإبراهيم بن صالح قد خرج إلى الصيد ومعه البُزاة والشواهين، ومعه الكلاب، ومعه جواريه مرخيات شعورهنَّ، متبرجات، فنظرتُ إليهنَّ، فقال لي إبراهيم: مه يا فديك، لا تنظر إليهنَّ، قذرات يحضن ويبلن ويتغوطن ويهرمن، واعمل للواتي لا يحضنَ ولا يبُلن ولا يهرمْن، عرباً أتراباً، كأنَّهن الياقوت والمرجان، قال: وانتهينا إلى الكروم والأعناب فقال: يا فديك: لا تنظر إلى المقطوع الممنوع، واعمل لغير المقطوع الممنوع، ثم دخلنا إلى صور، ونحن نريدُ الركوب في البحر للغزو، واجتمعنَا خمسةَ نفر، فقلنا: لا بدّ أن يأتيَ كلُّ واحدٍ بدينارين لأجل المركب، فتفرقنا وقصدَ إبراهيمُ خلاءً من الأرض، وصلَّى ركعتين، والتفتُّ فإذا ما

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٥٧. وليس فيه قوله: لا نُسأل عن حجٍّ ولا زكاة.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٦٨.

(٣) في مناقب الأبرار ١/ ٥٣، وحلية الأولياء ٧/ ٣٩٣، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٧١ من طريق أبي نعيم: في مشرفة بدمشق.

حولَه ذهب يقد، فأخذَ منه دينارين وقال: لا حاجةَ لي في سواهما[١].

في «المناقب» أيضاً عن إبراهيم بن أدهم قال: كنتُ بالبيت المقدَّس، فبتُّ ليلةً تحت الصخرة، فرأيتُ ملكين قد نزلا من السماء، فقال أحدُهما للآخر: مَنْ هاهنا؟ فقال: إبراهيم بن أدهم، قال: ذاك الذي حطَّ الله درجةً من درجاته، قال: ولم؟ قال: لأنَّه اشترى بالبصرة تمراً، فوقعت تمرةٌ من تمر البقَّال على تمره، قال إبراهيم: فانتبهتُ فزعاً، وتجهَّزتُ إلى البصرة، واشتريتُ تمراً من ذلك البقَّال، وألقيتُ على تمره من تمري واحدة، ثمَّ عُدت إلى البيت المقدَّس، فنمتُ تحت الصخرة في ذلك المكان، فلمَّا كان في الليل نزل الملكان، فقال أحدهما لصاحبه: مَنْ هاهنا؟ فقال: إبراهيم بن أدهم. قال: ذاكَ الذي ردَّ الله منزلتَه ورفع درجته؟ قال: نعم[٢].

وحكى في «المناقب» أيضاً عن بقيَّة بن الوليد قال: حدثني إبراهيم بن أدهم قال: تعلَّمتُ المعرفة من راهبٍ يسكنُ ديرَ سمعان[٣]، أُخبِرتُ بصومعتِه، وقلت له: كم لك في هذه الصومعة؟ فقال: منذ سبعين سنة، قلت: فما طعامك؟ فقال: كل ليلة حمصة، قلت: وكيف تقيم صلبك؟ فقال: انظر إلى هذه الأديرة التي حولي، إنَّهم يأتون في السنة إلى صومعتي يوماً واحداً، يزينونها ويعظمونها ويطوفون حولها، يجعلون ذلك اليوم عيداً، فكلَّما ضعفت نفسي من الجوع ذكرتُ ذلك اليوم، فتقوى نفسي، فاحتمل أنت يا حنيفي تعبَ الساعة لعزِّ الأبد. قال: فوقرت المعرفةُ في قلبي، ثمَّ قال: اصبر ترى العجب، ثمَّ ألقى إلي عشرين حمصة، وقال: ادخل هذا الدير، وقل: هذه من قُوتِ الراهب، فإنَّهم قد أبصروني حين ألقيتُها إليك، قال: فأخذتُها ودخلتُ الدير، فقالوا: ما هذه؟ قلت: من قوت الراهب، قالوا: وما تصنع بها؟ نحن أحقُّ بها منك، فبعها منَّا، فبعتُ كل حمصة بدينار، ثمَّ رجعتُ إليه فأخبرتُه، فقال: يا حنيفي، أخطأت، لو طلبتَ منهم عشرين ألف دينار لأعطوك، ثم قال: يا حنيفي هذا عزُّ من لا يعبدُه، فكيف عزُّ من يعبده، قال:

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٥٣_٥٤.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٥٥.

(٣) كذا في (خ). وفي مناقب الأبرار ١/ ٦٣، وحلية الأولياء ٨/ ٢٩: تعلمت المعرفة من راهب يقال له: أبا سمعان.

فانصرفتُ وقد حصلت لي أشياء لم تحصل لي قبلَ ذلك.

وحكى عنه في «المناقب» قال: رأيتُ في النوم جبريل قد نزلَ إلى الأرض، فقلت له: ما تصنع؟ فقال: أكتب أسامي المحبين، قلت: مثل من؟ قال: مثل مالك بن دينار، وثابت البُناني، وأيوب السختياني، وعدَّ جماعةً، قلت: فهل أنا منهم؟ قال: لا. قال: فاكتبني تحتَهم: محبَّ المحبين، فقال: إنَّ الله قد أمرني أن أكتبَك في أولهم[1].

وحكى ابن باكويه الشيرازي عن إبراهيم بمعناها فقال: دخلتُ البصرة فإذا برجلٍ على باب الجامع يكتبُ شيئاً، قلت: ما تكتب؟ قال: أسامي المحبِّين في هذه البلدة، قال: فقلت: هل أنا منهم؟ قال: لا أدري، قلت: اكتب اسمي تحت أساميهم؛ محب المحبين، قال: فرأيت الحق سبحانه وتعالى في المنام في تلك الليلة، فقال: يا إبراهيم قد غفرتُ لك بمحبَّتك للمحبِّين.

وحكى عنه في «المناقب»: ما سررتُ في أسفاري إلَّا ثلاثَ مرات؛ كنتُ في سفينةٍ وفيها رجلٌ مضحاك، فكان يريدُ أن يضحك الجماعة، فيقول: كنَّا نأخذُ العلج من بلاد الترك هكذا، ويأخذُ من شعر لحيتي، ويهزُّ رأسي؛ لأنَّه ما رأى أحقر مني.

والثانية: كنتُ مريضاً في مسجد، فدخلَ المؤذِّنُ فقال: قم واخرج، فلم أقدر على القيام، فجرَّ برجلي وأخرجني من المسجد.

وفي رواية: لَمَّا جرَّ برجلي دخلت شظيَّةٌ من البارِيَّة في عيني فألقاني على باب المسجد، وكانت ليلةً مظلمة، والثلج ينزل، فنمتُ، وقد عاينت[2] من عيني شدَّةً، فرأيت الحقّ سبحانه في منامي، فقال: يا ابن أدهم أكلُّ هذا فيَّ؟ تمنَّ عليّ؟ فقلت: يا إلهي، اغفر لقيِّم المسجد. يعني حيث كان هو السبب في كوني أراك.

والثالثة: كان عليَّ بالشام فروةٌ، فنظرتُ يوماً، فلم أميِّز بين شعرِ الفروة والقَمْل[3].

وحكى عن إبراهيم بن بشار قال: كنَّا إذا سافرنا مع إبراهيم بن أدهم نأخذُ الرُّطَبَ من شجر البلوط[4].

(١) مناقب الأبرار ١/ ٦٦ـ٦٧.
(٢) كذا في (خ).
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٦٩.
(٤) مناقب الأبرار ١/ ٧١.

وحكى أيضاً في «المناقب» عن محمد بن المبارك الصوريّ قال: كنتُ مع إبراهيم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرةِ رمَّان، فسمعتُ صوتاً من الشجرة يقول: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكلَ منَّا شيئاً، فطأطأ إبراهيمُ رأسَه، فعاد ذلك الصوتُ ثانياً وثالثاً، ثمَّ ناداني الصوتُ: يا محمد، كن شفيعنا إليه ليتناول منَّا شيئاً، فقلت: يا أبا إسحاق قد سمعت، فقام ثمَّ أخذ رمَّانتين، فأعطاني واحدة، وأخذ هو واحدة، فأكلتُها وهي حامضة، فكانت شجرةً قصيرةً، فلمَّا عُدنا من الزيارة إذا بها قد طالت وارتفعت، وحسنت وحلا رمانها، وصارت تحملُ في كلِّ سنةٍ مرتين، فكانوا يسمونها شجرة العارفين[١].

وحكى في «المناقب» عن حذيفة المرعشي قال: صحبتُ إبراهيم بن أدهم في طريق مكة وكان يصلِّي عند كل ميلٍ ركعتين، ثمَّ دخلنا الكوفة، فأوينَا إلى مسجد خراب، فنظر إليَّ وقال: يا حذيفة، أرى بك أثرَ الجوع؟ قلت: نعم. فقال: ائتني بدواةٍ وبياض، فأتيتُه بها، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنتَ المقصودُ بكلِّ حال، والمشارُ إليه بكلِّ معنى، وكتب هذه الأبيات: [من الكامل]

أنا حامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكر ... أنا جائعٌ أنا قانعٌ أنا عارِي
هي ستةٌ وأنا الضمينُ لنصفِها ... فكنِ الضمينَ لنصفِها يا جارِي
مدحِي لغيرِكَ لَهْبُ نارٍ خضتها[٢] ... فأجِرْ عبيدَكَ من دخولِ النارِ

ثم دفع إليَّ الورقةَ وقال: لا تعلِّق سرَّكَ بغير الله، واخرج فناوِلها أولَ من تلقاه، قال: فخرجتُ وإذا برجلٍ راكبٍ على بغلة، فناولتُه إيَّاها، فقرأها وبكى وقال: أين صاحب هذه الرقعة؟ قلتُ: في المسجد الفلاني، فأخرجَ صُرَّةً من كمِّه فيها دنانير كثيرة، فدفعَها إليَّ[٣]، فجئتُ إلى إبراهيم فأخبرته، فقال: لا تمسّها فالساعة يأتي، فما كان بأسرع من أن أتى الرجل، فدخلَ المسجد، فقبَّل قدمَيْ إبراهيم وبكى وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحَسُنَ إسلامُه، وأنفقَ ماله على الفقراء، وكان رئيسَ البلد، وصحب إبراهيم بن أدهم[٤].

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٧٢.
(٢) في مناقب الأبرار ١/ ٧٣: خفتها.
(٣) بعدها في مناقب الأبرار ١/ ٧٣، وحلية الأولياء ٨/ ٣٨: فسألت عنه فقيل: هو نصراني.
(٤) في (خ): أحمد. والتصويب من حلية الأولياء ٨/ ٣٨، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٩٨ (مخطوط).

وحكى في «المناقب» عن أبي عمير بن عبد الباقي قال: حصدَ إبراهيمُ بأذنة بعشرين ديناراً، فدخل أذنة ومعه صاحبٌ له، فأراد إبراهيم أن يحلقَ رأسه ويحتجم، فجاء إلى الحجام، فجلسَ بين يديه، فلما رآه الحجام حقره وقال: ما في الدنيا أبغضُ إلي من هؤلاء، ما وجدوا غيري، فحلق رأسَ جماعة وحجمهم، وتهاون بإبراهيم وصاحبه، وإبراهيم ساكت، فلمَّا لم يبق عنده أحد التفتَ إليهما وقال: ما تريدان مني؟ فقال إبراهيم: أحتجم وأحلق رأسي، وقال صاحبه: أمَّا أنا فلا أحتجمُ ولا أحلق رأسي؛ مِمَّا رأى من تهاونِ الحجَّام بهما، فحجمَ إبراهيم وحلقَه، فلمَّا فرغَ قال لصاحبه: ادفع إليه الدنانير، فقال له: حصدت وتعبتَ في الحر، وتعطي هذا الجلف[1] الجافي الذي أهاننا وفعل بنا ما فعل عشرين ديناراً؟ فقال له إبراهيم: اسكت، تركتُه لا يحتقرُ أحداً من الفقراء بعدها.

ثم دخل طَرَسُوس، فقال لصاحبه: خذ من هذه الكتب فارهنهَا على ما نأكل، فخرجَ صاحبه، وإذا بخادمين بين أيديهما جَمَّازاتٌ وخيلٌ وبغال، عليها صناديق فيها أقمشةٌ وستون ألف دينار، وخادم يقول: الذي أبغيه أشقر أحمر، يقال له: إبراهيم بن أدهم، فدلَّه صاحبه عليه، فلمَّا رآه بكى وقال: صرتَ حصَّاداً بعد ملك خراسان، حتى أفضى بك الحال إلى هذا؟! فقال له إبراهيم: ما وراءك؟ فقال: مات الشيخ والدك، فقال له إبراهيم: موته يأتي على كل ما أتيتَ به، فما الذي تريد؟ فقال: أنا عبدك، ولَمَّا مات الشيخ ركب كل واحدٍ من إخوتك هواه، وأخذَ كلُّ واحدٍ من المملكة ما قدر عليه، وأخذت أنا ما ترى، وجئتُ أقيمُ عندكَ في الثغر بعد أن سألتُ العلماء، فقالوا: ما يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، حتَّى ترجعَ إلى مولاك فيحكم فيك، وفيما معك بما أحب، فقال له إبراهيم: إن كنت صادقاً فأنت حرٌّ لوجه الله، وكلُّ ما معك فهو لك، قم واخرج عنِّي، ثمَّ التفتَ إلى صاحبه فقال: رهنت تلك الكتيبات؟ فقال: نعم.فأَحْضَرَ ما رَهنَها عليه، فأكل.

وحكى في «المناقب» عن إبراهيم بن أدهم أنَّه قال: بتُّ[2] ليلةً في المسجد الحرام،

(١) في (خ): الحنف. ولعل المثبت هو الصواب. وانظر الخبر في مناقب الأبرار ١/ ٧٦-٧٧، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٨٨ (مخطوط).

(٢) في مناقب الأبرار ١/ ٨٠: طفت.

وكانت ليلةً مطيرةً مظلمة قد خلا الطواف، وطابت نفسي، فوقفتُ عند الملتزم وقلت: اللهمَّ اعصمني حتَّى لا أعصيك، فهتف بي هاتفٌ: يا إبراهيم، أنت تسألُني العصمةَ، وكلُّ عبادي يسألونها، فإذا عصمتُكم، فعلى من أتفضَّل، ولمن أغفر؟ فبتُّ ليلتي أستغفرُ الله إلى الصباح حياءً من الله تعالى.

وحكى ابن باكويه الشيرازيّ عن شقيق البلخي قال: قال لي إبراهيم: إنَّه لم ينبُل عندهم أو عندنا من نبل بحجٍّ ولا جهاد، إنَّما نُبْلُ من نَبُل من كان يعقلُ ما يدخلُ جوفه، يعني الرغيفين. يا شقيق، ماذا أنعمَ الله على الفقراء، فبكى شقيق وقال: أتعجَّبُ من سماءٍ يسقي غيثُها بلداً ظَعَنتَ منه، وبؤساً لقوم أنت فيهم كيف لا يستسقونَ بك.

وكان شقيق يأخذُ كفَّ إبراهيم ويقبِّلُها ويرفعُها إلى السماء ويقول: بحرمةِ صاحب هذا الكف عندك، وبالسرِّ الذي وجدَه منك، جُدْ على عبدك الفقير بفضلك، وإنْ لم يستحقَّ ذلك.

وحكى جعفر بن أحمد السراج عن إبراهيم قال: طابَ قلبي يوماً مع الله تعالى، وتذكرتُ حسنَ صنيعة ربِّي، فقلت: إلهي إن كنتَ أعطيتَ أحداً من المحبِّين لك[1] ما تسكنُ به قلوبهم قبل لقائِكَ، فأعطني، فقد أضرَّ بي القلق، قال: فرأيتُ الحقَّ سبحانه وتعالى في منامي، فقال: يا إبراهيم، أما استحييت منِّي تسألُني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي؟ وهل يسكنُ قلبُ المحبِّ إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريحُ المشتاقُ إلَّا إلى من اشتاقَ إليه؟ فقلت: يا رب، تهتُ في حبِّك، فما أدري ما أقول.

وحكى ابن أبي الدنيا عن خلف بن تميم قال: كنتُ مع إبراهيم في سفر، فقطعَ السبعُ الطريقَ على القافلة، فقال الناس: يا أبا إسحاق، الأسد، فجاء إليه فقال: يا أبا الحارث، إن كنتَ أُمِرتَ فينا بشيءٍ فامض إلى ما أُمرتَ به، وإلا فتنحّ عن الطريق، فولَّى الأسد وهو يُهمهم.

وحكى عن شعيب بن حرب قال: خرجتُ من الكوفة مع سفيان الثوري نريدُ زيارة إبراهيم بن أدهم، ولم نطعم قبلَ ذلك بثلاثة أيام، فسألنا عن إبراهيم، فدلُّونا عليه، فأتيناه وهو بالمصيصة في الجامع في مشرقةٍ، ورأسُه في ريقه[2] ، فحركته وقلت:

(١) في (خ): له. والمثبت من صفة الصفوة ٤/ ١٥٨.

(٢) كذا، وفي مناقب الأبرار ١/ ٧٨: وهو نائم في الشمس في وسط الجامع في زُرْناقته.

أخوك سفيان جاء إلى زيارتك، فقام وسلَّم عليه واعتنقا وجلسا يتذاكران، ثمَّ قام وقمنا معه، فأكرينا نفوسَنا في الحصاد؛ كلُّ واحدٍ بدرهم، وأكرى إبراهيمُ نفسه بثلثي درهم، فلما كان عند المساء قال سفيان: امضِ واشتر لنا ما نفطرُ عليه، قال: فاشتريتُ لهم طعاماً، فلمَّا صلَّينا العشاء قال سفيان لإبراهيم: كل، فقال إبراهيم: لا، بل أنت كل، فأنت أعلمُ منِّي وأكبر فما أتقدمك، فقال سفيان: إنَّا قد حصدنا وأجهدنَا أنفسنا، فقال إبراهيم: فهل تضمنُ أنَّا نصحناه؟[1] فقال سفيان: لا أدري، فقال إبراهيم: لا حاجةَ لي فيه، فقال سفيان: ولا أنا أرغبُ فيما زهدتَ فيه، فتصدَّقنا بالطعام، وبتنَا طاويين.

وحكى ابنُ باكويه الشيرازي عن ابن بشار قال: حدَّثني إبراهيم بن أدهم قال: مررتُ في بعض بلادِ الشام في بعض الجبال، وإذا بحجرٍ مكتوب عليه نقشٌ بالعربية بَيِّن: [من مجزوء الخفيف]

كلُّ حيٍّ وإن بقي ... فمنَ العمرِ يستقِي
فاعمل اليومَ واجتهد ... واحذر الموتَ يا شقِي

فبينا أنا واقفٌ أقرأ وأبكي إذ أتاني رجلٌ أشعث أغبر، عليه مِدْرَعَةٌ من شعر، فسلَّم عليَّ فرددتُ عليه، فقال: ما يبكيك؟ قلت: قرأتُ هذين البيتين فبكيت، فقال: وأنت لا تتعظ حتى توعظ؟ سر معي حتى أريك غيره، فمضيتُ معه غير بعيد وإذا بصخرةٍ عظيمةٍ شبه المحراب، فقال: اقرأ وابك ولا تقصر، ثمَّ قام يصلِّي وتركني، وإذا في أعلاها نقش عربي: [من الكامل]

لا تبتغي جاهاً وجاهُك ساقطٌ ... عند المليكِ وكنْ لجاهكَ مصلحا

وفي الجانب الأيمن مكتوب: [من مجزوء البسيط]

من لم يثق بالقضاءِ والقدر ... لاقى أموراً كثيرةَ الضررْ

وعلى الجانب الأيسر مكتوب:

ما أزين التُّقى وأقبحَ[2] الخنا، وكلٌّ مأخوذٌ بما جنى، وعند الله الجزاء.

---

(١) قائله كما في مناقب الأبرار ١/ ٧٩: سفيان.

(٢) في حلية الأولياء ٨/ ١٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٠٤: وما أقبح.

وفي أسفلها مكتوب: [من مجزوء الخفيف]

إنَّما الفوزُ والغنى في تقى الله والعملْ

ثم التفتُّ فلم أره، فلا أدري مضَى أو حُجِب عني.

وحكى ابن باكويه عن ابن بشار قال: سمعتُ إبراهيم ينشد: [من البسيط]

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضُوا بالعيشةِ الدونِ

فاستغنِ بالله عن دنيا الملوكِ كما استغنى الملوك بدنياهُم عن الدِّينِ

ذكر نبذةٍ من كلامه:

حكى في «المناقب» عن ابن بشار قال: دخلتُ على إبراهيم وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: بؤساً لأهل النار، لو نظروا إلى زوَّارِ الرحمن، وقد حُمِلوا على نجائب مرحَّلة بالدرِّ والياقوت والمرجان، يزفُّون إلى الله زفًّا، وقد نُصبت لهم المنابر، ووُضعت لهم الكراسي، وأقبلَ عليهم الجليل بوجهِه الكريم يقول: إليَّ إليَّ يا عبادي المطيعين، إليَّ إليَّ يا أوليائي المشتاقين، إليَّ إليَّ يا أحبائي المقرَّبين وأصفيائي الصادقين، ها أنا ذا فاعرفوني، من كان منكم مشتاقاً فليتمتَّع بالنظر إلى وجهي، فوعزَّتي وجلالي لأفرحنَّكم بجِواري، ولأونسنَّكم بقربي، ولأبيحنَّكم دارَ كرامتي، من الغرفات تشرفون، وعلى الأسرَّة تتكئون، مقيمون لا تظعنون، آمنينَ لا تخافون ولا تحزنون، تصحُّون لا تسقمُون، وللنعيم لا تسأمون، كلُوا واشربُوا هنيئاً بما كنتم تعملون[1].

وقال ابن بشار: سُئِل إبراهيم: لم حُجِبت القلوبُ عن علَّام الغيوب؟ فقال: لأنَّها أحبَّت ما أبغضَ الله، وآثرت دارَ الغرور، وتركتِ العملَ لدارٍ فيها حياةُ الأبد في نعيمٍ لا يزول ولا ينفد.

قال: وقال: من ذلَّل نفسَه رفعَه مولاه، ومن اتَّقاه وقاه، ومن أطاعه نجَّاه، ومن أقبل عليه أرضَاه، ومن توكَّل عليه كفاه، ومن سألَه أعطاه، ومن شَكرهُ جازاه.

قال: وقيل له: أنت عبدٌ؟ قال: نعم، قال: لمن؟ فلمَّا أراد أن يقول غُشي عليه، فلمَّا أفاق قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ الآية [مريم: ٩٣].

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٧٩.

وقال ابن بشَّار: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: ليسَ من علامة المحبَّة أن نحبَّ ما أبغضَ حبيبُنا، إنَّ مولانا ذمَّ الدنيا فمدحناها، وزهَّدنا فيها فآثرنَاها، ونهانا عنها فطلبنَاها، دعتكُم دواعيها، فأجبتم مسرعين مناديها، تتقلَّبون في شهواتها، وتتلوَّثون بتبِعاتها [تبنون] بالغفلة مساكنَها، وتعمرونَ بها مواطنها، أتطمعونَ في مجاورةِ الحقِّ سبحانَه في دارِه التي دَوَّرها لأوليائه، وتأملون أن تحطُّوا رحالَكم في منازل قربه، وأنتم غرقَى في بحار الدنيا، قتلى بسيوف الطمع والهوى، مِنْ جَمْعِها ما تشبعون، ومن التنافسِ عليها ما تملُّون(١).

وقال: أطبْ مطعمَك، ولا عليك أنْ [لا](٢) تقومَ الليل وتصومَ النهار.

وقال ابنُ بشَّار: وقال له رجلٌ: أوصني، فقال: اعلم أنَّك لن تنالَ درجةَ القوم حتى تجوز ستَّ عقاب: تُغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدَّة، وتُغلق باب العز، وتفتح باب الذلّ، وتغلق باب الرَّاحة، وتفتح باب الجهد والعناء، وتغلق باب النوم، وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للأجل(٣).

قال: ومرَّ إبراهيمُ بسوقِ البصرة، فقام إليه الناس فقالوا: يا أبا إسحاق، اللهُ تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ونحن ندعوه فلا يستجاب لنا، فقال: قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء:

أحدها: أنَّكم ادعيتم معرفةَ الله ولم تؤدُّوا حقَّه.

والثاني: قرأتم كتابه ولم تعملوا به.

والثالث: ادَّعيتُم طاعةَ رسوله(٤)، وتركتم سنته.

والرابع: أنَّكم ادعيتم عداوة الشيطان، ووافقتموه.

والخامس: أنَّكم تيقنتم الجنَّة، ولم تعملوا لها.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤، ومناقب الأبرار ١/ ٦١، وما بين حاصرتين منهما.

(٢) ما بين حاصرتين من حلية الأولياء ٨/ ٣١، ومناقب الأبرار ١/ ٥٢.

(٣) مناقب الأبرار ١/ ٥٢.

(٤) في حلية الأولياء ٨/ ١٦، ومناقب الأبرار ١/ ٥٥ : ادعيتم حبَّ رسول الله ﷺ.

والسادس: ادَّعيتم أنَّكم تخافونَ من النار، وألقيتم نفوسَكم فيها.

والسابع: علمتم أنَّ الموتَ حقّ، ولم تستعدوا له.

والثامن: اشتغلتُم بعيوب إخوانكم، ونبذتم عيوبَ أنفسكم.

والتاسع: أكلتُم نعمةَ ربِّكم، ولم تشكروه.

والعاشر: دفنتُم موتاكم ولم تعتبروا.

وقال ابن بشار: كان إبراهيمُ يتمثَّل دائماً بهذين البيتين: [من البسيط]

ولقمةٌ بجريشِ الملحِ آكلها ... ألذ من تمرة تُحشى بزنبُورِ[1]

كم لقمةٍ جلبتْ حتفاً لصاحِبِها ... كحبَّةِ القمحِ دَقَّت عُنْقَ عصفورِ

قال: وقال: إن أدمنتَ النظرَ في مرآة التوبة بانَ لك قبيحُ المعصية.

قال: وقال: من أحبَّ أن يكونَ وليًّا لله فليدعِ الدُّنيا والآخرة.

وكتب إليه الأوزاعيُّ: إنِّي أريدُ أن أصحبَك، فكتبَ إليه إبراهيم: الطيرُ إذا طارَ مع غير شكلِه من الطيور طار وتركه.

قال: وقال: إنَّ الصائمَ القائمَ الحاجَّ المعتمر مَنْ أغنى نفسَه عن الناس.

قال: وقال: أعربنَا الكلامَ فما نلحن، ولحنَّا في الأعمالِ فما نُعرِب.

قال: وقيل له: اللحمُ قد غلا، فقال: أرخصُوه.

وصحبَه رجل، فلمَّا أراد أن يفارقَه قال له: يا أبا إسحاق، هل وجدتَ فيَّ عيباً؟ فقال له إبراهيم: إنِّي لحظتُك بعين الوداد، فاستحسنتُ كلَّ ما بدا منك، فسل غيري عن عيبك.

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها فقال الواقدي: مات سنة ستين ومئة، وقال البخاريُّ: سنة إحدى وستين ومئة.

واختلفوا في أيِّ مكانٍ توفي، فروى الحافظُ ابن عساكر عن أبي عبد الله الجُوْزَجاني رفيق إبراهيم بن أدهم قال: مرضَ ونحن في بعض الجزائر، فقال: أروني القوسَ،

---

(١) المراد بالزنبور هنا التين الحلواني. انظر القاموس (زنبر).

فقبضَ عليها ومات، فدفنَّاه في بعض جزائر البحر في الروم[١].

قال: وقال البخاري: دُفِنَ في بلاد الروم عند حصن يقال له: سوس[٢].

قال: وقال الربيع بن نافع: دفنَ بساحل البحر، وقيل: إنه توفي بجزيرةٍ من جزائر البحر، وحمل إلى صور، فدفن بمكانٍ يقال له: مدفلة.

قلت: وقد رأيتُ بجبلة قبراً يقال: إنَّه قبرُه، وهو ظاهرٌ يزار.

أسند إبراهيم عن قتادة وأبي إسحاق السبيعي، وأبي حازم، والثوريّ، والفضيل بن عياض، ومالك بن أنس[٣]، ومالك بن دينار، والأعمش، ومقاتل بن حيَّان وغيرهم، وإنما قلَّت رواياتُ ابن أدهم؛ لأنَّه شغلته العبادةُ وطلبُه الحلال، والتدقيقُ في باب الورع عن ذلك.

ومن رواياتِه عن قتادة قال: بلغني أنَّه كان في بني إسرائيل رجلٌ ذبحَ عجلاً بين يدي أمِّه، فأيبسَ الله يده، فبينما هو ذات يومٍ جالسٌ إذ سقط فرخٌ من وكره وهو يبصبص إلى أبويه، وهما يبصبصان[٤] عليه، فأخذَه فردَّه إلى وكره رحمةً له، فرحمه الله، وردَّ عليه يديه[٥] رحمةً له بما صنع.

وقال الحافظ ابن عساكر: روي عن الشافعيِّ أنَّه قال: كان سفيان معجباً بإبراهيم بن أدهم، وكان إذا ذكره قال: أجاعتهم الدنيا فجاعوا، وخافُوا من النار فأمنوا، ثم ينشدُ يقول: [من الطويل]

أجاعتهم الدُّنيا فجاعُوا ولم يَزلْ ... كذاك أخو التَّقوى عن العيش مُلْجَما
أخو طَيِّئٍ داود منهم ومسعر ... ومنهم وهيبٌ والغريب[٦] ابن أدهمَا
أولئك أصحابي وأهلُ مودَّتي ... فصلَّى عليهم ذو الجلال وسلَّما

انتهت ترجمتُه رحمة الله عليه.

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٠٨ (مخطوط).

(٢) في تاريخ دمشق ٢/ ٤٠٨، وتهذيب الكمال: ودفن بسوقين، حصن ببلاد الروم.

(٣) لم أقف على من ذكر له رواية عن مالك بن أنس.

(٤) في شعب الإيمان (١٠٥٧١) ـ طبعة مكتبة الرشد ـ: يتبصبص... يتبصبصان.

(٥) كذا في (خ). وفي شعب الإيمان: يده.

(٦) في تاريخ دمشق ٢/ ٤٠٨ (مخطوط): والعريب.

الحسن بن عجلان

أبو سعيد الجُفْري، أحدُ الأبدال.

رَوى أبو نعيم عن أبي عمران التمَّار قال: غدوتُ ليلةً قبل الفجر إلى مسجد الجُفْري، وإذا باب المسجد مغلق، وسمعتُ ضجَّةً في المسجد وجماعةً يؤمِّنون على دعائه، ثم هدأت الضجَّة، وفَتحَ الباب، فدخلتُ فلم أر أحداً، فلما طلعَ الفجر وصلَّى بالناس وتفرَّقوا، قلت له: يا أبا سعيد، إني رأيت عجباً، وسمعت عجباً، فقال: ما رأيت وما سمعت؟ فأخبرته قال: أولئك جنٌّ نصيبين يأتون إلى هاهنا، فيشهدون ختمَ القرآن في كلِّ ليلة جمعة(١).

وروى الحسن عن أبي الزبير وثابت البُناني وغيرهما(٢).

زمعة بنُ صالح المكِّيّ

من الطبقة الرابعة من أهل مكَّة، وكان من العبَّاد.

قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعةُ عندنا نازلاً، وكان له أهل وبنات، وكان يقومُ الليل فيصلِّي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته:

يا أيها الركب المعرسون ... أكل هذا الليل ترقدون
ألا تقومون فترحلون

قال: فيتواثب الناس من كلِّ ناحيةٍ، فمن هنا باك، ومن هنا داعٍ، ومن هنا قارئ، ومن هنا متوضِّئ، فإذا طلعَ الصباح نادى بأعلى صوته: [من الرجز]

عند الصباحِ يَحمدُ القومُ السُّرى(٣)

أسندَ زمعةُ عن ابنِ طاوس وغيره، ورَوى عنه وكيع(٤).

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠، والمنتظم ٨/ ٢٤٢.

(٢) انظر ترجمته أيضاً في تهذيب الكمال ٦/ ٧٣ وغيره.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، والمنتظم ٨/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وانظر الرجز في مجمع الأمثال ٢/ ٣، فقد نقل عن المفضل أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٤) انظر ترجمته أيضاً في تهذيب الكمال ٩/ ٣٨٦.

شعبةُ بن الحجاج بن ورد

ولد بواسط سنة ثلاثٍ وثمانين، ونشأ بها، ثمَّ انتقلَ إلى البصرة.

ذكرهُ ابنُ سعد في الطبقة الخامسة من أهل البصرة وقال: هو من الأزد، وكان شعبة أكبر من سفيان بعشر سنين، وكان ثقةً مأموناً، صاحب حديث، وهو من الأزد، مولى للأَشاقر مولى عِتَاقة، ويكنى أبا بسطام، وتوفي شعبة في سنة ستين ومئة بالبصرة، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.

قال: وقالت لي أمي: ها هنا امرأةٌ تحدِّثُ عن عائشة، فاذهبْ فاسمع منها، فذهبت فسمعتُ منها. وهذا قول ابن سعد[١].

وذكره الخطيب فقال: شعبةُ بن الحجاج العتكيُّ مولاهم، واسطيُّ الأصل، بصريُّ الدار.

كان يصوم الدهر، ولقد عبدَ الله حتى جفَّ جلده على عظمه[٢].

وكان المهديُّ يحترمُه، وسمع منه أحاديث.

قال: وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلتُ على شعبة في وقتٍ قطّ إلَّا رأيتُه يصلي.

قال: وكانت ثيابُه تساوي عشرةَ دراهم، إزارُه وقميصُه ورداؤه، وكان كثيرَ الصدقة[٣].

وقال الخطيب عن قُراد أبي نوح قال: رأى عليَّ شعبةُ قميصاً فقال: بكم اشتريتَ هذا؟ قلت: بثمانية دراهم، فقال: هلَّا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم، وتصدَّقت بأربعة[٤].

وقال الأصمعيُّ: كان زاهداً عابداً عالماً، لم يكن في زمانه أعلمَ منه بأشعار العرب.

وقال الخطيب: وهبَ المهديُّ لشعبةَ ثلاثين ألف درهم، فقسمها، وأقطعَهُ ألفَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٨٠ ـ ٢٩٠.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٣، ٣٦٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦١.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٢.

جَريب بالبَصْرة، فلم يجد شيئاً يطيبُ منها، فتركَها[١].

وقال الخطيب: قدم شعبةُ بغداد مرتين، وحدَّث بها، وكان قدومُه إليها بسبب أخٍ له حُبِس بدَيْن كان عليه، فقال سفيان الثوري: هو ذا شعبة قد جاء إليهم، فبلغ شعبة فقال: هو لم يحبس أخوه، وأمروا له بشيءٍ فلم يأخذه حتى مات[٢].

وكان الثوري يقول: شعبةُ أستاذنا، وهو أميرُ المؤمنين الصغير في الحديث.

فقال الخطيب: خرجَ الليثُ بن سعد يوماً، فقوَّموا ثيابَه ودابَّته وخاتمَه وما كان عليه بثمانية عشر درهماً درهم إلى عشرين ألفاً[٣]، وخرج شعبة يوماً، فقوَّموا ثيابه وحماره وسرجَه ولجامَه ستَّةَ عشر درهماً[٤].

قال: وكان شعبة يسمَّى إمامَ المتقين[٥].

وقال الثوريُّ: ما رأيتُ أورعَ من شعبة، كان إذا شكَّ في الحديث تركه.

وقال ابن المبارك: كنتُ عند سفيان الثوري، فجاءه نعيُ شعبة، فقال: اليوم مات الحديث[٦].

عبد الرحمن بن عبد الله

ابن عُتبة بن عبد الله بن مَسْعود الهُذَليّ.

ذكره ابنُ سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة، قال: ويقال له: المَسْعوديّ. ماتَ ببغداد، وكان كثيرَ الحديث، إلَّا أنَّه اختلطَ في آخر زمانه[٧].



(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٤.

(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٢ : ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفاً.

(٤) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٢ : ثمانية عشر درهماً إلى عشرين درهماً.
وفيه أن حمار شعبة وسرجه ولجامه وثياب بدنه وخفه ونعله بيعت بستة عشر درهماً.

(٥) سماه بذلك يحيى بن معين. انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٦.

السنة الحادية والستون بعد المئة

فيها خرجَ المقنَّع الخارجي بخراسان ـ واسمه حكيم ـ بقريةٍ من قرى مرو، وكان يقولُ بتناسخ الأرواح، فاستغوَى خلقاً كثيراً، واستفحلَ أمرُه، وسار إلى ما وراء النهر، فبعثَ المهديُّ لقتاله جماعةً من القوَّاد، فيهم معاذ بن مسلم، وكان على خراسان، وعقبة بن مسلم، وجبريل بن يحيى، وليث مولى المهدي، وقدَّم المهدي سعيدَ الحَرَشيّ على الجميع، فتحصَّن المقنَّع بقلعة بِكَشٍّ، وعنده ما يحتاجُ إليه من الميرةِ والطعام.

وفيها أمر المهديُّ ببناء القصور التي كانت بطريق مكَّة في القادسية وزُبالة وغيرهما، وأقام المنار، واتخذَ المصانعَ في كل منهل، وجدَّد البرك، وحفر الركايا، وولَّى ذلك أبا موسى بن موسى وأخاه.

وأمرَ المهديُّ ببناء[1] جامع البصرة، وزادَ فيه مِمَّا يلي القبلة، وعن يمينه ممَّا يلي رَحبة بني سُليم، وولّى عمارةَ ذلك محمد بن سليمان، وهو يومئذٍ والي البصرة.

وفيها أمرَ المهديُّ بنزعِ المقاصير من مساجد الجماعات، وتقصيرِ المنابر، وتصييرها إلى المقدارِ الذي كان عليه منبرُ رسول الله ﷺ، وكتبَ بذلك إلى الآفاق، فعَمِلوا به.

وفيها زاد المهدي في المسجد الحرام ومسجد المدينة.

وحجَّ بالناس موسى بن المهدي، وهو وليُّ عهد أبيه.

وكان العامل على مكَّة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى اليمن علي بن سليمان، وعلى الكوفة إسحاق بن الصبَّاح[2].

وفيها توفي

أبو دُلَامة

الشاعر الكوفي، مولى بني أسد.

---

(١) أي بالزيادة فيه. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣٦، والمنتظم ٨/ ٢٤٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٤١، والمنتظم ٨/ ٢٥١.

واختلفوا في اسمه، والمشهور زند بنون، وأبوه اسمه الجون. وقيل: اسم أبي دلامة زبد، بباء[١].

وكان عبداً مولداً حبشياً، [لرجل][٢] من أهل الرقة، يقال له قُصاقص بن لاحق الأسدي.

وكان فصيحاً خليعاً ماجناً، ولم يكن له في دولة بني أمية ذكرٌ، فلمَّا ظهرت دولة بني العباس انقطعَ إلى أبي العباس وأبي جعفر والمهدي، فكانوا يقدِّمونَه ويستظرفون نوادره.

ذكر طرف من أخباره:

روى الخطيب عن الأصمعي قال: أمر المنصور أبا دُلَامة بالخروج نحو عبد الله بن علي، فقال له أبو دُلامة: نشدتُك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني في شيءٍ من عساكرك، فإنِّي شهدتُ تسعة عساكر انهزمت كلُّها، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر، فضحكَ منه وأعفاه[٣].

وحكى الخطيب عن العتَّابي قال: دخل أبو دُلامة على المهديّ، فطلب منه كلباً للصيد، فأمر له به، فقال: وأين قائده؟ فأعطاه، قال: وأينَ الجاريةُ التي تطبخُ الصيد، فأمر له بها، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أقطعني ضيعةً أعيشُ فيها، فقال: قد أقطعتُك مئة جريب من العامر، ومئةً من الغامر، قال: وما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا يُنبت. قال أبو دلامة: فقد أقطعتُ أميرَ المؤمنين خمسَ مئة جريب من الغامر من أرض بني أسد، ثم قال له المهديّ: هل بقيت لك حاجة؟ قال: نعم، تأذنُ لي في تقبيلِ يدك، قال: ما إلى ذلك سبيل، فقال: والله ما رددتني عن حاجةٍ أهونَ فقداً عليَّ منها[٤].

وفي رواية: ما على عيالي أيسرَ من ترك هذه الحاجة.

---

(١) كذا ضبطها الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٥١٧ بالباء المنقوطة بواحدة، وفي الأغاني ١٠/ ٢٣٥: زيد بالياء، ورجحا الأول.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٥١٧.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٥٢٢.

وحكى الأصمعي قال: كساه أبو جعفر ساجاً، فشرب ليلةً فسكر، وخرجَ فأخذه العسس، فجاذبوه فخرَّقوا الساج، وكتبَ صاحب العسس إلى المنصور فأخبره فقال: احبسه في بيت الدجاج لتصغرَ نفسه عنده، فحبسَه فيه، فلمَّا كان في بعض الليل صحا فنادى جاريتَه، فشتمَه السجَّان، فلمَّا رأى نفسَه في بيت الدجاج قال للسجَّان: ويحك من أدخلني هاهنا؟ فقال: أعمالك الخبيثة، فقال: ائتني بدواة وبياض، فأتاه بها، فكتبَ: [من الوافر]

أمن صهباءَ صافيةِ المزاجِ ... كأنَّ شُعاعها لهب السِّراجِ
تهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت تَرَقْرَقُ في الزُّجَاجِ
وقد طُبِخت بنار الله حتَّى ... لقد صارت من النُّطَفِ النِّضَاجِ
أميرَ المؤمنين فدتكَ نفسي ... علامَ حبستني وخَرَقْتَ ساجِي
أُقادُ إلى السُّجون بغير ذنبٍ ... كأنِّي بعض عُمَّال الخراجِ
ولو معهم حُبِستُ لهان وجدي ... ولكنِّي حُبِستُ مع الدَّجَاجِ
دجاجات يطيفُ بهنَّ ديكٌ ... يُناجي بالصياح إذا يناجِي
وقد كانت تخبِّرُني ذُنوبي ... بأنِّي من عذابِك غيرُ ناجِ
على أنِّي وإنْ لاقيتُ شراً ... لخيرِك بعدَ ذاكَ الشرِّ راجِي

وقال للسجَّان: أوصل هذه إلى أمير المؤمنين ولك صلة، فأوصلَها إلى المنصور، فقرأَها وأمر بإحضاره، فقال: أين بتَّ البارحة؟ قال: مع الدجاج، فقال: ما كنتَ تصنع، فقال: بتُّ أقوقي معهنَّ إلى الصباح، فقال: لعلك بِضْتَ شيئاً من البيض؟ فقال: نعم اثنتان، فضحك واستتابه، ووصلَه[1].

وقيل: إنَّ هذه الواقعةَ جرت لأبي دُلامة مع المهدي، وأن المهديَّ أمرَ بتخريق ساجه، ولهذا قال: وخرقتَ ساجي[2].

وقال الأصمعي: كان أبو دلامة قليل الصلاة مدمناً على شربِ الخمر، فألزمَه أبو جعفر المنصور الصلوات، ومنعَه من الشُّرب، وحبسَه في قصره، فقال ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

(١) انظر الخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٥١٩-٥٢٠، والأغاني ١٠/ ٢٥١-٢٥٢.
(٢) انظر العقد الفريد ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

ألـم تـريـا[١] أنَّ الإمـامَ أقـامـنـي[٢] بـمـسـجـدِه والـقـصـرِ مـا لـي ولـلـقـصـرِ
يـكـلِّـفـنـي الأولـى جـمـيـعـاً وعَـصْـرهـا فـويـلـي مـن الأُولـى وويـلـي مـن الـعـصـرِ
ويـمـنـعـنـي عـن مـجـلـسٍ أسـتـلـذُّه وأكـرمُ فـيـه بـالـسـمـاعِ وبـالـخـمـرِ
ومـا ضـرَّهُ والله يـغـفـر ذنـبـه لـو انَّ ذنـوبَ الـعـالـمـينَ عـلـى ظـهْـرِي

وبعثَ بها إلى أبي جعفر فقرأها وقال: قاتلَه الله، يحملُ ما أراد، دعوه.

وحكى الأصمعيُّ أيضاً قال: دخلَ أبو دلامة يوماً على المهدي في خلافته وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: ماتت أم دُلامة، فاغتمَّ المهدي، وأعطاه أربعة آلاف درهم وثياباً برسم الكفن، فخرجَ من عنده، وقال لامرأته: قومي فادخلي على الخيزران، وقولي لها: مات أبو دُلامة، ففعلت، فأعطتها مثلَ ما أعطاه المهدي، واتَّفق دخولُ المهدي على الخيزران، فعزَّته في أبي دلامة، فقال: الساعة خرجَ من عندي وأخبرني بموتِ امرأته، وأعطيته كذا وكذا، فقالت: والساعةَ كانت عندي امرأتُه، وأخبرت أنَّه مات، وأعطيتُها كذا وكذا، فقال المهدي: عملونا[٣] والله، فلما كان بعد يومين دخلَ على المهديّ فقال له: يا أبا دُلامة أحياةٌ بعد الموت؟ فقال: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] فضحكَ المهديُّ ولم يقل شيئاً.

وقال الهيثم بن عديّ: دخل أبو دلامة على أبي جعفر فأنشده:

لـو كـان يَـقـعـدُ فـوقَ الـشـمـس مـن كَـرَمٍ قـومٌ لـقـيـل اقـعـدوا يـا آلَ عـبـاسِ
ثـمَّ ارتـقُـوا فـي شـعـاعِ الـشـمـس كـلُّـكـم إلـى الـسـمـاء فـأنـتُـم سـادة الـنـاسِ

فقال له أبو جعفر: حدث أمر؟ قال: نعم وَلدت لي البارحةَ ابنةٌ، فقلت فيها هذين البيتين: [من الوافر]

فـمـا ولـدتـك مـريـمُ أمُّ عـيـسـى ولـم يـكـفـلـك لـقـمـانُ الـحـكـيـمُ
ولـكـن قـد تـضـمُّـك أمُّ سـوءٍ إلـى لَـبَّـاتـهـا وأبٌ لـئـيـمُ[٤]

(١) في (خ): تر. والمثبت من الأغاني ١٠/ ٢٤٨.
(٢) في الأغاني ١٠/ ٢٤٨: أن الخليفة لزَّني.
(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ بغداد ٩/ ٥٢٢ ـ من غير طريق الأصمعي ـ: خدعانا والله.
(٤) انظر الأغاني ١٠/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، وتاريخ بغداد.

فضحكَ أبو جعفر وأعطاه ألفي درهم.

وذكر في «العقد» أنَّ هذه الواقعة كانت مع المهدي، وأنَّ أبا دلامة خاطَ خريطة من شقائق النعمان[١]، ولَمَّا دخلَ على المهدي أنشده البيتين، وأنَّ المهدي قال له: أتريد أن أعينك على تربيتها؟ قال: نعم. وكانت الخريطةُ بين أصابعه، فقال: يا أمير المؤمنين، املأ لي هذه الخريطة دراهم، فاستصغرها المهديُّ وقال: وما عسى أن تسعَ هذه؟ فقال أبو دلامة: من لم يقنعْ بالقليل لم يقنع بالكثير، فأمر أن تملأ، فلما نشرت ملأت صحنَ الدار، فدخل فيها أربعةُ آلاف درهم، وقال المهدي: أعطوه إيَّاها[٢].

وقال الأصمعيُّ: لقي أبو دلامة معنَ بن زائدة في الصيد، فأخذ بعنان فرسه وقال: [من الكامل]

إنِّي حلفت بإنْ رأيتُك سالماً ... بقُرَى العراقِ وأنت ذو وَفْرِ
لتصلينَّ على النبيِّ محمدٍ ... ولتملأنَّ دراهماً حِجْرِي

فقال له معن: أمَّا الصلاة فنعم، وأمَّا الدراهم فلمَّا نرجع من الصيد، فقال: جعلت فِداءك، لا تفرِّق بينهما، فاستسلفَها له، وصَبَّها في حجره حتى أثقله[٣].

وحكى المبرد عن الأصمعيِّ قال: أمر أبو جعفر أصحابَه بلبس القلانس الطِّوال، ودراريع بين أكتافها مكتوبٌ فيها هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وأمر بشدِّ السيوف في أوساطهم، فدخلَ أبو دلامة يوماً عليه وهو في ذلك الزيّ، فقال له أبو جعفر: كيف أصبحت؟ فقال: بشر حال، قال: وكيف؟ قال: ما ظنُّك بمن أصبحَ وجهُه في وسطه، وسيفُه في استه، وقد نبذَ كتاب الله وراءَ ظهره؟ فضحك أبو جعفر، ووصلَه[٤].

ولأبي دُلَامة شعرٌ في القلانس الطوال وهو:

وكنا نرجِّي من إمامٍ زيادةً ... فزادَ الإمامُ المصطفى في القلانسِ

---

(١) كذا. وفي العقد الفريد ١/ ٢٦٠: خريطة من شقق. وفي تاريخ بغداد ٩/ ٥٢١: من خرق.
(٢) العقد الفريد ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٣) ذكر الخبر بنحوه الأصفهاني في الأغاني ١٠/ ٢٥٣ لكن القصة فيه مع المهدي لا مع معن، وذكره ابن عبد ربه في العقد ١/ ٢٦٣، والخبر فيه مع أبي دُلف والي العراق. والله أعلم.
(٤) انظر الأغاني ١٠/ ٢٣٦، والعقد الفريد ١/ ٢٦٤.

تـراهَـا عـلـى هـامِ الـرجـال كـأنَّـهـا   دنـانُ يـهـودٍ جُـلِّـلـت بـالـبـرانـسِ

وقد ذكرنا البيتين في سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة[١].

وقال الأصمعي: اشترى أبو دلامة جاريةً بألفي دينار، ولم يكن معه ثمنُها، فكتبَ إلى العباس بن أبي جعفر المنصور أبياتاً يتقاضاه بثمنها، منها ما يقول: [من البسيط]

أبـصـرتُ جـاريـةً مـحـجـوبـةً لـهـمُ   تطلَّعت من أعالي [القصر] ذي الشُّرفِ

قالوا لك الخيرُ ما أبصرتَ قُلت لهم   حبيبةً[٢] أقصدتني من بني خَلَفِ

فـقـام شـيـخٌ دهـي[٣] مـن تِـجـارهـم   قـد طـالـمـا خـدعَ الأقـوامَ بـالـحَـلِـفِ

فـابـتـاعـهـا لـي بـألـفـي أحـمـر فـغـدا   بـهـا إلـيَّ وألـقـاهَـا عـلـى كـتـفِـي

بـتـنـا كـذلـك حـتـى جـاءَ صـاحـبُـهـا   يبغي الـدنـانـيرَ بـالـميزان ذي الكَفَفِ

فإنْ تـصـلـنِـي قـضـيـتُ الـقـومَ حـقَّـهـم   وإن تـقـل لا فـحـقُّ الـقـومِ فـي تَـلَـفِ

فبعثَ إليه العباسُ بألفي دينار.

وأبو دلامة هو الذي قالتْ له أمُّ سلمة امرأة أبي العباس السفاح: يا أبا دلامة، ما حزنَ على أمير المؤمنين أحدٌ مثلي ومثلك، فقال: يا ستِّي، أنت لك منه أولاد، وأنا ما لي منه ولد، فضحكَتْ، ولم تكن ضحكت قبل ذلك. وقد ذكر ذلك.

وقال الهيثم: ماتَ أبو دلامة في هذه السنة، ويقال: إنَّه عاش إلى أيَّام هارون الرشيد. انتهى.

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

ذكرهُ ابنُ سعد في أوَّل الطبقةِ السادسة من أهل الكوفة، ويكنَى أبا عبد الله.

[قال][٤]: وقال محمد بن عمر: وُلدَ سنة سبعٍ وتسعين في خلافة سليمانَ بن عبد

---

(١) ص٢٤٢ من هذا الجزء.

(٢) في العقد الفريد ١/ ٢٦٥: جَنِيَّة.

(٣) في الأغاني ١٠/ ٢٦٧، والعقد الفريد ١/ ٢٦٥: بهيٌّ. وما بين حاصرتين منهما.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٢.

الملك، وكان ثقةً مأموناً كثيرَ الحديث، وأجمعوا على أنه توفِّي بالبصرة وهو مستخفٍ في شعبان سنة إحدى وستين ومئة في خلافة المهدي.

قال: وكان سفيان يقول: وجدتُ قلبي يصلحُ بمكَّة والمدينة مع قومٍ غرباءَ أصحاب بيوت.

قال: وكان سفيان يقول دائماً: سَلِّم سَلِّم.

قال: وكان سفيان يتَّجِر، ويفرِّق الربحَ على إخوانه الفقراء.

وكان له ابنٌ ليسَ له غيرُه، فكان سفيان يقول: ما في الدنيا شيءٌ أحبَّ إليَّ منه، وإنِّي لأحبُّ أن أقدِّمه، قال: فماتَ ابنُه ذاك فجعلَ كلَّ شيءٍ لأختِه وولدها، ولم يورِّث أخاهُ المبارك بن سعيد شيئاً .

وطُلِبَ سفيان في أيَّام المهدي، فخرجَ إلى مكَّة، فكتبَ المهديُّ إلى محمد بن إبراهيم يطلبُه، فبعثَ محمد إلى سفيان وأعلَمه، قال: إنْ كنتَ تريدُ إتيانَ القوم فاظهر حتى أبعثَ بك إليهم، وإنْ كنتَ لا تريدُ إتيانهم [فتوار، قال:][1] فتوارى سفيان، وطلبَه محمدُ بن إبراهيم، وأمر منادياً ينادي بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متوارياً بمكَّة لا يظهر إلَّا لأهل العلم ومن لا يخافه.

وقال أبو شهاب الحنَّاط: بَعَثَتْ أختُ سفيان لسفيان معي إلى مكة بجرابٍ فيه كعك، وخشكنانك، فأتيتُ مكَّةَ فسألتُ عنه، فدلُّوني عليه، فأتيتُه، وكان صديقاً لي، فسلَّمتُ عليه، فلم يحفل بي، وكان متَّكِئاً فما قعد، كما أعرف منه، فقلت: إنَّ أختكَ بعثت معي بجرابٍ فيه كعكٌ وخشكنانك، فاستوى جالساً وقال: عجِّل عليَّ به، فقلت: أتيتُك وأنا صديقك، فسلَّمتُ عليك، فلم تردَّ عليَّ ذاك الرد، فلمَّا أخبرتُك بجراب كعك وخشكنانك ما يساوي شيئاً جلستَ وكلَّمتني، فقال: يا أبا شهاب، اعذرني، فوالله لي أربعةُ أيام أو ثلاثة أيام ما ذقتُ طعاماً ، فعذرتُه والله.

قال ابن سعد: فلما خافَ سفيان بمكة قدم البصرة، فنزلها بقرب منزلِ يحيى بن سعيد القطَّان، وعلمَ به يحيى، فحوَّله إلى جواره، وفتحَ له باباً إليه، فكان يأتيه بمحدِّثي

(١) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٣.

أهل البصرة يسمعونَ منه، فكان فيمن أتاه جرير بن حازم، والمباركُ بن فَضالة، وحَمَّاد ابن زيد، وغيرهم، وأتى عبدُ الرحمن بن مهدي ولزمَه، وكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيَّام، فخافَ سفيان أن يشتهرَ بالبصرة فقال ليحيى بن سعيد: حوِّلني من هذا المكان، فحوَّله إلى منزلِ الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعد بن زيد [مناة][(١)] بن تميم فلم يزل فيه، فكلَّمه حمادُ بن زيد في تنحيته عن السلطان، وقال: هذا فعلُ أصحاب البدع، وما تخاف منهم؟ فأجمعَ سفيان وحَمَّاد بن زيد أن يقدما بغداد على المهدي.

وكتب سفيان إلى المهدي، أو إلى يعقوب بن داود، فبدأ بنفسه، فقيل له: إنَّهم يغيظون من هذا، فبدأ بهم، فجاء جوابُ كتابه بما يحبُّ من القرب والكرامة، والسمع منه والطاعة، فكانَ على عزم الخروج إليهم، فحُمَّ ومرضَ مرضاً شديداً، وحضرَه الموتُ، فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع؟ إنَّك تقدم على الربِّ الذي كنتَ تعبدُه، فسكنَ وهدأ، وقال: انظروا من ها هنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عبّادان، فقدم عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر، والحسن ابن عيَّاش أخو أبي بكر بن عيَّاش، فأوصى إلى عبد الرحمن، وأوصاه أن يصلِّي عليه، فأقاما عنده حتى مات.

وخرجت جنازته، وصلَّى عليه عبد الرحمن، وشهدَه الخلق، ودفنوه، وانصرف عبد الرحمن والحسنُ بن عيَّاش فأخبرا أهلهما بموته[(٢)]. وهذا قول ابن سعد[(٣)].

وذكره الخطيب في «تاريخه» وأثنى عليه فقال: كان إماماً من أئمَّة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مُجْمَعاً على أمانتِه [بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الإتقان][(٤)]، والحفظ والمعرفة والورع والزهد، قدمَ بغداد غير مرَّة، وخرجَ منها إلى خراسان، ويقال: إن نسيباً له مات ببخارى فخرجَ بسبب ميراثه.

---

(١) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٣.

(٢) كذا، وفي طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٥ : ثم انصرفا إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٥.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٩.

وقيل: إن الميت كان عمَّه، وقيل: إنما خرج لزيارة صديقٍ له، وهو ابن ثمان عشرة سنة، فجلسَ بها ثم عادَ إلى الكوفة.

قال الخطيب: مرَّ سفيانُ ببغداد فرأى جلَّاداً كان يجلد الناس، وقد عَمِي وهو يتصدَّق، فأعطاه قطعةً وقال: ليس هذه صدقةً عليك، هذه شماتةٌ بك[١].

وروى الخطيب عن علي بن ثابت قال: رأيتُ الثوريَّ في طريق مكَّة، فقوَّمت كلَّ شيءٍ عليه حتى نعليه: درهم وأربعة دوانيق[٢].

وروى الخطيب عن يوسف بن أسباط قال: صلينا العشاء الآخرة، فقال لي سفيان: ناولني المَطْهرة، فناولته إيَّاها، فأخذَها بيمينه، ووضعَ يساره على خدِّه، ونمتُ فما استيقظتُ إلَّا وقد طلع الفجر، فنظرتُ فإذا المطهرةُ بيمينِه، ويساره على خده، وهو بحاله، فقلت له: ما هذا؟ فقال: لم أزل منذ ناولتني المَطْهَرة أتفكَّر في أمرِ الآخرة حتَّى الساعة[٣].

وروى الخطيب عن يوسف بن أسباط قال: قال سفيان: إنَّ فجَّارَ القرَّاء اتَّخذوا القرآنَ سلَّماً إلى الدنيا، فقالوا: ندخل على الأمير، نفرِّج عن المكروب، ونتكلَّم في المحبوس[٤].

قال: وكان سفيان لا يقبلُ برَّ أحد، وكانَ معه نحوٌ من مئتي دينارٍ يَتَّجِرُ له بها قوم.

وحكى الخطيب أيضاً عن محمد بن عبد الوهاب قال: ما رأيتُ الفقراء أعزَّ منهم في مجلس سفيان ولا رأيتُ الأغنياء أذلَّ منهم في مجلسه[٥].

وروي عن سفيان الثوري أنَّه قال: لقد خفتُ الله خوفاً، وددت أنِّي خُفِّف عنِّي؛ لئلا يذهب عقلي.

قال: وقال يوسف بن أسباط: كان سفيان إذا أخذ في الفكر بالَ الدم[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢١.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٥.

(٤) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٤٩ من رواية صالح بن خليفة الكوفي عن سفيان.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٠ وفيه: الفقر... الغنى. بدل: الفقراء.... الأغنياء.

(٦) انظر حلية الأولياء ٧/ ٢٣، وصفة الصفوة ٣/ ١٤٨، ١٤٩.

وقال أبو نعيم : كان سفيان يقول: لو لم أعلم لكان أقلَّ لحزني[(١)].

وقال يعقوب بن يوسف السني[(٢)] : كان سفيان يقول: إذا سمعتُ صيحةً بالليل أضعُ يدي على رأسي وأقول: جاء العذاب.

قال: وكان ينامُ أوَّل الليل، ثم ينتبه فزعاً، فينادي: النار النار النار، إنَّ ذكرَها شغلني عن النومِ والشهوات، ثم يأخذ في الصلاة والبكاء.

وروى أبو نعيم عن عليٍّ بن حمزة ابن أخت سفيان قال: ذهبتُ ببول سفيان إلى الديراني، وكان لا يخرج من باب الدير، فأريتُه إيَّاه، فقال: ليس هذا ببول حنيفي، قلت: بلى والله، إنَّه من أفضل الحنيفية، فقال: فأنا أجيء معك، فاستأذنتُ سفيان له، فقال: أدخِلْهُ، فدخلَ فجسَّ عرقَه وخرج، فقلت له: أي شيء رأيت؟ فقال: ما ظننتُ أنَّ في الحنيفية مثل هذا رجل، قد قطع الحزن كبدَه.

قال: وكان يبكي ويقول: أخاف أن أستلبَ الإيمانَ قبل موتي[(٣)].

وقال علي ابن أخيه: شبعَ سفيان ليلةً، فنام، ثمَّ استيقظَ مرعوباً وقال: والله لا نمتُ الليل بعدَها، الحمارُ إذا زيد في علفه نام[(٤)].

قال: وقيل لسفيان: كيف أصبحت؟ فقال: في دارٍ قد والله حارت فيها الأدلَّاء[(٥)].

وقال الأوزاعيُّ: لو قيل لي: اختر لهذه الأمة ما اخترت غير سفيان.

وقال ابن أبي الدنيا: كان سفيان يقول: ما أنفقتُ درهماً في بناء، ولا استودعتُ قلبي شيئاً فخانني قط.

وقال أبو نعيم: كان سفيان يقول: اللهمَّ إنَّك العليم بحاجتي غير معلم ، وما أطلبُ

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٣.

(٢) كذا في (خ). ولعلها. النسوي. ولم أقف عليه في المعرفة والتاريخ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٤٨ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سفيان.

(٣) انظر حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٤) هو في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٦ وغيره: عن أبي خالد الأحمر.

(٥) في حلية الأولياء ٧/ ١٤ : قال رجل لسفيان الثوري: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: تسألني كيف أصبحت! وقد والله تحيرت....

إلَّا فكاك رقبتي من النار، إلهي إنَّ الجزعَ قد أرَّقني، ولو كان لي عذرٌ في التخلِّي لما أقمتُ مع الناس طرفةَ عين[١].

ذكر وفاته:

قال أبو نعيم: خرجَ سفيان من الكوفة في سنة خمس وخمسين ومئة ولم يرجع إليها، ومات سنة إحدى وستين ومئة، وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة.

وقال خليفة: توفِّي سنةَ اثنتين وستين ومئة[٢].

وقال الخطيب: وسنة إحدى وستين أصحّ[٣]. وكذا قال ابن سعد[٤].

وحكى أبو نعيم عن ابن مهدي قال: مات سفيان عندي، فلما اشتد به الوجع جعل يبكي، فقال له رجل: أراك كثير الذنوب؟ فقال: ما أخاف من ذنوبي، وإنَّما أخافُ أن أستلبَ الإيمانَ عند الموت[٥].

وقال ابن مهدي: توضَّأ سفيان تلك الليلة ستينَ مرَّةً، فلمَّا كان عند السحر قال لي: يا ابن مهدي، ضع خدي على الأرض، فما أشدَّ الموت وكربه. قال: فخرجت لأعلم حماد بن سلمة[٦] وأصحابه، وإذا بهم قد استقبلوني. وقالوا: آجرَك الله. فقلت: من أين علمتم؟ قالوا: ما منَّا أحدٌ إلا أُتي البارحة في منامه فقيل له: ماتَ سفيان.

وقال الخطيب: حجَّ المهديُّ فدخلَ عليه فوعظه، وعنده أبو عبيد وزيرُه، فقال له يا أبا عبد الله، قد كانت كتبكَ تأتينا، فقال: ما كتبتُ إليكم، ثمَّ قام، فقال له المهدي: إلى أين؟ قال: أعود، وترك نعله، ثم عاد فأخذها ومضى، وانتظره المهديّ فلم يعد، فسألَ عنه، فقالوا: عاد وأخذ نعلَه، فغضب وقال: أمن الناس كلهم إلَّا الثوريّ، فخرجَ إلى البصرة، فاستخفى، فلمَّا احتضر قال: ما أشدَّ الغربة، انظروا هل هاهنا

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦٠.

(٢) تاريخ خليفة ص٤٣٧، وطبقاته ص١٦٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٣.

(٤) في طبقاته ٨/ ٤٩٢.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٦) كذا، وفي صفة الصفوة ٣/ ١٥٠: لأعلم حماد بن زيد.

أحدٌ من أهل بلدنا؟ فنظروا، فإذا أفضل أهل الكوفة هناك؛ عبد الرحمن [بن عبد الملك] بن أبجر والحسن بن عيَّاش[(١)]، وقد ذكرناه.

ومات ليلاً فجاء جرير بن حازم بعدما دُفِنَ فصلَّى عليه[(٢)].

وقال الخطيب: وقد روي أنَّه دفن كتبه قبل وفاته.

قلت: وهذا محمولٌ على أنَّه رَوى عن قومٍ ثقاتٍ وغير ثقات، فاشتبهَ الأمرُ عليه، أمَّا إذا كانت عن ثقات، فإنَّه لا يجوزُ دفنها، وسنذكر هذا المعنى في ترجمة بشر الحافي، وأحمد بن أبي الحواري.

ذكر ما رُؤي له من المنامات:

حكى الخطيب عن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيتُ سفيان الثوري في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلَّا خير، ما وُضِعتُ في اللحد حتى أُوقِفت بين يدي الله تعالى، فحاسبني حساباً يسيراً، ثم أمرَ بي إلى الجنَّة، فبينما أنا أدورُ بين أشجارها وأنهارها، سمعتُ قائلاً يقول: سفيان؟ قلت: نعم، قال: تحفظُ يوماً آثرتَ الله على هواك؟ قلت: إي والله، فأخذتني صواني النثار من جميع الجنة[(٣)].

وفي رواية فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فقال: [من الطويل]

نظرتُ إلى ربِّي كفاحاً، وقال لي ... هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيدِ
فقد كنتَ قوَّاماً إذا الليل قد سَجى ... بعبرةِ محزونٍ وقلبِ عميدِ
فدونَك فاختر أيَّ قصرٍ تريدُه ... وزرني فإنِّي منك غير بعيدِ

وروى ابنُ أبي الدنيا عن سُعَير بن الخِمس قال: رأيتُ سفيان في المنام وهو يطيرُ من شجرةٍ إلى شجرة، ومن نخلةٍ إلى نخلة، وهو يقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٧٤][(٤)].

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤١.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٤٤٠ (ترجمة رشيق أبو الحسن الرقي).
(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٤ من غير طريق ابن أبي الدنيا.

وحكى ابن أبي الدنيا عن أبي خالد الأحمر قال: رأيتُ سفيان بعد موته في المنام، فقلت: كيف حالك يا أبا عبد الله؟ فقال: بخير، استرحتُ من غموم الدنيا، وأفضيتُ إلى رحمةِ الله تعالى[١].

أسندَ سفيان عن خلقٍ كثير من التابعين.

وقال ابن المبارك: كتبتُ عن ألفٍ ومئة شيخ، ما كتبتُ عن أفضل من سفيان. قيل له: فهل رأيتَ أفضل منه؟ فقال: فهل رأى سفيانُ مثلَ نفسه؟ وقد ذكرنا أنَّه لم يكن له ولدٌ إلَّا واحد، وأنَّه مات في حياة أبيه، وكان لسفيان ابنُ أختٍ يقال له: سيف بن محمد، رَوى عنه الحديث.



(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

السنة الثانية والستون بعد المئة

فيها قُتِل عبدُ السلام بن هاشم اليشكُري الخارجيّ، وكان قد خرجَ بالجزيرة، واستفحلَ أمرُه، وقويت شوكتُه، فجهَّز المهدي إليه جيوشاً، وهو يهزمها ويقتلُ قوَّادها، فبعثَ إليه شبيب بن واج المرورُّوذي، فانهزم عبد السلام إلى قِنَّسرين، فلحقه شبيب فقتلَه.

وفيها وضع المهدي دواوينَ الأزِمَّة، وولَّى عليها عمرو بن بزيع مولاه، ولم يكن لبني أمية دواوين أزمة، ومعناه أن يكون لكلِّ ديوانٍ زمام، وهو رجلٌ يضبطُه، وقد كانت قبلَ ذلك الدواوين مختلطة.

وفيها كتبَ المهديُّ إلى الآفاق بأن يجري على المجذَّمين وأهل السجون.

وفيها خرجت الرومُ إلى الحدَث، فهدمُوا سورها.

وفيها حبس المهدي موسى بن جعفر.

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور.

وفيها توفِّي

أبو عبيدة الخوَّاص

واسمه عبَّاد بن عبَّاد، وكانَ من أهل المحبَّة والشوق، وعنه أخذ المشايخُ الطريق.

وروى ابنُ باكويه الشيرازي عن عبدِ الأعلى بن سليمان قال: رأيتُ أبا عبيدة الخوَّاص وهو يمشي في الأسواق ويصيح: واشوقَاه إلى من يراني ولا أرَاه.

وروى ابن أبي الدنيا عن عقبة بن فضالة قال: سمعتُ أبا عبيدَة بعدما كبر وهو آخذٌ بلحيته، يبكي ويقول: قد كبرتُ فأعتقني.

سمع أبو عبيدة الأوزاعيَّ وأقرانَه[1].

---

(١) انظر المنتظم ٨/ ٢٥٩، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧٥.

السَّنةُ الثالثةُ والستُّون بعد المئة

فيها ولَّى المهديُّ ابنَه هارونَ المغربَ كلَّه وأَذْرَبيجان وإرْمِينيَة، وجعل كاتبَه على الخَراج ثابتَ بن موسى، وعلى رسائله يحيى بنَ خالدِ بن بَرْمَك.

وحجَّ بالناس عليُّ بن المَهدي، وكان على مكةَ والطائفِ والمدينة واليمامة جعفرُ بن سليمان، وعلى الكوفة إسحاقُ بن الصباح، وعلى قضائها شَريك، وعلى البصرة والبحرين وعُمانَ والأهوازِ وفارسَ محمدُ بن سليمان، وعلى خراسانَ المسيَّبُ بن زهير، وعلى السِّند نصرُ بن محمدِ بن الأَشعث.

وفيها توفِّي

إبراهيمُ بن طَهمان

أبو سعيدٍ الخراساني. وُلد بهَراة، ونشأ بنَيسابور، ورحل في طلب العلم. وكان حسنَ الخُلق، سخيًّا، واسعَ النفس، يطعم الطعامَ ويُحسن إلى طلبة العلم. ورد بغدادَ وحدَّث بها، ثم انتقل إلى مكَّة، فسكنها إلى أن مات بها.

وروى الخطيبُ عن أبي زُرعةَ قال: سمعت أحمدَ بن حنبل، وذُكر عنده إبراهيمُ بن طهمان، وكان متَّكئاً من عِلَّة، فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يُذكرَ الصالحون فيُتَّكأ[1]. ثم قال أحمد: حدَّثني رجلٌ من أصحاب ابنِ المبارك قال: رأيتُ ابنَ المبارك في النوم ومعه شيخٌ مَهيب، فقلت: مَن هذا معك؟ قال: سفيانُ الثوري، قلت: من أين أَقبلتم؟ فقالوا: نحن كلَّ يومٍ نزور إبراهيمَ بن طهمان، قلت: وأين تزورونه؟ قال: في دار الصِّدِّيقين دارِ يحيى بنِ زكريا.

وقد ذكرنا أنَّه مات بمكَّة.

أَرطاةُ بن المنذرِ بن الأسود

أبو عَدِيٍّ السَّكونيُّ الحمصي. كان في أيام عمرَ بنِ عبد العزيز، وفَرَضَ له.

(١) في (خ): متكئاً. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢٠.

وقال الحافظُ ابن عساكرٍ[١] بإسناده عن المازنيِّ قال: قال أرطاةُ بن المنذر: أتيتُ عمرَ بن عبدِ العزيز، ففرض لي في جَبَلَةَ وقال: أَرطاة، ألا أُحدِّثك بحديثٍ هو عندنا من العلم المخزون؟ قلت: بلى، قال: إذا توضَّأتَ عند البحرِ فالتفت إليه وقل: يا واسعَ المغفرةِ اغفر لي؛ فإنَّه لا يرتدُّ إليك طَرْفُك حتى يغفرَ لك ذنوبَك. وقال أحمد: كان ثقة.

حَرِيزُ بن عثمانَ الرَّحَبي الحِمصي

ولد سنةَ ثمانين، ووفد على عمرَ بنِ عبد العزيز، وكان يُبغض عليًّا عليه السلام، فروى الخطيبُ[٢] عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: رأيتُ ربَّ العزَّة في المنام، فقال لي: يا يزيد، لا تكتبْ عن حَرِيز بن عثمانَ شيئاً، فقلت: يا ربّ، ما علمتُ منه إلَّا خيراً! فقال: لا تكتبْ عنه؛ فإنه يسبُّ عليَّ بنَ أبي طالب. وفي رواية: فإنه يُبغض أبا الحسنِ عليَّ بن أبي طالب[٣]. أبغضه الله.

وقال جدِّي في «المنتظَم»[٤]: اتفق العلماءُ على أنَّه ثقة، لكن اتَّهموه بأنه يُبغض عليَّ بنَ أبي طالب.

وكيف يكون ثقةً وهو يُبغض أميرَ المؤمنين! ومَن أَبغض آحادَ الصحابةِ أو سبَّه يكون ملعوناً؛ لقوله عليه السلام: «لعنَ اللهُ مَن سبَّ أَصحابي»[٥] فكيف بأمير المؤمنين وابنِ عمِّ رسولِ ربِّ العالمين! وإنما كان يُبغض عليًّا لأنه قُتل جَدَّان له كانا مع معاوية بصِفِّين مع مَن قُتل، لا أن عليًّا باشر قتلَهما، صرَّح بهذا الخطيبُ فقال: عن عمران[٦] بن أَبَان: سمعتُ حَرِيزاً يقول: لا أُحبُّه، قتل آبائي. يعني عليًّا. وكذا ذكر الحافظُ ابن

(١) في تاريخه ٢/ ١٦٣ (مخطوط).

(٢) في تاريخه ٩/ ١٨٥.

(٣) هي عند الخطيب أيضاً.

(٤) ٨/ ٢٦٦.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٠١٥) والكبير (١٣٥٨٨) من حديث ابن عمر ﵄، وأخرجه في الأوسط (٤٧٧١) من حديث عائشة ﵂.

(٦) في (خ): عمر، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ١٨٥.

عساكرٍ وقال: كان حَرِيزٌ منحرفاً عن عليٍّ بن أبي طالب[١]، وقد روى ابنُ عيَّاش قال: سألتُ حَريزاً عن هذا فقال: واللهِ ما سببتُه قطّ، رحم اللهُ عليًّا. قاله مئةَ مرَّة. فيحتمل أنَّه رجع عن ذلك.

أَسند حَريزٌ عن عبد الله بن بُسرٍ من الصحابة، وروى عن جماعةٍ من التابعين، وروى عنه إسماعيلُ بن عياشٍ وغيرُه.

وقال الخطيبُ[٢]: قدم بغدادَ وحدَّث بها. فمن رواياته: قال: سمعتُ الوليدَ بن عبدِ الملك يقول على مِنبر دمشق: هذا الذي يرويه الناسُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال لعليٍّ بن أبي طالب: «أنتَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى» إنما هو: أنت منِّي بمنزلة قارونَ من موسى.

قلت: وهذا من أدلِّ الدليلِ على أنه كان يُبغض عليًّا، وأما هذا الحديثُ فقد ضعَّفه الرُّواة، وقال الخطيب[٣]: في إسناده عبدُ الوهاب بنُ الضحَّاك، كان كذَّاباً. وقد ذكرناه في ترجمة الوليدِ بن عبدِ الملك.

وقال الواقدي: توفي حَرِيزٌ سنةَ ثلاثٍ وستين ومئةٍ وله ثلاثٌ وثمانون سنة. وقيل: سنةَ ستٍّ وستِّين ومئة[٤].

عيسى بنُ عليٍّ

ابن عبدِ الله بن عباس، عمُّ أبي العباسِ وأبي جعفرِ المنصور، وأخو محمدِ بن عليّ، وأخو عبدِ الله وعبدِ الصمد وداودَ وسليمانَ بَني عليّ. وذكره ابنُ سعدٍ في الطبقة الرابعةِ من أهل المدينة، قال: وأمُّه أمُّ ولد، وهي أمُّ داودَ بنِ علي، وكان عيسى بنُ عليٍّ من أهل العافية، لم يَلِ لأهل بيتِه عملاً حتى توفِّي في خلافة المهديّ. هذا قولُ ابنِ سعد[٥].

(١) نقل في تاريخه ٤/ ٣٣٣ (مخطوط) عن ابن ماكولا قولَه: كان يرمى بالانحراف عن علي، وعنه في ذلك اختلاف.

(٢) في تاريخه ٩/ ١٨٢.

(٣) في تاريخه ٩/ ١٨٦. والكلام هنا في رواية: أنت مني بمنزلة قارون من موسى. وأما الرواية الأخرى فهي في صحيح البخاري (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) في طبقاته ٧/ ٤٧٢.

وذكره الخطيبُ وقال[1]: كُنيته أبو العباس، وقيل: أبو موسى. وقال الخطيب: ولد سنةَ ثمانٍ وثمانين، أو ثلاثٍ وثمانين[2]. وأُمُّه بربرية، اسمُها لُبابة. وقيل: ولد سنةَ إحدى وثمانين[3].

وكان معتزلاً للسلطان، وله مذهبٌ جميل، وإليه يُنسَب نهرُ عيسى وقصرُ عيسى ببغداد، وكانت وفاتُه في جمادى الآخرةِ بقصره على نهر عيسى، وكان المهديُّ بالبَرَدان يجهِّز الجيوشَ مع ابنه هارون، فصلَّى عليه موسى بنُ المهديِّ ومشى في جنازته، ودخل المهديُّ في اليوم الثاني فصلَّى على قبره، ودُفن في مقابر قريش. ويقال: إنَّه مات في سنة أربعٍ وستِّين ومئة، أو خمسٍ وستِّين ومئة.



(١) لم نقف على قوله في تاريخه، وانظر تهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٥/ ٤٧١.
(٢) ذكر في تاريخه ١٢/ ٤٦٧ القول الثاني فقط، ولم نقف على القول الأول.
(٣) انظر تهذيب الكمال.

السَّنةُ الرابعةُ والستُّون بعد المئة

فيها بنى المَهديُّ قصرَه بعيسى باذَ وسمَّاه قصرَ السلامة(١).

قال الزُّبير بن بكَّار: فحدَّثني عمِّي مصعبُ بن عبدِ الله عن جدِّي عبدِ الله بن مصعبٍ قال(٢): لما فرغ المهديُّ من بناء هذا القصرِ جلس للناس، ففرَّق في أبناء المهاجرين والأنصارِ ثلاثةَ آلافِ ألف درهم، فأغنى كلَّ عائل، وجبر كلَّ كسير، وفرَّج عن كلِّ مكروب، وفرَّق في الشعراء والخطباءِ خمسَ مئة ألفِ درهم، فقال الناس: هذا مهديُّ هذه الأمَّةِ الذي بشَّر به رسولُ اللهِ ﷺ.

وفيها خرج المهديُّ حاجًّا، فوصل إلى العَقَبة، فعطش الناسُ وأخذته حُمَّى، فرجع من العقبة، وغضب على يقطين بنِ موسى حيث لم يُصلح المصانعَ على الوجه، ولاقى الناسُ شدَّة من قلَّة الماء، ولَمَّا عاد المهديُّ إلى العراق، بعث أخاه صالحاً فحجَّ بالناس، وكان العاملُ على مكَّةَ والطائفِ والمدينةِ جعفرُ بن سليمان.



(١) في تاريخ الطبري ٨/ ١٥٠: وفيها بنى المهدي بعيسى باذ الكبرى قصراً من لَبِن إلى أن أسس قصره الذي بالآجر الذي سماه قصر السلامة.

(٢) في المنتظم ٨/ ٢٧٠: حدثني مصعب قال.

السَّنة الخامسةُ والستُّون بعد المئة

فيها جهَّز المهديُّ ابنَه هارونَ إلى الصائفة في بلاد الرومِ غازياً في جمادى الآخرة، وضمَّ إليه الربيعَ مولاه، فأَوغل فيها، وسار هارونُ في نيِّف وتسعين ألفاً ومعه الخزائنُ والأموال والعُدَد، وكان في خزائنه من الدراهم أَحدٌ وعشرون ألفَ ألفِ درهم وأربعُ مئةِ ألفٍ وزيادة، ومن الذهب مئةُ ألفٍ وسبعٌ وسبعون[١] ألفَ دينارٍ وزيادة، فأَناخ على خليج القُسْطَنطينية وصاحبتُها يومئذٍ امرأةُ أَليون، ولها ابنٌ صغير من أليون، ومات وهو في حجرها، فأَقام هارونُ يَسبي ويقتل، فقتل من الرُّوم نيِّفاً وخمسين ألفاً، وغنم من الدوابِّ عشرين ألفاً، وذبح من البقر والغنمِ مئةَ ألفِ رأس، فأَرسلت إليه المرأةُ تطلب الصلح، فصالحها وشرط عليها في كلِّ سنةٍ سبعين ألفَ دينارٍ وما تيسَّر من العُروض والأُسارى، وأن تُقيمَ لهم الأَدلَّاء؛ فإنهم كانوا قد أَوغلوا في المضائق، ففعلت. ورجع هارونُ غانماً سالماً، وبيع البِرْذونُ بدرهم، والبغلُ بعشرة دراهم[٢]، والدِّرعُ بأقلَّ من درهم، وعشرون سيفاً بدرهم.

فقال مروانُ بن أبي حفصة: [من الطويل]

أَطفتَ بقُسطنطينة الرُّومِ مُسْنِداً إليها القَنَا حتى اكتسى الذِّلَّ[٣] سورُها

وما رِمتَها حتى أَتتك ملوكُها بجِزيتها والحربُ تَغلي قدورها

وفيها عزل المهديُّ خلفَ[٤] بن عبدِ الله عن الرَّي وولَّى عيسى مولى المنصور[٥].

وتزوَّج هارونُ زبيدةَ بنتَ جعفرٍ وبنى بها. وحجَّ بالناس صالحُ بن المنصور.

وفي هذه السَّنةِ توفِّي

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ١٥٢ : وأربعة وتسعين، وفي المنتظم ٨/ ٢٧٧، والكامل ٦/ ٦٦ : وثلاثة وتسعين.

(٢) في تاريخ الطبري: بأقل من عشرة دراهم.

(٣) الذِّلّ: اللين، وهو ضد الصعوبة. مختار الصحاح (ذلل). والبيتان في الديوان ص٦٠.

(٤) في (خ): خالد، والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣، والمنتظم ٨/ ٢٧٨، والكامل ٦/ ٦٧.

(٥) في المصادر: مولى جعفر.

داودُ بن نُصير الطائيّ، أبو سليمان

ذكره ابنُ سعد[١] في الطبقة الخامسةِ من أهلِ الكوفة، وقال: داودُ بن نصير الطائي، ويُكنَى أبا سليمان، وكان قد سمع الحديثَ وتفقَّه، وعرف النحوَ وأيامَ الناس وأمورَهم، ثم تعبَّد، فلم يكن يتكلَّم في شيءٍ من ذلك. قال: وكان له جليسٌ يذاكره في الحديث، فقال له: لا تذاكرْني في شيءٍ من ذلك أبداً.

وروى ابنُ سعدٍ عن الفضل بن دُكَين قال: كنتُ إذا رأيت داودَ الطائيَّ لا يُشبه القرَّاء، عليه قَلَنسُوة طويلةٌ مما يلبَس التجَّار، وجلس في بيته عشرين سنةً أو أقلَّ حتى مات، وحضرتُ جنازتَه فما رأيتها من كثرة الخَلْق. مات سنةَ خمسٍ وستِّين ومئةٍ في خلافة المهدي.

وهذا قولُ ابن سعد، واتفقت الأئمَّة عليه، فقالوا: كان كبيرَ الشأن في العلم والورعِ والزُّهد والعبادة. وسمع الحديثَ الكثيرَ وتفقَّه على أبي حنيفة، وعرف أيامَ الناس، وكان مكمَّلاً في حاله.

وقال الهيثم: جاءت امرأةٌ إلى حلقة أبي حنيفةَ وداودُ جالس، فسألت مسألةً في الحيض، فأَجابها داود، فقالت: يا داود، هذا العلمُ فأين العملُ به؟ فوقع كلامُها في قلبه فاعتزل.

والقولُ الثاني: حديثُ المرأةِ التي اجتاز بها في المقابر، فقال ابنُ عائشة: مرَّ داودُ الطائيُّ بمَقْبُرة، فسمع امرأةً وهي تقول: يا حبيبي، ليت شِعري بأيِّ خدَّيك بدأ البِلى، باليمنى أو باليسرى؟ قال: فصَعِق.

وقرأتُ على شيخنا الموفَّقِ من كتاب «التوَّابين»[٢] عن الحِمَّاني قال: مرَّ داودُ بمقبرة على امرأةٍ تبكي وتقول، وذكره ثم قال: إنَّها أنشدت: [من الطويل]

مقيماً[٣] إلى أن يبعثَ اللهُ خَلْقَه ... لقاؤك لا يُرجَى وأنت قريبُ

---

(١) في طبقاته ٨/ ٤٨٧.

(٢) ص٢٢٥ _ ٢٢٦.

(٣) في التوابين: مقيم.

تَـزيـد بِـلًـى فـي كـلِّ يـومٍ ولـيـلـةٍ وتُـسـلَـى كـمـا تَـبـلـى وأنـت حـبـيـبُ

فانقطع داودُ إلى العبادة.

ذِكْرُ طَرَف من أخبار داود :

روى أبو نُعَيم[(١)] عن ابن عمٍّ لداودَ قال: ورث داودُ من أبيه عشرين ديناراً، فأنفقها في عشرين سنةً كلَّ سنةٍ ديناراً، ينفق في كلِّ شهرٍ درهماً، منه يأكل ومنه يتصدَّق، وورث بيتاً، فكان يكون فيه، لا يعمره، كلَّما خرب منه جانبٌ تركه وتحوَّل إلى جانبٍ آخَر، فخرب كلُّه إلا زاويةً منه كان يكون فيها.

وروى أبو نُعيمٍ أيضاً[(٢)] عن حفصِ بن عمرَ الجُعْفيِّ قال: ورث داودُ عن أمِّه أربعَ مئةِ درهم، فمكث يتقوَّت منها ثلاثين عاماً، فلمَّا نفدت جعل ينقض سقوفَ الدُّويرة فيبيع الخشبَ والبواريَ واللَّبِن، حتى بقي نصفُ سقف. قال: وجاءه صديقٌ فقال: لو أعطيتَني هذه فأَبضعتُها لك لعلك أن تستفضلَ منها شيئاً تنتفع به. فما زال حتى دفعها إليه، ثم فكَّر فيها، فلقيه بعد العشاءِ الآخرة، قال: ارددْها عليّ، قال: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلَ فيها شيءٌ غير طيِّب. فأخذها منه.

وقال إسحاقُ بن منصور: دخلتُ أنا وصاحبٌ لي على داودَ الطائيِّ وهو قاعدٌ على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجلٌ زاهد، فقال داود: إنَّما الزاهد مَن قَدَرَ فترك.

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدَّثني أحمدُ بن عمران: حدَّثني الوليدُ بن عُقبة قال: كان يُخبز لداودَ الطائيِّ ستُّون رغيفاً يعلِّقها بشريطٍ يُفطر في كلِّ ليلةٍ على رغيفَين بملحٍ وماء، فأخذ ليلةً فطرَه فجعل ينظر إليه. قال: ومولاةٌ له سوداءُ تنظر إليه، فقامت فجاءته بشيءٍ من تمر، فأفطر ثم أحيا ليلَه إلى الصباح، ثم أصبح صائماً، فلما جاء وقتُ إفطارِه أخذ رغيفاً ومِلحاً وماء، فجعل يعاتب نفسَه ويقول: اشتهيتِ البارحةَ تمراً فأطعمتكِ إياه، واشتهيتِ الليلةَ تمراً! لا ذاق داودُ تمراً ما دام في الدنيا.

وروى أبو نُعيمٍ[(٣)] عن حمَّادِ بن أبي حنيفةَ قال: قالت مولاةٌ لداودَ الطائي: يا داود،

---

(١) في حلية الأولياء ٧/ ٣٤٧.

(٢) في الحلية ٧/ ٣٤٦.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٥١.

لو طبختُ لك دسماً، قال: فافعلي، قال: فطبختْ له شحماً، ثم جاءته به، فقال لها: ما فعل أيتامُ بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اِذهبي به إليهم، فقالت: طبختُه لك وأنت إنَّما تأكل الخبزَ بالماء! فقال: إنِّي إذا أكلته كان في الحُشّ، وإذا أكله الأيتامُ كان عند اللهِ مذخوراً.

وروى أبو نُعيم عن محمد بن بِشْر[1] العَبدي قال: قال داودُ يوماً لمولاةٍ له: أَشتهي لبناً، فخذي رغيفاً وائتي البقَّالَ فاشتري به لبناً، ولا تُعلمي البقالَ لمن هو. فذهبتْ فجاءته به، فأكل. وفطن البقالُ أنها تريد اللبنَ لداود، فطيّبه له، فقال لها داود: علم البقالُ لمن تشترين اللبن؟ قالت: نعم، قال: اِرفعيه. فما عاد إليه.

قال[2]: وجاءه فُضيلٌ يوماً، فلم يفتحْ له، فجلس فضيلٌ خارجَ الباب يبكي، وداودُ يبكي من داخل. قيل لمحمد[3]: كيف لم يفتحْ لهم الباب؟! فقال: كثَّروا عليه فغمُّوه فحجبهم، فمَن جاء منهم كلَّمه من وراءِ الباب.

قال[4]: وقالت له أمُّه: يا بني، لو اشتهيتَ شيئاً اتخذتُه لك، فقال: يا أُمَّاه، أَجيدي؛ فإني أريد أن أدعوَ إخواني. قال: فاتخذتْ وأَجادت، فقعد على الباب لا يمرُّ به سائلٌ إلا أَدخله وأطعمه، فقالت له أمُّه: لو أكلتَ منه، قال: فمَن أكله غيري؟ فماتت أمُّه، وكانت موسِرة، فأَخرج جميعَ ما تركتْ حتى لصق بالأرض.

وروى أبو نُعيمٍ عن إسماعيلَ بن زبَّان قال: حجم داودَ حجَّامٌ، فأعطاه ديناراً لم يملك غيرَه، فقيل له: هذا إِسراف! فقال: لا عبادةَ لمن لا مروءةَ له[5].

وروى عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبلٍ قال: قال رجلٌ لداود: لو نحَّيتَ العنكبوتَ عن السَّقف، فقال: أَمَا علمتم أنهم كانوا يكرهون فضولَ النَّظر!

(١) في (خ): بشران. والمثبت من الحلية ٧/ ٣٥٣.
(٢) في الحلية ٧/ ٣٥٣.
(٣) أي: ابن بشر العبدي.
(٤) في الحلية ٧/ ٣٥٣.
(٥) قوله: فقيل له: هذا إسراف...، ليس من رواية إسماعيل بن زبان، بل هو من رواية أبي سعيد السكري، وكلاهما في الحلية ٧/ ٣٥٤.

وروى عبدُ الله بنُ أحمدَ بن حنبلٍ عن ابن المباركِ أنَّه كان يقول: وهل الأمرُ إلَّا ما كان عليه داودُ الطائي.

وحكى أبو نُعيم[١] أنَّ امرأةً من أهل داودَ صنعت ثريدةً بسمن، ثم بعثت بها إليه عند إفطاره مع جاريةٍ لها، قالت الجارية: فوضعتُ القصعةَ بين يديه، فشرع يأكل، وإذا بسائلٍ على الباب، فقام فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القَصعة، ثم عمد إلى تمرٍ كان بين يديه قد أعدَّه لإفطاره، فوضعه في القصعة ودفعه إليها وقال: أَقرئيها السَّلام. قالت الجارية: فدفع إلى السائل ما جئناه به، ودفع إلينا ما أَعدَّه لإفطاره، وبات طاوياً.

وروى الخطيبُ[٢] عن إسماعيلَ بن زَبَّانَ قال: قالت دايةُ داود: يا أبا سليمان، أَما تشتهي الخبز؟ فقال: يا داية، بين مَضغ الخبزِ وشُربِ الفَتيت قراءةُ خمسين آية.

وروى أبو نُعيم[٣] عن عبد اللهِ بن صالحِ العِجليِّ قال: دخلتُ على داودَ في مرضه الذي مات فيه، وليس في بيته إلَّا دَنٌّ مقيَّر يكون فيه خبزٌ يابس ومِطهَرة، ولَبِنة على التُّراب يجعلها تحت وِسادة، فهي مِخدَّته، وليس في بيته لا قليلٌ ولا كثير.

وقال قَبِيصة: كان يشرب الماءَ السُّخن، فيقال له: أما نبرِّد لك الماء؟ فيقول: الذي يُبرَّد له الماءُ في الصيف ويسخَّن له الماءُ في الشتاء لا يحبُّ لقاءَ اللهِ تعالى.

وقال محمدُ بن حسَّان: قدم محمدُ بن قَحطبةَ الطائيُّ الكوفةَ وكان ابنَ عمِّ داود، فأرسل إلى داودَ ببَدْرة[٤]، فردَّها، فأرسل إليه ببَدرتَين مع مملوكين وقال لهما: إنْ قبلهما فأنتما حُرَّان، فأَتيا إليه، فردَّهما، فقالا: إنَّ في قَبولهما عِتقَنا، فقال: إنْ كان في قبولهما عتقُكما من الرِّق، ففيه عِتقُ رقبتي من النار. ولم يقبلْهما، وقال: قولا له يردُّهما على مَن أخذهما منه، فهو أَولى.

---

(١) في الحلية ٧/ ٣٤٨.

(٢) في تاريخه ٩/ ٣١٨.وهو في الحلية ٧/ ٣٥٠.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٤٨.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف درهم، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. القاموس المحيط (بدر).

وقال طلحةُ القَنَّاد[١] : ورث داودُ من ابن عمٍّ له مئةَ ألفِ درهمٍ لم يكن له وارثٌ غيره، فلم يأخذْ منها درهماً وتصدَّق بالجميع.

ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

ذَكَرَ ذلك ابنُ أبي الدنيا وأبو نُعيم والخطيبُ وصاحبُ «مناقب الأبرار» وغيرُهم.

فمن ذلك ما رواه أحمدُ بن أبي الحَوَاري عنه أنَّه قال: ما أَخرج اللهُ عبداً من ذُلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعةِ إلا أَغناه بلا مال، وأعزَّه بلا جاهٍ وبغير عشيرة، وآنسه من غير جماعة.

وقال بكرُ بن محمد: قال لي داود: فرَّ من الناس فرارَك من الأسد.

وروى الخطيبُ عن أبي الرَّبيع الأعرجِ أنَّه جاء إلى داودَ من واسط ليسمعَ منه شيئاً ويراه، فأقام على بابه ثلاثةَ أيامٍ لا يصل إليه، قال: كان إذا سمع الإقامةَ خرج، فإذا سلَّم وثب فدخل منزلَه. قال: فجاء فسلَّم يوماً وقد سبقتُه إلى بابه، فلما جاء ليدخلَ قلت: ضيفٌ رحمك اللهُ أتيتك من واسط، وأحبُّ أن تزوِّدَني شيئاً[٢] ، فقال: صُم الدنيا واجعلْ فِطرَك الموت، قلت: زدني، قال: فِرَّ من الناس كفرارك من الأسد، غيرَ طاعنٍ عليهم[٣] ولا تاركٍ لجماعتهم. قال: فذهبتُ أَستزيده، فوثب إلى المحراب وقال: اللهُ أكبر. وفي رواية: فقلت له: أَوصني، فقال: إن كان لك والدان فبِرَّهما.

وروى أبو نُعيم[٤] عن عبد اللهِ بن إدريسَ قال: قلتُ لداود: أَوصني، فقال: أَقلِل من معرفة الناس، قلت: زدني، قال: ارضَ باليسير من الدنيا مع سلامة الدِّين كما رضي أهلُ الدنيا بالدنيا مع فساد الدِّين، قال: فقلت: زدني، فقال: اجعل الدنيا كيومٍ صمتَه ثم أَفطِر على الموت.

---

(١) في تاريخ بغداد ٩/ ٣١٦ : عمرو بن طلحة القناد.

(٢) اختصر المؤلف هنا القصة، ففي تاريخ بغداد ٩/ ٣١٥ : قلت: ضيف رحمك الله، قال: إن كنت ضيفاً فادخل، قال: فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزودني شيئاً....

(٣) في (خ): عنهم.

(٤) في الحلية ٧/ ٣٤٣.

وروى أبو نُعيم[1] عن صَدَقَةَ الزاهدِ قال: خرجنا مع داودَ الطائيِّ في جنازةٍ بالكوفة، فقعد داودُ ناحيةً وهي تُدفن، فجاء الناسُ فقعدوا قريباً منه، فقال: مَن خاف الوعيدَ قَصُرَ عليه البعيد، ومَن طال أملُه ضعف عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، وكلُّ ما يشغلك عن الله من مالٍ وولد فهو عليك مشؤوم، وإنَّ أهلَ القبور إنَّما يفرحون بما يقدِّمون، ويندمون على ما يخلِّفون.

وروى أبو نُعيم عنه أنَّه كان يقول: سبقني العابدون وبقيتُ[2] وقُطع بي، والهفاه.

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنَّ رجلاً قال له: أَوصني، فقال: إنما الليلُ والنهارُ مراحل، ينزلهما الناسُ مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهيَ بهم ذلك إلى آخر سفرِهم، فإن استطعتَ أن تقدِّمَ في كلِّ مرحلةٍ زاداً لما بين يديها فافعل، فإنَّ انقطاعَ السفر عن قريب، والأمرُ أَعجل من ذلك، فتزوَّدْ لسفرك، واقضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّك بالأمر قد بغتك، إنِّي لَأقول لك هذا وما أَعلمُ أحداً أشدَّ تضييعاً مني لذلك.

وقال أبو نُعيم[3]: قال رجلٌ لداود: أَوصني، فقال: عسكرُ الموتى ينتظرونك. وقال له رجل: أَوصِني، فقال: لا يراك اللهُ حيث نهاك، ولا يفقِدُك حيث أمرك، فاستحييْ من قربه منك وقدرتِه عليك.

وقال أبو نُعيم[4]: قال رجلٌ لداود: أرأيتَ لو أنَّ رجلاً دخل على هؤلاء الأمراءِ فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ قال: أخاف عليه السَّوط، قال: إنَّه يقوَى عليه، قال: أَخاف عليه السَّيف، قال: إنَّه يقوى عليه، قال: أَخاف عليه الداءَ الدَّفين، قال: ما هو؟ قال: العُجْب.

وقال سهلُ بن بكَّار: كان داودُ يقول: يا سوادَ ليلةٍ لا تُضيء، ويا بُعدَ سفرٍ لا ينقضي.

قال: وجلس إليه عُقبةُ بن موسى، فقال له: يا عقبة، كيف يتسلَّى عن الحزن مَن

---

(١) في الحلية ٧/ ٣٥٧، وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٧٧.

(٢) في (خ): أو وقطع. والمثبت من الحلية ٧/ ٣٣٦.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٥٦، ٣٥٨.

(٤) في الحلية ٧/ ٣٥٨.

تتجدَّد عليه المصائبُ كلَّ يوم! فخرَّ عقبةُ مغشيًّا عليه. قال: وقيل له: دلَّنا على رجلٍ نجلس إليه، فقال: تلك ضالَّة لا توجَد.

ذِكْر وفاتِه وما يتعلَّق بها:

روى أبو نُعيم[1] عن حفص بنِ عمرَ الجُعْفي قال: اشتكى داودُ أياماً، وكان سبب علَّته أنه مرَّ بآية فيها ذِكرُ النار، فكرَّرها مراراً في الليلة فأَصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسُه على لَبِنة. وفي روايةٍ[2] أنَّه نزع نزعاً شديداً.

وقال حمَّاد بنُ أبي حنيفة: رأى رجلٌ في منامه في الليلة التي مات فيها داودُ أن داودَ يعدو وهو مكشوفُ الرأس، فقال له: إلى أين؟ فقال: الآن تخلَّصتُ من السجن. فانتبه الرجلُ وقد ارتفع الصُّراخ بموت داود.

وقد ذكرنا أنَّ ابنَ سعدٍ قال: مات سنةَ خمسٍ وستِّين. وقال الهيثم: سنةَ ستٍّ وستِّين ومئة. وقيل: سنةَ ستِّين ومئة.

ذِكرُ ثناءِ العلماءِ عليه:

قد ذكرنا أن سفيانَ الثوريَّ كان إذا ذُكر عنده داودُ يقول: أَبصر الطائيُّ أمرَه. وقال ابنُ المبارك: وهل الأمرُ إلَّا ما كان عليه داود. وحكى الخطيبُ[3] عن محارِب بن دِثارٍ أنَّه كان يقول: لو كان في الأُمم الماضيةِ مثلُ داود، لقَصَّ اللهُ علينا خبرَه.

وقال عبدُ العزيزِ بن محمد: رأيتُ داودَ الطائيَّ في المنام على المنبر والناسُ حوله. وفي رواية: رأيتُ في المنام قائلاً يقول: مَن يحضر؟ فقلت: أنا، فقال: اسمع كلامَ ذاك العالمِ الذي يخطب ويُخبر عن أعلى المراتبِ ومنازلِ الأولياء. قال: فنظرتُ فإذا داودُ الطائي، ففهمت كلامَه: [من البسيط]

ما نال عبدٌ من الرحمن منزلةً ... أعلى من الشَّوق إنَّ الشَّوقَ محمودُ[4]

وروى الخطيبُ عن إسحاقَ بن منصورٍ قال: لَمَّا مات داودُ الطائي شيَّع الناسُ

---

(١) في الحلية ٧/ ٣٤٠.

(٢) هي في الحلية ٧/ ٣٤١.

(٣) في تاريخه ٩/ ٣١٨.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٠.

جنازته، فلما دُفن قام ابن السَّماك على قبره فقال: يا داود، كنت تُسهر نومَك إذا الناسُ [ينامون، فقال القومُ جميعاً: صدقت. وكنت تربح إذا الناسُ][١] يَخسرون، فقال الناسُ جميعاً: صدقت، حتى عدَّد فضائلَه كلَّها. فلمَّا فرغ قام أبو بكرٍ النَّهْشلي، فحمد الله، ثم قال: يا ربّ، إن الناسَ قالوا ما عندهم ومبلغَ ما علموا، اللهمَّ فاغفرْ لداودَ ولا تَكِلْه إلى عمله. فكان[٢] قولُ النهشليِّ أعجبَ إلى الناس من قول ابنِ السمَّاك.

أسند داودُ عن جماعةٍ من التابعين، منهم: أبو حنيفة، والأعمش، وعبدُ الملك بن عُمَير، وحبيبُ بن أبي عَمرة، وحُميدٌ الطويل، وغيرُهم، ومات بالكوفة. انتهت ترجمتُه.

عبدُ الرحمن بنُ ثابتِ بن ثَوبان

أبو عبدِ الله العَنْسيُّ الدمشقي. ذكره ابنُ سعدٍ في الطبقة الخامسةِ من أهل الشام[٣]. وكان من الأَبدال، مجابَ الدَّعوة، إذا رأته السِّباعُ خضعت بين يديه.

وقد حكى الحافظُ ابن عساكرٍ عنه حكايةً عجيبة رواها عن محمدِ بن حسَّان الجبلي، قال: كان ابنُ ثوبانَ يسكن صَيدا بساحل دمشق، حمل يوماً غِرارةَ قمحٍ على حمارةٍ له، وخرج من صيدا فألقاها في الطاحون، وترك الحمارةَ ترعى في المَرْج، فجاء السَّبُعُ فافترس الحمارة، فرأى السبعَ قد افترسها، فصاح به: يا كلب، أَكلتَ حمارتي! تعالَ فاحمل دقيقَنا، فجاء السَّبعُ فألقى على ظهره الغِرارةَ وحملها إلى صيدا، فلمَّا وصل إلى بابها صاح به: قِفْ، فوقف، فأَلقى الغِرارةَ عن ظهره وقال: اذهب يا كلبُ لئلَّا يفزعَ الصبيانُ منك، فذهب.

وحكى أيضاً[٤] عن ابن ثوبانَ أنه دخل على المهديِّ فأَغلظ له في الكلام، فغضب المهديُّ وقال له: يا ابنَ ثَوبان، واللهِ لو كان المنصورُ حيًّا لما أَقالكَها، فقال له: لا تقلْ هذا، فواللهِ لو كُشف لك عنه حتى يُخبِرَك بما عاينَ وما لقي لَما جلستَ مجلسَك

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٠.
(٢) قوله: فكان قول...، ليس في تاريخ بغداد.
(٣) لم نجده في طبقاته.
(٤) في تاريخه ٩/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤ (مخطوط). والخبر الأول لم نجده.

هذا. فبكى المهديّ.

قال[١]: ودعاه أخٌ له فقال: تعشَّ عندي اللَّيلة، فما زال ينتظره حتى طلع الفجر، فلقيه فقال: ما الذي أَبطأَ بك عني؟ فقال: كنتُ في الوِتر، فعرضتْ لي روضةٌ خضراء، فما زلت أَنظر فيها حتى أصبحت.

وكانت وفاةُ ابنِ ثوبانَ في هذه السَّنة، وقد بلغ تسعين سنة، ومولدُه سنةَ خمسٍ وسبعين.

أَسند عن أبيه وعطاءِ بن أبي رباحٍ وأبي الزِّناد وهشامِ بن عروةَ وغيرِهم.

وقال الخطيب: قدم بغدادَ وحدَّث بها[٢]. وكان أحمدُ بن حنبلٍ يُثني عليه ويقول: كان أعبدَ أهلِ الشام. ورُوي عنه أنَّه كان صالحاً عابداً سليمَ الصدر. وقال أبو داود[٣]: كان فيه سلامةُ صدر، ولَّاه المهديُّ على المظالم ببغداد.

ورَّاد العِجليُّ الكوفي

من الطبقة السادسةِ من أهل الكوفة، كان من الخائفين البكَّائين.

وروى ابنُ أبي الدنيا عن حفص بنِ غياثٍ قال: كنَّا عند عمرَ بن ذَرٍّ ذاتَ يومٍ وهو يتكلَّم، فذكر رواجفَ القيامةِ وزلازلَها، فوثب رجلٌ من بني عِجلٍ يقال له: ورَّاد، فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب، فحُمل إلى منزله من بين القوم صريعاً، فقال عمرُ بن ذَرّ: يا ليت شِعري ما الذي قصَّر بنا وكَلَمَ قلبَ ورَّادٍ حتى أبكاه الله! واللهِ إنْ هذا إلَّا من صفاء قلبِه وتراكُم الذنوبِ على قلوبنا. وكان ورَّادٌ يدخل المسجدَ مقنَّعَ الرأس، فيعتزل ناحية، فلا يزال يصلِّي ويبكي ويدعو ما شاءَ الله. فكان هذا دأبَه، وكان قد عاهد اللهَ ألَّا يضحكَ حتى ينظرَ إليه، وكان يصوم الدهرَ ويُفطر على قُرصَين من شعيرٍ ويقوم الليل، فإذا كان في السَّحَر جلس فدعا، وكان من دعائه: إلهي، عبدُك يحبُّ الاتصالَ بطاعتك، فأَعِنه عليها يا إلهي بتوفيقك أيها المنَّان، مولاي، عبدك يحبُّ اجتنابَ

(١) في تاريخه ٩/ ٨٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٨٧.

(٣) في (خ): ابن داود. والمثبت من المصادر.

سَخَطك، فأَعِنه على ذلك بتوفيقك، مولاي، عبدُك عظيمُ الرجاءِ لخيرك، فلا تقطعْ رجاءه يومَ يفرح الصابرون[١]. فلا يزال على هذا حتى يُصبح، فلمَّا مات وحُمل إلى قبره، إذا اللحدُ مفروش بالرَّيحان، فأخذ بعضُ الذين نزلوا القبرَ منه شيئاً، فمكث عنده سبعين يوماً طريًّا لا يتغيَّر، والناسُ يأتون إليه فيشاهدونه بُكرةً وعشيًّا، فخاف الأميرُ أن يفتتنَ الناس، فأرسل فأخذه، ففقده الأميرُ من منزله فلا يُدرَى أين ذهب.

يزيدُ بن منصورِ بن عبد الله الحِمْيَرِي

خالُ المهدي. ولَّاه المنصورُ البصرةَ واليمن والولاياتِ العظيمة، وكذا المهديّ، وكان شجاعاً حازماً جَوَاداً، محترماً في بني العبَّاس. وقد ذكرنا أنه حجَّ بالناس في سنة تسعٍ وخمسين ومئة، وسنةِ ستِّين مع المهدي[٢] ، وكانت وفاتُه بالبصرة في هذه السَّنة بالاتفاق، واللهُ أعلم.



(١) في المنتظم ٨/ ٢٨٠، وصفة الصفوة ٣/ ١٦٢ : الفائزون.

(٢) لم يحج سنة ستين مع المهدي، بل استخلفه مع ابنه الهادي على بغداد. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣، والمنتظم ٨/ ٢٣٨، والكامل ٦/ ٤٨.

السَّنة السادسةُ والستُّون بعد المئة

فيها عقد المهديُّ البَيعةَ لابنه هارونَ بعد موسى ولقَّبه الرَّشيد، وكان هارونُ قد عاد من القُسطنطينية سالماً غانماً ومعه من المال ما كان تقرَّر بينه وبين المَلِكة، فقدم بغدادَ في المحرَّم.

وفيها غضب المهديُّ على وزيره يعقوبَ بنِ داودَ وحبسه في المُطْبِق، فأقام سبعَ عشْرةَ سنةً محبوساً، ثم أُخرج في أيَّام هارون، وسنذكره في سنة اثنتين وثمانين ومئة.

وفيها اعتمر المهديُّ في رمضان، ومضى إلى المدينة فصلَّى بالناس صلاةَ الفِطر وخطب، وأَطلق المهديُّ عبدَ الصمد بنَ عليٍّ من حبسه.

وفيها أَجدبت البلاد، فأمر المهديُّ الناسَ أن يَستسقوا، فذكر مصعبُ بن عبدِ الله الزُّبيريُّ عن الفضل بنِ الربيع قال: قُحِطَ الناسُ في سنة ستٍّ وستين ومئة، فنادى المهديُّ في الناس بأن يصوموا ثلاثةَ أيامٍ ويخرجوا في اليوم الرابعِ للاستسقاء، فصاموا ثلاثةَ أيام وخرجوا في اليوم الرابعِ فسُقوا. وقيل: إنَّ الثلجَ نزل في الليلة الثالثة، فقال لَقيطُ بن بُكيرٍ[1] المحاربيُّ في ذلك هذه الأبيات: [من الخفيف]

يا إمامَ الهدى سُقينا بك الغيـ ـثَ وزالت عنَّا بك اللَّأواءُ
بتَّ تدعو الإلهَ والناسُ نُوَّا مٌ[2] عليهم من الظَّلام غِطاءُ
رقدوا حيث طال ليلُك فيهمْ لك خوفٌ تضرُّعٌ[3] وبكاءُ
فسُقينا وقد قُحِطنا وقلنا سَنَةٌ قد تنكَّرت[4] شهباءُ
بدعاءٍ أخلصتَه في ظلام الـ ـليلِ لله فاستُجيب[5] الدُّعاءُ
بثلوجٍ تحيا بها الأرضُ حتى أَصبحتْ وهي زهرةٌ خضراءُ

---

(١) في (خ): بكر. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٨٣.

(٢) في (خ): نيام. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في (خ): وتضرع. ولا يستقيم به الوزن.

(٤) في (خ): ناكدت. وهو خطأ.

(٥) في (خ): فاستجاب. والمثبت من تاريخ الطبري.

وفيها أمرالمهديُّ بإِقامة البريدِ من اليمن إلى مكَّة، ومن مكَّةَ إلى بغداد، ولم يكن قبل ذلك.

وفيها أُتي المهديُّ بجماعةٍ من الأَعيان اتُّهموا بالزَّندقة، فاستتابهم المهديُّ وأطلقهم، وكان منهم داودُ بن رَوح بنِ حاتم، وكان أبوه روحُ بن حاتِمٍ عاملاً على البصرة، فمنَّ المهديُّ على داود، ثم أَرسله إلى أبيه وقال له: أَدِّب ولدَك.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بنِ محمدٍ وهو على المدينة، واللهُ أعلم.

وفيها توفِّي

خالدُ بن بَرْمَك، أبو العباس

ولد سنةَ تسعين، وكان يختلف إلى محمد بنِ عليٍّ[١] بالحُمَيمة، فلما مات محمدٌ اختلف إلى إبراهيمَ الإمام، ولما قُتل أبو سَلَمةَ الخلَّالُ أمره أبو العباسِ أن يقرأَ الكتبَ عليه ويُجيبَ عنها، ولم يزل أمرُه يعلو حتى توفِّي السفَّاح وهو كاتبُه[٢]، وكان يكره هو والعقلاءُ أن يقال: الوزير؛ لقول سليمانَ بنِ مهاجرٍ في قتل أبي سَلَمة: [من الكامل]

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أودَى فمَن يشناك كان وزيرا

وأمُّ خالد بنتُ يزيدَ امرأةُ خالدِ بن بَرْمكَ أَرضعت ريطةَ بنتَ السَّفَّاح بلِبان أمِّ يحيى بنتِ خالد، وأَرضعت أمُّ سلمةَ المخزوميةُ زوجةُ السفَّاح أمَّ يحيى بنتَ خالدٍ بلِبان ابنتِها ريطة، فدخل خالدٌ يوماً على السفَّاح، فقال له: يا خالد، أَمَا رضيتَ حتى استخدمتَني؟ ففزع خالدٌ وقال: كيف وأنا عبدُك؟! فضحك وقال: ريطة ابنتي تنام مع ابنتك أمِّ يحيى في مكانٍ واحد، فأَنتبهُ بالليل وقد انكشفتا، فأَقوم فأمدُّ اللِّحافَ عليهما، فقبَّل خالدٌ يديه وقال: مولًى يؤجَر في عبده وأَمَته. وأمُّ خالدِ بن بَرْمك أَمَةُ الله بنتُ صُول.

ولما توفِّي أبو العباسِ أقرَّه أبو جعفرٍ على وزارته مُدَيدة، ثم استوزر أبا أيوبَ المورياني، وكان أبو جعفرٍ يأنس بخالد، وكان أبو أيوبَ يحسُده، فأراد أن يُبعدَه عنه،

---

(١) هو والد السفاح. انظر تاريخ دمشق ٥/ ٤١٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٤/ ٣٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٥٠.

فاتفق هجومُ الأكرادِ على فارس، فاشتدَّ ذلك على أبي جعفر، فاستشار أبا أيوبَ وقال: انظر رجلاً أولِّيه فارس، فقال: ما أعرفُ رجلاً يقوم بها مثلَ خالد، فقال: صدقت. وعقد له على فارسَ وولَّاه حربها وخَراجها، وإنما كان يلي الحربَ واحدٌ والخراجَ آخَر، فكان خالدُ أولَ مَن جُمع له الحربُ والخراج في دولة بني العبَّاس، فسار إلى فارسَ ومعه وجوهُ الناس، وانتجعه الشعراءُ ومدحوه.

وقال أبو عَمرٍو العمراوي: أَجمع الناسُ ممن عرفناه من السادات والملوك والعلماءِ أنَّه ما بلغ مبلغَ خالدِ بن بَرمكَ أحدٌ من ولده، وأنَّ الفضائل التي[1] تفرَّقت فيهم اجتمعت فيه، كان فوق يحيى في رأيه وحِلمه، وفوق الفضلِ في سَخائه وكرمه، وفوق جعفرٍ في كتابته وفصاحته، وفوق محمدٍ في حُسن أُبَّهته، وفوق موسى في بأسه وشجاعته.

ثم تصرَّفت الولاياتُ بخالد، وجرت له مع أبي جعفرٍ قِصص، وأَغرمه ثلاثةَ آلافِ ألف درهم، وولَّاه الموصل، فمات أبو جعفرٍ وهو عليها وابنُه يحيى على أَذْرَبيجان. ولما مات المنصورُ أقرَّه المهديُّ على الموصل وزاد فارسَ وأعمالَها، فبعث ابنَه يحيى إليها، ثم ولي الرَّي، وكان مع المهديِّ بطَبَرِسْتان.

وخالدٌ أوَّل مَن سمّى المنتجِعين الزوَّار، وكانوا يسمَّون السؤَّال، فقال ابنُ حُبيباتٍ[2] يزيدُ بن خالدٍ الكوفي[3]: [من الطويل]

حذا خالدٌ في جُوده حَذْوَ بَرْمَكٍ ... فمجدٌ له مستطرَفٌ وأَثيلُ
فسمَّاهم الزُّوَّارَ سَتراً عليهمُ ... وذلك مِن فعل النَّبيلِ نبيلُ

ومِن مدحه في خالد: [من البسيط]

لم يبقَ إلَّا الذي شيرازُ منزلُه ... أَعني ابنَ برمكَ مِمَّن يُرتجى أَحدُ
إنْ أنت لم تنقلب من خالدٍ بغنًى ... فاقعدْ فقد مُلك المعروفُ والصُّعدُ

وما أحدٌ من أهل خراسانَ إلَّا ولخالدٍ عليه مِنَّة ويد، وعلى غيرهم، وما كان له

---

(١) في (خ): الذي.
(٢) في (خ): حيان. وهو خطأ.
(٣) و كذا في الوافي ١٣/ ٢٤٨، والبيتان في ديوان بشار بن برد ٢/ ٤٦٥، ونسبهما له صاحب الأغاني ٣/ ١٧٣.

صاحبٌ وله دارٌ إلَّا وهي من نعمة خالد، ولا بستانٌ ولا قريةٌ ولا ابنٌ إلا وأُمُّ ولدِه من خالد، ولا نعمةٌ إلا وخالدٌ أصلُها، وأوقف على أبنائهم الأوقاف.

وخرج خالدٌ مع قَحطبةَ لمحاربة ابنِ ضبارة[1]، فنزلوا بعيداً منه ولم يستعدُّوا للقائه، فجلس قحطبةُ وخالدٌ يوماً على سطحٍ في قرية، وإذا بقطيعٍ من الوحش والظِّباء قد خالطت العسكر، فصاح خالد: اِلبسوا السلاحَ فقد دهمكم العسكر، فلبسوا، وإذا بابن ضبارةَ قد أقبل في جيوشه، والتقَوا فاقتتلوا، فقُتل ابنُ ضبارة وغنموا عسكرَه، فقال قحطبةُ لخالد: من أين علمت؟ فقال: رأيت قُطعانَ الوحش والظباءِ قد أقبلت خالطت العسكر، ومن صفتها أن تنفِر، فعلمتُ أنه قد دهمها جيشٌ عظيم، فخالطت الإنسَ من خوفها منه.

وهجا أبو سَمَاعةَ المُعَيطيُّ خالداً ويحيى فقال: [من الخفيف]

زرتُ يحيى وخالداً مخلِصاً للَّـه [دِيني][2] فاستصغرا بعضَ شاني
ولو انِّي أَلحدتُ في الله يوماً ولو انِّي عبدتُ ما يعبدانِ
ما استخفَّا فيما أظنُّ بشأني ولأصبحتُ منهما في مكانِ
إنَّ شَكلي وشكلَ مَن يجحد اللَّـه وآياتِه لَمختلفانِ

وبلغ خالداً فلم يقل شيئاً، وكان حليماً، وبقيت في قلب يحيى، فلما مات خالدٌ وولي يحيى الوزارةَ دخل عليه المُعَيطي، فلما رآه يحيى قال: مَن القائل:

زرتُ يحيى وخالداً مخلصاً لله؟

قال: ما أعلم. فاستحلفه بالله وبطلاق زوجتِه وصدقةِ ماله أنَّه ما يعلم مَن قاله، فحلف، فالتفت يحيى إلى أصحابه وقال: نحتاج نجدِّد لأبي سَمَاعةَ منزلاً وزوجة، يا غلام، أَعطِه عشرةَ آلافِ درهم وتختاً من الثياب، فأعطاه، وخرج المعيطيُّ فقال: ما أَصنع بابن الزانية [أبى][3] إلَّا كرماً، وبلغت يحيى، فاستدعاه فقال: ما الذي قلت؟

---

(١) في الوافي ١٣/ ٢٤٨: لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٥/ ٤١٣ (مخطوط).

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق.

فأَنكر وقال: حسدوني، فقال يحيى: لا أَعدمك اللهُ ما جبلك عليه من لؤم طباعِك ومذمومِ أخلاقك، وما هو إلَّا كما قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: المؤمنُ لا يَشفي غيظَه.

ثم إن المُعَيطيَّ هجا سليمانَ بنَ أبي جعفر، وكان محسِناً إليه، فضربه مئة سَوطٍ وحلق رأسَه ولحيتَه[1].

ذِكْر وفاةِ خالد:

كان المهديُّ قد أَشخصه إلى الغزو لبلاد الرومِ مع ابنه هارون، فمات أخوه الحسنُ ابن برمكَ في تلك الغَزاة، فجزِع عليه ومرض، ودخل بغدادَ وهو مريض، فبعث إليه المهديُّ من عنده أكفاناً وحَنُوطاً، وبعث ابنَه موسى بنَ المهديِّ فصلَّى عليه، وذلك في جمادى الأُولى من هذه السَّنةِ[2] وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.



(١) فُعل به ذلك بأمر من هارون الرشيد، كما في تاريخ دمشق.

(٢) ذكرت المصادر وفاته في سنة ١٦٥، أو ١٦٣. انظر تاريخ دمشق ٥/ ٤١٤، ووفيات الأعيان ١/ ٣٣٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٣٥٠، والوافي ١٣/ ٢٤٨.

السَّنة السابعةُ والستُّون بعد المئة

فيها جدَّ المهديُّ في طلب الزَّنادقة، وكتب إلى الآفاق بسببهم، وقتل صالحَ بن عبدِ القُدُّوس، وأُحضر بين يديه آدمُ بن عبدِ العزيز بنِ عمرَ بن عبدِ العزيز ـ وكان شاعراً ماجناً خَليعاً ثم تنسَّك، وكان يُرمى بالزَّندقة ـ فقال له المهديّ: زعموا أنك زِنديق، فأنكر، فضربه ثلاثَ مئةِ سَوط، فقال: واللهِ ما أشركتُ بالله طَرْفَة عين، ولو قطعتَني إِرْباً إرباً ما أَقررتُ على نفسي بباطل، قال: ألستَ القائل: [من مجزوء الرمل]

إِسقني واسقِ خليلي ... في مدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صفراءَ[1] صِرْفاً ... سُبِيَتْ من نهرِ بِيلِ[2]
قل لمن يلحاكَ فيها ... من فقيهٍ أو نبيلِ
أنت دعْها وارجُ أخرى ... من رَحيقِ السَّلسبيلِ

فقال: يا أميرَ المؤمنين، كنتُ فتًى من فِتيان قريشٍ أَمجُن مع الفتيان بلساني، واعتقادي مع ذلك التوحيدُ والإيمانُ بالله، فلا تؤاخذني بما أَسلفت، فالتوبة تَجبُّ ما قبلها، واحفظْ فيَّ عُمَر، فخلَّى سبيلَه.

وبات آدمُ ليلةً ببغداد فأكلته البراغيث، فقال: [من الطويل]

تطاولَ في بغدادَ ليلي ومَن يَبِت ... ببغدادَ يلبث [ليلَه] غيرَ راقدِ
بلاداً[3] إذا زال النهارُ تقافزت ... براغيثُها من بين مثنَى وواحدِ
دَيازِجةٌ[4] شُهْبُ البطونِ كأنها ... بِغالُ بريدٍ سُرِّحت في مواردِ

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يمدح فيها الرَّيّ، أولُها:

هنيئاً لأهل الرَّيِّ طِيبُ بلادِهم ... وواليهم الفضلُ بن يحيى بنِ خالدِ

---

(١) في تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٥ وتاريخ دمشق ٢/ ٦٥٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٧٧ : صهباء.
(٢) نهر في بغداد.
(٣) في تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٤ : بلاد.
(٤) الديزج: معرب ديزه، وهي لون بين لونين غير خالص. لسان العرب (دزج).

وفيها أمر المهديُّ يقطينَ بن موسى بزيادةٍ في المسجد الحرام، وكان ضيِّقاً، فقدم يقطينُ فاشترى دُوراً كثيرةً وأَدخلها في المسجد، فمات المهديُّ ولم يتمَّ بناؤه.

وفيها[1] أَظلمت الدنيا ظلمةً شديدة لليالٍ بقينَ من ذي الحِجَّة، وأَمطرت السماءُ رملاً أحمر، ودام ذلك، ثم وقع عقيبَه وباءٌ شديد هلك معظمُ أهلِ بغدادَ والبصرة، وأقامت الظُّلمة من السَّحر حتى ارتفع النهار.

وفيها توفِّي **عيسى بنُ موسى**.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بن محمدٍ وهو على المدينة، ولَمَّا عاد إلى المدينة توفِّي بعد الحجِّ بأيام، وولَّى المهديُّ المدينةَ إسحاقَ بن عيسى بنِ عليّ.

وفيها توفِّي **بشَّارُ بن بُرْد**

أبو معاذٍ العُقَيلي الشاعر، مولى بني عُقَيل، ويقال له: المرعَّث؛ لقوله: [من مجزوء الخفيف]

مَــن لِــظَــبْــيٍ مــرعَّــثٍ[2] فــاتــنِ الــطَّــرْفِ والــنــظــرْ
قــال لــي لــســتَ نــائــلــي[3] قــلــتُ أو يَــغــلــب الــقَــدَرْ

وُلد وهو أَعمى، وكان يأتي من التَّشبيهات بما لا يقدر أن يأتيَ بمثله البُصَراء، مثل قولِه: [من الطويل]

كـأنَّ مَـثـارَ الـنَّـقْـع فـوق رؤوسِـنـا[4] وأَسـيـافَـنـا لـيـلٌ تَـهـاوَى كـواكـبُـهْ

وكان بشارٌ شاعراً خطيباً، صاحبَ منثورٍ ومِزْواجٍ[5] وسَجْع ورسائل، وهو المقدَّم في الشعراء المحدَثين، وهو بصريٌّ قدم بغداد، وشهد له أبو تَمَّامٍ بالفضل، وقال الشِّعرَ ولم يبلغ عشْرَ سنين، وقال ثلاثةَ عشَرَ ألفَ بيتٍ جيِّد، فمنه: [من الخفيف]

---

(١) في (خ): وقال. ولعله سهو.

(٢) في ديوان بشار ٢/ ٤١٤ (ملحقات قافية الراء): قال ريم مرعث. وأخرج الخطيب في تاريخه ٧/ ٦١٠ عن أبي عبيدة: قيل لبشار المرعث لأنه كان يلبس في أذنه وهو صغير رعاثاً، والرعاث: القُرْط.

(٣) في الديوان: لست والله نائلي.

(٤) في الديوان ١/ ٢٧٣ : رؤوسهم.

(٥) كذا في (خ)، والمنتظم ٨/ ٢٨٩ ، ولعله أراد: ومزدوج، كما في البيان والتبيين ١/ ٤٩ . قال ابن منظور في لسان العرب (زوج): وازدوج الكلام وتزاوج: أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن. وانظر معجم المصطلحات البلاغية ص٦١٥ .

ولـهـا مِـيْـسَـمٌ كـثَـغـر[1] الأَقـاحـي وحـديـثٌ كـالـوَشـي وشـيِ الـبُـرودِ
نـزلـتْ فـي الـسَّـواد مـن حَـبَّـة الـقلـ ـبِ وزادت زيـادةَ الـمـسـتـزيـدِ[2]
عـنـدهـا الـصـبـرُ عـن لـقـائي وعـنـدي زَفَـراتٌ تـأكـلـن صـبـرَ الـجـلـيـدِ

ومنه: [من مجزوء البسيط]

قـالـوا الـعَـمَـى مـنـكـرٌ قـبـيـحٌ قـلـت لـفـقـدي لـكـمْ يـهـونُ
واللهِ مـا فـي الأنـام شـيءٌ تـأسَـى عـلـى فـقـده الـعـيـونُ[3]

أخذه أبو العلاءِ المعرِّيُّ فقال: [من السريع]

أبـا الـعَـلَا يـا ابـنَ سـلـيـمـانـا إنَّ الـعَـمَـى أولاك إحـسـانـا
لـو عـايـنـتْ عـيـنـاك هـذا الـورى لـم يـرَ إنـسـانُـك إنـسـانـا[4]

وكان أبوه يضربه ويقول: كفَّ لسانَك عن الناس، فقال له: يا أَبَة، لا تضربْني، وقل لهم إذا شكَوني إليك: ليس على الأعمى حَرَج. فقال لهم ذلك، فقالوا: فِقهُ بُرْدٍ أضرُّ علينا من شِعر بشار.

ومن شِعره في ابن هُبَيرةَ من أبيات: [من الطويل]

إذا كـنـت فـي كـلِّ الأمـورِ[5] مـعـاتـبـاً خَـلـيـلَـك لـم تـلـقَ الـذي لا تـعـاتـبُـهْ
إذا أنـت لـم تـشـربْ مِـراراً عـلـى الـقَـذَى ظـمـئـتَ وأيُّ الـنـاسِ تـصـفـو مـشـاربُـهْ
فـعِـشْ واحـداً أو صِـلْ أخـاك فـإنَّـه مـقـارِفُ ذنـبٍ[6] مـرَّةً ومـجـانـبُـهْ
أخـوك الـذي إنْ تـدعُـه لـمُـلِـمَّـة يُـجِـبْـك وإنْ عـاتـبـتَـه لانَ جـانـبُـهْ
إذا كـان خـرَّاجـاً أخـوك مـن الـهـوى تـوجُّـهُـه فـي كـلِّ إرْبٍ ركـائـبُـهْ
فـخَـلِّ لـه وجـهَ الـفـراقِ ولا تـكـن مـطـيَّـةَ رحَّـالٍ بـعـيـدٍ مـذاهـبُـهْ

فأعطاه ابنُ هُبيرةَ أربعين ألفاً. وقيل: إنها للمتلمِّس.

(١) في الديوان ٢/ ٥: مضحك كفر.
(٢) هذا البيت من ملحقات قافية الدال ٢/ ٢٣٠.
(٣) الديوان ٢/ ٥٣٩، باختلاف يسير.
(٤) قال الصفدي في نكت الهميان ص٧٥: ومن المنحول لأبي العلاء المعري... ثم ذكرهما.
(٥) في الديوان ١/ ٢٦٦: الذنوب.
(٦) في (خ): ذنباً.

ذِكرُ وفاته:

بلغ المهديَّ أنَّه هجاه، وشهد قومٌ عليه بالزَّندقة، فأمر المهديُّ بضربه، فضُرب ضربَ المتلف، فمات وقد بلغ نيِّفاً وتسعين سنة. وقيل: سعى به يعقوبُ بن داودَ إلى المهديِّ وقد هجا أخاه صالحاً لَمَّا ولَّاه المهديُّ البَطِيحةَ والأهوازَ فقال: [من الطويل]

هـمُ حـمـلـوا فـوق الـمـنـابـرِ صـالـحـاً أَخـاك فـضـجَّـت مـن أخـيـك الـمـنـابـرُ[١]

وبلغ يعقوب، فدخل على المهديِّ فقال: إنَّ هذا الأعمى الزنديقَ قد هجاك، فقال: وما الذي قال؟ فقال: أَوَ تُعفيني؟ فقال: لا بدّ، فقال: قال: [من السريع]

خـلـيـفـةٌ يـزنـي بـعـمَّـاتـه يـلـعـب بـالـدُّفِّ وبـالـصَّـولـجـانْ
أَبـدلـنـا اللهُ بـه غـيـرَه ودسَّ مـوسـى فـي حِـرِ[٢] الـخَـيْـزُرانْ

وكان بشارٌ لما استولى يعقوبُ على المهديِّ وولَّى الزيديةَ نفائسَ الأعمالِ هجاه فقال: [من البسيط]

بـنـي أُمـيـةَ هـبُّـوا طـال نـومـكـمُ[٣] إنَّ الـخـلـيـفـةَ يـعـقـوبُ بـنُ داودِ
ضـاعـت خـلافـتـكـمْ يـا قـومُ فـاطَّـلـبـوا خـلـيـفـةَ اللهِ بـيـن الـنـارِ والـعُـودِ

فقال المهدي: عليَّ به. فخاف يعقوبُ أن يَقدَمَ على المهديِّ فيمدحَه فيعفوَ عنه، وكان بشارٌ بالبَطِيحة، وقيل: بالبصرة، فأرسل يعقوبُ غِلماناً ليُحضروه إلى المهديِّ وقال لهم: غرِّقوه في الخرَّارة بالبَطِيحة.

وقيل: إن المهديَّ قتله ودفنه على حمَّاد عَجْرد على تلّ. فإن صحَّت هذه الرواياتُ فقد تقدَّمت وفاتُه؛ لأن المهديَّ نكب يعقوبَ في سنة ستٍّ وستِّين ومئة، وعلى قول مَن يقول: إنه دُفن على قبر عَجْرد، فقد تأخَّرت وفاته؛ لأنَّ عَجْرداً هلك سنةَ ثمانٍ وستِّين ومئة، والله أعلم.

الحسنُ بن صالحِ بن حَيّ

أبو عبدِ الله الكوفي، من الطبقة السادسة. كان ناسكاً عابداً فقيهاً وَرِعاً، كان يسمَّى

(١) الديوان ٢/ ٤٠٤ (ملحقات قافية الراء).

(٢) الحِرِ: فرج المرأة. والبيتان في الديوان ٢/ ٥٣٤.

(٣) رواية الديوان ٢/ ١٥٥: يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم.

حيَّةَ الوادي؛ لأنَّه ما كان ينام الليلَ ولا يقبل بِرَّ أحد، وكان يُفطر على خُبز الشعير. وقال: فتَّشنا على الورع فلم نجدْه في شيءٍ أعزَّ منه في اللسان.

وقام ليلة بـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ①﴾ [النبأ: ١] يردِّدها ويبكي ويُغشى عليه، ثم يُفيق فيردِّدها إلى الصباح. وكان يصلِّي الليل كلَّه ثم يجلس في مصلاه، ويجلس أخوه عليٌّ يبكي في حجرته، وتجلس أمُّهما تبكي في غرفتها.

وقال خَلَف بنُ تميم: لما مات عليٌّ وماتت الأمُّ ومات حسن، رأيتُه في المنام، فقلت: ما فعلت الوالدة؟ فقال: بُدِّلت واللهِ بذاك البكاءِ سرورَ الأبد. قلت: وعليٌّ وأنت؟ فقال: وهل نتَّكل إلَّا على عفوه.

وكان حسنٌ إذا صعد المنارةَ ليؤذِّنَ أَشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ وغُشي عليه، فيُحمل إلى منزله. وكان إذا خرج في جنازةٍ فنظر إلى اللَّحد فيغشى عليه، فيُحمل على النَّعش إلى بيته.

وكان لَمَّا مات ابنَ ستِّين سنة، واتفقوا على أنه كان ثقةً صحيحَ السَّماع كثيرَ الحديث.

أَسند عن أبي إسحاقَ السَّبيعي وأعيانِ التابعين، وشغله الخوفُ عن الرواية.

صالحُ بن عبد القُدُّوس

أبو الفضلِ البصري، مولى الأَزد. كان شاعراً فصيحاً فاضلاً متكلِّماً، وله الشعرُ الرائقُ في الزُّهد وغيرِه، وقد اتَّهمه المهديُّ بالزَّندقة فأَمر بحمله إليه، فلمَّا خاطبه أَعجبه غزارةُ علمِه وأدبُه وحُسنُ بيانه، فأَمر بإطلاقه، فلما ولَّى ردَّه وقال له: ألستَ القائل: [من السريع]

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَه ... حتى يوارَى في ثرى رَمْسِهِ
إذا ارعوى عادَ إلى جهله ... كذي الضَّنَى عاد إلى نُكسِهِ

قال: بلى، قال: وأنت لا تترك أخلاقَك[1]، ونحن نحكم فيك بحكمك. ثم أَمر به فقُتل وصُلب على الجسر.

---

(١) في (خ): أخلاقه. والمثبت من المصادر، انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص٩٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤١١.

وأوَّل هذه الأبيات:

وإنَّ مَن أدَّبتَه في الصِّبا ... كالعُود يُسقى الماءَ في غرسهِ
حتى تراه ناضراً مُورِقاً ... بعدَ الذي أبصرتَ من يُبسه
والقَ أخا الضِّغْن بإيناسه ... ليدركَ الفرصةَ في أُنسه
كالليث لا يَفرِس أقرانَه ... حتى يرى الفُرصةَ في فَرْسه
ما يبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغ الجاهلُ من نفسه
والشيخُ لا يترك أخلاقَه ... حتى يوارَى في ثَرَى رَمسه
إذا ارعوى عادَ إلى جهله ... كذي الضَّنى عاد إلى نُكسه

ومن شِعره: [من الكامل]

المرءُ يجمع والزمان يفرِّق ... ويظلُّ يَرْقع والخطوبُ تمزِّقُ
ولَأن يعاديَ عاقلاً خيرٌ[(١)] له ... من أن يكونَ له صديقٌ أحمق
فارغبْ بنفسك لا تصادقْ أَحمقاً ... إنَّ الصديقَ على الصديق مصدَّق
وزِن الكلامَ إذا نطقتَ فإنما ... يُبدي عيوبَ ذوي العقولِ المنطق
ومن الرِّجال إذا استوت أخلاقُهم[(٢)] ... مَن يُستشار إذا استُشير فيُطْرق
حتى يُجيلَ بكلِّ وادٍ قلبَه ... فيرى ويعرف ما يقول فيَنطِق
وإن امرؤٌ لسعتْه أفعى مرَّة ... تركتْه حين يُجَرُّ حبلٌ يَفْرَق
لا أَلقينَّك[(٣)] ثاوياً في غُربةٍ ... إنَّ الغريبَ بكلِّ نَبلٍ يُرشَق
ما الناسُ إلَّا عاملان فعاملٌ ... قد مات من عطشٍ وآخَرُ يَغرق
والناسُ في طلب المعاشِ وإنَّما ... بالجَدِّ يُرزق منهمُ مَن يُرزق
لو يُرزقون على وِزان عقولهمْ ... أَلفيتَ أكثرَ مَن ترى يتصدَّق
وإذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا ... أَلفيتَ مَن تبع العَرائِسَ[(٤)] يعبق

(١) في (خ) وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٤ : خيراً، والمثبت من تاريخ الإسلام ٤/ ٤١٢.
(٢) في تاريخ بغداد، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣ : أحلامهم.
(٣) في (خ): لألقينك. وهو خطأ.
(٤) في (خ): الجنازة. وهو خطأ. والمثبت من المصادر

ورأيتَ مَن تبع الجنازةَ باكياً ورأيت دمعَ جوانحٍ(١) يترقرق
لو سار ألفُ مدجَّجٍ في حاجةٍ لم يقضِها إلَّا الذي يترفَّق
إن الترفُّقَ للرفيق موافقٌ وإذا تسابق فالترفُّق أَسبَق
بقي الذين إذا يقولوا يَكْذِبوا ومضى الذين إذا يقولوا يَصْدُقوا(٢)

وقال: [من البسيط]

إنَّ الغنيَّ الذي يرضى بعيشته لا مَن يظلُّ على ما فات مكتئبا
لا تحقرنَّ من الأيام محتقَراً كلُّ امرئٍ سوف يُجزى بالذي كسبا
قد يحقر المرءُ ما يَهوى فيركبه حتى يكونَ إلى توريطه سببا
إنَّ العدوَّ إذا أَبدى مُكاشَرَةً إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا
إذا وترتَ امرأً فاحذرْ عداوتَه مَن يزرع الشوكَ لا يحصدْ به عِنَبا(٣)

وقال: [من الوافر]

أَنِستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي وطاب العيشُ لي ونما السرورُ
وأدَّبني الزمانُ فصرتُ فرداً وحيداً لا أُزار ولا أَزور
ولستُ بقائلٍ ما دمت حيًّا أَسار الجيشُ أم ركب الأمير
ومَن يكُ جاهلاً برجال دهري فإنِّي عالمٌ بهمُ خبير(٤)

وقال: [من الكامل]

لا يُعجبنَّك مَن يصون ثيابَه حَذَرَ الغبارِ وعِرضُه مبذولُ
ولربَّما افتقر الفتى فرأيتَه دَنِسَ الثيابِ وعِرضُه مغسول(٥)

وقال: [من الطويل]

تخيَّرْ من الإخوان كلَّ ابنِ حُرَّةٍ يسرُّك عند النائباتِ بلاؤهُ

---

(١) في تاريخ بغداد: نوائح.
(٢) وقع في هذا البيت اضطراب في (خ)، فأثبت ما في تاريخ بغداد.
(٣) الأبيات الثلاثة الأوَل في تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥ (مخطوط)، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٣. والبيتان الأخيران في تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٦ .
(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٥.
(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٤.

وقـارِنْ إذا قـارنـتَ حُـرًّا فـإنَّـمـا يَـزيـن ويُـزري بـالـفـتـى قُـرنـاؤه
حـبـيـبـاً وفـيًّـا ذا حِـفـاظٍ بـغَـيـبـةٍ وبـالـبِـشـر والـبُـشـرى يـكـون لـقـاؤه
أريـبـاً إذا شـاورتَ فـي كـلِّ مُـشْـكـلٍ أديـبـاً يـسـوءُ الـحـاسـديـن بـقـاؤه
فـلـن يَـهـلِـكَ الإنـسـانُ إلَّا إذا أتـى مـن الأمـر مـا لـم يـرضَـه نُـصـحـاؤه
تـمـسَّـك بـهـذا إنْ ظـفـرتَ بـوُدِّه فـيَـهـنـيـك مـنـه وُدُّه ووفـاؤه[1]

قال: [من الطويل]

تـجنَّبْ قـرينَ الـسُّوءِ واصرِمْ حبالَه فـإنْ لـم تـجد عـنـه مَـحـيـصاً فـداره
ومَنْ يطلب المعروفَ من غير أهلِه يـجـدْه وراءَ الـبـحـرِ أو فـي قـراره
ولله فـي عَـرْض الـسَّـمـاواتِ جـنَّـةٌ ولـكـنَّـهـا مـحـفـوفـةٌ بـالـمـكـاره

وقال: [من السريع]

كـلٌّ إلـى الـغـايـة مـحـثـوثُ والـمـرءُ مـوروثٌ ومـبـعـوثُ
فـكـن حـديـثـاً حَـسَـنـاً سـائـراً بـعـدَك فـالـدنـيـا أحـاديـث[2]

واختلفوا في قتله هل قتله المهديُّ أو عاش بعدَه، فقال الخطيب[3]: قتله المهديّ، وكان قد هجاه، وبلغه عنه أنه عرَّض برسول الله ﷺ في أبيات.

وقال أبو اليقظان: كان صالحٌ يناظر أبا الهُذيل العلَّاف المعتزليَّ ويظهر عليه دائماً ويحمِّقه ويستجهله، فحمله ذلك على أن صنَّف كتاباً في الزَّندقة وعزاه إلى صالح، وبعث به إلى المهديِّ وقال: هذا تصنيفُ صالح، فقتله المهديُّ في آخر سنةِ ثمانٍ وستِّين ومئة، ومات المهديُّ في المحرَّم أوائلَ سنةِ تسعٍ وستِّين ومئة، فكان بينهما أقلُّ من شهر.

وقال أحمدُ بن عبدِ الرحمن المعبِّر: رأيت صالحاً في منامي ضاحكاً مستبشراً، فقلت له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: وردتُ على ربٍّ لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته وقال: قد علمتُ براءتك مما رُميتَ به، فطِبْ نفْساً وقرَّ عيناً.

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٦.
(٢) شعب الإيمان ٦/ ٣٥٧، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٠٤.
(٣) في تاريخه ١٠/ ٤١٣ ـ ٤١٤.

وقال الهيثم: لما طلب المهديُّ صالحاً هرب واستخفى منه، ومات المهديُّ وقام الهادي، فلم تَطُلْ أيامه، فلم يطلبْه، ووَلي الرشيدُ وقدم الرقَّة، فجلس يوماً مجلسَ العامَّة، فدخل عليه صالحٌ وهو لا يعرفه، فأنشد: [من الكامل]

لَـمَّـا رأتـكَ الـشـمـسُ طـالـعـةً ... سجدتْ لوجهك طلعةُ الشمسِ
خيرُ الخلائقِ أنت كلِّهمِ ... في يومك الماضي وفي أمسِ
مِن نبعةٍ طالت أَرومتُها ... أهلِ الوفا ومعادنِ القُدس
إنِّي أتيت إليك من جَزَعٍ ... كان التوكُّل عنده تُرسي
واللهُ يعلم أنَّني رجل ... ما إنْ أضعتُ إقامةَ الخَمس

من أبيات، فقال له هارون: مَن أنت؟ فقال: عبدُك صالح، قال: قد عفونا عنك. وأمر له بعشرة آلافِ درهم، وكتب له كتاباً إلى عامل البصرةِ يوصيه به[١].

والظاهر أن المهدي قتله، والله أعلم.

عُتبةُ بن أَبان بنِ صَمعة[٢]

ويلقَّب بعتبة الغلام لصِغَر سنِّه، بل لجِدِّه في العبادة واجتهادِه. وكان كثيرَ التعبُّد والبكاء، يصوم الدهرَ ويُفطر على خبز الشعير والملح الجَريش، وكان يَعجِن دقيقَه في الشمس ويأكله ويقول: كِسرةٌ وملحٌ حتى يُهيَّأ لنا الطعامُ الطيِّب في الدار الأُخرى. وكان يَضفِر الخُوصَ ويتقوَّت به.

وهو من الطبقة السادسةِ من أهل البصرة.

بكى في مجلس عبدِ الواحد بن زيدٍ تسعَ سنين، لا يفترُ من البكاء من حينِ ابتداءِ عبد الواحدِ إلى حينِ يقوم، فقيل له: إنَّا لا نفهم كلامَك من بكاء عُتبة، فقال: تبكي عينُه على نفسه وأَنهاه أنا! لَبئس واعظُ قومٍ أنا!

ونام عُتبةُ ليلةً على جانب البحرِ وقال: إنْ تعذِّبْني فإني لك مُحبّ، وإنْ رحمتَني فإني

---

(١) الحكاية في زهر الآداب ٢/ ٨٤٠ ـ ٨٤١، وصاحبها علي بن خليل مولى يزيد بن مزيد الشيباني، لا صالح بن عبد القدوس. والله أعلم.

(٢) في (خ): صنعة. والمثبت من المنتظم ٨/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٥١، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٣٦.

لك مُحبّ. فلم يزل يردِّدها إلى الفجر.

وقال: نأكل الخبزَ والملحَ ونقول: العُرس في الدار الأُخرى. وكان يقول: قَطَعَ ذِكْرُ العَرْضِ على الله أَوصالَ المحبِّين. وكان يقول: كابدتُ الليلَ عشرين سنة ثم تنعَّمت به عشرين سنة.

وقال عبدُ الواحد بنُ زيد: انطلقتُ أنا وعتبةُ في حاجة، حتى إذا كنا برَحبة القصَّابين إذا بعُتبةَ يَعرَق عَرَقاً شديداً، وكان ذلك في يوم شاتٍ شديدِ البرد، فقلتُ له في ذلك، فقال: هذا مكانٌ عصيتُ اللهَ فيه.

وكان لعُتبةَ بيتٌ يتعبَّد فيه، فلمَّا خرج إلى الشام أَقفله وقال: لا تفتحوه حتى يَبلغَكم موتي، فاستُشهد في بعض الغَزَوات، ففتحوه وإذا فيه قبرٌ محفور وغُلٌّ من حديد.

وقال قُدامة بنُ أيوب: رأيتُ عتبةَ في المنام بعد موته، فقلت له: يا عُتبة، ما فعل اللهُ بك؟ فقال: دخلتُ الجنةَ بتلك الدَّعَواتِ المكتوبةِ في حائط بيتك. قال: فلما أصبحتُ نظرت إلى بيتي، فإذا على الحائط مكتوب: يا هاديَ المضلِّين، ويا راحمَ المذنبين، ويا مُقيلَ عَثَرات العاثرين، ارحمْ عبدَك المسكينَ والمسلمين أجمعين، واجعلنا مع الأحياءِ المرزوقين، مع الذين أَنعمتَ عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداءِ والصالحين، آمينَ يا ربَّ العالمين.

عيسى بنُ موسى

ابنِ محمد بن عليِّ بن عبدِ الله بن العباس، أبو موسى.

هو ابنُ أخي السَّفَّاحِ والمنصور، نشأَ بالبَلقاء، ثم خرج مع أهله إلى العراق، كان جليلاً نبيلاً في أهل بيته، ولي إِمرةَ الموسمِ في خلافة عمَّيه، وولَّاه أبو العباسِ العهدَ بعد أبي جعفر، ومولدُه سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ ومئة، وتوفِّي أبوه موسى غازياً في بلاد الروم سنةَ ثمانٍ ومئةٍ وعُمره سبعٌ وعشرون سنة، وكان عيسى طفلاً، فضمَّه إليه إبراهيمُ الإمام، فكان يتيمَه، ولما أَخذ مروانُ إبراهيمَ ويئس من نفسه، أَوصى مَن حضره من خاصَّته أن الأمرَ بعده لأبي العباسِ ثم لعيسى بنِ موسى[1]، ففعل ذلك أبو العباس مدةَ

(١) في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٤١ : ثم من بعده لأبي جعفر عبد الله بن محمد، ثم لعيسى بن موسى.

خلافته، وأَوصى إلى أبي جعفرٍ أن يجعلَه بعده، فعاب الناسُ على أبي العباسِ مخالفتَه لأخيه إبراهيم، ثم خَلَعَه المنصورُ بعد ذلك، ولَمَّا خلعه أَقام بالكوفة، ومدةُ إقامته في العهد ثلاثٌ وعشرون سنة، ثم خلعه المهديّ، وكان يلقَّب في ولاية العهدِ بالمرتضَى، وهو الذي تولَّى قتالَ إبراهيمَ ومحمدٍ ابنَي عبدِ الله بنِ حسن، واستعمله أبو العباسِ على الكوفة، فلم يزل والياً عليها حتى عزله أبو جعفرٍ سنةَ ستٍّ وأربعين ومئةٍ، وولَّاها محمدَ بن سليمانَ بنِ عليّ.

وفي عيسى يقول ابنُ هَرْمة[1] : [من المتقارب]

قضيتُ اللُّبانةَ من حاجتي ... وقلتُ لعبديَ قُمْ فارحلِ
أَتتك الرواحلُ والمُلجَمات ... بعيسى بنِ موسى فلا تَعجَلِ
تأنَّيت أرجوك إنَّ الرَّجا ... ءَ منك على الخير للأفضل[2]
فأنت كريمُ بني هاشمٍ ... إذا المجدُ ولَّى إلى المُفْضِل
سَبوقٌ إلى قَصَبات العُلى ... عَطوفُ اليدين على المُعْيل[3]
فدونَكَها يا ابنَ ساقي الحَجِيج ... فإنِّي بها عنك لم أبخل
توارثتُموها وكنتمْ بها ... أحقَّ وأَوْلى من الجُهَّل

من أبيات.

وكان عيسى إذا حجَّ حجَّ بأُناس من أهل المدينة، ويتعرَّضون له فيَصِلُهم، فمرَّ بأبي الشدائدِ الفَزاريِّ وهو يُنشد ويقول: [من الرجز]

وعُصبةٌ إن حجَّ عيسى حجُّوا ... وإنْ أَقام بالعراق دجُّوا
والقومُ[4] قومٌ حجُّهمْ مُعْوَجُّ ... ما هكذا كان يكون الحجُّ

فسلَّم عليه أبو الشَّدائد، فلم يردَّ عليه وقال: ويحك تهجو حجَّاجَ بيتِ الله! فاعتذر إليه.

---

(١) في (خ): هرثمة. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٥٠. وهو إبراهيم بن علي، ستأتي ترجمته في الصفحة ٤٥٦.
(٢) في تاريخ دمشق: على الخبر الأفضل.
(٣) في تاريخ دمشق: العيِّل.
(٤) في (خ): وللقوم، وفي تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٥١ : فالقوم.

ووُلد لعيسى ابنة، فاغتمَّ وامتنع من الطعام، فبلغ ذلك بُهلولاً، فجاءه فدخل عليه وقال: أيُّها الأمير، بلغني أنَّه ولد لك ابنةٌ فاغتممت، فأيُّما أحبُّ إليك ابنةٌ عاقلة أو ابنٌ مجنونٌ مثلي؟ فقال: لا واللهِ إلَّا ابنةً عاقلة، ودعا بالطعام فأكل.

وبلغ عيسى أنَّ الحسن بنَ قحطبةَ أشار على المنصور بخلعه وولايةِ المهدي، فهدَّده بالقتل، فتمثَّل المنصور بقول جَرِير: [من الكامل]

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتل مِرْبعاً ... أَبشِر بطول سلامةٍ يا مِربعُ[1]

ذِكْرُ وفاته:

كانت وفاتُه بالكوفة لثلاث ليالٍ بقين من ذي الحِجَّة، وكان يومئذٍ على الكوفة رَوحُ ابن حاتِم عاملاً للمهدي، فأحضر القضاةَ والشهودَ والقوَّاد وأَشهدهم على وفاته، وحضر جنازتَه، فقيل له: تقدَّم فصلِّ عليه، فقال: ما كان اللهُ ليرى رَوحاً يصلِّي على عيسى بنِ موسى، فليتقدَّم أكبرُ ولده، فأَبَوا عليه وأَبى عليهم، فتقدَّم العباسُ بن عيسى فصلَّى عليه. وأَظلمت الدنيا عند موتِه يوماً كاملاً.

وبلغ المهديَّ امتناعُ رَوحٍ من الصلاة عليه، فغضب وكتب إليه: قد بلغني ما كان من نُكوصك عن الصلاة على عيسى، أَبنفسك[2] أم بأَبيك أم بجَدِّك كنت تصلِّي عليه! أوليس[3] ذلك مقامي لو حضرتُ فإذا غبتُ كنتَ أَولى به لموضعك من السُّلطان! ثم أَمر بمحاسبته، وكان يلي الخَراجَ مع الصَّلاة والأحداث.

وتوفِّي عيسى والمهديُّ واجدٌ عليه وعلى ولده، وكان يكره أن يتقدَّمَ عليه لجلالته، وكان لعيسى خمسٌ وستُّون سنةً يوم مات.

ذِكرُ أولاده:

كان له أَحدٌ وخمسون ولداً: أحدٌ وثلاثون ذَكَراً، وعشرون أُنثى، فمات من الذُّكور واحدٌ ومن الإناث سِتّ، فورثه من الذُّكور ثلاثون ومن النِّساء أربعَ عشرةَ امرأة.



(١) ديوان جرير ٢/ ٩١٦.

(٢) في (خ): أم بنفسك. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٦٤.

(٣) في (خ): وليس. والمثبت من تاريخ الطبري.

السَّنة الثامنةُ والستُّون بعد المئة

فيها مات زعيمُ الزنادقةِ عمرُ الكَلْوذاني، فأَقاموا عِوضَه محمدَ بن عيسى من أهل ميسان، ويلقب حمدويه، وأُتي بجماعةٍ منهم إلى المهديِّ فقتلهم.

وفيها نقضت الرومُ الصلحَ الذي كان هارونُ قرَّره، فبعث المهديُّ إليهم عليَّ بن سليمانَ وقيسَ بن يزيدَ بن البدرِ بن البطَّال في جيشٍ كثيف، وكان ابنُ البطال على قِنَّسرينَ وعليُّ بن سليمانَ على الجزيرة(١)، فأَوغلوا في بلاد الرومِ وقتلوا وسَبَوا، وخرج المهديُّ نحو واسط فنزل على نهر، فوصل أهلَه وخواصَّه، فسُمِّي نهرَ الصِّلة لذلك، وهو تحت واسط.

وحجَّ بالناس عليُّ بن المهدي، وهو ابن رَيطة.

وفيها توفِّي

الحسنُ بن زيدِ

ابن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب، أبو محمدٍ الهاشميُّ المدني. من الطبقة الخامسةِ من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ ولد. وكان عابداً ثقة، وعنده أحاديث.

ولَّاه أبو جعفرٍ المدينة، فوليها خمسَ سنين، ثم غضب عليه وعزله، واستصفى كلَّ شيءٍ له فباعه، وحبسه، وولَّى بعده عبدَ الصمد بنَ علي، فكتب المهديُّ إلى عبد الصَّمد: إياك وحسنَ بنَ زيد، ارفقْ به ووسِّع عليه، ففعل عبدُ الصمد. فلم يزل محبوساً حتى مات أبو جعفر، فأَخرجه المهديُّ فأَقدمه عليه، وردَّ عليه كلَّ شيءٍ ذهب له، ولم يزل مع المهديِّ حتى خرج المهديُّ يريد الحجَّ سنةَ ثمانٍ وستِّين وهو معه، وكان الماءُ في الطريق قليلاً، فخشي المهديُّ على مَن معه من العطش، فرجع من الطريق ولم يحجّ، ومضى حسنُ بن زيدٍ إلى مكَّة، فاشتكى أياماً ومات بالحاجر، فدُفن هناك.

---

(١) كذا قال، وهو وَهم منه رحمه الله تعالى، والصواب أن علي بن سليمان ـ وهو يومئذ على الجزيرة وقنسرين ـ وجَّه يزيدَ بن بدر بن البطال في سرية إلى الروم. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٦٧، والكامل ٦/ ٧٨.

وكان من الأَجواد الممدَّحين، وأوَّل ما عُرف من شرفه أنَّ أباه توفِّي وهو غلامٌ وخلَّف دَيناً عليه أربعةَ آلافِ دينار، فحلف ألَّا يُظلَّه سقفٌ حتى يقضيَ دَينَ أبيه، فقضاه، ومات على خمسة أميالٍ من مكَّة، وقيل: بالمدينة، وهو ابنُ خمسٍ وثمانين سنة، وكان له من الولد: محمد، والقاسم، وأمُّ كلثوم، تزوَّجها السفَّاح، فوَلدت له غلامَين هلكا صغيرين، وأمُّهم أمُّ سلمةَ بنتُ حسينِ الأَثرم بنِ حسن بن عليٍّ بن أبي طالب، وعليّ، وإبراهيم، وزيد، وعيسى، وأمُّهم أمُّ ولد، وإسماعيل، وإسحاق لأمِّ ولد، وعبدُ الله، وأمُّه رَباب بنت بِسطام من بني شيبان.

أَسند الحسنُ عن أبيه وعن عكرمةَ وغيرِهما، وروى عنه محمدُ بن إسحاقَ ومالكُ بن أنسٍ وابنُ أبي ذِئب وغيرُهم، وكان ثقةً صدوقاً رحمه اللهُ تعالى.

حمَّاد بن سَلَمة

أبو سلمةَ البصري، مولى بني تميم. من الطبقة الخامسةِ من أهل البصرة، وهو ابنُ أخت حُميدٍ الطويل، وكانا يقصَّان على الناس. وكان حمادٌ زاهداً عابداً صالحاً، لو قيل له: إنَّك تموت غداً، ما زاد في العمل شيئاً.

وقال مقاتلُ بن صالح: دخلت على حمَّاد، فإذا هو جالسٌ في البيت على حصيرٍ ليس فيه غيرُه ومصحفٌ يقرأ فيه، وجِرابٌ فيه عِلْمه، ومِطهرةٌ يتوضَّأ فيها. فبينا أنا جالسٌ عنده إذ دقَّ البابَ داقّ، فقال: يا صَبيَّة، أُخرجي فانظري مَن هذا، فخرجت وعادت، وقالت: رسولُ محمدِ بن سليمان، فأذن له، فدخل فناوله كتاباً فيه: من محمدِ بن سليمانَ إلى حمادِ بن سَلَمة، سلامٌ عليك، أما بعد: فصبَّحك اللهُ بما صبَّح به أولياءَه وأهلَ طاعته، قد وقعت مسألةٌ فأْتِنا لنسألَك عنها، والسلام. فقال مقاتل: قال لي: اقلبْ الكتاب، فقلبتُه، فقال: اكتب، فكتبت: أمَّا بعد: وأنت صبَّحك اللهُ بما صبَّح به أولياءه وأهلَ طاعته، إنا أدركنا العلماءَ وهم لا يأتون أحداً، فإن كانت وقعت مسألةٌ فأْتنا وسلْ عمَّا بدا لك، ولا تأتِني إلا وحدك، ولا تأتني بخَيلك ورَجِلك، فإني لا أَنصح لك، والسلام.

قال: فبينا أنا عنده إذ جاء محمدُ بن سليمان، فقال للصَّبية: قولي له لا يَدخل إلَّا وحده، فدخل وسلَّم وجلس بين يديه وقال: مالي إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعباً؟! فقال

حماد: سمعتُ ثابتاً البُنانيَّ يقول: سمعت أنسَ بن مالكٍ يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ: «إنَّ العالِمَ إذا أراد بعِلمه وجهَ اللهِ هابَه كلُّ شيء، وإذا أَراد يكتنزُ به الكنوزَ هاب من كلِّ شيء»، فقال: أربعون ألفَ درهمٍ تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه، فقال: اردُدْها على مَن ظلمتَه بها، فقال: واللهِ ما أعطيتك إلَّا ما ورثتُه، قال: لا حاجةَ لي فيها، ازوها عنِّي زوى اللهُ عنك أوزارَك، قال: فتقسمها، قال: فلعلي لا أَعدلُ فيها فيقول بعضُ مَن يُرزَق منها: لم يَعدِل، ازوها عني زوى اللهُ عنك أَوزارَك[١].

وقال موسى بنُ إسماعيل: ما رُئي حمادٌ ضاحكاً قطّ، كان مشغولاً بنفسه، إمَّا أن يقرأ، وإما أن يصلِّي، وإما أن يسبِّح.

وقال حمَّاد: كانت لي جارةٌ ولها بناتٌ يتامى، وكانت ليلةٌ ممطرة، فوكف عليهم السَّقف، فسمعتُ المرأةَ وهي تقول: يا رفيقُ ارفقْ بنا، فسكن المطرُ وانقطع الدَّلف، فقلت: هذه امرأةٌ مستجابةُ الدعوة، فأخذتُ في كمِّي دنانيرَ ونزلت، فطرقتُ عليها الباب، فقالت: كن حمادَ بن سَلَمة، فقلت: أنا حمَّاد، ففتحت البابَ وقالت: ما الذي بك؟ قلت: سمعتكِ وأنت تقولين: يا رفيقُ ارفق بنا، فما بلغ من رِفقه بك، قالت: قطع الدلفَ عنا وأَدفأَ البيت، فنام الصِّغار. فأخرجتُ الدنانيرَ من كمِّي وقلت: أَنفقي هذه الدنانيرَ على بناتك وأَيتامِك، وإذا بصبيَّة خُماسية ـ أي: بنتُ خمسِ سنين ـ قد خرجتْ وعليها جبَّة صوفٍ تستبين حروفها، فقالت: قد علمنا يا حمادُ أنَّما بعثك إلينا بالدنيا ليطردَنا عن بابه، ردَّ دنانيرَك عافاك الله، فنحن في غِنًى عنها. ثم أَغلقت البابَ ودخلتْ، فانصرفتُ.

وقال يونُس بنُ محمد: مات حمادٌ في المسجد وهو يصلِّي، وقيل: وهو ساجد. وقال أبو عبدِ الله التَّميميُّ عن أبيه قال: رأيتُ حمادَ بن سلمةَ في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: خيراً، أَوقفني بين يديه وقال: طال ما كددتَ نفسَك في دار الدنيا، فاليومَ أُطيل راحتَك وراحةَ المتعوبين في الدنيا، بخٍ بخٍ ماذا أَعددتُ لهم!

أَسند حمادٌ عن الحسن وابنِ سِيرينَ[٢] والأوزاعيِّ والزُّهري وخَلْقٍ كثير، واتفقوا

---

(١) تاريخ دمشق ٦٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥، وانظر الجامع لأخلاق الراوي (٨٤٦).

(٢) هو أنس بن سيرين، ولم تذكر المصادر ممن ذكرهم المصنف غير أنس هذا. انظر تهذيب الكمال، والسير ٧/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

على صدقه وثقتِه وديانته.

خارجةُ بن مصعبِ بن خارجة

أبو الحجَّاج. كان من الجوَّالين الرحَّالين في طلب الحديث، فيقال: إنَّه طاف الدنيا، وروى عنه الأئمَّة، ولم يسمع من الزُّهري، وسبب ذلك أنه رآه يوماً في السُّوق راكباً وبين يديه الأَعوان، قال: فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: الزُّهري، ولي شرطةً لبعض بني مروان، فقلت: قبَّح اللهُ هذا مِن عالِم، وانصرفتُ ولم أسمع منه، ثم ندمت، فقدمتُ على يونُس، فروى لي عن الزُّهري.

وقد ضعَّفه بعض الأئمَّة لأنه كان يقول بالإِرجاء[1].

عُبيد[2] الله بنُ الحسن

ابنِ الحُصين بن أبي الحُرِّ العنبري. قاضي البصرة، طُلب للقضاء بعد وفاةِ سوَّار بنِ عبد اللهِ فهرب، فقال له أبوه: يا بُني، إن كنتَ هربت طلباً لسلامة دِينك فقد أحسنت [وإن كنتَ هربت ليكونَ أحرصَ لهم عليك فقد أحسنت][3] أيضاً. فاستُقضي بعد سوَّار.

وكان يقول: لأَن أكونَ ذَنَباً في الحقِّ أحبُّ إليَّ من أن أكونَ رأساً في الباطل.

وكتب المهديُّ إليه كتاباً وهو قاضي البصرة، فقرأه وردَّه، فاستقدمه المهديُّ وقال: رددتَ كتابي! فقال: يا أميرَ المؤمنين، لم أردَّ كتابك، ولكنَّ الكتابَ الذي ورد عليَّ كان ملحوناً، وأميرُ المؤمنين لا يكتب كتاباً ملحوناً. فأَعجبه ووصله وردَّه إلى عمله.

وكان عُبيد الله فقيهاً عاقلاً عفيفاً، وكان كثيرَ المَزح، فقال له رجل: إنَّك لا تعاب بشيءٍ إلَّا بالمزح، فقال: إني لأَمزح ولا أقول إلا حقًّا. ثم قال: لو قلتُ لك: إنَّ في داري عيسى ابنَ مريمَ الساعةَ أكنتَ تصدِّقني؟ فقال الرجل: هذا من ذاك، وكان في

(١) بل ضعِّف بما هو فوق الإرجاء، كتدليسه عن الكذابين. انظر تاريخ دمشق ٥/ ٤٠٧ ـ ٤١١، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) في (خ): عبد الله، والمثبت من المصادر. انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٢٨٦، وتاريخ بغداد ١٢/ ٧، والمنتظم ٨/ ٢٩٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٤٩.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٢/ ٨.

داره رجلٌ جصَّاص يعمل فيها، فصاح به: يا عيسى، قال: لبَّيك، قال: ابنُ مَن أنت؟ قال: ابنُ مريم، فقال عبدُ الله للرجل: إذا اتَّفق لي مثلُ هذا فما أصنع؟! وشتمه رجل، فقبض على لحيته وقال: شيبي يمنعني أن أردَّ عليك.

ولي القضاءَ سنةَ سبعٍ وخمسين ومئة، ومات سنةَ ثمانٍ وستِّين، وكان ثقةً صدوقاً.

محمدُ بن ميمون

أبو حمزةَ السُّكَّري. سُمِّي بذلك لحلاوة كلامه، وكان فاضلاً جَوَاداً سَمْحاً عالماً. أراد جارٌ له بيعَ داره فقال: كم ثمنُها؟ فقال: ألفا دينار، ألفٌ لثمن الدار، وألفٌ لجوار أبي حمزة[١]. وبلغه، فأرسل إليه بأربعة آلافِ دينارٍ وقال: لا تبعْ دارَك.

وقال: ما شبعتُ منذ ثلاثين سنةً إلا أن يكونَ عندي ضيف.

وقال ابنُ مَعين: كان من ثقات الناس، وقدم بغدادَ في حَداثته، وكان مجابَ الدَّعوة، وكان الحسينُ بن واقدٍ قاضياً، فأتى أبا حمزةَ فأخبره بقضيَّة قضى فيها، فقال له: قضيتَ بالجَور[٢]، أنت لا تعرف القضاءَ فلم دخلتَ فيه؟ فبكى ابنُ واقدٍ وقال: اللهم ابتلِ أبا حمزةَ بما ابتليتَني به، فقال أبو حمزة: اللهم إن ابتليتَني بما ابتليتَه به فأَعمِ بصري، فما مضت الأيامُ حتى استُقضي أبو حمزةَ وذهب بصرُه بعد أيام، فاستُجيبَ لهما جميعاً.

ومات في سنة ثمانٍ وستِّين ومئة، وقيل: سنةَ سبعٍ وستين.

أَسند عن أبي إسحاقَ السَّبيعي والأعمشِ وغيرِهما، وروى عنه ابنُ المبارك وغيرُه، وكان صَدوقاً ثقة، احتجَّ بحديثه البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما وغيرُهما.

مِنْدَل[٣] بنُ علي

أبو عبدِ الله العَنَزي. كان فاضلاً صدوقاً. وقال معاذُ بن معاذ: دخلت الكوفةَ فلم أجد

---

(١) في المصادر: ألفان لثمن الدار، وألفان لجوار أبي حمزة. انظر تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٥، والمنتظم ٨/ ٣٠٢، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٥٨.

(٢) في (خ): بالجوار. والمثبت من تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٤.

(٣) في (خ): منذر. وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٣٣١، والمنتظم ٨/ ٣٠٢، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٢٢.

بها أحداً أَورعَ من مِنْدَل.

ومرَّت جاريةٌ ومعها سلَّة فيها رُطَب بمِنْدل في حَلْقته، وأصحابُ الحديث حوله، فوقفت تسمع كلامَه، فظنَّ أنَّ السلَّة قد أُهديت إليه، [فقال: قدِّميها قدِّميها، وقال لمن حوله: كلوا، فأَكلوا ما فيها، وانصرفت الجاريةُ إلى سيِّدها وقد احتبست، فقال لها: ما أسرعَ ما جئتِ! فقالت: وقفت أَسمع من هذا الشيخِ فقال: قدِّمي السلَّة، ففعلت، فأكل الذي حولَه ما فيها، وكان سيِّدُها رجلاً من العرب][1]، فقال لها: أنتِ حرَّة لوجه اللهِ تعالى.

حدَّث مِنْدل عن الأعمش وغيرِه، وقال ابنُ مَعين: لا بأسَ به، وقال مرَّة: هو ضعيف، رحمه اللهُ تعالى.



(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

السَّنة التاسعةُ والستُّون بعد المئة

فيها في أوَّلها خرج المهديُّ من بغدادَ يريد ماسَبَذان، واستخلف الربيعَ الحاجبَ على بغداد، وسببُ خروجه أنَّه رأى تقديمَ هارونَ على موسى، فأرسل إلى موسى وهو بجُرْجان يستدعيه إلى بغدادَ وقد علم بذلك، فامتنع، فأرسل إليه بعضَ الموالي فلم يُجِب، فسار المهديُّ يريده، فمات في طريقه.

وحدُّ ماسَبَذان من باهندف إلى الماهكي إلى القَرْمِيسين إلى حُلْوان، هذا كلُّه يسمَّى ماسَبَذان، وكان موسى الهادي بجُرْجان، فهلك المهديُّ بقريةٍ من قُرى ماسَبَذان.

البابُ الرابع في ذِكْر موسى الهادي إلى الله أبي محمد

وُلد بالرَّيِّ سنةَ ستٍّ وأربعين ومئة، وبويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وهو يومُ الجُمُعة، ثانيَ عشرين المحرَّم، وهو ابنُ أربعٍ وعشرين سنة، وكان مقيماً بجُرْجانَ يحارب أهلَ طَبَرستان.

وكان مع المهدي - لَمَّا مات - ولدُه هارونُ ومولاه الربيعُ ويحيى بنُ خالد، فاجتمع الموالي والقوَّاد وعمرُ بن بزيعٍ ونُصيرٌ والمفضَّل وأشاروا على هارونَ بأن يرجعَ إلى بغدادَ ويحملَ المهديَّ معه؛ فإنه متى علم الجندُ بموته شَغَبوا وطلبوا أرزاقَهم، فقال هارون: ادعُوا لي أبي يحيى بنَ خالد، وكان المهديُّ لما ولَّى ابنَه هارونَ من الأنبار إلى إفريقيةَ فوَّض أمورَ البلاد إلى يحيى بنِ خالد، فكان عند هارونَ بمنزلة الوالد، فلمَّا حضر يحيى عند هارونَ قال له: إنَّ الموالي والقوَّادَ قد أشاروا بأن يُحملَ أميرُ المؤمنين إلى بغداد، وذكروا كذا وكذا، فقال يحيى: ليس هذا برأي، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه أمر لا يخفى، وربما تعلَّقوا بمَحْمِله إذا سار وشغبوا وطلبوا رزقَ ثلاثِ سنينَ وأكثروا، ولكن أرى أن يوارَى هاهنا، وتوجِّهَ نُصيراً الوصيفَ بالخاتَم والقضيبِ والتعزية والتهنئةِ إلى أمير المؤمنين الهادي على البريد؛ فإنَّ الجندَ لا ينكرون ذلك، وتُعطيَ الجندَ كلَّ واحدٍ مئتين مئتين، وتناديَ فيهم بالقُفول، فإذا قبضوا العطاءَ لم يبقَ لهم همَّة سوى أوطانِهم وأهاليهم، ففعل هارونُ ذلك، وتقدَّموا إلى بغدادَ وتأخَّر هارون، ولما علموا

ببغدادَ بموت المهديِّ شغبوا وطلبوا من الرَّبيع الحاجبِ أرزاقَهم، فاعتذر، فأَحرقوا بابَه وأَطلقوا الحبوس، وكان نائبَ المهديِّ ببغداد، وقدم هارونُ بغداد، فطلب الجندُ أرزاقَهم، فبعثت الخَيْزُرانُ إلى الرَّبيع، فدخل عليها، فأمَّا يحيى فلم يدخل؛ لعلمه بشدَّة غَيرة موسى، وأَشار عليها الربيعُ بالإنفاق في الجند لسنتين، فقبلتْ رأيَه، فسكتوا. وقيل: إنَّما أنفق فيهم رزقَ ثمانيةَ عشَرَ شهراً، وذلك قبل قدومِ هارون، فلمَّا قدم هارونُ أخذ البَيعةَ لأخيه موسى، وضبط أمورَ بغداد، وبلغ الهادي دخولُ الربيعِ على الخَيزران، فعزَّ عليه، وكتب إلى الربيع يتهدَّده بالقتل، وكتب إلى يحيى يشكره ويأمره أن يستمرَّ على حاله في أمر أخيه هارون.

واجتمع الربيعُ بيحيى بنِ خالد وكان بينهما مودَّة، فأَخبره بكتاب موسى إليه وقال: لا صبرَ لي على القتلِ وجَرِّ الحديد، فقال: أرى أن تبعث ابنَك الفضلَ يستقبله بالهدايا والألطاف، فإني أرجو أن تُكفى شرَّه، فبعث ابنَه بالهدايا، ومع هذا فإنَّه أيقن بالهلاك، وكتب وصيَّته وأَوصى إلى يحيى، فقال: لا أحبُّ أن أنفردَ بشيء، وأرى أن يكونَ معي الفضلُ وأمُّ الفضل، فأَجابه الربيع إلى ذلك.

وأما نُصيرٌ الوصيفُ فإنه وصل إلى جُرجانَ بالخاتَم والبَيعة والقضيب، فسار الهادي من فوره ذلك على خَيل البريد، فتلقَّاه الفضلُ بالهدايا إلى هَمَذان، فأَدناه وقرَّبه، وسأل الربيع فقال: كيف مولاي؟ وأَظهر [أنه] إنَّما نقم عليه لكونه فرَّط في الأموال، ولم يُمكِنه أن يُظهِرَ أن ذلك لأجل اجتماعِ الربيع بالخَيْزُران، فلمَّا قرب من بغدادَ استقبله الربيع، وعاتبه على إخراج الأموال، فقال: يا أميرَ المؤمنين، شغب الجندُ وخفتُ على دار الخلافة، فقبل عذرَه وولَّاه الوزارةَ مكانَ عُبيدِ الله[1] بنِ زياد بنِ أبي ليلى، وكانت موافاةُ الهادي إلى بغدادَ عاشرَ صَفَر، وكان خروجُه من جُرجانَ في العشرين من المحرَّم، ولا يُعرف خليفةٌ ركب خيلَ البريدِ سواه، فقال شاعر[2]: [من السريع]

لَمَّا أتتْ خيرَ بني هاشمٍ   خلافةُ اللهِ بجُرْجانِ

(١) في (خ): عبد الله. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٨٩، والمنتظم ٨/ ٣٠٦.

(٢) هو سلم بن عمرو الخاسر، كما في الأغاني ١٩/ ٢٨٥، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٠.

شَمَّر للحرب[١] سَرَابيلَه ... برأيٍ لا غُمْرٍ ولا وانِ

وخرج لتلقِّيه هارونُ أخوه والأشرافُ ووجوهُ الناس، ونزل بالخُلد، ثم جلس للتَّعزية والتهنئة، فأنشده مروانُ بن أبي حفصةَ وقال[٢]: [من الطويل]

لقد أَصبحتْ تختال في كلِّ بلدةٍ ... بقبرِ أميرِ المؤمنين المقابرُ

طَوَى طَوْدَ عزٍّ هاشميٌّ لمدَّة ... وأَشرفَ طودَ عزَّةِ الدهرِ قادرُ[٣]

ولَمَّا جلس الهادي في مستقرِّ الخلافةِ واستقامت له الأمورُ، جدَّ في طلب الزَّنادقة، وكان أبوه قد وصَّاه فقال: إن أفضى إليك هذا الأمرُ فتجرَّدْ لهذه العصابةِ أصحابِ ماني الزِّنديق؛ فإنها فرقةٌ تدعو الناسَ إلى ظاهرٍ حسن، كاجتناب الفواحشِ والزُّهد في الدنيا والعملِ للآخرة، ثم يخرجون من هذا إلى تحريم اللُّحوم، ثم إلى عبادة اثنين: النُّور والظُّلمة، ثم إلى نكاح الأمهاتِ والبناتِ والأَخوات، وسَرِقةِ الأطفال من الطُّرقات، فجرِّدْ فيهم السيفَ وتقرَّبْ إلى الله بقتلهم. فكان أوَّلُ ما شرع فيه طَلَبَهم، ونصب ألفَ جِذعٍ ببغداد، وصلب مَن قَدَرَ عليه منهم، وكتب إلى الآفاق بذلك، وكان فيمن قتل عليُّ بن يَقطين، وذُكر عنه أنه حجَّ فرأى الناسَ في الطَّواف حول الكعبةِ فقال: ما أَشبهَهم ببقرٍ تدرس في البَيدر، فقال العلاءُ بن الحدادِ يخاطب الخليفة: [من السريع]

أيا[٤] أمينَ اللهِ في خلقه ... ووارثَ الكعبةِ والمنبرِ

ماذا ترى في رجلٍ كافرٍ ... يشبِّه الكعبةَ بالبَيدر

ويجعل الناسَ إذا ما سَعَوا ... حُمْراً تدوس البُرَّ في الدَّوْسر

وقتل الهادي من بني هاشمٍ يعقوبَ بن الفضلِ بن عبد الرحمن بن عبَّاس بن ربيعةَ بن الحارثِ بن عبد المطَّلب، وكان المهديُّ قد بلغه عن يعقوبَ وابنٍ لداودَ بن عليٍّ بن عبدِ الله بن عباس أنَّهما زنديقان، فخلا بهما في مجلسٍ متفرِّقَين، وأَقرَّا له بالزندقة، وقال له يعقوبُ بن الفضل: أمَّا أنا فأُقرُّ بها بيني وبينك سرًّا، ولو قرضتَ لحمي

---

(١) في المصدرين: للحزم.

(٢) ديوانه ص٤٨.

(٣) البيت الثاني ليس في الديوان، ولم أجده في غيره من المصادر.

(٤) في (خ): يا. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٠.

بالمقاريض ما أُقرُّ بها ظاهراً. فقال له: ويلك لو كُشفت لك السماوات وكان الأمرُ كما تقول، لكنتَ حقيقاً أن تغضبَ لمحمدٍ ﷺ، فلولاه مَن كنتَ من الناس؟! أَمَا واللهِ لولا أنِّي جعلتُ عليَّ عهدَ اللهِ تعالى إنْ أنا وليت هذا الأمرَ ألَّا أقتلَ هاشميًّا لَقتلتك. ثم قال كما سنذكره.

وكان المهديُّ قد عهد إلى الهادي: أَقسمتُ عليك إنْ وليتَ هذا الأمرَ بعدي ألَّا تناظِرَهما ساعةً واحدة. وحبسهما المهدي، فمات ابنُ داودَ بن عليٍّ في الحبس قبل وفاةِ المهدي، وأما يعقوبُ فعاش محبوساً حتى مات المهدي. وقدم الهادي من جُرْجان، فذكر وصيةَ أبيه، فأرسل إلى يعقوبَ مَن ألقى على وجهه فراشاً وغمَّه حتى مات وانتفخ، فأُلقي في دجلة[1].

وكان ليعقوبَ بنِ الفضل أولاد، فمنهم فاطمة، فلمَّا مات أبوها اعترفت بأنَّها حاملٌ منه، وقالت: أَكرهني، فبعث بها الهادي إلى رَيطةَ بنتِ أبي العباس، فرأتها مخضوبةً مكحَّلة، فقالت لها: فهبْ أنكِ كنت مكرَهة، فما بالُ الخِضاب والكُحل! ولعنتْها، فماتت فَزَعاً. وقيل: إنَّما دخلت فاطمةُ وخديجة زوجةُ الفضل على الهادي، فضربهما على رؤوسهما فماتتا.

وفيها خرج الحسينُ بن عليٍّ بن الحسنِ[2] بن الحسن [بن الحسن] بن عليٍّ عليه السلام، فقُتل بفَخٍّ، اسم مكان.

وفيها هلك الربيعُ الحاجب.

وحجَّ بالناس سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور، وكان على المدينة عمرُ بن عبدِ العزيز العُمَري، وعلى مكةَ والطائفِ عبيدُ الله بن قُثَم، وعلى اليمن إبراهيمُ بن سَلْم[3] بنِ قتيبة، وعلى البحرين سويدٌ الخراساني، وعلى الكوفة موسى بنُ عيسى، وعلى البصرة محمدُ بن سليمان، وعلى خراسانَ والبلادِ الشرقية جماعةٌ من الموالي.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ١٩١، والمنتظم ٨/ ٣١٠ أنه دفن.

(٢) في (خ): الحسين. والمثبت من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٩٢، والمنتظم ٨/ ٣١٠، والكامل ٦/ ٩٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٣، وما يرد بين حاصرتين منها.

(٣) في (خ): سليمان. والمثبت من المصادر.

فصل وفيها توفِّي

إبراهيمُ بن عثمان

أبو شيبة، قاضي واسط، مولى بني عَبْس. وكان كاتبَه يزيدُ بن هارون. وقال يزيد: ما قضى على الناس رجلٌ كان أعدلَ منه.

حدَّث عن هشام بنِ عروةَ وغيرِه، وروى عنه يزيدُ بن هارونَ وغيرُه، رحمه الله. إلَّا أنه روى أن النبيَّ ﷺ كان يصلِّي في رمضانَ كلَّ ليلةٍ عشرين ركعةً والوِتر، وروى أنَّه شهد صِفِّين مع عليٍّ عليه السلامُ سبعون من أهل بدر[١]، وقد أنكر عليه الإمامُ أحمد ابنُ حنبلٍ رحمةُ الله عليه وابنُ مَعين ذلك، وقالا: ما صلَّى النبيُّ ﷺ عشرين ركعة، ولا شهد صِفِّين من أهل بدرٍ سوى خزيمةَ بنِ ثابت[٢].

إدريسُ بن عبدِ الله

ابن حسنِ بن حسن بن عليٍّ عليه السلام[٣]. كان قد خرج مع الحسين صاحبِ فَخّ، فلما قُتل الحسينُ هرب إلى مِصر، وكان على بريدها واضحٌ مولى صالحِ بن منصور، وكان يميل إلى [آلِ][٤] أبي طالب، فحمله على البريد إلى المغرب، فوصل إلى أرضِ طنجة، فنزل بمدينةٍ يقال لها: وليلى[٥]، فاستجاب له مَن بها وبنواحيها من البربر، وبلغ الهاديَ فقتل واضحاً وصلبه.

ويقال: إنَّ هارونَ هو الذي قتله، ودسَّ موسى أو هارونُ إلى إدريسَ الشمَّاخَ اليماميَّ[٦] مولى المهدي، فدخل المغربَ وأظهر أنه طبيب، فأَحضره إدريس، وأقام عنده وأَنِس به، فشكا إليه مرضاً في أسنانه، فأَظهر سَنُوناً[٧] مسموماً، وقال له: إذا

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤.

(٢) قال الذهبي في الميزان ١/ ٤٧ : سبحان الله! أما شهدها علي! أما شهدها عمار!

(٣) ذِكره هنا وهم، وتابعه عليه صاحب الوافي ٨/ ٣١٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٥٩. والصواب أن وفاته بعد السبعين، انظر معجم البلدان (وليلى)، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢ ـ ١٣، والوفيات لابن قنفذ ص١٣٩ ـ ١٤٠، والأعلام.

(٤) ما بين حاصرتين من الوافي بالوفيات ٨/ ٣١٨ .

(٥) في (خ): ولية. وهو خطأ. انظر معجم البلدان، والكامل ٦/ ٩٣، ووفيات ابن قنفذ.

(٦) في (خ): اليماني. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٨، والكامل ٦/ ٩٣.

(٧) السنون: شيء يستاك به. مختار الصحاح (سنن).

طلع الفجرُ فاستنَّ به، وهرب الشماخُ من ليلته ولم يعلم به إدريس، فلمَّا طلع الفجر استنَّ به وجعل يردِّده في فيه، فسقط فوه ومات، وطلب الشماخ فلم يقدرْ عليه، وخرج إلى إفريقيةَ وبها إبراهيمُ بن الأغلبِ عاملُ الهادي، فأقام عنده، وكتب إلى هارونَ يُخبره بموت إدريس، فبعث له صلةً سَنِيَّة، وولَّاه بريدَ مصر، فقال بعضُ الشعراء، ويقال: إنَّه الهادي أو الرشيد[1] : [من الكامل]

أَتــظــنُّ يــا إدريــسُ أنــك مُـفْـلِـتٌ ... كـيــدَ الـخــلافــةِ أو يــقــيــك فِـرارُ
إنَّ الـسـيـوفَ إذا انـتـضـاهـا سَـخْـطـةً ... طـالــت وقـصَّــر دونـهـا الأعــمــار
مَـلِـكٌ كـأنَّ الـمـوتَ يَـتْـبـع أمـرَه ... حـتـى تـخـالَ تُـطـيـعـه الأقـدار

ولَمَّا هلك إدريسُ ولي مكانَه ابنُه إدريسُ بن إدريس، وأقام أولادُهم بالمغرب مدَّة.

الحسينُ بن عليٍّ

ابن الحسن [بنِ الحسن بن الحسن][2] بن عليٍّ عليه السلام، صاحبُ فَخّ، رحمه الله، خرج في هذه السَّنة بالمدينة، وكان عليها عمرُ بن عبدِ العزيز بنِ عبد الله بن عبد الله ابن عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه، وكان قبله على المدينة إسحاقُ بن عيسى بنِ علي، فاستعفى، فأعفاه الهادي وولَّى العُمَري.

وسببُ خروجِ الحسين أنَّ العمريَّ أخذ الحسنَ بن محمد بنِ عبد الله بن حسن - وكُنيته أبو الزفت - وجماعةً، فحدَّهم في شرابٍ زعم أنَّهم شربوه، وطاف بهم المدينةَ وحبسهم، فجاء إليه الحسينُ بن عليٍّ صاحبُ فَخ، فلامه وقال: إنَّ أهلَ العراق لا يرون بهذا الشرابِ بأساً، وقد حددتَهم فأَطلِقْهم. وكان العمريُّ يخاف خروجَ الحسنِ بن محمد المحدود، فاختفى الحسن، وكان صاحبُ فخٍّ ويحيى بنُ عبد اللهِ بن حسنٍ قد كفلاه، فطلبه العُمَري منهما، فأجمعوا على الخروج في تلك الليلة: الحسينُ بن علي، والحسنُ ويحيى ابنا عبدِ الله بن حسن، وإدريسُ بن عبدِ الله بن حسن، وجماعةٌ من بني هاشمٍ وشيعتِهم، فأصبح الحسينُ بن عليٍّ وقد لبس البَياض وصعد منبرَ رسولِ الله ﷺ

---

(١) في (خ): والرشيد، والمثبت من الوافي ٨/ ٣١٨. والأبيات في ديوان مروان بن أبي حفصة ص٥٠، ونسبها صاحب زهر الآداب ٢/ ١٠٣١ لأشجع السلمي، وقال الطبري في تاريخه ٨/ ١٩٩ : فقال بعض الشعراء، أظنه الهنازي. اهـ.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٥.

وصلَّى بهم الفجر، وبايعه الناسُ على الكتاب والسُّنة، وقال: أيها الناس، أنا ابنُ رسولِ الله ﷺ وفي مسجد رسوله، وأنا أَدعوكم إلى كتاب اللهِ وسنَّةِ رسوله، فإنْ وفيتُ وإلا فلا بيعةَ لي في أعناقكم، واختفى العُمَري، وكان في بيت المالِ عشرون ألفَ درهم، وقيل: سبعون ألفَ دينار، فأخذوها، وثار بنو العباسِ وخالدٌ البربري، وكان يومئذٍ على الصَّوافي بالمدينة في جمعٍ كبير، وقد ظاهر بين دِرعين وبيده السيفُ صَلْتاً وهو يقول: يا حسين، قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْك. وحمل عليهم، فانتدب له يحيى وإدريسُ ابنا عبدِ الله بنِ حسن، فضربه يحيى على أنفه، فهشم البيضةَ ونفذ السيفُ في رأسه، وضربه إدريسُ من خلفه، فوقع، فتعاونا عليه فقتلاه وسلباه، وجرَّا برجله إلى البَلاط، فولَّى مَن كان معه منهزمين، وأقبل الليلُ فتفرَّقوا، وأغلق أهلُ المدينة أبوابَهم. فلما طلع الفجرُ اجتمعت شِيعةُ بني العباس ومَن تبعهم من أهل المدينة، فاقتتلوا إلى آخِرِ النهار، وفشت الجِراحاتُ في الفريقين، ووصل الخبرُ في ذلك النهارِ أن مباركاً التُّركي قد قدم من بغدادَ حاجًّا فنزل بئرَ المطلب، فخرج إليه العباسيُّون وشيعتهم وكلَّموه في القتال معهم، فجاء من الغد، فنزل الثَّنيَّة في دار عمرَ بن عبد العزيز، ووعد الناسَ بالقتال، فلمَّا غَفَلوا عنه، ركب رواحلَه وانصرف. وأقام الحسينُ بالمدينة أحدَ عشرَ يوماً، ثم خرج منها لستٍّ بقين من ذي القَعدة، وجعل يشتم أهلَ المدينة وهم يقولون: لا ردَّك اللهُ إلينا. ثم وجدوا مسجدَ رسولِ الله ﷺ قد ملأه أصحابُه بولاً وقَذَراً، فغسلوه، ثم دخل الحسنُ مكَّة، فأخذ أصحابُه ستورَ الكعبة ونادى مناديه: أيُّما عبدٍ أتانا فهو حُرّ، فجاءه عبيدُ أهلِ مكة، فقال الناس: أيُعتِق هذا عبيدَ غيرِه! أكفارٌ نحن مثلَ أهلِ الطائف! وكان الحسينُ قد واعد شيعتَه الخروجَ بمِنى، وإنما حثَّه على الخروج ما بدا من العُمَري، وبلغ الهاديَ الخبر، فانعزل في بيتٍ صغير وحده، وتغيَّر حاله، ولم يتجاسرْ أحدٌ أن يدنوَ منه، فأرسل إليه خواصُّه وأهلُه خادماً صغيراً وقالوا: قِفْ قريباً منه لعلك أن تظفرَ منه بشيء، فوقف، ففَطِنَ الهادي فقال: [من الكامل]

رَقَدَ الأُلى ليس السُّرى من شأنهم ... وكفاهم الإدلاجَ مَن لم يَرقُدِ[1]

وكان قد حجَّ في هذه السَّنةِ رجالٌ من بني العباس، منهم محمدُ بن سليمانَ بنِ علي،

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٠٣.

والعباسُ بن محمد، وموسى بنُ عيسى، وكان على الموسم سليمانُ بن أبي جعفر، فكتب الهادي إلى محمد بن سليمانَ بتوليته على حرب الحسينِ بن علي، فقيل له: عمُّك العباس بنُ محمد أَولى، فقال: دعوني لا أُخدع عما بي، فلقيهم الكتابُ وقد انصرفوا من الحجّ، وكان محمدُ بن سليمانَ قد خرج في عِدَّة من الرجال وعُدَّة من السلاح؛ لأن الطريقَ كان مَخوفاً من الأعراب، ولم يحتشدْ لهم حسين، فأتاه خبرُهم[(١)] بصَوبه، وكان قد خرج بخَدَمه وإِخوته، وانتهى عيسى بنُ موسى[(٢)] إلى بطن نخلٍ على ليلتين[(٣)] من المدينة، وانتهى إليه الخبرُ ومعه أهلُه وخواصُّه وخدمه، وبلغ الخبرُ إلى العباس بن محمدٍ وهو بالرَّبَذة ومعه أهلُه وخدمه، فكاتبوا محمدَ بن سليمانَ وواعدوه مكَّة، فاجتمعوا بذي طُوى ومعهم سليمانُ بن المنصور، وانضمَّ إليهم مَن وافى الموسمَ من شِيعة بني العباسِ ومواليهم، وجاء الحسينُ بن عليٍّ وأصحابه واصطفُّوا للقتال، فنادى محمدُ بن سليمان: مَن جاء برأسٍ فله خمسُ مئةِ درهم، وحملوا على حسينٍ ومعه نساؤه وأهلُه في المحافل، فعرقبوا الإِبل، فوقعت المحامل، وهزموا أصحابَه وقتلوهم وفرغوا منهم، ورجعوا إلى مكَّة ولم يشعروا ما فعل يحيى بنُ عليّ، فبينما هم كذلك إذا برجلٍ من أهل خراسانَ يصيح: لي البِشارة، هذا رأسُ حسينِ بن علي، وإذا في جبهته ضربةٌ وفي رأسه أخرى، وجاء الحسنُ بن محمدٍ المكنى بأبي الزفت وقد أُصيبت إحدى عينيه، فوقف خلف محمدِ بن سليمانَ والعباسِ ابن محمد، واستدار به موسى بنُ عيسى وعبدُ الله بن العباس بنِ محمدٍ وأَمرا به فقتل، فغَضب محمدُ بن سليمانَ وقال: تقتلان مَن استجار بي! ودخل مكَّة مغضَباً، وجُمعت الرؤوس فكانت مئةَ رأس، منها رأسُ الحسينِ بن علي، ورأسُ أبي الزفت، ورأس سليمانَ بن عبدِ الله بنِ حسن، وذلك يومَ التَّروية، وكانت فاطمةُ بنت عليٍّ مع أخيها، فأُخذت فتُركت عند زينبَ بنتِ سليمان، ولَمَّا قدم موسى بنُ عيسى على الهادي قال له: هِيه، تقتل أَسيري! يعني أبا الزفت، ولم يُقتل صبراً غيرُه[(٤)]، فقال: خفت أن

(١) في (خ): وهو. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٦.

(٢) في تاريخ الطبري: موسى بن علي بن موسى.

(٣) في تاريخ الطبري: على الثلاثين.

(٤) في تاريخ الطبري: ولم يقتل أحد منهم صبراً. وقد ذكر المصنف قبل قليل كيفية قتله.

تشفعَ فيه عائشةُ وزينبُ إلى أمِّ [أمير][(١)] المؤمنين فتُطْلقه، ولما بلغ الهاديَ أن مباركاً التركيَّ لم يقاتلْ غضب عليه، وأمر بقبض أموالِه وتصييره في سياسة الدوابّ. وكان مباركٌ لما وصل المدينةَ أرسل إلى حسين بنِ عليٍّ يقول: واللهِ لأن أسقطَ من السماءِ فتخطَفَني الطيرُ أو تهويَ بي الريحُ في مكانٍ سحيق أيسرُ عليَّ من أن أشوكَك بشوكة، ولكن لا بدَّ من الإعذار، وإني إذا التقيتُك انهزمتُ. فخرج إليه حسينٌ فاقتتلا، فانهزم مباركٌ عنه، فلحق موسى بنَ عيسى، وغضب الهادي على موسى بنِ عيسى لقتله أبا الزفت، وأمر بقبض أمواله، وأفلت إدريسُ إلى المغرب، وقد ذكرناه، وهرب يحيى بنُ عبد الله بنِ حسن، وكان العمريُّ مستخفياً بالمدينة، فلمَّا بلغه مقتلُ الحسينِ بن عليٍّ أَحرق دارَه ودارَ جماعةٍ من أهل بيته ومَن خرج معه، وقطع نخيلَهم وأخذ أموالَهم.

ولما قُتل الحسينُ بن عليٍّ بعثوا برأسه مع يقطين بنِ موسى، فوضعه بين يدي الهادي، فقال: كأنَّكم قد جئتم برأس طاغوتٍ من الطواغيت، إنَّ أوَّل ما أفعل بكم أن أَحرمَكم جوائزَكم، فلم يُعطِهم شيئاً، ثم تمثَّل: [من الرجز]

قـد أنـصـفَ الـقـارَةَ مَـن رامـاهـا[(٢)]

الأبيات.

وقال الهيثم: اجتمع بمكَّة إلى بني العباسِ أربعةُ آلافِ ألف[(٣)]، وجاء الحسينُ ابن عليٍّ فنزل بفَخٍّ في نفرٍ يسير، وكانوا عُراة، وذلك في ليلة الجُمُعة، فشدُّوا على المحامل فقتلوا أهلَه وقتلوه.

وقال سعيدُ بن مسلم: قد كان الهادي يودُّ لو جيءَ بالحسين بنِ عليٍّ حيًّا ليمرَّ به على أهله ويتألَّفَهم بذلك.

وقُتل سليمانُ بن عبدِ الله بن حسنٍ صبراً، وعبدُ الله بن الحسنِ بن عليٍّ أمَّنوه ثم قتلوه، وقتلوا إسحاقَ بن إبراهيمَ بن الحسنِ بن الحسن بن عليٍّ عليه السلام، ولما

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ١٩٨.

(٢) تمامه ـ كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٠٣ ـ :

إنـا إذا مـا فـئـة نـلـقـاهـا
نـرد أولاهـا عـلـى أخـراهـا

(٣) في مروج الذهب ٦/ ٢٦٦ : أربعة آلاف فارس.

ألقَوا الرأسَ بين يدي الهادي ارتجل أبياتاً، وهي: [من الرمل]

إنَّ هــذا الـدهـرَ جـمٌّ عَـجَـبُـه ... غـاديـاتٌ رائـحـاتٌ نُـوَبُـهْ
قـطـع الأرحـامَ فـيـمـا بـيـنـنـا ... طـالـبـاً أمـراً بـعـيـداً مَـطـلـبُـه
كـنـتُ أهـوى أَسْـره لا قـتـلَـه ... وكـفـى لـو قـد كـفـاهـمْ هَـرَبـه
كـيـف قـتـلـي مـثـلَـه لـو قـد أتـى ... شـافـعـاً فـيـمـا حـبـاه نَـسَـبُـه

وقال أيضاً: [من البسيط]

في كلِّ يومٍ لنا من أهلنا حسدٌ ... لأنْ ملكْنا وصرنا سادةَ البشرِ
سلَّى همومي وأطفا نارَ مَوجِدتي ... عونُ الإله على الأعداء بالظَّفَر[1]

ولم يُدفَن من قتلى فَخٍّ أحد، بل تُركوا في البرِّية، فأكلتهم السِّباعُ والطيور، فاجتاز بهم بعضُ محبِّيهم فقال: [من مجزوء الكامل]

ولأبـكـيـنَّ عـلـى الـحـسـيـ ... ـنِ بـعَـوْلـةٍ وعـلـى الـحـسـنْ
وعـلـى ابـن عـاتـكـةَ الـذي ... أثْـوَوه لـيـس لـه كَـفَـن
تـركـوا بـفـخَّ عـظـامـه[2] ... فـي غـيـر مـنـزلـةِ الـوطـن
كـانـوا كِـرامـاً سـادةً[3] ... لا طـائـشـيـن ولا جُـبُـن
غَـسَـلـوا الـمـذلَّـةَ عـنـهـمُ ... غَـسْـلَ الـثـيـاب مـن الـدَّرن
كـلُّ الـعـبـاد تـحـبُّـهـمْ[4] ... ولـهـمْ عـلـى الـنـاس الـمِـنَـن

وكان بين وفاةِ المهديِّ وخروجِ الحسين بنِ عليٍّ إلى أن قُتل تسعةُ أشهرٍ وثمانيةَ عشرَ يوماً، وهرب يحيى بنُ عبد الله بنِ حسنٍ ومعه جماعة.

الرَّبيعُ بن يونسَ

ابنِ محمد بن أَبي فَروة، أبو الفضل، حاجبُ المنصور. واسمُ أبي فروةَ كَيسان، مولى الحارثِ الحفار، والحفارُ مولى عثمانَ بن عفَّان رضي الله عنه.

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص٢٨٩.
(٢) في مروج الذهب ٦/ ٢٦٨، والروض المعطار ص٤٣٧: غدوة.
(٣) في مروج الذهب والروض المعطار: قتِّلوا.
(٤) في المصدرين: هدي العباد بجدهم.

وأبو فروةَ من أَرْأَسه، بل من سَبيٍ من جبل الخليلِ بالشام، وهو جبلُ صيدا. وقيل: أبو فروةَ من سَبي عينِ التَّمر، ابتاعه ناعمٌ الأسدي ودخل به المدينةَ وعليه فروة، فاشتراه عثمانُ رضوانُ اللهِ عليه فأَعتقه، وجعل يحفر القبور، وكان أَلثغ، فلمَّا قام الناسُ على عثمانَ كان معهم، فناداه: يا أُثمان، رُدَّ المدالم، فقال له عثمانُ رضوانُ الله عليه: أنت أوَّلُها، ابتعتَ من بيت المالِ لتحفرَ قبورَ المسلمين فتركتَ ذلك.

ثم ولد أبو فروةَ عبدَ الله، وولد عبدُ الله محمداً، وولد محمدٌ يونس، وكان يتيماً في حجر جدَّته، وكان لجدَّته جاريةٌ نفيسة، فواقعها بغير إذن جدَّته، فحملت منه، فولدت الرَّبيع، فجحده يونُس، وجحدته جدتُه، فلما شبَّ باعته، فاشتراه زيادُ بن عبيدِ الله الحارثيُّ فأَهداه إلى أبي العباس، ثم انتقل إلى أبي جعفر، فاستمال ابنُ أبي فروة بالأموال حتى شهدوا له بأنه ابنُ يونسَ وأنه أقرَّ به، وكان محمدُ بن أبي فروةَ من أجلِّ موالي المدينة وأَسراهم نفساً وكَرَماً ويساراً، فخطب إلى محمد بنِ يوسفَ مولى عثمانَ ﵁ ابنتَه عمارة، فزوَّجه إياها، فولدت له يونسَ بن محمد، ونشأ على طريقة أبيه.

وكان المنصورُ صيَّر الربيعَ خليفةَ حاجبِهِ أبي الحصيب مرزوقٍ مولاه، ثم أَعتقه وصيَّره حاجبَه، ثم بلغه أن الربيعَ يقول: إنه ابنُ يونس، فدعاه وأدَّبه، وقال: يا ابنَ الخبيثة! أَعتقتُك واصطفيتك وأنت تدَّعي ولاءَ عثمان!

ووجَّه المنصورُ إلى يونسَ فقال له: إنَّ الربيعَ يزعم أنه ابنُك، فأَنكر ذلك وحلف عليه، فأعجب أبا جعفرٍ وأَحسن إلى الربيع ووصله، وبهذا كان جعفرُ بن يحيى يُكنى أبا رَوح؛ لأن أهلَ المدينة يكنون اللقيطَ أبا رَوح.

وقال الصُّولي: ما رأيتُ أحداً من أهل العلم إلَّا وهو يصحِّح نسبَ الربيعِ أنه ابنُ يونسَ بنِ محمد، وكان المنتوفُ يطعُن في نسبه ويقول له فيه شبهةٌ من المسيح، يخدعه بذلك، فكان يُكرمه، فأُخبر المنصور بمقالة المنتوفِ فقال للربيع: ويحك، إنَّه يقول: لا أبَ لك، فتنكَّر له بعد ذلك، ودخل فتًى من بني هاشمٍ على المنصور، فسأله عن أبيه فقال: مرض ﵁ في وقت كذا، وجعل يكثر الترحُّمَ على أبيه، فاغتاظ الربيعُ فقال: كم تترحَّم على أبيك بين يدي أميرِ المؤمنين؟ فقال له الفتى: ما أَلومك؛ لأنك ما ذقتَ حلاوةَ الآباء، فضحك أبو جعفرٍ حتى استلقى على ظهره، ولم يُرَ ضاحكاً مثلَ ذلك

اليوم، ووصل الفتى. يعني أن الربيعَ لقيطٌ لا يُعرف له أب، وفيه يقول الحارثُ بن الدَّيلمي: [من الطويل]

شـهـدتُ بـإذن اللهِ أنَّ مـحـمـداً رسـولٌ مـن الـرحـمـن غـيـرُ مـكـذَّبِ
وأنَّ ولا كـيـسـانَ لـلـحـارث الـذي وَلِـيْ زمـنـاً حـفـرَ الـقـبـورِ بـيـثـرب[١]

وكان الربيعُ فطناً لبيباً، دخل المنصورُ داراً فرأى على حائطٍ مكتوباً: [من الطويل]

ومـا لـيَ لا أبـكـي بـعـيـنٍ قـريـحـةٍ[٢] وقـد قُـرِّبـت لـلـظـاعـنـيـن حُـمـولُ

وتحتها مكتوب: إيه إيه إيه، فسأل أبو جعفرٍ خواصَّه فلم يفهموا معناه، فقال الربيع: يا أميرَ المؤمنين، لما كتب هذا البيتَ ولم يجد مَن يساعده على حاله بكى، والباكي يقول: إيه إيه، فعجب المنصورُ من فطنته، وأعتقه واستوزره بعد ذلك.

وقال الربيع: رأى المنصورُ على حائط قصرِه مكتوباً: [من الطويل]

ومـا لـيَ لا أبـكـي وأنـدُب نـاقـتـي إذا صـدر الـرِّعـيـانُ نـحـو الـمـنـاهـلِ
وكـنـتُ إذا مـا اشـتـدَّ شـوقـي رَحَـلـتُـهـا فـسـارت بـمـحـزونٍ طـويـل الـبـلابـل

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يدرِ ما هو، وفطنتُ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، قال هذا الشِّعرَ ثم تأوَّه فكتب تأوهَه وتنفُّسه، فقال لي: يا غلام، ما أخفَّكَ على قلبي! قاتلك اللهُ قد أَعتقتك وولَّيتك مكانَ ياسر.

وكان شابٌّ من بني هاشمٍ يدخل على أبي جعفرٍ فيسلِّم من بعيدٍ وينصرف، فدخل يوماً، فأَدناه أبو جعفرٍ وقرَّبه وأَمره بالغداء معه، فقال: قد تغدَّيت، والربيعُ واقفٌ على رأس أبي جعفر، فلمَّا خرج الشابّ، لحقه الربيعُ فدفع في قفاه، وفعل الحجَّاب كذلك، فشكا الشابُّ إلى عمومته ذلك، فدخلوا على أبي جعفرٍ وأَخبروه فقال: إنَّ الربيعَ لم يُقدم على هذا جُزافاً، فإن شئتم أَمسكنا عنه، وإن شئتم سألناه، فقالوا: سَلهْ، فدعاه وقال له: لِمَ فعلتَ بهذا الفتى ما فعلت؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا الجاهلَ كان يأتي كلَّ يومٍ فيسلِّم من بعيدٍ وينصرف، فلمَّا كان بالأمس أدناه أميرُ المؤمنين وقرَّبه

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٤٠٤.
(٢) في المنتظم ٨/ ٣٣٢: حزينة.

وقال: تغدَّ معي، فامتنع، فدلَّ على سوءِ أدبه، وظنَّ أن طعامَ أميرِ المؤمنين للعلف، ونسي أنَّه للشَّرف، فقال له: أَحسنت.

وكان أبو جعفرٍ يقول: إني لأَضنُّ بالربيع عن الولاية، هو أكبرُ منها.

وقال المنصورُ يوماً: سَلْني ما تريد، فقد سكتَّ حتى أبرمت، وخفَّفت حتى ثقلت، وأَكثرتَ حتى قللت، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لا أغتنم مالَك، ولا أستقصر عُمرَك، ولا أستصغر فِعلَك، وإنَّ يومي بفضلك عليَّ لأَحسنُ من أمسي، وغداً في تأميل رجائي أحسنُ من يومي، فقال له المنصور: علمي بهذا منك أَحلَّك هذا المحلَّ مني، فسلني ما شئت، قال: أسألك أن تحبَّ ابني الفضلَ وتقرِّبَه، فقال: أما الحبّ، فليس بمالٍ يوهب، ولا بزينة تُبذَل، وإنما تؤكِّده الأسباب، وأما تقريبُه، فقد أَجزتُه بألف ألفِ درهم، ولم أَصِلْ بها غيرَ عمومتي.

وكان المنصورُ يقول: واللهِ ما من أحدٍ قريب أو بعيد يُطيف بي إلَّا وقد غفرتُ له ذنوباً، إلا الربيع، فإنَّه ما أذنب إليَّ ولا أخطأَ في شيءٍ قط.

ولَمَّا شرع المنصورُ في بناء بغدادَ وخرج عليه محمدٌ وإبراهيم، جعل المنصورُ يدور في بستان، وإذا بشجرة خلافٍ قد نبتت، ولم يكن أبو جعفرٍ يعرفها قبل ذلك، فقال: يا ربيع، ما هذه؟ فكره أن يقول: شجرةُ الخلاف، فقال: هذه شجرةُ الوِفاق، فأُعجب أبو جعفرٍ به.

ذكر وفاته:

كان الهادي في قلبه عليه، فقال لسعيد بنِ سَلْم: أريد قتلَ الربيعِ وما أدري كيف أَصنع، فقال له: أَقعِد له رجلاً في الطريق ومعه سكِّين مسمومةٌ ومُرْه بقتله، فأَقعد له في الطريق رجلاً وأَمره بقتله، فخرج الربيعُ من عنده ليلاً، فلم يمرَّ على ذلك الرجل، وسلك غيرَ الطريقِ الذي كان فيها، ثم علم الربيعُ بعد ذلك، فانصدع قلبُه فمات بعد ثمانيةِ أيام.

وقيل: إنَّه كانت للرَّبيع جارية، فأَهداها إلى المهديِّ فوهبها لابنه الهادي، فكانت أعزَّ الخلقِ عليه، فوشى بعضُ أعداءِ الربيع إلى الهادي وقال: إنَّه يقول: ما وضعتُ بيني وبين الأرضِ مثلَ أَمَةِ العزيزِ، يعني الجارية، فغار الهادي غَيرةً شديدة، ودعا به

يوماً، فأكل معه وناوله بيده قَدَحاً مسموماً، فشربه خوفاً لا يقتله، ثم قام إلى داره فقال لأهله: إنَّ موسى سقاني كأساً مسموماً، ومات من ساعته.

وكانت وفاةُ الربيعِ في هذه السَّنة، وقيل: في أوَّل سنةِ سبعين قبل موت الهادي بأشهر، وله ستُّون سنة.

ذِكْرُ أولاده :

كان له من الأولاد الفضل، ويعقوب، وعبدُ الله، والقاسم، وجعفر، ويونُس، وإبراهيم، وعبيدُ الله، ومحمد، وموسى، وكلُّهم أعقبوا إلَّا موسى، ولم يرَ في الحجابة أعرفُ من الربيع وولدِه، حجب الربيعُ للمنصور وللمهديّ، وحجب ابنُه الفضلُ هارونَ [و][1] الأمين، وحجب ابنُه العباسُ بن الفضل للأمين، فعباسٌ حاجبُ بن حاجبِ بن حاجب، وفيه يقول أبو نُوَاس: [من الكامل]

ساد الرَّبيعُ وساد فضلٌ في العُلا ... وعلتْ بعباس الكريمِ فروعُ
عبَّاسُ عباسٌ إذا شهد الوغى ... والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيع[2]

ووُلد العباسُ بن الفضلِ في آخر خلافةِ أبي جعفر، وأما يعقوبُ بن الربيع، فكان شاعراً ماجناً خَليعاً، اشترى جاريةً فأُعطي فيها مئةَ ألفِ دينارٍ فلم يبعها، فماتت عنده، فقال فيها الأشعار، فمنها: [من الكامل]

أَضحَوا يصيدون الظِّباءَ وإنني ... لأَرى تصيُّدَها عليَّ حراما
أَشبهنَ منكِ سوالفاً وشمائلاً[3] ... فأَرى بذاك لها عليَّ ذِماما

أَسند الربيعُ عن أبي جعفرٍ وعن جعفر الصادقِ وغيرِهما، وروى عنه ابنُه الفضل وغيرُه.

المهديُّ محمدُ بن عبدِ الله

ابنِ محمد بن عليٍّ بن عبد الله بنِ العباس. كان حسنَ الأخلاق كثيرَ الحياء، جَوَاداً

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ٨/ ٣٣٣.

(٢) الديوان ص٤١٥.

(٣) في نشوار المحاضرة ٧/ ٧، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٩٠: مدامعاً.

سَمْحاً حليماً، عارفاً بأيَّام الناس.

دخل ابنُ الخياط المكِّي عليه فقبَّل يدَه ومدحه، فأَمر له بخمسين ألفَ درهم، فلمَّا قبضها فرَّقها على الناس وقال: [من الطويل]

لمستُ بكفِّي كفَّه أَبتغي الغنى ... ولم أدرِ أنَّ الجُودَ من كفِّه يُعدي
فلا أنا منه ما أَفاد ذَوو الغنى ... أَفدتُ وأَعداني فضيَّعتُ ما عندي[1]

وبلغه فأعطاه عوضَ كلِّ درهمٍ ديناراً.

وقال المهديّ: ما توسَّل أحدٌ إليَّ بوسيلة ولا تذرَّع بذريعةٍ هي أقربُ إلي وأحبُّ من أن يذكرَني يداً سلفت مني إليه أُتبِعها بأُختها؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل.

وقال حسنٌ الوصيف: جلس المهديُّ جلوساً عامًّا، فدخل عليه رجلٌ في يده نعلٌ في منديل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه[2] نعلُ رسولِ الله ﷺ أهديتها لك، فأخذها منه وقبَّل باطنَها ووضعها على عينيه، وأَمر للرجل بعشرة آلافِ درهم، فلمَّا خرج الرجلُ قال المهديُّ لجلسائه: أَتروني أنِّي [لم][3] أعلمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يرَها فضلاً عن أن يكونَ لبسها؟ ولو كذَّبناه قال للناس: أتيت أميرَ المؤمنين بنعل رسولِ الله ﷺ فردَّها عليّ، وكان مَن يصدِّقه أكثرَ ممن يدفع خبرَه؛ إذ كان من شأن العامَّةِ الميلُ إلى أشكالها والنُّصرةُ للضعيف على القويِّ وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانَه وقبلنا هديَّته وصدَّقنا قولَه، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

وقال سليمانُ بنُ علي: دخل الربيعُ يوماً على المهديِّ وبيده قطعةٌ من جراب فيها كتابةٌ برماد وخاتمٌ من طين قد عُجن بالرَّماد وهو مطبوعٌ بخاتم الخلافة، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أعرابيٌّ على الباب ينادي: مَن يدلُّني على الربيع؟ هذا كتابُ أمير المؤمنين، فأخذه المهديُّ وضحك وقال: هذا واللهِ خطِّي وخاتَمي، وصدق، ثم شرع يحدِّث فقال: خرجت أمسِ إلى الصيد في غِبِّ سماء، فلمَّا أصبحت هاج علينا ضبابٌ شديد،

---

(١) اختلف في نسبة البيتين، انظر الأغاني ٣/ ١٥٠ ـ ١٥١ و ٢٠/ ١، وديوان بشار ٢/ ٢٣٦، وديوان دعبل ص٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٢) في (خ): هذا. والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.

وفقدتُ أصحابي حتى ما أَرى منهم أحداً، وأصابني من الجوع والبردِ والعطشِ ما اللهُ به عليم، وتحيَّرت، فذكرت دعاءً سمعتُه من أبي يحكيه عن أبيه عن جدِّه عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال إذا أَصبح وأَمسى: بسم الله وبالله ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، اعتصمتُ بالله وتوكَّلت على الله، حسبي اللهُ [ولا حولَ][1] ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، وُقي وكُفي وشُفي من الحرق والغرقِ والهدم وميتةِ السُّوء» فلما قلتُها رُفع لي ضوءُ نار، فقصدتُها، وإذا بأعرابيٍّ في خيمةٍ له يوقد ناراً، فسلَّمت عليه وقلت: هل من ضيافة؟ قال: اِنزل، فنزلت، فقال لزوجته: اِطحني ذاك الشعير، فأخذتْ في طحنه، فقلت: اِسقني ماء، فأتاني بسقاءٍ من لبنٍ فيه مَذْقة، فشربتُ منه شربةً ما شربت قطُّ شربةً إلا وهي أطيبُ منه وألذّ، وأَعطاني حِلْساً، فنمت نومةً ما نمت عمري ألذَّ منها، ثم انتبهتُ وإذا به قد ذبح شُويهةً لم يكن له سواها، وإذا بامرأته تقول: قتلتَ نفسَك وصِبيتَك، إنَّما كان معاشُكم من هذه الشاةِ وقد ذبحتَها، فبأيِّ شيءٍ تعيش؟! قال: فقلت لها: لا عليك، هاتِ الشاة، فشققتُ جوفَها واستخرجتُ كَبِدها، وأخرجت سكِّيناً من خفِّي، فشرحتها وشويتُها على النار وأَكلتها، فما أكلتُ أطيبَ منها. ثم قلت: هل عندكَ ما أَكتب لك فيه؟ فجاء بهذه القطعة، فأخذتُ عُوداً من الرَّماد الذي كان بين يدي، فكتبتُ هذا الكتابَ وختمته بهذا الخاتمَ، وأمرته أن يجيءَ ويسألَ عن الربيع فيدفعَه إليه، ثم قرأ المهديُّ الكتاب، وإذا فيه: خمسُ مئةِ ألف درهم، فقال: واللهِ ما أردتُ إلَّا خمسين ألفَ درهم، ولكن خرجت بخمس مئةِ ألف، واللهِ لا أَنقص منها درهماً واحداً ولو لم يكن في بيت المالِ غيرُها، اِحملوها معه، فما كان إلا القليلُ حتى كثرت إبلُ الرجلِ وشاؤه، وصار منزلاً من المنازل ينزله الناسُ مَن أراد الحجَّ من الأَنبار إلى مكَّة، وسمِّي مضيف أمير المؤمنين.

واعترضته امرأةٌ وقالت: يا عصبةَ رسولِ الله ﷺ انظرْ في حاجتي، فأَعجبه كلامُها وقال: ما سمعتُها من أحدٍ قبلها، اقضوا حاجتَها وأعطُوها عشرةَ آلافِ درهم.

وقدم المهديُّ البصرة، فكان يصلِّي بالناس الصلواتِ الخمسَ في جامع البصرة،

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٠.

فأُقيمت الصلاةُ يوماً، فقال أَعرابيّ: يا أميرَ المؤمنين، لستُ على طهرٍ وقد رغبتُ إلى الله في الصلاة خلفَك، فوقف في المحراب قائماً حتى توضَّأ الأعرابيُّ وجاء، فأُخبر بمجيئه، فكبَّر وصلَّى، فعجب الناسُ من سماحة أخلاقِه.

وهاجت ريحٌ في زمن المهديّ، فدخل بيتاً في جوف بيتٍ وأَلصق خدَّه بالأرض، وجعل يمرِّغ وجهَه على التراب، ثم قال: اللهمَّ إنه بريءٌ من هذه الجنايةِ كلُّ هذا الخلقِ غيري، فإن كنتُ المطلوبَ من بين خلقِك فها أنا بين يديك، اللهمَّ لا تشمت بي أهلَ الأديان، اللهمَّ احفظ محمداً في أمَّته، اللهمَّ هذه ناصيتي بين يديك. فلم يزل كذلك حتى انجلت الرِّيح.

وكان العَوفيُّ على مظالم المهدي، فصلَّى المهديُّ المغربَ بالناس ثم انصرف يتنفَّل، فقام العَوفي فقعد في قِبلَته وجذب بثوبه، فقال: مالَك؟! قال: شيءٌ أَولى بك من النافلة، قال: وما هو؟ قال: سلامٌ مولاك ـ وسلام قائمٌ على رأسه ـ غصب قوماً ضَيعتهم، وقد صحَّ ذلك عندي، فمرْه بردِّها، فقال: حتى نُصبح، فقال العَوفي: لا واللهِ إلَّا الساعة، فأمر قائداً أن يذهبَ إلى الضَّيعة ويُخرجَ منها أصحابَ سلَّام ويردَّها على أربابها، ففعل.

وكان المهديُّ إذا جلس للمظالم يقول: أَدخِلوا عليَّ القُضاةَ والعلماءَ أولاً، فلو لم يكن ردِّي المظالمَ إلا حياءً منهم [لكفى][1].

وقال سوَّار بنُ عبد اللهِ القاضي: انصرفتُ يوماً من دار المهديّ، فلمَّا دخلتُ منزلي دعوتُ[2] بالغداء، فجاشت نفسي، فأمرت بردِّه، ثم دعوتُ جاريةً أُلاعبها، فلم تَطِب نفسي، فدخلتُ للقائلة، فلم يأخذْني نوم، فركبتُ بغلتي وخرجت، فاستقبلني وكيلي ومعه ألفا درهمٍ من غَلَّتي، فقلت: اِتبعني، وأَطلقت رأسَ البغلة، وعبرت الجسرَ وصرتُ في شارعِ بابِ الأنبار، وإذا بدارٍ على باب شجرةٍ وعلى الباب خادم، وقد عطشت، فاستسقيتُ ماء، فدخل وأَخرج قُلَّةً نظيفةً طيبةَ الرائحة، فشربت، وحضر وقتُ العصرِ وهناك مسجد، فدخلت وصلَّيت، وإذا بأعمى قد دخل يلمس بيديه،

---

(١) ما بين حاصرتين يقتضيه السياق.

(٢) في (خ): دخلت، ولعله سهو. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠١.

فقلت: ما تريد؟ قال: أنت، قلت: وما حاجتُك؟ قال: شممتُ منك ريحَ الطِّيب، فعلمتُ أنك من أهل النَّعيم، فأردتُ أن أشرحَ لك قصَّتي. قلت: قل، قال: أترى هذا القصر؟ قلت: نعم، قال: هذا كان لأبي، فباعه وخرج إلى خُراسان، وخرجتُ معه، فمات وزالت عنا النِّعمة، فجئتُ إلى صاحب القصرِ أسأله أن يَصِلَني وأصيرَ على سوَّار ابن عبدِ الله القاضي؛ فإنه كان صاحبَ أبي، قال: فقلت: ومَن أبوك؟ فذكر رجلاً كان أصدقَ الناس إليّ، فقلت: يا هذا، إنَّ اللهَ قد أتاك بسوَّار، منعه الأكلَ والنومَ والقيلولةَ حتى جاء به فأَقعده بين يديك. ثم قلتُ للوكيل: هاتِ الدراهم، فدفعتُها إليه، ثم قلت: إذا كان غداً فصِرْ إلى المنزل، وركبتُ بغلتي وعدت، وقلت: ما أُحدِّث أميرَ المؤمنين بأطرفَ من هذا، فدخلت عليه فحدَّثته، فعجب وأمر لي بألفَي دينار، ثم قال: عليك دَين؟ قلت: نعم، قال: كم هو؟ قال: خمسون ألفَ دينار، فأَمسكَ وجعل يحدِّثني ساعة، ثم قال: امضِ إلى منزلك، فمضيت، وإذا بخادمٍ قد سبقني ومعه خمسون ألفَ دينار، فقال: أميرُ المؤمنين يقول: اقضِ بها دَينك، فلمَّا كان من الغد جاءني رسولُه، فمضيتُ إليه، فقال: يا سوَّار، فكَّرتُ في أمرك فقلت: هذه يقضي بها دَينه ويحتاج للقَرض، قد أمرتُ لك بخمسين ألفَ دينارٍ أخرى، فقبضتُها وانصرفت، وجاءني المكفوف، فوصلته بأربعة آلافِ دينار[(١)].

وقال الخرائطي: أهدر المهديُّ دمَ رجلٍ كان يسعى في فساد الدَّولة، وجعل لمن يدلُّه عليه مئةَ ألفِ درهم، فخرج يوماً في بعض شوارعِ بغدادَ مستخفياً، فرآه رجلٌ فعرفه، فلبَّبه وقال: هذا طِلبةُ أميرِ المؤمنين، وإذا بمعن بنِ زائدةَ قد أَقبل في موكبه، فصاح: يا أبا الوليد، خائفٌ فأَجِره، وميِّت فأَحْيه، فقال للرجل: دعْه فقد أجرتُه، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين أوعد عليه بكذا وكذا، فمضى إليه وأَخبره، وأما مَعْن، فبعث بالرجل إلى داره وقال: لا يَخلص إليه أحدٌ وفيكم عينٌ تَطرِف، ودخل معنٌ على المهديِّ فسلَّم عليه، فلم يردَّ وقال: يا معن، تُجير علي! قال: نعم. قال: ونعم أيضاً! فقال له معن: قتلتُ في قيام دولتكم في يومٍ واحد أربعةَ آلافِ مصلٍّ ولا يُجار لي رجلٌ واحد قد استجار بي! فأطرق المهدي رأسَه ثم رفعها وقال: قد أَجرنا مَن أجرت.

---

(١) في تاريخ دمشق: فدفعت إليه الألفي دينار.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن الرجلَ ضعيفُ الحال، قال: قد أمرنا له بثلاثين ألفَ درهم، فقال: إن جنايتَه عظيمة، وصِلاتِ الخلفاء على قَدْر الجناياتِ من الرعايا، قال: قد أَمرنا له بمئة ألفِ درهم، فقال: أهنأُ المعروف أعجلُه، فأمر بها فحُملت إلى دار معن، فجاء إلى داره وقد سبقه المال، فقال للرجل: ادعُ لأمير المؤمنين؛ فقد حقن دمَك، وأَجزل صِلتَك، وأَصلح نيَّتك له فيما يستقبل.

وقال شبيبُ بن شيبةَ[1] المِنْقري[2] : حججت، فبينا نحن ببعض الطريقِ جلست أتغدَّى، فجاء أعرابيٌّ وبيده جاريةٌ سوداء، فقلت له: تعال تغدَّ، فقال: إنِّي صائم، وكان يوماً شديدَ الحرّ، فقلت له: أتصوم في هذا الحرّ! فقال: أصوم ليومٍ هو أشدُّ حرًّا منه، ثم قال: هل فيكم مَن يكتب لي كتاباً؟ قلت: نعم، فأخرجتُ له صحيفة، فقال: اكتب: هذا ما أَعتق هلالُ بن عبدِ الله جاريتَه لؤلؤةَ لوجه اللهِ تعالى ولجَوَاز العَقَبة، فكتبتُ وأَعتق الجارية، فحدَّثت المهديَّ حديثَه، فقال: اشترِ لي ألفَ رأسٍ وأَعتقهم على ما أَعتق عليه الأعرابيّ، ففعلت.

وقال مالكُ بن أنس: لما حجَّ المهديُّ دخلتُ عليه، فقال: يا مالك، ألكَ دار؟ قلت: لا، وأحدِّثك بحديثٍ حدَّثناه ربيعةُ بن عبدِ الرحمن أنَّ نسبَ الرجلِ دارُه، فأمر لي بثلاثة آلافِ دينار.

ولما حجَّ دخل المدينة، فدخل عليه جماعة، فقال: أَنشِدوني، فأنشده عبدُ العزيز الماجِشون: [من الطويل]

وللناس بدرٌ في السماءِ يرونه ... وأنت لنا بدرٌ على الأرض مُقمِرُ
وما البدرُ إلَّا دون وجهِك في الدُّجى ... يغيب فيبدو حين غاب فيُقمر

فأعطاه خمسين ألفَ دينار[3].

وقدم على المهديِّ بِطريقٌ من الرُّوم يقال له: طاراثُ بن الليث بنِ العيزار بن طريف، وكان أبوه ملكَ الروم أيامَ معاوية، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما قدمتُ إلَّا شوقاً

(١) في (خ): شبة. والمثبت من العقد الفريد ٣/ ٤٦٧، وشعب الإيمان ٤/ ٦٩، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩١.
(٢) في (خ): المقري. والمثبت من تاريخ دمشق.
(٣) في تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ أنه أجازه بعشرة آلاف دينار.

إليك؛ لأنَّا نجد في كتبنا أن الثالثَ من بني العباسِ يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوراً، فقال المهدي: قد سرَّني ما قلت، ولك عندنا كلُّ ما تحبّ، ثم أمر الربيعُ بإنزاله وإكرامه، فخرج يوماً يتنزَّه، فمرَّ بموضع الأَرحاء التي على نهر عيسى، فقال للربيع: أحبُّ أن أبنيَ هاهنا مستغلًّا يؤدِّي لي في السَّنة خمسَ مئةِ ألفِ درهم، فأَقرِضْني خمسَ مئة ألفِ درهم، فقال: نعم، وأَخبر المهدي، فقال: أَعطِه خمسَ مئة ألفِ دينارٍ[1] وخمسَ مئة ألفِ درهم. وبنى الأَرحاء، فكان المهديُّ يبعث إليه في كلِّ سنةٍ مُغَلَّ الأرحاءِ، فأقام مدَّة ثم مات، فضمَّها المهديُّ إلى مستغلَّاته.

وقال الربيع: ظهر رجلٌ يدَّعي النبوَّة، وبلغ المهديَّ فأَرسل إليه، فأَحضره في يومه، فقال: أنت تزعم أنك نبيّ؟ قال: نعم. قال: إلى مَن بُعثت؟ قال: أنتم تركتموني أَذهب إلى مَن بُعثت إليه! وجِّهتُ بالغَداة وأخذتموني بالعَشيِّ فحبستموني. فضحك المهديُّ من قوله وخلَّى سبيله.

وقال عليُّ بن صالح: أذنب رجلٌ من القوَّاد، وكان قد عتب عليه المهديُّ غيرَ مرَّة، فقال له: إلى متى تُذنب؟ قال: ما أبقاك اللهُ لنا، منا الذنبُ ومنك العفو. فاستحيى منه ورضي عنه.

وخرج المهديُّ يطوف بالبيت، فسمع أعرابيةً من ناحية المسجدِ تقول: قوم معثَّرون، نبت عنهم العيون، وقرحتهم الدُّيون، وعضَّتهم السِّنون، بادت رجالُهم، وذهبت أموالُهم، وكثرت عيالُهم، أبناءُ سبيل، وأنضاءُ طريق، وصيةُ الله ووصيةُ الرسول، فهل امرؤٌ يُجير كلأه اللهُ في سفره وخلفه في أهله؟ فرقَّ لها ووصلها.

ولما أَنشده مروانُ بن أبي حفصةَ قصيدته التي منها: [من الكامل]

أنَّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البناتِ ولايةُ[2] الأعمامِ[3]

أعطاه سبعين ألفَ درهم، فقال: [من الطويل]

بسبعين ألفاً راشني من حِبائه ... وما نالها في الناس مِن شاعرٍ قبلي[4]

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٤٠٦، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨٣ : درهم.
(٢) في الديوان ص١٠٤ : وراثة.
(٣) في (خ): للأعمام.
(٤) الديوان ص٩٣.

وقال المهدي لعُمارةَ بنِ حمزة: مَن أرقُّ الناس شِعراً؟ فقال: والبةُ بن الحُباب الأَسدي، وهو الذي يقول: [من مجزوء الكامل]

ولـــهـــا ولا ذَنْـــبَ لـــهـــا   حُـــبٌّ كـــأَطـــراف الـــرِّمـــاحِ
فـــي الـــقـــلـــب يـــقـــدح والـــحـــشـــا   فـــالـــقـــلـــبُ مـــجـــروحُ الـــنـــواحـــي

قال: صدقتَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين، فما يمنعك من منادمته وهو عربيٌّ شريف، شاعرٌ شريف، شاعرٌ ظريف؟! قال: قولُه: [من السريع]

قـــلـــتُ لـــســـاقـــيـــنـــا عـــلـــى خـــلـــوةٍ   أَدنِ كـــذا رأسَـــك مـــن راســـي
وادنُ وضَـــعْ صـــدرك لـــي ســـاعـــة[1]   إنِّـــي امـــرؤٌ أَنـــكـــح جُـــلَّاســـي

أفتريد أن أكونَ جليسَه على هذا الشَّرط؟

وقال لحاجبه: قد ولَّيتك سَترَ وجهي وكشفَه، فلا تجعلْ بيني وبين خواصِّي سبباً لضَغَنهم بعبوس وجهِك، وقدِّم أبناءَ الدعوة؛ فإنَّهم أولى بالتَّقدمة، واجعل للعامَّة وقتاً بعد وقت.

وبلغ المهديَّ عن أهل الشامِ شيء، فجهَّز إليهم جيشاً، فقال له ابنُ خريم: يا أميرَ المؤمنين، عليك بالعفو عن المذنب والتجاوزِ عن المسيء، فلأن يطيعَك الناسُ طاعة محبَّة خيرٌ لك من أن يطيعوك طاعةَ مخافة. قال: صدقت، وردَّ الجيش.

وأمر المهديُّ بقتل رجلٍ وعنده ابنُ السَّمَّاك، فقال له: إنَّ هذا لا يجب عليه القتل، قال: فما يجب عليه؟ قال: يسعه عفوُك، فإنْ كان أجراً كان لك، وإن كان وِزراً فعليَّ. فعفى عنه.

وجيء المهديُّ برجل يدَّعي النبوَّة، فقال له: متى نُبِّئت؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟! قال: ففي أيِّ الأماكنِ أتتك النبوَّة؟ قال: وقعنا معك في صُداع، فإن كنتَ تؤمن بي وإلَّا فدعْني أذهبْ لعلي أجد مَن يصدِّقني غيرك. ثم قال: أمؤمنٌ أنا عندك أم كافر؟ قال: كافر، قال: فإنَّ اللهَ يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، فلا تُطِعني ولا تؤذيني، ودعني أذهبْ إلى الضعفاءِ والمساكينِ فهم أتباعُ

(١) في الأغاني ١٨/ ١٠٠: ونم على صدرك لي ساعة. والبيتان الأولان في طبقات ابن المعتز ص٢٠٨ أيضاً.

الأنبياء، وأَدعُ الملوكَ والجبابرةَ فما بُعثتُ إليهم. فضحك المهديُّ وأَطلقه.

ورأى المهديُّ في المنام كأنه محا اسمَ الوليدِ بن عبد الملك من مسجد النبيِّ ﷺ، ثم نسي، فلما حجَّ جلس في المسجد، فرفع رأسَه فرأى اسمَ الوليد، فقال: ذكَّرتَني الطَّعنَ وكنتُ ناسياً، وأمر أن يُمحى اسمُ الوليد ويكتبَ اسمُ المهدي مكانَه، ففعلوا.

ودخل شريكٌ على المهديّ، فقال له: اختر خَصلةً من ثلاث: إما أن تليَ القضاء، وإما أن تعلِّمَ ولدي، وإما أن تأكلَ معي لقمة، فقال: اللقمةُ أهون، فأكل عنده ألواناً من الطعام، فقال القهرمان: ليس يُفلح هذا الشيخُ بعدها، فولي واللهِ القضاءَ وعلَّم أولادَه، ولقد كتب له رزقَه إلى الجِهبذ فضايقه، فجاء إليه فقال: كم تضايقني؟! فقال له الجِهبِذ: كأنك بعتَهم خزًّا، فقال: بعتُهم واللهِ أعزَّ من الخَزّ، قال: وما هو؟ قال: دِيني.

ورأى المهديُّ كأنه مقبلٌ على شريكٍ وهو مُعرِض عنه، فسأل المعبِّرَ عن ذلك، فقال: هذا رجلٌ يطأ بساطَك وهو مخالفٌ لك، فاستدعاه، فلما دخل سلَّم عليه، فقال له المهديّ: لا سلَّم الله عليك، فقال: إنَّ اللهَ يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦]، قال: ما تقول في أبي يوسُف؟ فقال: نسأل عنه فإنْ كان عدلاً قبلنا شهادتَه، فاستشاط المهديُّ غضباً فقال: يا ابنَ الزانية، فقال: مَهْ مَهْ! واللهِ ما كانت إلا صوَّامة قوَّامة، فقال له: يا فاسقُ يا زنديق، فقال له شريكٌ وهو يضحك: إنَّ للفسَّاق والزنادقةِ علاماتٍ يُعرفون بها: شربُهم القهوات، واتخاذُهم القَينات، ونومُهم عن العَتَمات. يعرِّض بالمهدي، فقال: رأيتكَ في النوم وأنت تُجيبني من قفاك، فواللهِ لأقتلنَّك، فقال: إنَّ رؤياك ليست برؤيا يوسفَ الصِّدِّيق، فلا تُباح دماءُ المسلمين بالأَحلام، وقام فخرج، فتبعه ابنُ قَحطبة، فقال له شريك: أرأيت ما قال صاحبُك لنا؟ فقال له ابنُ قحطبة: لله أبوك! فواللهِ ما رأيت مثلَك.

وقال عليُّ بن صالح: كنت عند المهديِّ ودخل عليه شريك، فأراد أن يبخِّرَه بعود البَخور، فقال للخادم: هاتِ عوداً للقاضي، فجاء بعود الغناءِ فوضعه في حجر شريك، فقال: ما هذا يا أميرَ المؤمنين! فخجل المهديُّ وقال: هذا أخذه العَسَسُ البارحة، فأحببت أن يكونَ كسرُه على يد القاضي، فقال: جزاك اللهُ خيراً يا أميرَ المؤمنين،

فكسره. ثم أَفاضوا في حديثٍ آخَرَ حتى نُسي حديثُ العود، ثم قال له المهديّ: ما تقول في رجلٍ أمر وكيلاً له أن يأتيَ بشيءٍ بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال شريك: يضمن يا أميرَ المؤمنين، فقال المهديُّ للخادم: اضمن ما أتلفتَ بقيمته أو مثلِه.

وقال أبو مَعشر: جلست الخَيزُران يوماً وحولها بناتُ الخلفاءِ على النَّمارق والوسائد، وتحت الخيزران بساطٌ رومي، وعندها زينبُ بنت سليمانَ بنِ علي، وكانت في القُعْدُد[1] عند أهلِها مثلَ المنصور، فدخل الخادمُ فقال: على الباب امرأةٌ ذات حُسن وجمالٍ وهَيبة في أطمارٍ رَثّة تستأذن عليك، فأَذنت لها الخَيزُران، فدخلت امرأةٌ لها أُبَّهة وقَدْرٌ وجَلالة، فسلَّمت بأحسنِ سلام، وتكلَّمت بأَفصح بيان، فقلت لها: مَن أنت؟ فقالت: مُزنةُ امرأة مروانَ بنِ محمد، أصارني الدهرُ إلى ما ترون، وهذه الأطمارُ عليّ عارية، ولَمَّا غلبتمونا على هذا الأمرِ لم نأمنْ أن نخالطَ العامَّة، ولِمَا نحن فيه من الضَّرر قصدناكم لنعيشَ تحت ظلِّكم، فاغرورقت عينا الخَيزُران، فنظرت إليها زينبُ وقالت: لا خفَّف اللهُ عنك، أتذكرين يومَ دخلتُ عليك وتحتك هذا البساطُ بعينه ـ وأشارت إلى البساط الذي تحت الخَيزُران ـ ونساءُ فراعنتكم على هذه النَّمارقِ والوسائد، فكلمتُك في جُثَّة إبراهيمَ الإمام فانتهرتِني وأمرتِ بإخراجي، وقلتِ: ما للنساء والدخولِ مع الرجالِ في آرائهم، وواللهِ لقد كان مروانُ أرعى للحقوق منك، دخلتُ عليه فسألته فيه، فقال: واللهِ ما قتلته، ولقد كذب، ثم دفع إليَّ جُثَّته، وأعطاني مالاً فلم أَقبلْه، فقالت مُزنة: واللهِ ما أظنُّ الحالَ التي أدَّتني إلى ما ترين إلَّا ما كان مني إليك، فلمَ حرَّضتِ هذه السيدةَ على حرماني؟! وكان الواجبُ عليك أن تحضِّيها على فعل الخيرِ ومقابلة الشيءِ بضدِّه؛ لتحوزَ نعمتَها وتصونَ دينَها، يا بنتَ عمي، كيف رأيتِ حالَنا في العقوق وما صنع اللهُ بنا فأَحببتِ أن تتأسِّي بنا. ثم بكت بكاءً شديداً وقامت، فأمرت الخيزرانُ الخادمَ فعدل بها إلى مقصورةٍ سرًّا من زينب، ودخل المهديُّ في الحال وأثرُ البكاءِ في وجه الخَيزُران، فسألها، فقصَّت عليه القصَّة، فبكى بكاءً شديداً وقال: اللهمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك. ثم قال: وأين المرأة؟ قالت

(١) القعدد: قريب الآباء من الجد الأكبر. القاموس المحيط (قعد).

الخَيْزُران: أمرتُ الخادمَ فعدل بها إلى مقصورة، فقال: واللهِ لو لم تفعلي ذلك ما دخلتُ عليك ولا كلَّمتك أبداً، ثم أَقبل على زينبَ فوبَّخها وقبَّح فعلَها وأَمضَّها، ثم أَعرض عنها، وقال للخادم: ما قالت مزنةُ عند قيامِها من المجلس؟ قالت: قرأتْ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ الآية [النحل: ١١٢]، فقال المهدي: عليَّ بها، فجاءت، فقرَّبها وأَدناها ورفع منزلتَها فوق منزلةِ زينب، وذاكرها أيامَ الناس، فوجدها بارعةً في كلِّ فنٍّ مع حُسنٍ وجمال، فقال لها: يا بنتَ العمّ، لولا ما تعلمين من أمركم لتزوَّجتك، ولكن لكِ أُسوة، هؤلاء بناتُ الخلفاء، وأَقطعها ما لمثل واحدةٍ منهن، فأَقامت على أحسن حالٍ حتى توفِّيت في أيَّام هارون.

قِصَّة العَلَوي:

انتبه المهديُّ ليلةً من منامه فَزِعاً، فاستدعى صاحبَ شُرطته وقال له: صِرْ إلى المُطْبِق واطلب فلاناً العلويَّ الحسيني، وخيِّره بين المُقامِ عندنا والخروجِ إلى أهله، فإن اختار الخروجَ إلى أهله فأَعطِه كذا وكذا من المال، وإن اختار المقامَ عندنا فادفع له كذا وكذا من المال. قال: فجئتُ إلى المطبق، فطلبتُ الفتى وإذا به مثلُ الشَّنِّ البالي، فعرَّفته الحال، قال: لا بل أَخرج إلى أهلي إلى المدينة، فجهَّزته وأعطيته الصِّلَةَ كما أمرني، فلمَّا عزم على الذَّهاب قلت له: بالذي فرَّج عنك ما كنتَ فيه هل تعلم ما دعا أميرَ المؤمنين إلى إطلاقك؟ قال: نعم، رأيتُ رسولَ الله ﷺ في هذه الليلةِ في المنام، فقال: يا بُنَيَّ ظلموك؟ قلت: نعم. قال: قم فصلِّ ركعتين وقل: يا سابقَ الفوت، ويا سامعَ الصَّوت، ويا كاسيَ العظام بعد الموت، صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، واجعلْ لي من أمري فَرَجاً ومخرجاً، إنَّك تعلم ولا أَعلم، وتقدر ولا أَقدر، وأنت علَّامُ الغيوب، يا أرحمَ الراحمين. قال: فقمتُ وفعلت ما أمرني به، ولم أزل أكرِّرها حتى دعوتَني. قال: وعدتُ إلى المهديِّ فحدَّثته الحديث، فقال: كنت نائماً، وإذا بزِنجيٍّ بيده عمودٌ من حديدٍ واقفاً على رأسي وهو يقول: أَطلِق فلاناً العلويَّ وإلَّا قتلتك.

وقال صالحُ بن بشيرٍ المُرِّي: دخلتُ على المهديِّ ببغدادَ وهو بالرصافة، فقلت: يا

أميرَ المؤمنين، احتمل ما أكلِّمك به اليومَ لله تعالى؛ فإنَّ أَوْلى الناسِ بالله أحملُهم للنصيحة فيه، وجديرٌ بمن له قرابةٌ من رسول اللهِ ﷺ أن يرثَ أخلاقَه ويأتمَّ بهديه، وقد ورَّثك اللهُ من فهم العلمِ وإنارة الحجَّة ميراثاً قطع به عُذرَك، فمهما ادَّعيتَ من حجَّة أو ركبت من شبهةٍ لم يتَّضح لك فيها برهانٌ من الله تعالى، حلَّ بك من سَخَطه بقدر ما تجاهلتَه من العلم، أو أَقدمتَ عليه من شُبهة الباطل، واعلم أنَّ رسولَ الله ﷺ خصمُ مَن خالفه في أمَّته، ومَن كان محمدٌ ﷺ خصمَه كان اللهُ خصمَه، فأعدَّ لمخاصمة[1] اللهِ ورسولِه حُجَجاً تضمن لك النَّجاة، أو استسلم للهَلَكة، واعلم أنَّ أبطأَ الصَّرعى نهضةً صريعُ هوًى يدَّعيه إلى الله قُربة، وأنَّ أثبتَ الناسِ قَدَماً يومَ القيامة آخذُهم بكتاب اللهِ وسنَّة رسولِه ﷺ، فانتبهْ فقد تصيَّدت الدنيا نُظراءك، فاعملْ بالأمانة فقد أدَّيتُ إليك النصيحة. فبكى المهديّ.

ودخل عليه صالحُ بن عبدِ الجليل فقال: يا أميرَ المؤمنين، لَمَّا سهل علينا ما توعَّر على العامَّة من الوصول إليك، قمنا مقامَ الأداء عنهم وعن رسول اللهِ ﷺ بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمرِ والنَّهي بانقطاع عُذرِ الكتمان، ولاسيما حيث اتَّسمتَ بميسَم التواضع، وآثرتَ الحقَّ على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد الحقّ، وفي الأثر: مَن حجب اللهُ عنه العلمَ عذَّبه على الجهل، فاقبل يا أميرَ المؤمنين ما نُهدي إليك من ألسنتنا ونؤدِّي به إليك نصيحتَنا.

وقدم المهديُّ حاجًّا، فلمَّا أخذ في الطواف نَحَّى الناسَ عن البيت، فوثب عبدُ الله ابن مرزوقٍ فلبَّب المهديَّ بردائه، ثم هزَّه وقال: مَن جعلك أحقَّ بهذا البيتِ مِمَّن أتاه من بعيدٍ حتى إذا صار عنده حُلْتَ بينه وبينه؟ فقال: مَن هذا؟ فقال: ابنُ مرزوق، وكان مولًى من مواليهم، فكره أن يعاقبَه عقوبةً يُشنِّع بها عليه العامَّة، فأخذه معه إلى بغداد، وحبسه في إصطبلِ الدوابِّ مع فرسٍ شَموس ليدوسَه فيقتلَه، فذلَّل اللهُ له الفرس، فكان يمدُّ عنقَه بين يديه، وأُخبر المهدي، فحبسه في بيتٍ عنده مظلم، وأخذ المفتاحَ فخبأه تحت رأسه، فقيل له: إنَّه في البستان يأكل البَقل، فأَحضره وقال: مَن أطلقك؟ فقال:

(١) في (خ): لمخاصم. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٧.

الذي حبسني، فأَطلقه فعاد إلى مكَّة.

وقال المهديُّ لسفيانَ الثوري: يا أبا عبدِ الله، إنِّي أريد أن أستعينَ بك على أَمانتي، فقال: لا أَصلح، فرمى بخاتَمه إليه وقال: اِعمل في هذه الأمَّة بكتاب اللهِ وسنَّة رسوله، فقال: لو عملتُ[1] بذلك لكنت أوَّل ما أبدأ بك، فغضب المهديُّ وقام سفيانُ الثوريُّ فخرج.

ودخل عليه محمدُ بن طلحةَ بن مصرِّفٍ وهو جالسٌ في بهوٍ له، فمطرت على الناس، فقام محمدٌ فقال: أَمن العدلِ يا أميرَ المؤمنين أن تكونَ في الظلِّ ونحن في المطر؟! فقال المهدي: مَن هذا؟ قالوا: محمد، وهو مغفَّل، فقال له المهدي: إليَّ يا عمّ إلى هاهنا، وجعل يردِّدها حتى صار قريباً منه في الكِنّ، فقال: يا عمّ، لِمَ لا تقول[2] لأخيك سفيانَ الثوريِّ يأتِنا؟ فقال: إذاً يكون له الحجَّةُ عليّ، قال: فقل أنت، قال: أرى أن تصعدَ المنبرَ وتسألَ الناسَ أن يسوِّغوك[3] ما في يدك، ثم تستقبل بهم العدل، فقال: مقبولٌ يا عم، وخرج، فقال المهدي: هذا الذي زعمتم أنه مغفَّل!

وكان المهديُّ ممدَّحاً يحبُّ الشِّعر، ومن شعرائه مروانُ بن أبي حفصة، وهو القائلُ من قصيدة: [من الطويل]

كفاكم بعبَّاسٍ أبي الفضلِ والداً ... فما من أبٍ إلا أبو الفضلِ[4] فاضلُهْ

كأنَّ أميرَ المؤمنين محمَّداً ... أبو جعفرٍ في كلِّ أمرٍ يحاوله

إليك قَصَرنا النِّصفَ من صلواتنا ... مسيرةَ شهرٍ بعد شهرٍ نواصله

وهو سبعون بيتاً، وأوَّلها:

صحا بعد جهلٍ واستراحت عواذلُهْ[5]

فأمر له بسبعين ألفاً، فقال مروان: فقلتُ في نفسي: أنشدتُه هذه الأبياتَ فأمر لي

---

(١) في (خ): علمت. وانظر حلية الأولياء ٧/ ٤٠ - ٤١.

(٢) في (خ): تقل. والمثبت من تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨٥.

(٣) في (خ): يسوغونك. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) في الديوان ص٩٥ : أبو العباس. ولا يستقيم به الوزن. والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠٧.

(٥) عجزه: وأقصرن عنه حين أقصر باطله.

بشيءٍ نسيئة، فقلت:

فلا نحن نخشى أن يَخيبَ مسيرُنا إليك ولكنْ أهنأُ البِرِّ عاجلُهْ

فقال المهديّ: عجِّلوها له، فحُملت إليَّ من وقتي.

وكان المهديُّ يحتجب أولَ خلافته، فأنشده سَلْمٌ الخاسر: [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ مات غمًّا وفاز باللذَّة الجَسورُ[١]

فظهر لنُدَمائه. وكان يقول بعد ذلك: إنما اللذَّة في مشاهدتها وإدراكِ الحواسِّ إياها، أما مِن وراءَ فليس لها معنى.

وكان المهديُّ يشعر، ومن شعره: [من الوافر]

أرى ماءً وبيْ عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ إلى الورودِ
أراح اللهُ من جسدي ثيابي وعجَّلني إلى دار الخلود
أمَا يكفيكِ أنَّك تملكيني وأنَّ الناس كلَّهمُ عبيدي
وأنكِ لو قطعتِ نياطَ قلبي لَقلتُ من الهوى أحسنتِ[٢] زيدي

وقيل: إنَّها لابنه هارونَ الرشيد[٣].

وله: [من مجزوء الرمل]

أفٍّ للدنيا وللزِّيـ ـنةِ فيها والأثاثِ
إذ حثا التُّربَ على هيـ ـلانَ في الحفرة حاثي
فلها تبكي البواكي ولها تُشجَى المراثي
خلَّفت حزناً طويلاً جعلتْ ذاك تُراثي[٤]

وحجَّت الخَيزُران، فكتب إليها المهديُّ وهي بمكَّة: [من الخفيف]

نحن في أكملِ السُّرورِ ولكن ليس إلَّا بكمْ يتمُّ السرورُ

---

(١) الأغاني ١٩/ ٢٦٣.

(٢) في (خ): حسنت. والمثبت من المصادر.

(٣) انظر في نسبة الأبيات تاريخ الطبري ٨/ ١٨٥، والموشى ص٨١، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٨، و٦٢/ ٥١١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩، والتدوين في أخبار قزوين ١/ ٤٣٢.

(٤) الأبيات للرشيد، انظر تاريخ بغداد ١/ ٤١٤، والوافي ٢٧/ ١٩٩.

عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّي ... أنكم غُيَّب[1] ونحن حضور
فأَجِدُّوا في السير بل إنْ قدرتمْ ... أن تطيروا مع الرِّياح فطيروا

فكتبتْ إليه تقول:

قد أتانا الذي وصفتمْ[2] من الشَّو ... قِ فكدنا من الغَرام نطيرُ
ليت أنَّ الرِّياحَ كنَّ يؤدِّيـ ... ـنَ إليكم ما قد يُجِنُّ الضمير
لم أزل صبَّةً فإنْ كنتَ بعدي ... في سرورٍ فدام ذاك السُّرور

ذِكرُ وفاته:

قال عليُّ بن يقطين: بينا نحن مع المهديِّ بقصره بماسَبَذانَ نام نومة، ثم انتبه وهو يبكي، فقمنا إليه فقلنا: ما الخبر؟ فقال: أَتاني الساعةَ آت، فوقف على باب القصرِ وقال: [من الطويل]

كأنِّي بهذا القصرِ قد باد آهلُهْ ... وأَوحشَ منه رَبْعُه ومنازلُهْ
وصار عميدُ القومِ من بعد بهجةٍ ... ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جَنادلُه
فلم يبقَ إلَّا ذِكرُه وحديثُه ... تنادي عليه مُعْوِلاتٍ حلائلُه

فلم يلبثْ سوى عشرةِ أيامٍ ومات[3].

وقال الشافعيُّ رحمه الله: لما فرغ المهديُّ من بناء قصره، تحوَّل إليه ومعه حَشَمُه، فبينا هو ذات ليلةٍ نائم، إذ سمع صوتاً من زاوية القصرِ يهتف:

كأنِّي بهذا القصرِ قد باد آهلُهْ ... وأوحش منه رَبعه ومنازلُهْ[4]

فأجابه المهديُّ وقال:

كذاك أمورُ الناسِ يبلى جديدُها ... وكلُّ فتًى يوماً ستَبلى فعائلُه

فأجابه الهاتفُ وقال:

تلبَّثْ ثلاثاً بعد عشرين ليلةً ... إلى منتهى شهرٍ وما أنت كامله

---

(١) في بهجة المجالس ٢/ ٨٢١، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٠: غبتم.

(٢) في (خ): قد وصفتم، وهو خطأ.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ١٧٠ ـ ١٧١، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٢، والكامل ٦/ ٨١.

(٤) في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٥٠: وقد درست أعلامه ومنازله.

فما عاش بعدها إلَّا تسعةً وعشرين يوماً ومات[١].

وقيل: خرج إلى قريةٍ فنصب الشِّباك على المياه لصيد الغِزلان، فنفرتْ وذهبت، وجاءت في اليوم الثاني وقد أَجهدها العطش، فوقفت عند الشِّباك ورفعت رؤوسَها وعجَّت عجةً واحدةً إلى الله تعالى، وإذا قد ارتفعت سحابةٌ فأَمطرت غُدراناً، فشربتْ والمهديُّ ينظر إليها، فحُمَّ من يومه، فلم يلبثْ أياماً حتى هلك.

وقيل: طردت الكلابُ ظَبياً وطرد المهديُّ خلفها، فما زال الظَّبْيُ يعدو حتى اقتحم بابَ خَرِبة، فاقتحمت الكلابُ خلفه، واقتحم الفرسُ بالمهدي، فدقَّ بابُ الخربة ظهرَه فوقع ميِّتاً، فنظروا فلم يجدوا ما يحملونه عليه، فقلعوا باباً من بعض بيوتِ القرية فحملوه عليه إلى معسكره.

وقيل: إنَّه مات مسموماً، فقال الطَّبري[٢]: بعثتْ جاريةٌ من جواري المهديِّ إلى ضَرَّة لها بلِبَأٍ[٣] فيه سمّ، فمرَّت بالمهديِّ وهو قاعدٌ في بستان، فدعا به فأكل منه، وفَرِقت الجاريةُ أن تقول: إنَّه مسموم.

وقيل: إنَّه كان جالساً في علِّيَّة قصره بماسَبَذان مشرفٌ من منظرة، وكانت جاريتُه حَسَنةُ قد عمدت إلى كُمَّثرى فجعلته في صِينيَّة وسمَّت منه واحدة، وهي أحسنُه وأنضجه، ووضعتها في أَعلاه، وأرسلت به مع وصيفةٍ لها إلى جارية للمهديِّ كان يتحظَّاها، تريد بذلك قتلَها، وكان المهديُّ يُعجبه الكُمَّثرى، فلمَّا رأى الوصيفةَ دعا بها إليه وأخذ تلك الكُمَّثرى، فأكلها وصرخ: جوفي جوفي، فسمعت حَسَنةُ الصوت، فجاءت تلطِم وتقول: أردتُ أن أنفردَ بك فقتلتُك، وهلك من يومه.

وقال ابنُ عبدوس: كان المهديُّ قد بعث إبراهيمَ بن ذكوانَ الحرَّاني الأعورَ مع ابنه موسى إلى جُرجان، فغلب إبراهيمُ على موسى واختصَّ به، وبلغ المهديَّ عنه أشياءُ تزيَّد أعداؤه عليه فيها، فكتب إلى موسى يطلبه، فتعلَّل عليه، فكتب إليه المهديّ: لئن لم تبعثْ به إليَّ لأخلعنَّك من العهد، فلم يجد بدًّا أن بعث به إليه مكرّماً مع خادم له

(١) اختصر المؤلف الحكاية، انظرها في تاريخ دمشق والبداية والنهاية.

(٢) في تاريخه ٨/ ١٦٩.

(٣) اللبأ: أول اللبن في النتاج. مختار الصحاح (لبأ).

وقال: إذا قربتَ منه فقيِّده وألبِسه جبةَ صوف، واحمله على بعيرٍ بغير وطاءٍ ولا غطاء، وكان المهديُّ بماسَبَذان، فركب للصَّيد، وإذا بالخادم وإبراهيم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا إبراهيمُ ومعه خادمُ موسى، فقال: وما حاجتُنا إلى الصيد؟! وهل من صيدٍ أطيبُ من صيد إبراهيم! عليَّ به. قال: فأدنيت منه وهو على فرسه، فقال: إبراهيم؟ قلت: لبَّيك يا أميرَ المؤمنين، فقال: واللهِ لأقتلنَّك، قالها ثلاثاً، ثم قال للخادم: امضِ به إلى المضرب. قال: فيئستُ من الحياة، فلما صرتُ في المضرب أخذتُ في الصلاة والتضرُّع، وانصرف المهديُّ[١] فأكل من اللَّوزِينَج المشهورِ خبرُه، فمات من وقته وتخلَّصتُ.

وتوفِّي في المحرَّم، فقيل: لثمانٍ بقينَ منه ليلةَ الخميس، وقيل: ليلةَ الجمعة لسبعٍ بقين منه، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، وقيل: خمساً وأربعين سنة، ووُلد سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة[٢] ، وقيل: سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة، وقيل: وخمسةِ أيام، وصلَّى عليه هارون، وكان بجُرجان، ودُفن تحت جَوزة، وكان يجلس عندها.

ورثاه جماعةٌ، منهم بكَّار بنُ رباح، فقال: [من الطويل]

أَلا رَحِمَ[٣] الرحمنُ في كلِّ ساعةٍ ... على رِمَّةٍ رمَّت بماسَبَذانِ
لقد غيَّب القبرُ الذي تمَّ سؤدَداً ... وكفَّينِ بالمعروف تبتدران

وقال سلم[٤] الخاسر: [من الوافر]

وباكيةٍ على المهديِّ عَبرَى ... كأنَّ بها وما جنَّت جنونا
وقد خمشتْ محاسنَها وأَبدت ... غدائرَها وأظهرت القرونا
لئن بليَ الخلافةَ بعد عشرٍ[٥] ... لقد أبقى مساعيَ ما بَلينا
سلامُ الله غُدوةَ كلِّ يومٍ ... على المهديِّ حين ثوى رهينا

---

(١) في (خ): الهادي. والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٢٨.
(٢) لم أقف على هذا القول. والذي بعده هو الصواب.
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ١٧١ : رحمة.
(٤) في (خ): سالم، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الخلفاء ص٢٧٣، وسمط النجوم العوالي ٣/ ٢٦٨.
(٥) في تاريخ الخلفاء وسمط النجوم: عز.

تركنا الدِّينَ والدنيا جميعاً ... بحيث ثوى أميرُ المؤمنينا

وكانت الخَيزُران قد جاءت إلى ماسَبَذان في مئة قبَّةٍ من الدِّيباج، فأقامت عنده أياماً، فلمَّا عادت إلى بغدادَ أَلبست القِبابَ المُسوح، فقال أبو العتاهية: [من مجزوء الرمل]

رُحنَ في الوَشي وأَصبحْـ ... ـنَ عليهنَّ المُسُوحُ

كلُّ نطَّاحٍ من الدَّهـ ... ـرِ له يومٌ نَطوح

لَتموتنَّ ولو عُمـ ... ـمِرْتَ ما عُمِّر نُوح

فعلى نفسك نُحْ ... إنْ كنتَ لا بدَّ تنوح[١]

ذِكرُ أولاده:

كان له من الولد موسى الهادي، وهارونُ الرشيد، وعيسى [و][٢] البانوقة، وأمُّهم الخَيْزُران، وهي بنتُ عطاء، وقيل: كانت جرشيةً مولاةَ المهدي، وإلى عيسى يُنسب عيسى باذ، وكان له عيسى آخر، وعُبيد الله، وأمُّهما رَيطة بنتُ أبي العباس السفَّاح، ومنصور، وأمُّه بنت الأَصْبَهْبَذ صاحبِ طَبَرِستان، ويقال: إنَّها وَلدت للمهديِّ العاليةَ وسليمةَ والعبَّاسةَ لأمِّ ولد، ويعقوبَ وإسحاقَ لأمِّ ولد، وإبراهيم، وأمُّه شَكلة من سبي دُنْباوَند، ومن أولاد المهديِّ عليٌّ وعبدُ الله، فأما عليٌّ فحجَّ بالناس، وولي البصرة، وتوفِّي ببغداد، وأما عيسى فمات صغيراً، وأما عبيدُ[٣] الله فولي إرمينيةَ والجزيرة، وأما منصورٌ فولي البصرة وفلسطين، وحجَّ بالناس في فتنة الأمين، ولم يدخل مع الأمينِ ولا مع المأمون، وأما العباسةُ فتزوَّجها هارونُ بن محمدِ بن سليمان، فمات عنها، فتزوَّجها إبراهيمُ بن صالحِ بن علي، وأما البانوقةُ فكان أبوها يحبُّها حبًّا شديداً، وكان لا يصبر عنها لحظةً واحدة، وكان يركب وهي بين يديه عليها قَباءٌ أسودُ وفي وسطها منطقة[٤]، فتوفِّيت ببغدادَ في سنة خمسٍ وستين ومئة، فجزع عليها المهديُّ جزعاً لم

---

(١) رواية الديوان ص٩٩:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

(٢) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٣١٥، والمنتظم ٨/ ٢٠٦.

(٣) في (خ): عبد، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٣١٦.

(٤) غير واضحة في (خ)، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٨٦.

يجزعْه خليفةٌ على ابنةٍ قطّ، وجلس بنفسه للعزاء، وكتب إلى الآفاق، فقدم إليه المعزُّون الخطباءُ والشعراء، وأنشدوه وعزَّوه، وقام شبيبُ بن شبةَ فقال: يا أميرَ المؤمنين، أعطاك اللهُ ما رُزئتَ به أجراً لها منك، وأحقُّ ما صُبر عليه ما لا سبيلَ إلى ردِّه، فتعزَّى المهدي.

ذِكر وزرائه وحُجَّابه وقضاته:

كان له من الوزراءِ أبو عبدِ الله معاويةُ بن عبدِ الله الأشعري، ويعقوبُ بن داودَ، والفيضُ بن أبي صالح، وفي الربيع بنِ يونسَ خلاف، وحاجبُه الفضلُ بن الربيع، وحجبه أبو الرَّبيع وسلَّامٌ الأبرش، وقاضيه عافيةُ بن يزيد ومحمدُ بن عبدِ الله بن عُلاثة وشريكُ بن عبدِ الله، ونَقشُ خاتَمه: العزُّ لله.

أَسند المهديُّ عن أبيه وجدِّه وشعبةَ وغيرِهم.

وقال الواقدي: خرج على المهديِّ خارجي، فخرج راكباً يستنفر الناسَ ويقول: حدَّثنا شعبةُ بن الحجَّاج، عن زياد بنِ عِلاقة، عن عَرْفَجةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خرج على أُمَّتي وهم جميعٌ ليفرِّقَ بينهم، فاضرِبوا رأسَه بالسَّيف كائناً مَن كان»[1].

فصل: وفي الرُّواة مَن اسمُه محمدُ بن عبدِ الله جماعة، منهم:

محمدُ بن عبدِ الله بن رَزِين

أبو الشِّيص الشاعر. من بارع شعرِه يمدح هارونَ الرشيدَ عند ورود الخبرِ بهزيمة نقفور مَلِكِ الروم: [من الطويل]

شددتَ أميرَ المؤمنين قُوى المُلك ... صدعتَ بفتح الرُّوم أفئدةَ التُّركِ
قريتَ سيوفَ الله هامَ عدوِّه ... وطأطأتَ بالإسلام ناصيةَ الشِّرك
فأصبحتَ مسروراً بفتحك ضاحكاً ... وأصبح نقفورٌ على مُلكه يبكي[2]

ومنهم

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة، به. وأخرجه من طرق أخرى أيضاً.
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

محمدُ بن عبدِ الله بن شُعيب

أبو بكرٍ الشاعر، مولى بني مخزوم، ويُعرف بالأُخيطل. كان ظريفاً مليحَ الشِّعر، فمنه: [من البسيط]

رياضُ شِعرٍ إذا ما الفكرُ أمطرها ... فهماً تروَّى لها لبُّ الفتى الفَهِم
فما اقترابُ الهوى من عاشقٍ دَنِفٍ ... ألذُّ من ماء شِعرٍ جال في كَرَمِ(١)

ومنهم

محمدُ بن عبدِ الله بن يحيى

ابن الخبَّازة الحنبلي. له شِعرٌ في الزهد والرَّقائق، عاصر الإمامَ أحمد بنَ حنبلٍ رحمه الله تعالى، ومدحه ورثاه، وقال عبدُ الله بن الإمام أحمدَ رحمةُ الله عليه: كنتُ أَدعو ابنَ الخبازة، وكان أبي ينهى عن الشِّعر، فسمعه يوماً وهو يُنشد: [من الطويل]

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ(٢)

قال عبدُ الله: فخرجتُ لأنظر، فإذا بأبي يترنَّح ذاهباً وجائياً، فقال: إذا كان مثلَ هذا فلا بأسَ به.

ومنهم

محمدُ بن عبدِ الله بن نُمَير البغدادي

روى عن الحارث بنِ الحَكَم قال: أَنزل اللهُ في بعض كتبه: أنا اللهُ لا إله إلَّا أنا، قضيتُ السُّوسَ على الطعام، ولولا ذلك لخزنه الملوكُ فغلت الأسعار، ولولا أني قضيت النَّتْنَ على الميِّت لحبسه أهلُه في البيوت، ولولا أني أَسكنت الأملَ القلوبَ لأَخربها الفكر.

انتهت سيرةُ المهديِّ رحمه الله.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٦.

(٢) البيت في ديوان أبي نواس ص١٠٣، وأبي العتاهية ص٢١، والحماسة البصرية ٢/ ٤٧ منسوباً للحسن بن عمرو الإباضي، قال: وتروى لأبي محمد التيمي. والكلام في تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٠. دون ذكر البيت.

محمدُ بن عبدِ الرحمن بنِ هشام

أبو خالد، القاضي المكِّي الأَوقص. ولي قضاءَ مكة، كان قصيراً دميماً جدًّا، وكان عُنقه داخلاً في بدنه، ومنكباه خارجان كأنهما زُجَّان، فكان الخصمُ إذا جلس بين يديه لا يزال يُرعَد إلى أن يقوم.

سمعتْه امرأةٌ يوماً وهو يقول: اللهمَّ أَعتِق رقبتي من النار، فقالت: وأيُّ رقبةٍ لك!

وقالت له أمُّه: يا بُني، إنك خُلقت خِلقةً لا تصلح معها لمعاشرة الفِتيان، فعليك بالدِّين والعلم، فإنهما يتمِّمان النَّقائص، ويرفعان الخسائس. قال: فنفعني اللهُ بما قالت، فتعلَّمتُ العلمَ حتى وليت القضاء.

أَسند عن خالد بنِ سَلَمةَ المخزومي وغيرِه، وروى عنه معنُ بن عيسى[1] وغيرُه.

نافعُ بن عبدِ الرحمن

ابن أبي نُعيم، المَديني القارئ، من الطبقة السادسةِ من أهل المدينة.

قال اللَّيث بنُ سعد: قدمت المدينةَ سنةَ عشرٍ ومئة[2]، فوجدتُ نافعاً إمامَ الناس في القراءة، لا يُنازَع فيها.



(١) في (خ): علي، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، انظر تاريخ دمشق ٦٣/ ١١٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٠٩.

(٢) في تاريخ الإسلام ٤/ ٥٢٩: حججت سنة ثلاث عشرة ومئة.

السَّنة السَّبعون بعد المئة

فيها توفِّي موسى الهادي وولي هارونُ الرشيد.

البابُ الخامسُ في خلافته

وكُنيته أبو جعفر، وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو محمَّد، وُلد سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة، وقيل: سنةَ ثمانٍ وأربعين، وقيل: سنة تسعٍ وأربعين ومئة، وقيل: سنة ستٍّ وأربعين، أو سنةَ خمسين[1] ومئة.

ووُلد الفضل بنُ يحيى قبله بتسعة أيام أو ثمانيةٍ في ذي الحِجَّة، وولد هارونُ أولَ يوم من المحرَّم، فأَرضعته أمُّ الفضل، وهي زينبُ بنت منير، وفي ذلك يقول سَلْمٌ[2] الخاسر: [من الخفيف]

أَصبح الفضلُ والخليفةُ هارو ... نُ رضيعَي لِبان خيرِ النساءِ
لا يضلُّ الساري بغير دليلٍ ... وبنو بَرْمكٍ نجومُ السماء

وأَرضعت الخَيزُران الفضلَ بلِبان هارون، وكان مولدُه بالرَّي، وأمُّه وأمُّ الهادي الخَيزُران، وفيها يقول مروانُ بن أبي حفصة: [من الكامل]

يا خَيزُرانُ هَنَاكِ ثم هَنَاكِ ... أَمسى يسوس العالمين ابناكِ[3]

فنهاه هارونُ وقال: لا تذكرْ أمِّي بخيرٍ ولا بشرّ.

وولي هارونُ الخلافةَ وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة، وهذا يؤيِّد قولَه: أنَّه ولد في سنة تسعٍ وأربعين في خلافة المنصورِ لثلاثٍ بقين من ذي الحِجَّة، وبويع يومَ الجمعة ببغدادَ صبيحةَ اليومِ الذي توفِّي فيه الهادي، وقيل: ليلةَ الجمعة، وقيل: ليلة السبتِ لأربعَ عشرةَ بقيت من ربيعٍ الأوَّل.

---

(١) في (خ): خمس. والمثبت من المنتظم ٨/ ٣١٨.

(٢) في (خ): سالم، وهو خطأ، والمثبت من الكامل ٥/ ٥٨٦.

(٣) لم نقف عليه في الديوان، والبيت في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٣، ومروج الذهب ٦/ ٢٦٩ منسوباً لأبي المعاق، وهو في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٦ دون نسبة.

وقال سليمانُ بن أبي شيخ: لما كانت الليلةُ التي توفِّي فيها الهادي، أخرج هرثمةُ بن أَعيَنَ هارونَ ليلاً فأَقعده في مرتبة الخلافة، ودعا هارونُ بيحيى بنِ خالد، وكان محبوساً في حبس الهادي، وقد عزم على قتله وقتلِ هارونَ في تلك الليلة، فحضر يحيى، فاستوزره وأمره بإنشاء الكتبِ بالبَيعة إلى الآفاق.

وقال محمدُ بن هشامٍ المخزومي: لَمَّا مات الهادي، جاء يحيى بنُ خالدٍ إلى هارونَ وهو نائمٌ في فراشه في لحافٍ بغير إزار، فقال له: قُم يا أميرَ المؤمنين، فقال له هارون: كم تروِّعني إعجاباً منك بخلافتي وقد علمتَ حالي عند هذا الرجل! فإنْ بلغه هذا فكيف يكون حالي عنده؟! فقال: مات أخوك، وهذا خاتمُه، فقام ولبس ثيابَه وقال: واللهِ لا صليتُ الظهرَ إلا ببغداد، وكان بعيساباذ، فصلَّى على الهادي، وقدَّم أبا عِصمةَ فضرب عنقَه، وكان يؤذيه عند الهادي، ودخل بغدادَ الظهرَ ورأسُ أبي عصمةَ بين يديه على قناة.

فمن جملة ما آذاه به أن هارونَ ركب يوماً هو وجعفرُ بن موسى الهادي وأبو عصمةَ معهما، فاجتاز بقنطرةٍ من قناطر عيساباذ، فالتفت أبو عصمةَ إلى هارونَ فقال له: مكانَك حتى يعبرَ وليُّ العهد، فقال هارون: السمعُ والطاعةُ للأمير، ووقف حتى عَبَرَ جعفر. ولما وصل هارونُ إلى كرسيِّ الجسرِ ببغدادَ دعا بالغوَّاصين، وقال: كان المهديُّ قد وهب لي خاتَماً شراؤه مئةُ ألف دينار يسمَّى الجبل، فدخلتُ على أخي موسى وهو في يدي، فلمَّا خرجتُ من عنده لحقني سليمٌ الأسود عند هذا المكانِ وقال: يأمرك أميرُ المؤمنين أن تعطيَه هذا الخاتَم، فرميتُ به في هذا المكان، ووقف حتى نزل الغوَّاصون فغاصوا ساعةً وأخرجوه، فسُرَّ به سروراً عظيماً وقال: هذا أولُ البِشارة.

وقال محمدُ بن إسحاقَ الهاشمي: كان الهادي قد خلع الرشيدَ وبايع لابنه جعفر، فلمَّا مات الهادي، هجم خزيمةُ بن خازمٍ في تلك الليلةِ في مواليه وجندِه على جعفر بنِ موسى فأَخرجه من فراشه وقال: واللهِ لئن لم تخلعْ نفسَك لأضربنَّ عنقَك، وشهر عليه السَّيف، ولَمَّا كان من الغد أقامه في علِّية على باب القصر، فجعل ينادي: أيُّها الناس، مَن كانت له في عنقي بَيعةٌ فقد أَحللتُه منها، والخلافةُ لعمِّي هارون، ولا حقَّ لي فيها.

فحظي خزيمةُ بذلك عند الرشيد، ولَمَّا مات الهادي لم يعلم بموته أحدٌ غيرُ أمِّه الخَيزُران، فأرسلت بخاتمه إلى يحيى بنِ خالد سرًّا وقالت: قد أراح اللهُ من الجبَّار، فجاء إلى هارونَ وهو نائمٌ فأيقظه، وكان هارونُ أبيضَ طُوالاً جسيماً جميلاً وسيماً جَعْداً، لم يمت حتى وخطه الشَّيب، وكان به حَوَلٌ في فردِ عينٍ لا يبين إلَّا لمن تأمَّله.

وكان ساخطاً على إبراهيمَ بن ذكوانَ الحرَّاني وسلَّامٍ الأبرش، فأمر بحبسهما وقبضِ أموالهما، فحُبس إبراهيمُ عند يحيى بنِ خالد في داره، فكلَّمه فيه محمدُ بن سليمانَ بن عليٍّ وسأله فيه، وأن ينحدرَ به معه إلى البصرة، فأَجابه إلى ذلك.

وفي هذه الليلةِ التي مات فيها الهادي وُلد المأمون. وفي اليوم الذي بويع فيه هارونُ سلَّم عليه بالخلافة جماعةٌ من عمومته، فقال له عبدُ الصمد بنُ علي: هذا مجلسٌ فيه أميرُ المؤمنين وعمُّه وعمُّ أبيه وعمُّ عمِّ عمِّه؛ لأنَّ سليمانَ ابنُ أبي جعفر، والعباسَ بنَ محمدِ بن عليٍّ هو عمُّ المهدي، وعبدَ الصمد بنَ عليٍّ عمُّ المنصور، فسليمانُ عمُّ الرشيد، والعباس عمُّ سليمان، وعبدُ الصمد عمُّ العباس.

وفيها عزل الرشيدُ عمرَ بن عبدِ العزيز العُمريَّ عن المدينة وولَّاها إسحاقَ بن سليمانَ بنِ عليّ.

وفيها فوَّض الرشيدُ أمورَ الخلافة إلى يحيى بنِ خالد وقال: لقد قلَّدتك أمورَ الرعيَّة وأَخرجتها من عنقي، فولِّ مَن رأيت، واعزل مَن رأيت، وافعل ما تراه. وسلَّم إليه خاتمَ الخلافة، فقال الشاعر[1]: [من الطويل]

ألم ترَ أنَّ الشمسَ كانت سقيمةً فلمَّا ولِيْ هارونُ أَشرق نورُها
بيُمْنِ أمينِ الله هارونَ ذي النَّدى فهارونُ واليها ويحيى وزيرها

وكان الهادي قد حجر على الخَيزُران، فردَّها الرشيدُ إلى ما كانت عليه وزادها، وكان يحيى بنُ خالدٍ يشاورها في الأمور ويَصْدُر عن رأيها.

وفيها فرَّق هارونُ في أعمامه وأهلِه أموالاً لم يفرِّقها غيرُه من الخلفاء، وأمر بسهم ذي القُربى أن يقسمَ بين بني هاشمٍ بالسويَّة.

(١) هو إبراهيم الموصلي كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٣، والكامل ٦/ ١٠٨.

وفيها خرج من الطالبيين إبراهيمُ بن إسماعيل، ويقال له: طباطَبا، وخرج أيضاً عليُّ ابن الحسن بنِ إبراهيمَ بن عبد اللهِ بن حسن.

وحجَّ الرشيدُ بالناس ماشياً يمشي على اللُّبُود، كانت تُبسط له من منزلٍ إلى منزل، وسببُ مشيه أنَّه رأى رسولَ اللهِ ﷺ في المنام فقال: يا هارون، إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فحجَّ ماشياً، واغزُ، ووسِّع على أهل الحَرَمين، فأَنفق فيهم أموالاً عظيمة.

وقيل: كان الهادي قد أَحلفه لابنه جعفرٍ أَيماناً معظَّمة من الطلاق والعتاقِ والحجِّ ماشياً، ولم يحجَّ خليفةٌ قبلَه ولا بعده ماشياً، ولا حجَّ بعده خليفةٌ أبداً.

وغزا في هذه السَّنة، فقال داودُ الواسطي: [من الطويل]

بهارونَ لاح النورُ في كلِّ بلدةٍ ... وقام بها في عَدْل سيرتِه النَّهجُ
إمامٌ بذات اللهِ أصبح شغلُه ... وأكثرُ ما يُعنَى به الغزوُ والحجُّ
فإنَّ أمينَ اللهِ هارونَ ذا[1] النَّدى ... يُنيل الذي يرجوه أضعافَ ما يرجو

وقيل: إن الحَجَّة التي مشى فيها سنةَ سبعٍ وسبعين ومئة.

فصل وفيها توفِّيت

جوهرةُ[2] العابدةُ الزاهدة

زوجةُ أبي عبدِ الله البَرَاثيِّ الزاهد. وكان أبو عبدِ الله منقطعاً بقرية بَرَاثا غربيَّ بغداد، فمرَّت به جوهرةُ وكانت من بنات الملوك، فأَعجبها حُسنُ عبادته، فتركت الدنيا وتزوَّجتْه.

قال حكيمُ بن جعفر: كنا نأتي أبا عبدِ الله البَرَاثي ببراثا، وكانت له امرأةٌ متعبِّدة يقال لها: جوهرة، وكان يجلس على جُلَّة خوصٍ وجوهرةُ جالسةٌ حذاءه على مثلها، فأتيناه يوماً وهو جالسٌ على الأرض، فقلنا: ما فعلت الجُلَّة؟ فقال: إنَّ جوهرةَ أيقظتني البارحةَ فقالت: أليس يُقال في الحديث: إنَّ الأرض تقول لابن آدم: تجعلُ بيني وبينك سِتراً وأنت غداً في بطني! قلت: نعم، فقالت: هذه الجِلَالُ لا حاجةَ لنا فيها،

(١) في (خ): ذي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٤.
(٢) كذا في المنتظم ٨/ ٣٣١، وصفة الصفوة ٢/ ٥٢١، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٥٨١ ـ ٥٨٢ و٦٢٣: جوهر.

فأَخرجتها.

وقال: رأت جوهرةُ في منامها خياماً مضروبة، فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجِّدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام اللَّيل.

وقال: قالت لي جوهرة: يا أبا عبدِ الله، أَيُحلَّين نساءُ الجنَّة في الجنة؟ [قلت: نعم](١) فصاحت ووقعت مغشيةً عليها، فلمَّا أفاقت قلتُ: ما أصابك؟ قالت: ذكرتُ حالي تلك وما قد كنت نلتُ من الدنيا، فخشيت واللهِ حرمانَ الآخرة.

طُرَيح بن إسماعيل

ابن عُبيد بن عِلَاج(٢) ، أبو الصَّلت الثَّقفي، شاعرٌ مجيد مُكثِر، أَدرك الدولتين، وكان المنصورُ مغرًى بقصيدته الداليةِ التي أوَّلها: [من المنسرح]

أَقفر مِمَّن يَحلُّه السَّنَدُ ... فالمنحنى فالعقيقُ فالجَنَدُ(٣)
لم يبقَ فيها من المعارف بعـ ... ـدَ الحيِّ إلَّا الرمادُ والوَتِدُ
وعَرْصةٌ نكَّرت معارفَها الر ... ريحُ بها مسجدٌ ومُنتضَد
لم أنسَ سلمى ولا لياليَنا ... بالحَزْن إذ عيشُنا به رَغَد
قد كنتُ أبكي من الفِراق وحَيـ ... ـيانا جميعٌ ودارُنا صَدَد
فكيف صبري وقد تجاورَ(٤) بالـ ... ـفُرقة فيها الغرابُ والصُّرَد
إذ نحن في مَيعة الشبابِ وإذ ... أيامُنا منك غضَّةٌ جُدُد
أنت إمامُ الهدى [الذي](٥) أَصلح اللَّـ ... ـهُ به الناسَ بعدما فسدوا
لَمَّا أتى الناسَ أنَّ مُلكَهمُ ... إليك قد صار أمرُه سجدوا

(١) ما بين حاصرتين من صفة الصفوة ٢/ ٥٢١.

(٢) في المصادر: ابن أسيد بن علاج. انظر الأغاني ٤/ ٣٠٢، ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٢، والأعلام. وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٦ (مخطوط): طريح بن إسماعيل بن سعيد بن عبيد بن أسيد بن عمرو بن علاج. وفيه أيضاً ٨/ ٥٠٧ : بقي إلى أول الدولة العباسية ومدح السفاح والمنصور. وفي معجم الأدباء: مات في أيام المهدي سنة خمس وستين ومئة. فإيراد ترجمته هنا وهم. وانظر رغبة الآمل ٦/ ١٠٤، والأعلام.

(٣) في الأغاني ٤/ ٣٢١ : فالجمد، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٠٩ : ما يحمد. وانظر معجم البلدان (جمد) (جند).

(٤) في الأغاني وتاريخ دمشق: تجاوب.

(٥) ما بين حاصرتين من الأغاني.

وعجَّ بالحمد أهلُ أرضِك حتـ ـتى كاد يهتزُّ فرحةً أُحُد
واستقبل الناسُ عِيشةً رَغَداً إن تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزقتَ من وُدِّهم وطاعتِهمْ ما لم يجدْه لوالدٍ وَلَد
كنتُ أرى أن ما وجدتُ من الـ ـفرحةِ لم يلقَ مثلَه أحَد
حتى رأيتُ العبادَ كلَّهمُ قد وجدوا مثلَ ما له أجِد
قد صدَّق اللهُ مادحيك فما في قولهمْ مِريةٌ ولا فَنَد

من أبيات.

فَتْحُ بن محمدِ بن وِشاح

أبو محمد، الأَزْديُّ الموصلي، الزاهدُ العابد.

قال محمدُ بن الوليد: سمعتُ فتحاً الموصليَّ الأزديَّ يقول في جوف الليل: ربِّ أَجعتَني وأَعريتني، وفي ظُلَم الليل أَحبستني، فبأيِّ وسيلةٍ أتوسَّل إليك حيث أكرمتَني بهذه الكرامة. فكان يبكي ساعةً ويفرح ساعة[1].

وقال المعافى بنُ عمرانَ الموصلي: دخلتُ على فَتْح، فرأيتُه قاعداً في الشمس وصبيَّةٌ له عُريانةٌ وابنٌ له مريض، فقلت: ائذنْ لي حتى أكسوَ هذه الصبيَّة، قال: لا، قلت: ولِم؟ قال: دعْها حتى يرى اللهُ ضرَّها وصبري عليها فيرحمني. قلت: فدعْني أَستدين ما أُنفقه على هذا المريض، قال: لا، اذهبْ فاجلس عند رأسِه واسمعْ ما يقول. فجلستُ عند رأسِه وقلت: حبيبي، ألا تشتهي شيئاً حتى أَحملَه إليك؟ فرفع رأسَه إلى السماء وقال: منِّي الصبرُ ومنك البلاء.

وقال أبو غسَّان المؤذِّن[2]: خرجنا حجَّاجاً، فأردنا غسلَ ثيابنا بمكَّة، فأُرشدنا إلى رجلٍ من أهل فارسَ له صلاحٌ يغسل ثيابَ الغرباءِ والفقراءِ بغير أجر، فأتيناه، فقال:

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٨١. وقريب من هذا الكلام مذكور في ترجمة فتح بن سعيد الموصلي أبي نصر، المتوفى سنة ٢٢٠، وسيذكره المصنف آخر الترجمة، وانظر حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٦١، والسير ١٠/ ٤٨٤.

(٢) في (خ): المؤدب، والمثبت من كتاب الأولياء ص٢٦، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٢ .

مِمَّن أنتم؟ فقلنا: من أهل الموصل، فقال: أتعرفون فَتْحاً؟ قلنا: نعم، قال: ما فعل؟ قلنا: مات. فتوجَّع وبكى وأَظهر الحزنَ عليه. قلنا: من أين تعرفه وأنت من فارسَ وهو من الموصل؟! فقال: وُصف لي، ورأيتُ في منامي عدَّة ليال: ائتِ فتحاً فإنَّه من أهل الجنة، فخرجتُ من فارسَ وأتيت الموصل، فسألت عنه فقيل: هو على الشَّطّ، فأتيته، فإذا رجلٌ ملتفٌّ على الشطِّ بكِسائه وقد ألقى شِصًّا[1] له في الماء، فسلَّمت عليه، فردَّ عليّ، فقلت له: أتيتك زائراً، فلفَّ الشصَّ وقام، فدخلنا المسجدَ وغربت الشمس، وصلَّينا، وتفرَّق الناس، فأُتي بطعام، فأكلنا، ثم نودي بالعِشاءِ الآخرة، فصلَّينا وتفرَّق الناس، وقام فَتْحٌ إلى صلاته، ورميتُ بنفسي على الأرض، وإذا برجلٍ قد دخل المسجد فسلَّم وصلَّى ركعتين، وقعد إلى جانب فتحٍ وساءله وقال: متى عهدُك بأبي السَّري؟ قال: ما لي به عهدٌ منذ أيام، فقال: قمْ بنا إليه فإنه معتلّ. قال: فخرجا من المسجد وأنا أَنظر إليهما، فمضيا إلى دِجلةَ يمشيان على الماء، وقعدتُ أنتظر رجوعَهما، فلما كان في آخر الليلِ عاد فتحٌ وحده، فسبقته ودخلت المسجدَ ورميتُ بنفسي على الأرض كأنِّي نائم، فلما أَسفر الفجرُ صلَّينا وتفرَّق الناس، فقمتُ إليه وقلت: يا أبا محمد، قد قضيتُ من زيارتك وَطَراً، وقد رأيتُ الرجلَ الذي أتاك البارحةَ وما كان منكما، فأخذ يعارضني، فلمَّا علم أني قد علمتُ الخبرَ، أخذ عليَّ العهودَ ألَّا أُعلِمَ بذلك أحداً وهو حيّ. قلت: فمَن كان الرجل؟ قال: الخَضِر عليه السلام. قلت: ومَن أبو السَّري؟ قال: حمزةُ الخَولاني، وهو رجلٌ صالح في هذه القرية.

وهما فَتْحانِ مَوصليَّان، فصاحبُ هذه الترجمة مات في هذه السَّنة، وفتحُ بن سعيدٍ أبو نصرٍ الكاري هو صاحبُ الحكاياتِ والإشارات، مات في سنة عشرين ومئتين، وسنذكره هناك إن شاءَ اللهُ تعالى.

موسى الهادي إلى الله

ابنُ محمدٍ المهديِّ بنِ أبي جعفرٍ المنصور. وكان شرسَ الأخلاق، غَيوراً صعبَ

(١) الشص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. القاموس المحيط (شصص).

المرام، شجاعاً، فيه شهامةٌ شديدة وقلَّة احتمالٍ وسوءُ ظن، مُشرباً حُمرة، في شفته العليا تقلُّص يفتح له فاه، وكان شديداً، يلبس دِرعَين، ويثب على أعلى فرسٍ يكون ولا يُمسك بيديه شيئاً، ولم يلِ الخلافةَ في سِنِّه أحد، كان حَدَثاً.

ذِكرُ طَرَفٍ من أخباره:

قال المطَّلب بن عكاشةَ المُزَني: قدمنا على الهادي في شهادةٍ على رجلٍ شتم قرشيًّا وتخطَّى إلى ذِكر رسولِ الله ﷺ، فجلس مجلساً أَحضر فيه علماءَ أهلِ زمانه، وأَحضر الرجل، فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغيَّر وجهُ الهادي ونكس رأسَه، ثم رفعه وقال: سمعتُ المهديَّ يحدِّث عن أبيه المنصور، عن أبيه محمدِ بن علي، عن أبيه عليّ، عن أبيه عبدِ الله بن عباسٍ قال: «مَن أراد هوانَ قريشٍ أهانه اللهُ تعالى»، وأنت يا عدوَّ الله لم ترضَ بأن أردتَ ذلك من قريشٍ حتى تخطَّيتَ[1] إلى ذِكر رسولِ الله ﷺ! اضربوا عُنقَه، فقتلوه.

وغضب الهادي على رجل، فكلِّم[2] فيه، فرضي عنه، فأخذ يعتذر، فقال له الهادي: قد كفاك الرِّضا مؤونةَ الاعتذار.

ودخل مروانُ بن أبي حفصةَ على الهادي، فأَنشده حتى بلغ إلى قوله: [من الطويل]

تشابَه يوما بؤسِه ونَوالِه   فما أحدٌ يدري لأيِّهما الفضلُ[3]

فقال له الهادي: أيُّما أحبُّ إليك: ثلاثون ألفاً معجَّلةً أو مئةُ ألف تدوَّر في الدواوين؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنك تُحسن أحسنَ من هذا، ولكنك أُنسيتَه، أفتأذن لي أن أذكِّرَك؟ قال: نعم، قال: تعجِّل الثلاثين الألف وتدوِّر المئةَ الألف في الدواوين، فقال: لا، بل نجعل لك الجميعَ معجَّلاً، فحمل إليه المال.

وقال السِّندي بنُ شاهك: كنت مع الهادي بجُرجانَ وقد جاءه نعيُ المهدي، فسار على البريد وسرنا معه، فلمَّا فصلنا عن بيوت جرجانَ سمع من بعض تلك البساتينِ رجلاً يتغنَّى، فقال لصاحب شُرطته: عليَّ بالرجل الساعة، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما

---

(١) في (خ): تخطات. والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٩.

(٢) في (خ): فتكلم، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٩.

(٣) الديوان ص٨٥.

أشبهَ هذا بقصَّة جرت لسليمانَ بنِ عبد الملك، قال: وما هي؟ قلت: كان جالساً يوماً مع حرمه، فسمع صوتَ إنسان يتغنَّى، فدعاه وقال: ما حملك على الغناءِ وأنت إلى جنبي ومعي حرمي؟ أما علمتَ أن الرِّماك[١] إذا سمعت صوتَ الفحلِ استودقت[٢]؟! ثم أمر به فجُبّ، فلمَّا كان في العام القابل، خرج سليمانُ إلى ذلك المكان يتنزَّه، فذكر الرَّجل، فقال: عليَّ به، فلمَّا حضر بين يديه رقَّ له، فقال: إمَّا بعتَ فوفيناك، أو سامحتَ فكافيناك، فقال: يا سليمان، اللهُ بيني وبينك، قطعتَ نسلي، وأذهبتَ ماءَ وجهي، لا واللهِ لا ذا ولا ذاك، حتى أقفَ أنا وأنت غداً بين يدي اللهِ تعالى فيقتصَّ لي منك، فوجم سليمانُ نادماً. فصاح الهادي بصاحب شُرطته: دع الرجلَ لا تُزعجه، لا حاجةَ لنا إليه.

وقال عليُّ بن صالح: ركب الهادي يوماً يريد عيادةَ الخَيزُران من مرضٍ كان بها، فاعترضه عمرُ بن بزيعٍ وقال: يا أميرَ المؤمنين، ألا أدلُّك على وجهٍ هو أعودُ عليك من هذا؟ قال: وما هو يا عمر؟ قال: المظالمُ لم تنظرْ فيها منذ ثلاثةِ أيام، فمال إلى ردِّ المظالم، وبعث خادماً إلى أمِّه يقول: إن عمرَ بن بزيع أخبرنا من حقِّ اللهِ ما هو أَوجبُ علينا من حقِّك، فمِلْنا إليه، ونحن غداً عائدون إليكِ إن شاء اللهُ تعالى.

ودخل عليه إبراهيمُ الحرانيُّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ العامَّة لا تتقارُّ على هذا. قال: وما هو؟ قال: لم تنظرْ في المظالم منذ ثلاث. قال عليُّ بن صالح: وكنتُ قائماً على رأسه وأنا غلام، فقال: يا عليّ، اخرج فائذن للناس بالدُّخول عليّ، للجَفَلَى لا للنَّقَرَى. فخرجت ولم أفهمْ كلامَه، فقلت: أَرجع إليه فأسأله فيقول: أَتحجبني ولا تفهمُ كلامي؟ فأرسلتُ إلى أعرابيٍّ وفد علينا، فساءلتُه فقال: الجَفَلى جُفالةُ الناس، والنَّقَرى خواصُّهم. فأذنتُ للناس، فدخلوا عن آخرهم، فنظر في المظالم إلى الليل، فلما تقوَّض المجلسُ قال لي: خطر في خاطري كذا وكذا، فأخبرتُه وحدَّثته بحديث الأعرابي، فعجب وقال: مئةُ ألفِ درهم تُحمَل إليه، فقلت: إنه أعرابيٌّ جِلْف، وفي عشرةَ آلافٍ ما يُغنيه ويكفيه، فقال: أَجودُ أنا وتبخل أنت؟

(١) جمع رَمَكة، وهي الأنثى من البراذين. مختار الصحاح (رمك).
(٢) أي: أرادت الفحل. القاموس المحيط (ودق).

وقال عبدُ الله بن مالك: كنت أتولَّى شرطةَ المهدي، وكان يأمرني بضرب ندماءِ الهادي وحبسِهم صيانةً له عنهم، وكان الهادي يُرسل إليَّ يسألني فيهم فلا أَلتفت إليه، فلمَّا ولي الخلافةَ أيقنتُ بالتَّلف، فأرسل إليَّ يوماً، فدخلتُ عليه وهو جالس على كرسيٍّ وبيده السَّيف، وبين يديه النِّطع، فسلَّمت عليه، فقال: لا سلَّم اللهُ عليك، أَتذكر يوم شفعتُ إليك في فلانٍ وفلان فلم تلتفتْ في أمري؟ قلت: نعم، أَيسرُّك أن تولِّيَني ما ولَّاني أبوك فيبعث إليَّ بعضُ ولدِك بأمرٍ يخالف أمرَك أن أتبعَه وأعصيَك؟ قال: لا، قلت: فكذا أنا لك، وكذا كنتُ لأبيك، فاستدناني، فقبَّلت يده ومضيتُ إلى منزلي، وأفكرت في أمره فقلت: شابٌّ حَدَث، وفي قلب ندمائه منِّي ما فيه، فكأنِّي بهم إذا غلب عليه الشرابُ قد أَزالوه عن رأيه وحملوه على قتلي، فبينا أنا جالسٌ وبين يديَّ بُنيَّة لي، وعندي كانون وخبز رُقاق وأنا أَشطره بكامَخ[1] وأُسخنه وأُطعمه الصَّبية، وإذا بحوافر الخيلِ وكثرةِ الغَوغاء، فقلت: وافاني اللهُ بما كنت أتخوَّفه، وإذا بالباب قد فُتح ودخل الخَدَم والشمعُ بين أيديهم، وإذا بالهادي راكبٌ على حمارٍ بينهم، فقمت وقبَّلت حافرَ الحمارِ ووقعتُ على يديه ورِجليه أقبِّلهما، فنزل وقعد وأَخذ يأكل من الكامَخ والخبز، ثم قال: يا عبدَ الله، فكَّرت في أمرك البارحةَ، وخطر لي ما خطر لك أني إذا أخذ مني الشرابُ وحولي أعداؤك يقولون ما أَوحشك، وها قد أتيتُ إلى منزلك وتحرَّمت بطعامك لترك وحشتِك، فقبَّلت يدَه، فالتفت إلى الخَدَم وقال: هاتمُ الزَّلَّةَ[2] التي زللتُها لعبد الله، فأَحضروا أربعةَ أَبغُل موقورةٍ دراهم، وقال: هذه زلَّتك، فاستعنْ بها على أمرك، فدعوتُ له.

وقال للفضل بنِ الربيع: لا تحجبْ عني الناس؛ فإنَّ ذلك يُزيل عني التزكية، ولا تُلقِ إليَّ أمراً إذا كشفته وجدته باطلاً؛ فإن ذلك يوهن الملكَ ويضرُّ بالرَّعية.

ومات ابنٌ لإبراهيمَ بن سالم بن قتيبة، وكان صاحبَ المرتبة عند الهادي، فجاء إليه يعزِّيه وهو راكبٌ على حمارٍ أَشهب، فنزل في رُواقه وقال: يا إبراهيم، سرَّك وهو عدوٌّ وفتنة، وساءَك وهو صلاةٌ ورحمة. فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما بقي مني جزءٌ كان فيه

(١) الكامخ: الذي يؤتدم به، معرب. مختار الصحاح (كمخ).

(٢) الزلة: الصنيعة. القاموس المحيط (زلل).

حزنٌ إلا وقد امتلأ عزاءً.

وقال يقطين بنُ موسى: إني لواقفٌ على رأسه ليلةً وعنده ندماؤه، إذ أتاه خادم فسارَّه بشيء، فنهض سريعاً وقال: لا تبرحوا، ثم عاد ومعه خادمٌ يحمل طبقاً مغطًّى بمنديل، وكشفه فإذا فيه رأسا جاريتَين لم أرَ في الدنيا أحسنَ منهما ولا أطولَ من شعورهما، وعلى رؤوسهما الجوهرُ منظوم، وإذا برائحةٍ طيبة تفوح، فأعظمَ الحاضرون ذلك، فقال: تدرون ما شأنُهما؟ قالوا: لا، قال: بلغنا أنَّهما تَتَحاببان على المعصية، فوكَّلت بهما هذا الخادمَ يُنهي إليَّ أخبارَهما، فجاء فأخبرني أنَّهما قد اجتمعتا، فجئتُ فوجدتهما في لحافٍ واحد على الفاحشة، يا غلام، اذهب فادفنهما، ثم رجع إلى حديثه كأنه لم يصنعْ شيئاً.

وقد مدحه سَلْم الخاسر فقال: [من البسيط]

تخفَى الملوكُ لموسى عند طلعتِه ... مثلَ النجومِ لقَرن الشمس إذ طلعا
وليس خَلقٌ يرى موسى[1] وطلعتَه ... من البريَّة إلا ذلَّ أو خضعا

وقال موسى بنُ سعيد: كان أبي يساير الهاديَ وعبدُ الله بنُ مالك الخزاعيُّ صاحبُ شرطته يمشي بين يديه بالحَربة، فكان كلَّما وضعها على الأرض أثارت تراباً، فتحمله الريحُ إلى وجه الهادي، فقال لأبي: ما ترى ما نلقى من ابن مالك؟ فقال أبي: واللهِ ما أَخطأ الصواب، ولكنه حُرم التوفيق؛ لأنَّه لم يعلمْ بوصول الترابِ إلى وجه أميرِ المؤمنين، وقال الهادي: [من السريع]

لم يُخطِ عبدُ الله في فعله ... لكنَّه فارق توفيقَه
قد وضح العُذرُ فأَبلغه يا ... خيرَ الورى في دنبه ريقه[2]

وقال سعيدُ بن مسلم: صلَّى بنا الهادي فأُرتج عليه، فهِبناه أن نفتحَ عليه، فقرأ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] ففتحنا عليه.

وقال محمدُ بن يزيدَ بن عمرَ بن عبدِ العزيز: خرجتُ مع الهادي إلى جُرجان،

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢٥: يرى بدراً.
(٢) كذا في (خ)، ولم نقف للبيت على مصدر.

فقال: يا محمد، إمَّا أن تحملَني وإما أن أحملَك، فعلمتُ مرادَه، فأنشدتُه أبياتَ ابنِ صِرمةَ الأنصاري: [من الطويل]

فأُوصيكمُ[(١)] بالله أوَّلَ وهلةٍ ... وأحسابِكمْ والبرّ بالله أوَّلُ
فإنْ قومُكمْ سادوا فلا تحسدوهمُ ... وإنْ كنتمُ أهلَ السعادةِ[(٢)] فاعدلوا
وإنْ أنتمُ أعوزتمُ فتعفَّفوا ... وإنْ كان فضلُ المالِ فيكم فأفضِلوا

فأمر لي بعشرين ألفَ درهم.

ودخل على الهادي عُلَيَّان الموسوس وبُهلول، فقال الهادي لعُليان: أيشٍ معنى عُلَيَّان؟ فقال عُليان: فأيشٍ معنى موسى؟ فقال: جرُّوا برِجله ابنَ الفاعلة، فالتفت إلى بُهلول وقال: خذْ لك، كنا اثنين صرنا ثلاثة، فضحك الهادي حتى استلقى على ظهره.

وكان الهادي يحبُّ العلماءَ وأهلَ الفضل، ويخيِّرهم ويُدني مراتبَهم، استقدم عيسى ابن يزيدَ بن بكرِ بن داب، وكُنيته أبو الوليد، وكان عالماً بأيَّام العربِ وأنسابِهم، صاحبَ فنون، وكان أفضلَ أهلِ الحجاز وأحلاهم منطقاً، فحظي عنده بحيث أعدَّ له في مجلسه متَّكأ، ولم يفعلْ ذلك بغيره، وكان يقول له: ما استطلتُ بك يوماً وليلةً قطّ، ولا غبتَ عن عيني إلا وتمنَّيتُ أن أراك، ووصله بأموالٍ عظيمة، وكان لا يأكل مع الهادي، فقيل له في ذلك، فقال: ما كنتُ لآكلَ مع مَن لا أغسل يدي عنده، وبلغ الهادي، فأمر بغسل يدِه دون الناس.

ذِكرُ وفاةِ الهادي:

واختلفوا فيها على أقوال:

أحدها: أن أمَّه كانت سبباً لهلاكه؛ لأنَّها كانت في أوَّل خلافته تفتات عليه وتستبدُّ بالأمر والنَّهي، فأرسل إليها يقول: لا تخرجي من خَفَر الكفايةِ إلى بذاذة التبذُّل، فإنَّه ليس من قَدْر النساءِ الاعتراضُ في أمر الملك، وعليك بصَلاتك وسُبحتك وتبتُّلك، ولكِ بعد هذا طاعةُ مثلِك فيما يجب لك.

---

(١) في (خ): أوصيكم. والمثبت من العقد الفريد ١/ ٢٢٩.

(٢) في العقد الفريد: السيادة.

وكانت المواكبُ تغدو وتروح إلى بابها، فكلَّمته يوماً في حاجةٍ لعبد اللهِ بن مالك، فاعتلَّ بعِلَّة، فلم تقبلْها وقالت: لا بدَّ منها، فغضب وقال: ومالك وابنِ مالكٍ ابنِ الفاعلة؟ برئتُ من قرابتي من رسول اللهِ ﷺ لئن بلغني أنَّه وقف ببابك أحدٌ من قوَّادي أو خاصَّتي، لأضربنَّ عنقه، ولأقبضنَّ مالَه، ما هذه المواكبُ التي تغدو وتروح إلى بابك في كلِّ يوم؟ أما لكِ مِغزلٌ أو مصحفٌ تشتغلين به، أو بيتٌ يصونك! إياكِ ثم إياك. فانزجرتْ.

ثم إنَّه جمع القوَّاد والخواصَّ وقال: أيُّما خيرٌ أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أميرَ المؤمنين. قال: فأيُّما خير أمِّي أو أمَّهاتكم؟ قالوا: بل أمُّك. قال: فأيُّكم يحدِّث الرجالَ بخبر أمِّه فيقولون: ما صنعتْ أمُّ فلان؟ ما قالت أمُّ فلان؟ قالوا: ما نحبُّ ذلك. قال: فما بالُ رجالٍ يأتون أمِّي فيتحدَّثون بحديثها؟! فلمَّا سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتَّة، فشقَّ ذلك عليها، فاعتزلته وحلفتْ لا تكلِّمه، فما دخلتْ عليه حتى حضرته الوفاة.

وبعث إليها بأَرُزَّة مسمومةٍ وقال: استطبتُها فأرسلتُ إليكِ منها، وكانت عندها جاريةٌ يقال لها: خالصة، فقالت: أمسكي حتى تنظري؛ فإنِّي أخاف أن يكونَ فيها شيءٌ تكرهينه، فجاءت بكلبٍ فأكل منها، فتساقط لحمُه، فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيتِ الأرزَّة؟ فقالت: طيِّبة، فقال: لو أكلتِ منها لاسترحتُ منك، متى أفلح خليفةٌ له أُمّ !

والثاني: أن سببَ وفاته قَرحةٌ خرجت في جوفه فقتلته.

والثالث: قال سعيدُ بن مسلم: كنتُ بين يدي الهادي بعيساباذَ في بستان، فنظر إلى فرَّاش يعلِّق سِتراً في آخر البستان وهو على سُلَّم، وبين يدي الهادي قوس، فأخذ سهماً ففوَّقه، وقال: ترى يصل سهمي إلى الفرّاش؟ فقلت له: أَقسمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين ألَّا تفعل، فأبى ورماه، فأثبت السهمَ بين كتفيه ونشب في الحائط، ومات الفرَّاشُ مكانَه، وأَطرق الهادي وندم، فواللهِ ما برح من مكانه حتى حكَّ ظهرَ قدمه، فطلعتْ في الحال فيه بَثْرة، فتألَّم منها، ففصد فلم يُغنِ عنه الفِصادُ شيئاً، وبقيت مثلَ اللَّوزة، فعاش ثلاثةَ أيامٍ ووقع في الموت، فجاءت الخَيزُران، فأخذت خاتَمه من يده وهو ينظرُ إليها وليس له حيلة، وقالت: أخوك هارونُ أحقُّ بهذا الأمرِ منك.

والرابع: أنَّه لما جدَّ في خلع هارونَ والبيعةِ لابنه جعفر، خافت الخيزرانُ على هارونَ منه، فدسَّت إليه في جواريها لَمَّا مرض مَن جلس على وجهه وغمَّه حتى مات.

ذِكرُ قصَّته مع يحيى بنِ خالد:

لما أَفضت الخلافةُ إلى الهادي أقرَّ يحيى على ما كان يلي هارون، فلمَّا أراد خلعَه والبيعةَ لابنه جعفرٍ وتابعه على ذلك جماعةُ القوَّاد ودسُّوا إلى الشيعة، فلم يرضَوا بذلك، وأَعرض الهادي عن أخيه هارون، فاجتنبه الناس، وكان يحيى وأولادُه لا يفارقون الرشيد، ويقومون بأمر جندِه، فسُعي بيحيى إلى الهادي، وقيل له: إنَّه ليس عليك من أخيك خلاف، وإنَّما يُفسده عليك يحيى بنُ خالد، فغضب وقال: عليَّ به، فودَّع يحيى أهلَه وتكفَّن وتحنَّط وأوصى، ولم يشكَّ أنه يقتله، فلمَّا دخل عليه قال له: يا يحيى، ما لي ولك! فقال: أنا عبدُك، وهل يكون من العبد لمولاه إلَّا الطاعة! فقال: لِمَ تدخل بيني وبين أخي وتُفسده عليّ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ومَن أنا حتى أدخلَ بينكما! إنما المهديُّ صيَّرني إليه وأمرني بالقيام بأمره، ثم أمرتَني بذلك، فانتهيتُ إلى أمرك. فطابت نفسُه، وكان هارونُ قد طاب نفساً بالخَلع، وقال ليحيى: أَستريح وآكل الهناءَ والمريءِ، وأعيش مع بنت عمِّي، وكان يجد بأمِّ جعفرٍ وجداً شديداً، فنهاه يحيى وقال: وأين هذا من الخلافة! لا تفعلْ واصبر.

وكان الهادي أَوصى الحاجبَ ألَّا يدخلَ عليه يحيى إلا آخرَ الناس، فدخل عليه يوماً وعنده عبدُ الصمد بنُ عليٍّ والعباسُ بن محمد وجِلَّة القوَّاد، فأَدناه حتى أجلسه بين يديه وقال: يا يحيى، قد كنت أَظلمك وأَكفرك، فاجعلني في حِلّ، فعجب الناسُ من إكرامه إياه، وقال له: يا يحيى، مَن القائلُ فيك: [من الخفيف]

لـو يـمـسُّ الـبـخـيـلُ راحـةَ يـحـيـى ... لَـسـخـتْ نـفـسُـه بـبـذل الـنَّـوالِ
لـستُ يـومـاً مـصـافـحـاً كـفَّ يـحـيـى ... إنَّـنـي إن فـعـلـتُ أُتـلـفُ مـالـي[1]

فقال: تلك راحتُك يا أميرَ المؤمنين.

وكلَّمه الهادي في خلع هارون، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك إن حملتَ الناسَ على

(١) ذكر الطبري في تاريخه ٨/ ٢٠٩ البيت الأول فقط.

نَكث الأَيمان هانت عليهم أيمانُهم لابنك، وإن تركتَهم على بَيعة أخيك ثم بايعتَ لابنك بعده كان ذلك آكدَ لبيعته. فقال: صدقتَ ونصحت، ولي في هذا تدبير.

وقيل: إنَّ الهاديَ حبس يحيى بسبب البَيعة لابنه جعفر، فأَرسل إليه يحيى: عندي نصيحة، فاستدعاه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أتظنُّ أن الناسَ يرضون بجعفرٍ وهو صبيٌّ لم يبلغ الحُلُم؟! أو يرضَون به لصلاتهم وحجِّهم وغزوِهم؟! فقال الهادي: ما أظنُّ ذلك. قال: أفتأمن أن يسموَ إليها كبارُ أهلك وأجلَّتهم مثل فلانٍ وفلان، ويطمعَ فيها غيرُهم فتخرجَ من ولد أبيك؟ فقال: نبَّهتني يا يحيى لأمرٍ لم أتنبَّه إليه. قال يحيى: وقد كان ينبغي لك لو لم يَعقدْ هذا الأمرَ أبوك لأخيك أن تعقدَه أنت؛ لصِغَر سنِّ ابنك، فكيف تَحلُّه وقد عقده أبوك لك؟! ولكن تقرُّه على حاله، فإذا بلغ جعفرٌ أنا آتيك بأخيك هارون، فيخلع نفسَه ويبايع لولدك ويعطيه صفقةَ يمينه، فقال: صدقت، وأَطلقَه.

وقال إسحاقُ الموصلي: لَمَّا لَجَّ الهادي في خلع هارونَ أَشار عليه يحيى بنُ خالد بالصيد، وقال له: إذا خرجتَ فاستدفع الأيامَ وأَبعِد. فاستأذن الهادي فأذن له، فمضى على قصر ابن مقاتل، فأَقام أربعين يوماً، فأَنكر الهادي ذلك وفهم، فكتب إليه يستدعيه، فتعلَّل عليه، فنال الهادي منه في مجالسه، فلمَّا طال على هارونَ رجع إلى بغداد، فخافت الخَيزُران عليه، فبعثت ظئراً كانت لهارونَ إلى يحيى، فشقَّت ثيابَها ولطمت وجهَها وبكت، وقالت: تقول لك السيِّدة: اللهَ اللهَ في ابني، لا تقتلْه ودعْه يجيب أخاه إلى ما فيه بقاءُ روحه، فهو أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، فصاح يحيى عليها وقال: قولي لها: ما أنتِ وهذا؟ واللهِ لا يصل إليه حتى أُقتلَ أنا وأولادي وأهلي جميعاً.

وقيل: إنَّ الهادي جلس مجلساً خاصًّا وفيه وجوهُ بني العباس ووزيرُه إبراهيمُ الحرَّاني، فدخل هارونُ فسلَّم عليه وجلس عن يمينه بعيداً عنه، والباقون عن شماله، فأَطرق الهادي ساعةً ثم رفع رأسَه وقال لأخيه: يا هارون، كأني بك تحدِّث نفسَك بتمام الرؤيا وتؤمِّل الخلافة، ودون ذلك خَرْطُ القتاد، فبرك هارونُ على رُكبتيه وقال له: يا موسى، إنَّك إن تجبَّرت وُضعت، وإن تواضعت رُفعت، وإن ظلمتَ حملت[1] ،

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢١١ : ختلت، وفي الكامل ٦/ ٩٨ : قتلت، وفي بعض نسخه ـ كما ذكر المحقق ـ : حكمت.

وإنِّي لأرجو أن يصلَ الأمرُ إليَّ فأُنصف مَن ظلمت، وأَصل مَن قطعت، وأصيِّر أولادَك أعلى من أولادي، وأزوِّجهم بناتي، وأبلغ ما يجب من حقِّ الإمامِ المهدي، فقال له موسى: هكذا الظنُّ بك يا أبا جعفر، ادنُ مني، فقبَّل يده، وأَجلسه معه في فرشته، والتفت إلى الحرَّاني وقال: يا إبراهيم، احملْ إلى أخي ألفَ ألفِ دينار، واعرضْ عليه ما في الخزائن يأخذ منها ما أراد. ولَمَّا قام قال الهادي: قدِّموا دابَّته إلى البساط ليركبَ منه، فلما خرج هارونُ قيل له بعد ذلك: ما كانت الرُّؤيا؟ فقال: قال أبي المهدي: رأيتُ في منامي كأنِّي دفعت إلى موسى قضيباً وإلى هارونَ قضيباً، فأَورق من قضيب موسى أعلاه، وأورق قضيبُ هارونَ من أوَّله إلى آخِره، فسأل المعبِّرين فقالوا: يملكان جميعاً، فأما موسى فتقلُّ أيامه، وأما هارونُ فتطول أيامُه، فلم يلبثْ موسى بعد ذلك إلَّا أياماً ومات، وولي هارونُ فوفى بكلِّ ما قال.

وقيل: إنَّ الهاديَ قد خرج إلى حَديثة الموصل، فمرض بها واشتدَّ مرضُه، فعاد إلى بغداد، وكان قد كتب إلى الآفاق بالقدوم عليه من جميع الدُّنيا إلى عمَّاله وغيرِهم ليبايعَ لابنه جعفرٍ مع مَن بايع من خواصِّه، وكان يحيى محبوساً، فلمَّا ثقل الهادي قال الذين بايعوا لجعفر: إن صار الأمرُ إلى هارونَ أَشار عليه يحيى بقتلنا ولم يستبقِ منَّا أحداً، والرأيُ أن الهاديَ إذا أفاق نستأذنه في قتل يحيى، فاتَّفق موتُ الهادي ولم يجتمعوا به.

وقيل: كانت الخَيزُران حلفت ألَّا تكلِّمَ ابنَها موسى، فلمَّا ثقل أُخبرت به، فقالت: وما أَصنع به؟ فقالت لها خالصة: قومي إلى ابنك، فليس هذا وقتَ تعتُّب ولا تغضُّب، فقالت: إنا كنا نحدَّث أنَّه يموت في هذه الليلة خليفةٌ ويلي خليفةٌ ويولد خليفة، فمات موسى وولي هارونُ ووُلد المأمون.

وفي روايةٍ أن الخيزُران قالت: ما فعل ابني موسى؟ قالوا: مات، فقالت: إنْ كان مات فقد بقي هارون، وكان عندها زينبُ وأمُّ الحسن وعائشةُ وأحرب[1] ، والكلُّ بناتُ سليمانَ بن علي، فقالت الخيزرانُ لخالصة: أَحضري أربعَ مئةِ ألف دينارٍ لساداتي، ثم قالت: ما فعل ابني هارون؟ وكان بعيساباذ، قالوا: حلف ألَّا يصليَ الظهرَ إلا ببغداد،

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢١٣ : وأختي.

فقالت: قدِّموا الهوادج، ما يُقعدنا هاهنا وقد مضى ابني! فلحقتْه إلى بغداد.

وقال هرثمةُ بن أَعيَن: كانت لي من الهادي منزلةٌ رفيعة واختصاصٌ كبير، وكنت شديدَ الحذرِ منه، فأدخلني دارَ الحُرَم وأخرج كلَّ مَن كان عنده وقال: قم فأَغلق البابَ وعُدْ إلي، فقلت: يريد أن يقتلَني، فقمت فأغلقت البابَ وعدتُ إليه، فقال: يا هرثمة، إنِّي قد تأذَّيت بهذا[1] الملحدِ الكلب يحيى بنِ خالد، ليست له فكرةٌ إلا في تضريب الرجال عليّ، واجتذابِهم إلى صاحبه هارونَ وسَوقِ الخلافة إليه، فاسمع ما أقول، تمضي إلى أخي هارونَ الساعةَ فتذبحه وتأتيني برأسه. قال: فورد عليَّ أمرٌ عظيم، وقلت: أتأذن لي في الكلام؟ قال: قل، قلت: أخوك وابنُ أمِّك وأبيك، وله عهدٌ كعهدك، وكيف تكون صورتُنا عند اللهِ وعند الناس؟! فقال: واللهِ لئن لم تفعل لأضربنَّ عنقَك الساعة، فقلت: سمعاً وطاعة. قال: ثم ترحلُ إلى الكوفة بالعساكر فتضرب أعناقَ آلِ أبي طالبٍ وأعداءنا، وكلُّ آفةٍ ترد علينا من جهتهم، قلت: سمعاً وطاعة. ثم قام فدخل دُورَ النساء، ولم أشكَّ أنه يقتلني ويندب لهذا الأمرِ غيري؛ لِمَا أظهرتُ له من الجَزَع عندما قال عن أخيه، وعزمت أنَّني متى خرجتُ من عنده هربت على وجهي وتركت كلَّ ما أَملكه، وغلبني النُّعاس، فنمتُ على باب المجلسِ موقناً بالهلاك، فما انتبهتُ إلا بخادمٍ قد أيقظني وقال: أَجِب أميرَ المؤمنين، فقلت: إنَّا لله، عمل عليَّ حجَّة ويقول: دخلتَ دارَ حرمي، ويقتلني، وتشاهدت، وإذا بصوتٍ نشأ في الدِّهليز، فوقفت وقلت: واللهِ ما أدخل حتى أسمعَ كلامَ أميرِ المؤمنين، وإذا بامرأةٍ تقول: ويحك يا هَرثمة، أنا الخَيزُران، قد حدث أمرٌ عظيم استدعيتك له، ادخل، فدخلت وإذا بستارةٍ ممدودة، فقالت: هذا موسى ميِّت وراءها، وقد أراحك اللهُ منه وأراح المسلمين، فقلت: وما كان من أمره؟ قالت: إنَّه لما استدعاك وقال لك ما قال من جهة قتلِ ابني والطالبيِّين وحريقِ الكوفة، كنت واقفةً أسمع، فلمَّا دخل، كشفتُ رأسي بين يديه وسألته ألَّا يفعل، فصاح عليّ، فكشفتُ ثديي وبكيت وتضرَّعت، فقال: واللهِ لأقتلنَّك، فقمتُ إلى المحراب أَدعو عليه وأسأل اللهَ أن يريحَ المسلمين منه، فألقى نفسَه على الفراش وطلب ماء، فشرب فشَرِقَ فمات، فقم فأَخبِر يحيى بنَ خالدٍ وخذ

---

(١) في (خ): هذا، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ١٩.

البيعةَ على الناس. قال: ففعلت، وقرَّبني هارونُ واختصَّ بي.

وقيل: إنَّه أَحضر يحيى وقال له: قد أفسدتَ ما بيني وبين أخي، وواللهِ لأقتلنَّك، ودعا بالسيف والنِّطع، وأَقعد يحيى للقتل، فقال إبراهيمُ الحراني: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ليحيى عندي يداً، وأحبُّ أن أكافئَه عليها، فأُحبُّ أن تهبَه لي الليلةَ وترى فيه غداً رأيَك، فقال: وما الفائدةُ في حياة ليلة؟ قال: لعله يحمل صاحبَه على إجابتك، أو يعهد عهدَه إلى مَن يشاء من ولده، فأجابه إلى ذلك. قال يحيى: فقمت من بين السيفِ والنِّطع وما اكتحلتُ بالغُمض إلى السَّحَر وأنا محبوس، فسمعت صوتَ القفل يُفتح، فلم أشكَّ في القتل، وإذا بخادمٍ يقول: أَجِب السيِّدة، فقمت، فإذا بالخَيزُران، فقالت: قد أراح اللهُ من الجبَّار، فبايِع لهارون.

وقيل: إنَّ الهاديَ ناظر يحيى في خلع هارون، ويحيى يحلف له والهادي يكذِّبه ويقول: واللهِ لأقتلنَّك، فانصرف يحيى إلى داره، فكلَّم غلامَه في شيء، فردَّ عليه، فلطمه يحيى، فانقطعت حلقةُ خاتمِه وطاح الفَصّ، فتطيَّر يحيى، فدخل عليه يحيى السيَّاري الشاعر، فأخبره، فأنشده بديهاً: [من الكامل]

أَخلاكَ من كلِّ الهمومِ سقوطُه ... وأتاك بالفَرَج انفراجُ الخاتمِ
قد كان ضاق ففكَّ حلقة ضيقه ... فاصبر فما ضيقُ الزمانِ بدائمِ

فما أصبح حتى ارتفعت الواعيةُ بموت الهادي، وولي هارون، فأعطى يحيى السياريَّ مئةَ ألفِ درهم[(١)].

ويقال: إنه لمَّا ثقل استدعى الخَيزُران، فجاءت، فقبض على يدِها وقال لها: ما قلتُ لك ما قلت إلا صيانةً لك، والليلةَ أموت. قالت: ومن أين لك ذلك؟ قال: بلى، كذا في مولدي، ومات ويدُه في يدها.

ومات بعيساباذَ ليلةَ الجمعةِ النصفَ من ربيع الأوَّل، وقيل: الآخِر، وخلافتُه سَنَةٌ وثلاثةُ أشهر، وقيل: وشهرين وأياماً، ومات وهو ابنُ ستٍّ وعشرين سنة، وقيل: ابنُ[(٢)] ثلاثٍ وعشرين سنة، ودُفن ببستانه بعيساباذَ.

---

(١) الفرج بعد الشدة ١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

وكان له من الولد سبعةُ ذكورٍ وابنتان: جعفر، وهو الذي رشَّحه للخلافة، والعباس، وعبدُ الله، وإسحاق، وإسماعيل، وسليمان، وموسى، وولد بعد وفاةِ الهادي أعمى، وكلُّهم لأمَّهات أولاد، وأمُّ عيسى، كانت عند المأمون، وأمُّ العباس، واسمُها فاطمة، تزوَّجها إسماعيلُ بن موسى.

ووزر له الربيع، ثم إبراهيمُ الحرَّاني، وحجبه الفضلُ بن الربيع، وكان على قضائه أبو يوسف، وعلى شرطته عبدُ الله بن مالكٍ الخُزاعي.

معاويةُ بن عُبيد الله[1]

ابن يسارٍ الأشعري. وزيرُ المهدي، من أهل طَبَرِية، وقيل: من أهل دمشق. ولَّاه هشامُ بن عبد الملك صدقاتِ عُذْرة، وكان رجلاً صالحاً عابداً، وكان المهدي يعظِّمه ولا يخالفه، إلى أن أبعده عنه، وأقام معزولاً في داره يتعبَّد، وقال لمَّا عزله المهدي - وقيل: ابنه -: [من البسيط]

لله دهرٌ أَضعنا فيه أَنفُسَنا ... بالجهل لو أنَّه لَمَّا مضى عادا[2]
أفسدتُ دِيني بإِصلاحي خلافتَهمْ ... وإنَّ[3] إصلاحَها للدِّين إفسادا
ما قرَّبوا أحداً إلَّا ونيَّتهمْ ... أن يُعقِبوا قُربَه بالغَدر إبعادا

وروى الدَّارَقطنيُّ[4] أنه أَبلى ثلاثَ مصلَّياتٍ وشرع في الرابع موضعَ الرُّكبتين والوجهِ واليدين لكثرة صلاته، وكان له في كلِّ يوم كُرُّ دقيقٍ يتصدَّق به[5]، فغلا السِّعر، فقال له مولاه: ألا نُنقص منه، فقال: اجعله كُرَّين، فكان له بعد ذلك كلَّ يومٍ كرَّان يخبز فيتصدَّق بهما على المساكين، ولمَّا مات امتلأت جسورُ بغداد، فلم يَعْبُر عليها إلا مَن تبع جنازتَه من مواليه واليتامى والأراملِ والمساكين، وصلَّى عليه عليُّ بن

(١) في (خ): سنة. ولعله سهو.
(٢) في (خ): معاوية بن عبد الله بن عبيد الله. وهو خطأ، انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٢٥٩، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٣٥١، والمنتظم ٨/ ٣٣٦، والسير ٧/ ٣٩٨.
(٣) في معجم الشعراء ص٣١٥، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٣٥٦: لو أنه بعد النهى عادا.
(٤) في معجم الشعراء وتاريخ دمشق: وكان.
(٥) قال الخطيب في تاريخه ١٥/ ٢٦٠: قرأت في كتاب أبي الحسن الدارقطني بخطه...، ثم ذكره بسنده.
(٦) قال الذهبي في السير ٧/ ٣٩٨: الكر يشبع خمسة آلاف إنسان.

المهدي، ودُفن بمقابر قريشٍ وله سبعون سَنَة.

أَسند عن عاصم بنِ رجاء بن حَيْوة، وعن الزُّهري وغيرِهما، وحكى عن المنصور والمَهدي، وقدم مع المهديِّ إلى الشام وطَبَرِستان، رحمه الله تعالى.

يزيدُ بن حاتِم الأَزديُّ الطائي

والي إفريقية، كان شُجاعاً جوَاداً ممدَّحاً. قال: كنت يوماً واقفاً بباب المنصورِ أنا ويزيدُ بن أسيد السُّلَمي، إذ فُتح بابُ القصر وخرج خادمٌ لأبي جعفر، فنظر إلينا ثم انصرف، فدخل وأخرج رأسَه وقال: [من الطويل]

لَشتَّانَ ما بين اليزيدَين في النَّدى ... يزيدُ سُليمٍ والأغرِّ بن حاتمِ

فلا يحسب التَّمتامُ أني هجوتُه ... ولكنني فضَّلت أهلَ المكارم

فقال له يزيدُ بن أسيد: نعم نعم، على رغم أَنفك وأنفِ مَن أرسلك، فرجع الخادمُ وأبلغها أبا جعفر، فضحك حتى استلقى(1).

وهذا الشِّعر لربيعةَ بنِ ثابت الرَّقِّي يمدح يزيدَ بن حاتمٍ ويهجو يزيدَ بن أسيد، ومنه:

يزيدُ سُليمٍ سالمُ المال والفتى ... فتى الأَزدِ للأموال غير مسالمِ(2)

فهمُّ الفتى الأزديِّ إتلافُ ماله ... وهمُّ الفتى القيسيِّ جمعُ الدراهم

وهمُّ الفتى القيسيِّ دُفٌّ ولعبة ... وهمُّ الفتى الأَزْدي ضربُ الجماجم

وفي يزيدَ بن حاتمٍ قال محمدُ بن عبدِ الله بن مسلم ـ ويقال له: [ابنُ](3) المولى، زعموا أنه مولى [بني] عَمرو(4) بنِ عوفٍ الأنصاريين(5) ـ: [من الكامل]

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترَى ... فسواك بائعُها وأنت المشتري

وإذا توعَّرت المسالكُ لم يكن ... منها السبيلُ إلى نَداك بأَوعرِ

(1) تاريخ دمشق 18/ 257 ـ 258 (مخطوط).

(2) في (خ): مسلم. والمثبت من الأغاني 16/ 254، ووفيات الأعيان 6/ 323.

(3) ما بين حاصرتين من المصادر، انظر معجم الشعراء ص342، وشرح المرزوقي 4/ 1761، وتاريخ دمشق 18/ 258، ووفيات الأعيان 6/ 325. والأبيات في زهر الآداب 2/ 1078 منسوبة لابن المبارك.

(4) في (خ): عمر، والمثبت من معجم الشعراء وتاريخ دمشق، وما بين حاصرتين من معجم الشعراء.

(5) في (خ): الأنصاري، والمثبت من تاريخ دمشق.

وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها بيدين ليس نَداهما بمكدَّر
وإذا هممتَ لمُعْتفيك بنائلٍ قال النَّدى - فأطعتَه - لك أكثرِ
وإذا الفوارسُ عدَّدت أبطالَها عدُّوك في أبطالهم بالخِنْصِر
يا واحدَ العربِ الذي ما إنْ لهمْ من مذهبٍ عنه ولا من مَقْصَر(١)

وقصده ربيعةُ المذكور، فاشتغل عنه، فخرج وهو يقول: [من الطويل]

أراني ولا كُفرانَ لله راجعاً بخُفَّي حُنينٍ من نَوال ابنِ حاتمِ

فبلغ يزيد، فردَّه وملأ خُفَّيه دراهم، فقال قصيدتَه المشهورة: [من الطويل]

بكى أهلُ(٢) مصرَ بالدموع السَّواجمِ غداةَ غدا عنها الأغرُّ بن حاتمِ

ومات يزيدُ بإفريقيةَ سنةَ سبعين ومئة، واستخلف عليها ولدَه داود، فعزله هارونُ في سنة اثنتين وسبعين وولَّاها عمَّه رَوح بنَ حاتم.



(١) قال المرزوقي: المقصر: الكف والإمساك.

(٢) في (خ): باهل، والمثبت من العقد الفريد ١/ ٢٨٧.

السَّنةُ الحاديةُ والسبعون بعد المئة

فيها أخرج هارونُ الطالبيِّين من بغدادَ إلى مدينة النبيِّ ﷺ، ما خلا العباسَ بن الحسنِ بن عبد اللهِ بن العباس بن عليٍّ عليه السلام.

وخرجت الخَيزُران من بغدادَ في رمضانَ معتمرة، فأقامت بمكَّة إلى وقت الحجِّ.

فصل وفيها توفِّي

إسماعيلُ بن محمدٍ

ابن يزيدَ بن ربيعة، أبو هاشم، ويلقَّب بالسيِّد الحِمْيَري. شاعر مُجيد.

كان بالكوفة قومٌ يذهبون [في] عليٍّ رضي الله عنه مذهب النَّصارى في المسيح، وهم أصحابُ عبدِ الله ابن سبأ، وقد حرَّق عليٌّ عليه السلام بعضَهم، وفيهم يقول السَّيِّد: [من البسيط]

قومٌ غلَوا في عليٍّ لا أبا لهمُ ... وأَجشموا أنفُساً في حبِّه تَعَبا
قالوا هو اللهُ جلَّ اللهُ خالقنا ... من أن يكونَ ابنَ شيءٍ أو يكونَ أبا[1]

وله: [من السريع]

يا بائعَ الأُخرى بدنياهُ ... ليس بهذا أَمَرَ اللهُ
مِن أين أبغضتَ عليَّ الرِّضا ... وأحمدٌ قد كان يرضاه
من الذي أحمدُ مِن بينهمْ ... يومَ غديرِ الخُمِّ ناداه
أَقامه من بين أصحابِه ... وهمْ حواليه فسمَّاه
هذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ ... مولًى لمن قد كنتُ مولاه
فوالِ مَن والاه يا ذا العُلى ... وعادِ مَن قد كان عاداه

ومِن شعره: [من الوافر]

إذا ما المرْءُ شابَ له قَذالٌ ... وعَلَّلهُ المَواشِطُ بالخِضابِ
فقد ذهبتْ بَشاشتُه وأودَى ... فَقُم يا باكِ فابكِ على الشباب

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥، وما بين حاصرتين مستفاد منه.

فـلـيـس بـعـائـدٍ مـا فـاتَ مـنـه إلـى أحـدٍ إلـى يـوم الـمـآب
إلـى يـومٍ يـؤوب الـنـاسُ فـيـه إلـى دُنـيـاهـمُ قـبـل الـحـسـاب
فـإنَّ الله خـبَّـر عـن أُنـاس حَـيُـوا مـن بـعـد دَسٍّ فـي الـتُّـراب[1]

وقال يرثي أخاه: [من الخفيف]

يـا ابـن أمِّـي فـدَتْـكَ نـفـسـي ومـالـي كـنـتَ رُكـنـي ومَـفْـزعـي وجَـمـالـي
ولَـعَـمْـري لـئـن تـركـتُـك مَـيْـتـاً رَهْـنَ رَمْـسٍ ضَـنْـكٍ عـلـيـك مُـهـالِ
لَـوَشـيـكـاً ألـقـاك حـيًّـا صـحـيـحـاً سـامِـعـاً مُـبْـصِـراً عـلـى خـيـر حـال
مـثـلَ سَـبْـعـيـن وافـداً مـع مُـوسـى عـايـنُـوا هـائـلاً مـع الأهـوال
حـيـن رامُـوا مـن جـهـلـهـمْ رؤيـةَ اللهِ وأنَّـى بـرؤيـة الـمـتـعـالـي
فـرَمـاهـمْ بـصَـعْـقـةٍ أحـرقـتْـهـم ثـم أحـيـاهـمُ شـديـدُ الـمِـحـال

وكان يقول بالرَّجعة[2]، ويُفرط في سبِّ السلف، وهو القائلُ في عائشةَ رضوانُ الله عليها في قصَّة الجَمَل: [من السريع]

جـاءت مـع الأشـقَـيـن فـي هـودج تُـزجـي عـلـى الـبـصـرة أجـنـادَهـا
كـأنَّـهـا فـي فـعـلـهـا حـيَّـةٌ تـريـد أن تـأكـلَ أولادَهـا[3]

ومات بواسط، ولمَّا احتضر أخذه كَرْب، فجعل يقول: اللهمَّ هذا كان جزائي في حبِّ آلِ محمد! ومات فلم يُدفن؛ لكفره وسبِّه للصحابة، وقيل: إنه مات ببغدادَ واسودَّ وجهُه قبل موته، فأَفاق من سَكرته وقال: يا أميرَ المؤمنين، تفعل هذا بوليِّك؟! ومات فدُفن بالجُنَينة[4]. وقيل: مات سنةَ تسعٍ وسبعين ومئة[5].

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٠٧.

(٢) أي: برجعة محمد بن الحنفية كما يقول الكيسانية. انظر طبقات الشعراء ص٣٣، والمنتظم ٩/ ٣٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٤٠.

(٣) المنتظم ٩/ ٤٠.

(٤) لم تجود في (خ)، والمثبت من الأغاني ٧/ ٢٧٨. والجنينة: موضع ببغداد.

(٥) ترجمه في وفيات سنة ١٧٩ ابن الجوزي في المنتظم ٩/ ٣٩، وابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٥٩٨، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٥٧٠ في وفيات سنة ١٧٣، وقال في ترجمته ٤/ ٦٤٠ : ومات على الصحيح في سنة ثلاث وسبعين ومئة، وقيل: مات سنة ثمان وسبعين ومئة. اهـ. ولم أقف على من ذكر وفاته في هذه السنة.

حِبَّان[1] بنُ عليٍّ العَنَزي

من الطبقة السادسةِ من أهل الكوفة، توفِّي بها، وكان ضعيفاً في الحديث، وقال ابن مَعين: هو صَدوق.

عيسى بنُ يزيدَ

ابنِ بكر بن داب، أبو الوليدِ اللَّيثي المدني. كان راويةَ العرب، وافرَ الأدب، عالماً بالنَّسب.

أمر له الهادي بثلاثين ألفَ دينارٍ في بعض الليالي، فلما أصبح وجَّه على الحاجب بالمال، فقال: يحتاج إلى توقيع، فأَمسك ولم يطلبه. فبينا الهادي في مستشرَفٍ له إذ نظر إلى ابن دابٍ قد أقبل وليس معه غلام، فقال لإبراهيمَ الحراني: يا إبراهيم، ألم ترَ إلى ابن داب بررناه بالأمس لنرى عليه أَثرَنا وما غيَّر من حاله! فقال[2]: هو أعلمُ بأمره. فلما دخل ابنُ داب وتفاوضوا في الحديث، عرض له الهادي فقال: أرى ثوبَك غَسيلاً، وهذا شتاءٌ وتحتاج إلى لُبس الجديد، فقال: يا أميرَ المؤمنين، باعي قصير، ففهم، فأمر بحمل المالِ إليه في الحال، فحُمل[3]. وكانت وفاتُه ببغداد.

المفضَّل بن محمدٍ

ابن يَعلى الضَّبِّي[4]. كان أحدَ الأئمَّة الفضلاءِ والثقاتِ الأَثبات، قرأ القراءاتِ على عاصم بنِ أبي النَّجود، وكان علَّامةً في النَّسب وفي أيام العرب.

قال جحظة[5]: اجتمعنا عند الرشيد، فقال للمفضَّل: أَخبِرني بأحسنِ ما قالت

---

(١) في (خ): حيان، والمثبت من المصادر. انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٥٠٢، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ٥٩٨.

(٢) القائل هو الهادي، كما في تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧١.

(٣) في تاريخ بغداد: فقال: كيف ذاك وقد صرفنا إليك من برنا ما فيه صلاح شأنك! قال: ما وصل إلي...

(٤) ذكر وفاته في هذه السنة ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٣٤٠، ويؤيده ما في تاريخ بغداد ١٥/ ١٥١ أنه قدم بغداد في أيام هارون. وفي تاريخ الإسلام ٤/ ٢٥١، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٧، والأعلام للزركلي أن وفاته سنة ١٦٨، ونقل الزركلي في الحاشية عن الأستاذ عبد السلام هارون في المفضليات الخمس أن وفاته سنة ١٧٨. والله أعلم.

(٥) في (خ): جحطلة، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ١٥٢، والأنساب ٨/ ١٤٨.

العربُ في الذئب ولك هذا الخاتمُ وشراؤه ألفٌ وستُّ مئةِ دينار، فقال: [من الطويل]

ينام بإِحدى مُقلتيه ويتَّقي بأُخرى المنايا فهو يقظانُ نائمُ(١)

فقال الرشيد: ما ألقى اللهُ هذا على لسانك إلَّا لذهاب الخاتَم، ورمى به إليه، وبلغ أمَّ جعفر، فبعثتْ إلى المفضَّل بألف وستِّ مئة دينارٍ وأخذته وبعثتْ به إلى الرشيد، وقالت: كنت أراكَ تُعجب به، فألقاه إلى المفضَّل وقال: خذْه وخذ الدنانير، فما كنت لأهبَ شيئاً وأرجعَ فيه.

قال المصنِّف رحمه الله: ورأيتُ في كتاب «الخواصّ» أنَّ العينَ التي(٢) يفتحها الذئبُ إذا نام، إذا عَلِقت على إنسانٍ لا ينام أبداً، وأن العينَ التي ينام بها إذا علقت على إنسانٍ لا يزال نائماً.

وعَبَرَ المفضَّل على المهديِّ وهو لا يملك درهماً وعليه عشرةُ آلافِ درهم، فقال: يا مفضَّل، ما أفخرُ بيتٍ قالته العرب؟ قال: قولُ الخنساء: [من البسيط]

وإنَّ صخراً لَتأتمُّ الهُداةُ به كأنَّه عَلَمٌ في رأسه نارُ(٣)

فالتفت إلى إسحاقَ بن بَزِيعٍ وقال: فيما قلت لك(٤)، قال المفضَّل: فقلت: الصوابُ مع أمير المؤمنين، ثم قال: يا مفضَّل، كيف حالُك؟ قلت: كيف حالُ مَن لا معه درهمٌ وعليه عشرةُ آلاف درهم؟! فقال: يا إسحاق، أَعطِه عشرةَ آلاف لدَينه، وعشرةَ آلاف يُصلح بها حالَه، وعشرةَ آلاف يُعدُّها لدهره.

سمع المفضَّلُ سِمَاكاً وغيرَه، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وفضله.

أبو عبدِ الله الخُرَيبي البصريُّ الزاهد

يُنسب إلى الخُرَيبة محلَّةٍ بالبصرة. كان صياداً يتقوَّت من صيده، لا يقبل بِرَّ أحد.

قال إبراهيمُ بن شبيبِ بن شيبة(٥): كنا نتجالس في الجُمُعة، فأتى رجلٌ عليه ثوبٌ

(١) البيت لحميد بن ثور الهلالي، وهو في ديوانه ص١٠٥ برواية: هاجع، بدل: نائم.

(٢) في (خ): الذي.

(٣) الديوان ص٤٩.

(٤) في الأغاني ١٦/ ٢١: قد قلت له ذلك فأباه. ومثله في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠٦.

(٥) في (خ): شبة، والمثبت من المنتظم ٨/ ٣٤١، وصفة الصفوة ٤/ ٩.

واحد ملتحِفٌ به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فما زلنا نتكلَّم في الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءني في الجُمُعة المقبلة، فسألنا فأجبنا، وسألناه عن منزله فقال: أَنزل الخُرَيبة، قلنا: فالكُنية؟ قال: أبو عبدِ الله. فكان يجالسنا، وانقطع عنَّا مدة، فوعد بعضُنا بعضاً أن نمضيَ إلى الخريبة ونستوحشَ له، فأتينا فسألنا عنه، فقال لنا صبيانٌ قد انصرفوا من الكتَّاب: لعلكم تريدون أبا عبدِ الله الصيَّاد؟ قلنا: نعم، قال: الساعةَ يأتي، وهذا وقتُه، وإذا به قد أَقبل مؤتزراً بخِرقة وعلى كتفه خِرْقة، ومعه أطيارٌ مذبَّحة وغيرُ مذبحة، فلمَّا رآنا تبسَّم وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت عمرتَ مجلسَنا، فما غيَّبك عنا؟ قال: كان لي جار، فكنت أَستعير منه ثوباً في كلِّ جمعة، وهو الثوبُ الذي كنت أتيتكم فيه، فسافر الجارُ إلى وطنه، وكان غريباً، فلم يكن لي ثوبٌ آتيكم فيه، ثم قال: هلمُّوا إلى المنزل، فدخلنا بيتاً ليس فيه سوى قطعةٍ من بارِيَّة[(١)] ، فقال: اقعدوا، ودفع الأطيارَ المذبَّحة إلى المرأة وقال: أَصلِحيها، وأخذ الأطيارَ الأحياءَ ومضى إلى السوق، فباعها واشترى خبزاً، ثم جاء وقد صنعت المرأةُ تلك الأَطيار، فقدَّمها إلينا مع الخبز، فأكلنا، وكان يقوم فيأتي بالملح، وتارةً بالماء، فقال بعضُنا لبعض: ألا ترون حالَ الرجل؟ أما تغيِّرون من حاله وأنتم سادةُ أهل البصرة؟! فقال أحدُهم: عليَّ خمسُ مئة، وقال الآخَر: وعليَّ ثلاثُ مئة، وضمن بعضُهم أن يأخذَ له من غيره، فبلغ الذي جمعوه خمسةَ آلافِ درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بالمال.

فخرجنا ومررنا بالمِرْبد، وإذا بمحمد بنِ سليمانَ والي البصرةِ في مَنظَرة له، فقال: يا غلام، ائتني بإبراهيمَ بن شبيبٍ من بين القوم، فجئتُ فدخلت عليه، فقال: من أين أقبلتم؟ فصدقته الحديث، فقال: أنا أسبقكم إلى بِرِّه، يا غلام، ائتني ببَدْرة دراهم، فجاء بها، فقال: احملْ هذه إليه. قال: ففرحت وحملها معي فرَّاش، فأتيتُ إلى بابه فسلَّمت، فأجابني أبو عبدِ الله وخرج، فلمَّا رأى الفراشَ والبَدرةَ على رأسه كأنِّي سففتُ في وجهه الرَّماد، وأقبل عليَّ بغير ذلك الوجهِ الأوَّل وقال: ما لي ولك يا هذا! تريد أن تفتنَني ! فقلت له: يا أبا عبدِ الله، إنَّ محمد بنَ سليمانَ من الجبَّارين، فاللهَ اللهَ في نفسك، فازداد غيظاً، وقام فدخل منزلَه وأصفق البابَ في وجهي، فرجعت إلى

(١) البارية: الحصير المنسوج. القاموس المحيط (بور).

محمدٍ وأخبرته، فقال: حَروريٌّ والله، يا غلام، خذ هذا السيفَ واذهب به مع هذا، فإذا خرج إليك الرجلُ فاضرب عنقَه وائتني برأسه، فقلت: اللهَ اللهَ أيها الأمير، واللهِ قد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكني أنا آتيك به، فضمنته، فأتيت بابَه، فسمعت بكاءَ المرأة، فطرقتُ الباب، فقالت: ادخل، فدخلت وإذا به ميِّت مسجًّى، فقلت: ما حالُه؟ قالت لنا: لما دخل توضَّأ وصلَّى ودعا، فسمعتُه يقول في دعائه: اللهمَّ اقبضني إليك ولا تفتنِّي، ثم تمدَّد واستقبل القِبلة، وما زال يردِّدها حتى مات. فخرجتُ فأتيت محمدَ بن سليمانَ فأخبرته، فقال: أنا أركب وأصلِّي عليه، وشاع حديثُه في البصرة، فشهده عامَّة أهلها ومحمدُ بن سليمان.



السَّنة الثانيةُ والسبعونَ بعد المئة

فيها خرج الرشيدُ إلى مَرْج القلعةِ يرتاد منزلاً، وكان قد استوخم بغداد، فلمَّا نزل مرجَ القلعة، مرض فعاد إلى بغداد.

وفيها ولَّى أخاه عُبيدَ[1] الله بنَ المهديِّ بلادَ إرمينية، وعزل عنها يزيدَ بن مزيد، وأغزى الصائفةَ إسحاقَ بن سليمانَ بنِ علي، ووضع عن أهل السَّواد العُشرَ الذي كان يؤخذ منهم بعد مقاسمةِ النِّصف.

وفيها زوَّج الرشيدُ العبَّاسةَ بنت المهديِّ من محمد بنِ سليمانَ والي البصرةِ ونقلها إليها، وهي أوَّل بنتِ خليفةٍ من بني العباسِ نُقلت من بلدٍ إلى بلد.

وفيها ولَّى الرشيدُ معاذَ بن معاذٍ القضاءَ على البصرة، فلم يحمدْ أهلها أمرَه وكرهوه، فصرفه، فأظهروا السرورَ بعزله، ونحروا الجُزُرَ وتصدَّقوا، فاختفى خوفاً منهم، وقدم بغدادَ فاعتذر، فقبل الرشيدُ عذرَه وأعطاه ألفَ دينار، وكان من الأثبات الثِّقات في الحديث.

وحجَّ بالناس يعقوبُ بن المنصور عمُّ الرشيد.

عبدُ الرحمن بن معاوية

ابن هشامِ بن عبد الملك بن مروان، أبو المطرِّف، الداخل. وأمُّه بربرية، اسمُها راح[2].

ولد بدَير حَنيناءَ من عمل دمشقَ[3] في سنة ثلاثَ عشرةَ ومئة، ولما زال ملكُ بني أميةَ تفرَّقوا في البلاد هرباً من بني العبَّاس، فدخل عبدُ الرحمن المغربَ في سنة ستٍّ وثلاثين ومئة[4] في أيَّام أبي جعفر، فبويع بجزيرة الأندلس. وقيل: دخل مصرَ مستخفياً، ثم خرج

(١) في (خ): عبد، والمثبت من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٦، والمنتظم ٨/ ٣٤٣، والكامل ٦/ ١١٨.

(٢) في (خ): واح، والمثبت من جذوة المقتبس ص٨، وتاريخ دمشق ٤٢/ ١٣.

(٣) قال الذهبي في السير ٨/ ٢٤٥: مولده بأرض تدمر.

(٤) وقيل: سنة ١٣٨، وقيل: سنة ١٣٩. انظر تاريخ خليفة ص٤١٥، وتاريخ الطبري ٧/ ٥٠٠، وجذوة =

إلى بُرْقة، فأقام بها خمسَ سنين، ثم خرج يريد الأندلس، فنزل ببيرة المراكب، وكانت البلادُ مفتوحة، فيها يمانيةٌ ومُضَرية يقتتلون على العصبية، وكان معه مولاه بدر، فدخل بينهم يتحسَّس الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلاً من أهل بيتِ الخلافة أكنتم تقومون معه وتبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟! فاستحلفهم بدر، فلمَّا استوثق منهم قال: هذا عبدُ الرحمن بن معاويةَ من بيت الخلافة، فأتَوا إليه وبايعوه، فأقام والياً عليهم ثلاثاً وثلاثين سنةً وأربعة أشهر، وهو أوَّل ملوكِ بني أمية بالمغرب.

وكان يوسفُ الفِهريُّ يدعو إلى نفسه بالمغرب، فلمَّا دخل عبدُ الرحمن لم يكترثْ له يوسف، ونزل عبدُ الرحمن الأندلس، فأطاعه أهلُها وقالوا: هذا من بيت الخلافة، وفي زمان عمِّه الوليدِ فُتحت الأندلس، واستفحل أمرُه، فقاتله يوسفُ الفهري، وكان أهلُ يوسفَ ومقرُّه بقرطبة، فدخل الفهريُّ طُلَيطلة واستنصر بالفرنج ويملكها، فأَنجدوه على عبد الرحمن، وخرج بالجيوش، فالتقوا على قرطبةَ واقتتلوا، فقال عبدُ الرحمن: مَن أتاني برأس الفهريِّ فله كذا وكذا من المال، فأتاه رجلٌ من أصحابه برأسه، فدخل قرطبةَ وبها عيالُ يوسفَ فلم يَعرِضْ لهم.

وكان المنصورُ يثني على عبد الرحمن، قال يوماً لأصحابه: مَن صقرُ قريشٍ الذي قهر الأعداءَ وساس الملكَ وسكَّن الزلازل؟ فقالوا: أنت، فقال: ما قلتم شيئاً، ولكن ذاك الذي قطع الفيافيَ والقفار، والجزائرَ والبحار، وأوغل في بلاد المغرب، وقد قُتل قومُه وزال ملكُهم، فدخل بلداً أعجميًّا مُفرَداً، فمصَّر الأمصار وجنَّد الأجناد، ودوَّن الدواوين، ولم يزل يضرب العدنانيةَ بالقحطانية، والقحطانيةَ بالعدنانية، والمضريةَ باليمانية، حتى أقام مُلكاً داثراً بعد انقطاعه، بحسن تدبيرِه وشدَّة شكيمته، ذاك عبدُ الرحمن بنُ معاوية.

وسأل مالكُ بن أنسٍ رجلاً من أهل الأندلسِ عن سيرة عبدِ الرحمن، فقال: يلبس الصوفَ ويأكل خبزَ الشعير، ويجاهد في سبيل الله، وعدَّد مناقبه، فقال مالك: ليت أنَّ اللهَ زيَّن حَرَمنا بمثله. وبلغ عبدَ الرحمن، فسُرَّ بقوله، وجمع أهلَ الأندلس على مذهب مالك، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي، فهذا سببُ اجتماعِ المغاربة على

= المقتبس ص٩، والكامل ٥/ ٤٨٩، والسير ٨/ ٢٤٥.

مذهب مالك.

وثار عليه ثائرٌ بالمغرب، فأُخذ وجيءَ به على بغل مكبَّلٌ بالحديد، فنظر إليه وقال: يا بغل، ماذا تحمل من الشِّقاق والنِّفاق؟! وأَمر بقتله، فقال الثائر - وأشار إلى فرس عبدِ الرحمن -: يا فرس، ماذا تحملين من العفو والرَّحمة، فعفا عنه وأَحسن إليه.

وقال أبو جعفرٍ القَيرواني: مات في سنة اثنتين وسبعين ومئةٍ وهو ابنُ ستِّين سنة، وكان ملكُه أربعاً وثلاثين سنةً وخمسةَ أشهر، ثم ولي بعده ابنُه هشامٌ لتسعٍ خلونَ من جُمادى الأولى سنةَ اثنتين وسبعين، وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة[1].

وقال الحُميدي[2]: كان عبدُ الرحمن على سيرةٍ جميلة، وأَثنى عليه، قال: ومن قُضاته معاويةُ بن صالحٍ الحضرمي، كان شاعراً، ومن شعره: [من الخفيف]

أيـهـا الـراكـبُ الـمـيـمِّـم أرضـي ... أَقْـرِ مـن بـعـضـيَ الـسـلامَ لـبـعـضـي
إنَّ جـسـمـي كـمـا عـلـمـتَ بـأرض ... وفـؤادي كـمـا عـلـمـتَ بـأرض
قُـدِّر الـبَـيـنُ بـيـنـنـا فـافـترقـنـا ... وطـوى الـبـيـنُ عـن جـفـونـيَ غُـمـضـي
قـد قـضـى اللهُ بـالـفـراق عـلـيـنـا ... فـعـسـى بـاجـتـمـاعـنـا سـوف يـقـضـي

الفضلُ بن صالحِ

ابن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس، أبو العباسِ الهاشمي. ولي إِمرةَ دمشق، وعمل أبوابَ جامعها والقُبَّةَ التي في الصَّحن، وتُعرف بقبة المال، فتوفِّي وهو ابنُ خمسين سنة، وكان شاعراً فصيحاً، وهو القائل: [من السريع]

عـاش الـهـوى واستُـشـهـد الـصـبـرُ ... وعـاث فـيَّ الـحـزنُ والـضُّـرُّ
وسـهَّـل الـتـوديـعُ يـومَ الـنَّـوى ... مـا كـان قـد وعَّـره الـهـجـر[3]



(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢١ عن أبي جعفر القيرواني أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار، صاحب «التعريف بصحيح التاريخ». وانظر جذوة المقتبس ص١٠، والسير ٨/ ٢٥٣، ففيهما أنه كان في الثلاثين من عمره.

(٢) في جذوة المقتبس ص٩.

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/ ٦٥ ـ ٦٧.

السَّنة الثالثةُ والسبعون بعد المئة

فيها توفِّيت **الخَيزُران**، و**محمدُ بن سليمانَ** والي البصرة.

وفيها حبس هارونُ موسى بنَ جعفر بن محمد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ عليه السلام، وحجَّ الرشيدُ في هذه السَّنة، فأقدمه معه إلى بغداد، فحبسه إلى أن مات.

وقال الصُّولي: أجرى عليه في كلِّ سنةٍ ثلاثَ مئةِ ألف درهم، ولبركةَ في كلِّ شهرٍ عشرين ألفَ درهمٍ إلى أن مات في حبسه.

وقال النَّوفلي: وضع هارونُ ابنَه محمداً في حجر جعفرِ بن محمدٍ الأشعث، فساء ذلك يحيى بنَ خالد، وقال: لو مات هارونُ وأفضى الأمرُ إلى محمدٍ انتقضت دولتُنا وتحوَّل الأمرُ إلى جعفر بنِ محمدٍ وولده، وقد كان يحيى عرف مذهبَ جعفرٍ في التشيُّع، فأظهر له أنَّه على مذهبه، فأَنِسَ به جعفرٌ وأَطلعه على أمره وذكر له رأيَه في موسى بنِ جعفر، فسعى به إلى هارون، وكان هارونُ يرعى له موضعَ أبيه من الخلافة، فكان يقدِّم في أمره ويؤخِّر، ويحيى لا يألو جهداً في جعفر، ثم إن هارونَ أمر لجعفرٍ بعشرين ألفَ دينار ، فقال يحيى لهارون: إنَّ خُمس ما يصير لجعفرٍ يدفعه إلى موسى بنِ جعفر، وعلم جعفرٌ بسعاية يحيى به، فاحترز، فأرسل هارونُ إلى جعفرٍ يستدعيه، فاغتسل وتحنَّط، ولبس كفنَه تحت ثيابه، فلمَّا دخل على هارونَ شمَّ منه رائحةَ الطِّيب، فقال: ما هذا؟ فقال: قد علمتُ أنه سُعي بي إليك حسداً لي فقلت: ما طلبني في هذه الساعةِ إلا ليقتلَني، فتحنَّطت كما ترى، فقال: كلَّا، ولكن أُخبرت أنَّك تبعث إلى موسى بخُمس مالِك، فأحببت أن أعلمَ صحَّة ذلك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ابعث بعضَ خدمِك إلى فلانةَ يطلب منها المال، فأرسل الخادم، فأرسلت الجاريةُ العشرين ألفَ دينار بخواتيمها، فأَحضرها بين يدي هارون، فقال هارون: اِرفعها، فواللهِ لا سمعتُ فيك كلامَ أحدٍ بعد اليوم، ثم حجَّ هارونُ في هذه السنةِ وأَحرم من بغداد، ودخل مكَّة والمدينة، ووصل أهلَ الحرمين بأموالٍ عظيمة، ولَمَّا قفل عن المدينة، صحب معه موسى بنَ جعفر إلى بغدادَ لشيءٍ بلغه عنه فخافه، وقيل له: لا بدَّ له من الخروج عليك.

فصل وفيها توفِّيت

الخَيزُران جاريةُ المهدي أمُّ الهادي والرشيد

وكانت جُرَشية، اشتراها المهديُّ فأَعتقها وتزوَّجها.

وسأل رجلٌ الخيزران حاجةً وبعث إليها بهديَّة، فبعثتْ إليه: إن كان ما بعثتَ به إليَّ من هديَّتك ثمناً لرأيي فيك فقد بخستَني القيمة، وإن كان استزادةً فقد استغششتَني[١] في المودَّة. ثم ردَّت عليه الهدية.

قال الصُّولي: وصاحبُ الهديةِ محمدُ بن سليمان، أهدى لها مئةَ وصيف، بيد كلِّ وصيفٍ جامٌ من ذهبٍ مملوءٌ مِسكاً.

وكانت الخَيزُران عاقلةً لبيبة، صالحةً متصدقة، وغلَّتها في كلِّ سنةٍ ستةُ آلافِ ألفٍ وستُّون ألفَ ألفِ درهم[٢]، فكانت تُنفقها في الصدقات وأبوابِ البِرّ، وكانت وفاتُها ليلةَ الجمعة لثلاثٍ بقين من جُمادى الآخرة، ومشى هارونُ في جنازتها وعليه طَيلسانٌ أزرقُ قد شدَّ به وسطَه، وأخذ بقائمة السريرِ حافياً يخوض في الطين حتى أتى مقابرَ قريش، فغسل رِجليه وصلَّى عليها، ودخل قبرَها، ثم خرج فتمثَّل بقول متمِّم[٣]: [من الطويل]

وكنَّا كندمانَي جَذيمةَ حِقبةً

الأبيات: ثم تصدَّق عنها بمالٍ عظيم، ولم يغيِّر على جواريها وحاشيتها شيئاً.

وقالت زينبُ بنت سليمانَ بنِ علي: حدَّثتني الخيزرانُ قالت: حدَّثني أميرُ المؤمنين المهديُّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن ابن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن اتَّقى اللهَ وقاه اللهُ كلَّ شيء»[٤].

---

(١) في (خ): استغشيتني. والمثبت من المنتظم ٨/ ٣٤٧، وفي البداية والنهاية ١٣/ ٥٧١: فقد اتهمتني في المودة.

(٢) قال المسعودي في مروج الذهب ٦/ ٢٨٩: مئة ألف ألف وستون ألف ألف درهم، ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٦١٥ عن المسعودي أن مغلها مئتا ألف وستون ألفاً، وفي المنتظم ٨/ ٣٤٨: ألف ألف وستون ألف درهم، وفي البداية والنهاية ١٣/ ٥٧١: ألف ألف وستون ألفاً.

(٣) هو متمم بن نويرة، كما في المنتظم ٨/ ٣٤٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٧١ _ ٥٧٢، وعجزه:

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٦١٦.

غادِر، جاريةُ الهادي

كانت بارعةَ الجمال، فبينا هي تغنِّيه يوماً، عرض له فكرٌ فغيَّر لونَه، فسأله مَن حضر عن ذلك، فقال: وقع في خاطري أنَّني أموت ويتزوَّجها أخي هارون. ثم أمر بإحضار أخيه واستحلفه بالأيمان المغلَّظة من الطلاق والعتاقِ والحجِّ ماشياً أنه لا يتزوَّجها بعده، واستحلفها كذلك، ولبث أقلَّ من شهرٍ ومات، فأرسل إليها هارونُ يخطبها، فقالت له: وكيف بيميني ويمينك؟! فقال: أكفِّر عن الكلّ. فتزوَّجته، فزاد حبُّه لها على حبِّ أخيه، حتى إنَّها كانت تنام فتضع رأسَها في حجره فلا يتحرَّك حتى تنتبه، فبينا هي ذاتَ يومٍ نائمةٌ ورأسُها على ركبته، انتبهت فَزِعةً تبكي، فقال: ما الذي بك؟ قالت: رأيتُ الساعةَ أخاك وهو يقول: [من مجزوء الكامل]

أَخــلــفــتِ وعــدي بــعــدمــا ... جــاورتُ ســكَّــانَ الــمــقــابــرْ
ونــســيــتــنِــي وحــنــثــتِ[١] فــي ... أَيــمــانــك الــكَــذِبِ الــفــواجــر
ونــكــحــتِ عــامــدةً[٢] أخــي ... صَــدَقَ الــذي ســمَّــاكِ غــادر
لا يَــهْــنِــكِ الإلــفُ الــجــديـــ ... ـدُ ولا تَــدُرْ عــنــكِ الــدوائــر
ولــحــقــتِ بــي قــبــلَ الــصَّــبــا ... حِ فــصــرتِ حــيــث غــدوتُ صــائــر

ولم تزل تبكي وتضطرب حتى ماتت بين يديه وهو يقول لها: أضغاثُ أحلام، فدفنها، ونغَّصت عليه عيشَه.

محمدُ بن سليمانَ

ابن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، أبو عبدِ الله الهاشمي. وأمُّه أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حسن بن حسن بن عليٍّ عليه السلام. وكان من وجوه بني العباسِ وأشرافهم، وُلد بالحُمَيمة من أرض البَلقاءِ سنة اثنتين وعشرين ومئة، وكان جليلاً نبيلاً جوَاداً ممدَّحاً، عظيمَ بيته وجليلَ أهله.

ولَّاه أبو جعفرٍ الكوفةَ والبصرةَ مرتين، ووليها للهادي والرشيد، وقدم على الرشيد

(١) في (خ): وخنت، والمثبت من المنتظم ٨/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٧٢ .
(٢) في المنتظم والبداية والنهاية: غادرة.

معزِّياً له في أخيه موسى ومهنِّئاً له بالخلافة، فأنزله الرشيدُ وأكرمه وعظَّمه واحترمه، وفعل في حقِّه ما لم يفعلْه مع غيره، وزاد على ولايته كورَ فارسَ والبحرين وعُمان واليمامةَ والأهوازَ وكور دِجلة، ولم يجمعْ هذا لغيره، ولما أراد الخروجَ إلى البصرة شيَّعه الرشيدُ إلى كَلْواذى. وهو الذي زوَّجه المهديُّ ابنته، ونقلها إلى البصرة إليه، وكان له خاتمٌ من ياقوتٍ أحمرَ لم يُرَ مثله، فسقط ليلةً من يده، فطلبوه فلم يجدوه، فقال: أَطفئوا الشمع، ففعلوا فرأوه. وكان له خمسون ألفَ عبد، منهم عشرون ألفاً عِتاقة، وكانت به رطوبة، فكان يتداوى بالمِسك، يستعمل منه كلَّ يومٍ عشرين مثقالاً ويتركه في عُكَن بطنه، وكانت غلَّته في كلِّ يومٍ مئةَ ألفِ درهم، وكان يصعد المنبرَ في البصرة، وكان له لسانٌ فيأمر بالعدل والإحسانِ مع ظلمه، فيقول أهلُ البصرة: ألا ترون ما نحن فيه مع هذا الظالمِ الجائر وما يأمر به! فاجتمعوا إلى أبي سعيدٍ الضُّبَعي وقالوا: كلِّمه، فلما صعد المنبرَ قام إليه وقال: يا ابنَ سليمان، لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ يا محمدَ بنَ سليمان، ليس بينك وبين أن تتمنَّى أنك لم تُخلَق إلَّا أن يدخلَ مَلَكُ الموتِ من باب بيتك. فخنقتْ محمدَ بن سليمانَ العَبرةُ فلم يقدر أن يتكلَّم، فقام أخوه جعفرٌ إلى جانب المنبرِ فتكلَّم عنه، فأحبَّه النسَّاك حين خنقته العَبرةُ وقالوا: مؤمنٌ مذنب.

وقدم عليه جماعةٌ من الشعراء[1]، فأقاموا ببابه مدَّةً ولم يصلوا إليه، فكتب إليه الخليلُ بن أحمد[2]: [من الكامل]

لا تقبلنَّ الشِّعرَ ثم تَعِيفه[3] وتنام والشعراءُ غيرُ نيامِ
واعلم بأنَّهمُ إذا لم يُنصَفوا حكموا لأنفُسهمْ على الحكَّام
وجنايةُ الجاني عليهمْ تنقضي وهجاؤهمْ باقٍ على الأيَّام

فأَجازهم وأحسنَ إليهم.

(١) في العقد الفريد ٥/ ٣٠٥، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٦١ أنهم أنشدوا جعفر بن سليمان أخاه.

(٢) قال ابن عساكر: وقد رويت هذه الأبيات لابن الرومي. اهـ. ورويت له أيضاً في زهر الآداب ٢/ ٦٤٦، وهي في ديوانه ٦/ ٢٣٩٢ ضمن قصيدة.

(٣) في المصادر: تعقه.

ذِكرُ وفاته:

لَمَّا احتضر كان رأسُه في حجر أخيه جعفرِ بن سليمان، فقال جعفر: واانقطاعَ ظهراه! فقال محمد: واانقطاعَ ظهرِ مَن يلقى الجبَّارَ[١] غداً! يا ليت أمَّك لم تلدني، وليتني كنت حمَّالاً وأنِّي لم أكن فيما كنت فيه.

وكانت وفاتُه بالبصرة في اليوم الذي توفِّيت فيه الخَيزُران ببغداد، وهو ابنُ إحدى وخمسين سنةً وأَشهُر.

وقال ابنُ جَرير[٢]: بعث الرشيدُ رجلاً يصطفي ما خلَّف من الصامت، ورجلاً يقبض الكسوة والفُرُش، ورجلاً إلى الرقيق والدواب، ورجلاً إلى الطِّيب والجواهر، فأصابُوا له من المال ستِّين ألف ألف درهم، وأخرجوا ما كان يُهدى إليه، حتَّى الدهن والسمك، فوجدوهُ قد تغيَّر، فألقوه في الطرقات، فأنتنت الطُّرقات.

وقال الصوليّ: إنَّ الرشيدَ فضَّ ما خلَّفه، فكان من العين ثلاثةَ آلاف ألف دينار، ولم يعترض الضياعَ ولا الدورَ ولا الجواهرَ ولا الفرشَ ولا الكسوةَ.

قال الطبريّ: إنهم حملوا ما كان يصلحُ للخلافة، ولم يتركوا إلَّا الذي لم يصلح، فلمَّا وصلت السفن إلى بغداد، أمرَ الرشيدُ أن يُدْخَل ذلك خزانته، إلَّا المال ـ وكان ستين ألف ألف درهم ـ فإنَّه أمر بصكاك فكُتبت للندماء والمغنِّين، فأخذوا الجميع من السفن، ولم يدخل إلى بيت ماله منها درهمٌ ولا دينار[٣].

وكان له مئة ألف دابَّة ما بين فرشٍ وبغلٍ وجملٍ وحمار، ولم يَتْرُكْ أحدٌ من الأكاسرة وبني أمية وبني العباس وغيرهم مثلَ ما ترك، وكانت الهدايا تأتيه من الهند والسند والصين وكِرْمان، وفارس والأهواز، وخراسان وما وراء النهر، واليمن واليمامة، والحجاز والشام والمغرب، وغير ذلك.

وقيل: إنَّ هارون اصطفى الجميعَ لنفسه، ولم يُعطِ ورثتَه شيئاً.

وقيل: إنَّ هارون أخذَ منه عشرة آلاف فرس، وعشرة آلاف بغل، ومن كل صنفٍ ونوعٍ عشرة آلاف.

(١) في تاريخ دمشق ٦٢/ ١٩٩ : الحساب.

(٢) في (خ): ما خلف. ولعله سهو، والكلام في تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٧، وانظر المنتظم ٨/ ٣٥١.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٧.

ولما دُفِن محمد بن سليمان خرجت جاريةٌ من جواريه، فوقفت على قبره وقالت: [من الكامل]

أمسى التراب لمن هَوِيتُ مَبِيتا ... الْقَ الترابَ وقل له حُيِّيتَا
إنَّا نحبُّك يا ترابُ وما بنا ... إلَّا كرامةُ من عليه حُثِيتَا[1]

وقد أخرج الخطيبُ له حديثاً قال محمد بن سليمان: حدَّثني أبي، عن جدِّي الأكبر، يعني عبد الله بن عباس، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «امسحْ على رأسِ اليتيم هكذا؛ إلى مُقَدَّمِ رأسِه، ومن له أبٌ؛ هكذا إلى مؤخَّر رأسِه»[2].

هيلانة جاريةُ الرشيد

كان شديد الحبِّ لها، وكانت قبلَه ليحيى بن خالد، وكان الرشيد قبل الخلافة يَمضي إلى دار يحيى، فلقيَتْهُ في ممرٍّ، فأخذت بكمِّه وقالت: ما لنا فيك نصيب؟ قال: وكيف السبيل إليك؟ قالت: تأخذُني من هذا الشيخ، فطلبها من يحيى، فوهبَها له، فغلبت عليه، وأقامت عنده ثلاث سنين، ثم ماتت، فوجدَ عليها وجداً شديداً، وقال فيها: [من السريع]

قد قلت لَمَّا ضمَّنوك الثرى ... وجالت الحسرةُ في صدرِي
اذهبْ فلا والله لا سرَّني ... بعدَك شيءٌ آخرَ الدهرِ

وقال العباس بن الأحنف يرثيها: [من الكامل]

يا مَنْ تباشَرت القبورُ بموتها ... قَصَدَ الزمانُ مَساءتي فرماكِ
أبغي الأنيسَ فلا أرى لي مُؤنساً ... إلَّا التردُّدَ حيث كنتُ أراكِ
مَلِكٌ بكاكِ وطالَ بعدكِ حزنُه ... لو يستطيع بملكِه لفداكِ
يحمي الفؤادَ عن النساءِ حفيظةً ... كيلا يحُلَّ حمى الفؤادِ سواكِ

فأعطاه الرشيد أربعين ألفاً، وقال: لو زدتَ لزدناك، يعني عن كلِّ بيتٍ عشرةَ آلاف درهم[3].

---

(١) المنتظم ٨/ ٣٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦، ومحمد بن سليمان ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ١٣٨، ونقل عن العقيلي قوله: ليس يعرف بالنقل، وحديثه هذا غير محفوظ.
ثم ذكر الذهبي الحديث وقال: هذا موضوع.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٤١٤ ـ ٤١٥، والمنتظم ٨/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

السنة الرابعة والسبعون بعد المئة

فيها وقعت العصبيَّةُ بالشام وثارت الفتن.

وولَّى هارونُ إسحاقَ بن سليمان بن علي السند ومُكران، واستقضَى هارون يوسفَ ابن أبي يوسف القاضي، وأبوه في الحياة.

وفيها بنى الرشيد قصراً بقردَى وبازَبْدى، فقال مروان بن أبي حفصة: [من الطويل]

بقِردَى وبازَبْدى مصيفٌ ومَرْبَعُ وعذبٌ يحاكي السلسبيل بَرُودُ
وبغدادُ ما بغدادُ أمَّا ترابُها فكحلٌ وأمَّا حرُّها فشديدُ

وأغزى هارونُ الصائفةَ عبد الملك بن صالح بن علي.

وحجَّ هارون على طريق البصرة، ودخلَها ووسَّعَ في جامعها من ناحية القبلة، وجعل طريقَه إلى المدينة، ففرَّق في أهلها أموالاً كثيرةً، وكان قد وقعَ بمكَّة وباءٌ، فلم يدخلْها إلَّا يومَ التروية، وطاف طواف القدوم، وخرجَ إلى عرفات، ودخلها فطاف طواف الزيارة وقفلَ راجعاً، وكان قد أفردَ الحجّ(١).

روح بن حاتم

ابن قَبيصة بن المهلَّب بن أبي صُفْرة

كان وأخوه من وجوه دولة بني العباس، ولما مات يزيد(٢) وليَ إفريقيَّة روح.

رآه رجلٌ وهو نائمٌ على باب أبي جعفر في الشمس، فقال: يا روح طال وقوفُك في الشمس، فقال: إنَّما وقفت فيها ليطولَ مقامي في الظل.

وبلغ أبا جعفر فولَّاه البصرة(٣).

منصور

مولى عيسى بن جعفر بن المنصور، ويلقَّب بزلزل، كان مغنِّياً، ويُضرَب به المثل في

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٩، والمنتظم ٩/ ٣.

(٢) يعني يزيد بن حاتم أخاه.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٢٠ .

الضرب بالعود، وعَمل ببغداد بركةً للسبيل، فقال إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه: [من الطويل]

لو انَّ زهيراً وامرأ القيسِ أبصرَا ... مَلاحةَ ما تحويهِ بركةُ زَلْزَلِ
لما وَصفا سَلْمى ولا أُمَّ سالمٍ ... ولا أكثرا ذكرَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ[1]

وقال إبراهيم الموصلي: قال لي زلزل: عندي جاريةٌ قد علَّمتها الغناء، وإنَّ من صفتها كذا وكذا. فكنتُ أشتهي أن أراها وأستحي أن أسألَه، فلمَّا مات عرضوها للبيع، فصرتُ إلى ورثته فطلبتُها، فأخرجوها، وإذا جاريةٌ كاد الغزال يكونها، لولا ما تمَّ منها ونقص منه، فقلت لها: غنِّي، فغنَّت وعيناها تذرفان، ثم تنفست وشهقت، وظننتُ أنَّ نفسَها قد خرجت، فقمتُ فدخلتُ على الرشيد، وذكرتُ له حالها، فأمرَ بإحضارها وقال لها: غنِّي، فغنَّت وجعلَ البكاءُ يغلبُها، وهي تمنعه إجلالاً له، فرقَّ لها وقال: أتحبين أنْ أشتريكِ؟ فقالت: يا أميرَ المؤمنين، لقد[2] عرضتَ عليَّ ما تقصرُ الآمالُ عنه، ولَمَّا خيرتَني وجبَ عليَّ نصحُك، والله لا يشتريني أحدٌ بعد زلزل فينتفعُ بي، وليس من الوفاء أنْ ينتفع بي أحدٌ بعده، فزادَ رقَّةً عليها، وقال غنِّي، فغنَّت:

العينُ تُظهِر كتماني وتبديهِ ... والقلبُ يَكتُمُ ما ضَمَّنتُهُ فيهِ
وكيف يَنْكَتِمُ المكنونُ بينهما ... والعينُ تظهرهُ والقلبُ يخفيهِ

فاشتراها وأعتقَها، وأجرى عليها إلى أن توفيت.



(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٢) في (خ): لو. والمثبت من المنتظم ٩/ ٦.

السنة الخامسة والسبعون بعد المئة

فيها عقدَ الرشيدُ البيعةَ لابنه محمد بن زبيدة، وقدَّمه على المأمون، وكانَ المأمونُ أكبرَ منه بأشهر، ولمحمدٍ يومئذٍ خمسُ سنين، وسببه أنَّ جماعةً من بني العباس مدُّوا أعناقَهم إلى الخلافةِ بعد هارون؛ لأنَّه لم يكن له وليُّ عهد، فجاء عيسى بن جعفر بن المنصور إلى يحيى بن خالد[1] ، فقال له: ألا تسعى في البيعةِ لابن أختي؟ فقدْ تطاولت أعناقُ بني هاشم إلى الخلافة، فأشارَ يحيى[2] على هارون بذلك، فعقدَ العقدَ من بعده لمحمد، وسمَّاه الأمين، وبايعَ له القوَّادُ والجند ببغداد، فقال سلم الخاسر: [من الكامل]

قد وفَّقَ الله الخليفةَ إذْ بنى ... بيتَ الخلافة بالأغرِّ الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجدِّه ... شَهِدا عليه بمنظرٍ وبمخبرِ
قد بايعَ الثقلانِ للمهدي الهدى[3] ... بمحمدِ بن زبيدةَ ابنةِ جعفرِ

ولما عقدَ الرشيدُ البيعةَ لمحمد أنكرَ ذلك بنو هاشمٍ لصغرِ سنِّه.

وقيل: إنَّ عيسى بن جعفر قال للفضل بن يحيى وقد وليَ خُراسان: أَنشدُكَ الله لما عملت في البيعة لابن أختي، فإنَّه ولدُك، وخلافتُه لك، فوعدَه أن يفعل، وتوجَّه الفضلُ إلى خراسان ففرَّق الأموال في أهلها، وبايعَ لمحمد ولقَّبه الأمين، فقال الشاعر: [من البسيط]

قد وكَّدَ الفضلُ عقداً لا انتقاضَ له ... لمصطفًى من بني العباس مُنتخبِ
ببيعةٍ لوليِّ العهدِ أحكَمَها ... بالنصحِ منهُ وبالإشفاقِ والحدَبِ

وبلغ الرشيدَ أنَّ أهل خراسانَ والمشرق قد بايعوا محمد، فكتبَ إلى الآفاق بالبيعة له، وأخذَها على أهل بغداد وبني هاشم والخواص والعوام[4].

---

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٠، والمنتظم ٩/ ١٠ : الفضل بن يحيى. بدل: يحيى بن خالد.
(٢) الصواب: الفضل. انظر التعليق السابق.
(٣) كذا، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٠ : قد بايع الثقلان في مهد الهدى.
(٤) تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

وكان الرشيد يقول: إني لأتعرف في عبد الله حزمَ المنصور، ونسكَ المهدي، وعزَّةَ نفسِ الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة فيَّ لنسبتُه، والله إنِّي لأرضى سيرتَه، وأحمدُ طريقتَه، وأستحسن سياستَه، وأرى قوَّته وذهنَه، وآمنُ ضعفَه ووهَنَه، وإنِّي لأقدِّمُ محمَّداً عليه، وأعلمُ أنَّه منقادٌ لهواه، مبذِّرٌ لما حوته يداه، مشاركٌ للنساءِ والإماء في رأيه، ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقَدَّمتُ عبد الله عليه، فقال: [من الطويل]

لقد بانَ وجهُ الرأيِ لي غيرَ أنَّني غُلِبْتُ على الأمر الذي كان أحزَما
فكيفَ يُردُّ الدَّرُّ في الضرعِ بعدما توزَّعَ حتى صار نهباً مقسَّمَا
أخافُ التواءَ الأمرِ بعد استوائِه وأنْ يُنْقَضَ الحبلُ الذي كان أُبرِمَا[١]

وفيها غزا الصائفة عبدُ الملك بن صالح، فأصابَهم بردٌ شديدٌ سقطَت منه أيديهم وأرجلُهم. وحجَّ بالناس الرشيد.

فصل وفيها توفي

اللَّيثُ بن سعد

ابن عبد الرَّحمن، أبو الحارث الفَهْميُّ المصري، مولى خالد بنِ ثابت الفهمي، وقيل: مولى قيس. إمامُ أهل مصر وقاضيهم وفقيهُهم وعالمُهم وجوادُهم.

من الطبقة الخامسة من أهل مصر، ولد سنة ثلاثٍ أو أربعٍ وتسعين في خلافة الوليد ابن عبد الملك، وكان ثقةً كثيرَ الحديث صحيحَه، وكان قد اشتغلَ بالفتوى في زمانه بمصر، وكان سريّاً من الرجال نبيلاً سخيّاً، له ضيافة.

وولد بقريةٍ أسفلَ مصر يقال لها: قَرْقَشَنْدَة، وكان يَفْضُلُ على الإخوان سخاءً، وعقلاً، وشجاعةً، وحلماً، وجوداً، وفقهاً، وعلماً بالقرآن والفقه والحديث والشعر وأيَّام العرب[٢].

وقال أبو صالح: كنَّا على باب مالك بن أنس، فامتنعَ علينا، فقلنا: ليسَ يشبهُ هذا صاحبنا، فسمعَ مالك كلامنا، فأذن لنا، فدخلنا عليه، فقال: من صاحبكم؟ فقلنا:

(١) المنتظم ٩/ ١٠.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٤١، والمنتظم ٩/ ١٠-١١.

الليث بن سعد، فقال: تشبهوني برجلٍ كتبنا إليه في قليل عصفر نصبغُ به ثيابنا، فبعثَ إلينا ما نصبغُ به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا[١]، وبعنا الفضلةَ بألف دينار.

وقال شعيبُ بن الليث: خرجتُ مع أبي حاجّاً، فقدمَ المدينة، فبعثَ إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، فجعلَ في الطبقِ ألفَ دينار وردَّه إليه.

وكان الليث يستغلُّ كلَّ سنةٍ عشرينَ ألف دينار ـ وقيل: ثمانين ألف دينار ـ وكان يفرِّقُها في العلماء والقُصَّاد، وما وجبَ عليه زكاةٌ قط.

وأعطى ابنَ لهيعة ألف دينار، ومنصورَ بن عمار ألفَ دينار، وجاءت إليه امرأةٌ بسُكُرُّجة، فقالت: يا أبا الحارث، إنَّ لي ابناً عليلاً ويشتهي عسلاً، فقال الليث: يا غلام، أعطِها مرطاً من عسل.

والمرطُ مئةٌ وعشرون رطلاً.

وأقام الليث عشرين سنة لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلَّا مع الناس، يطعمهم الهرايسَ والحلوى.

وولي القضاءَ بمصر ثلاثينَ سنة، لم يستحلَّ أنْ يغرسَ ريحانةً يشمُّها.

وكان يُطعِمُ في كلِّ يوم ثلاثَ مئة مسكين، ويبعثُ إلى مالك بن أنس في كلِّ سنة بخمس مئة دينار[٢].

وقال منصور بن عمار: قدمتُ مصر، فتكلَّمت في جامعها، فإذا رجلانِ قد وَقَفا على الحلقة فقالا: أجب الليث بن سعد، فقمتُ ومضيتُ معهما، فدخلتُ عليه، ولم أكن رأيته، فقال: أنت المتكلِّم في المسجد؟ قلت: نعم، قال: ردَّ عليَّ الكلامَ الذي تكلَّمت به، قال: فأخذت في ذلك المجلسِ بعينه، فرقَّ وبكى حتَّى رحمتُه، ثم قال: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ قلت: من بغداد، وأنا منصور بن عمار. قال: أبو السري؟

(١) كذا، وفي تاريخ دمشق ٦٠/ ٩٥ (طبعة مجمع اللغة): نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثياب صبياننا وصبيان جيراننا.

(٢) في تاريخ دمشق ٦٠/ ٩٥ : كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمئة دينار في كل سنة، فكتب إليه أن عليَّ ديناً، فبعث إليه بخمس مئة دينار.

قلت: نعم. قال: الحمدُ لله الذي لم يمتني حتَّى رأيتُك، فدفعَ إليَّ ألفَ دينار، وقال: صنْ هذا الكلام أنْ تقف به على أبوابِ السلاطين، ولا تمدحنَّ أحداً من المخلوقين بعد مدحتك لربِّ العالمين، ولكَ عليَّ في كل سنة مثلها، ولا تعلم ابني شعيباً فتهونَ عليه، فقلت: يرحمك الله، إن الله قد أحسن إليَّ وأنعم عليَّ، فقال: لا تردَّ عليَّ شيئاً أصلُك به، ثم قال: لا تبطئ علي، فأتيتُه في الجمعة القابلة، فقال: اذكر شيئاً، فذكرتُ، فبكَى كثيراً، ودفع إليَّ خمس مئة دينار كانت تحت وسادته، فقلت: أريد الحج، فقال: إذا عزمت فعد إلي، فأتيتُه فودعته، وتكلَّمت فبكَى بكاءً كثيراً، وأعطاني ثلاثَ مئة دينار وأربعين ثوباً، وقال: هذه بسبب إحرامِك وأصحابك، ودفعَ إليَّ الجاريةَ التي حملت الثياب، فأخذتُها.

قال أبو نعيم: وأعطاه شعيب بن الليث ألفَ دينار إلا عشرة[1]؛ لئلَّا يساوي أباه في العطية.

وكان الرشيدُ قد حلفَ بطلاقِ زوجته زبيدة أنَّه من أهلِ الجنة، فاستفتَى فقهاءَ العراق فلم يجد عندهم فَرَجاً، فاستقدَم الليث وسألَه بمحضر من الفقهاء. قال: يا أمير المؤمنين أخلني، فأخلاه، فقال: هل نهيتَ نفسك عن هواها قط؟ قال: نعم، فقرأ الليث: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، فقال هارون: أحسنت، ثم أعطاهُ الأموالَ والتُّحف والخلع، وكان على رأس هارون خادمٌ اسمه لؤلؤ، فقال: وهذا، فأعطاه إيَّاه، وبعثت إليه زبيدة بأضعافِ ذلك.

وقال سعيد الآدم: قال لي الليث بن سعد: اكتب لي أسامي من يلازم المسجد وليس له بضاعةٌ ولا غلة، فأخذتُ القُنْداق[3] وكتبتُ فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، وفلان بن فلان، ولم أكتبِ شيئاً، ثم نمت، فأتاني آتٍ في منامي فقال: ويحكَ يا سعيد، تأتي إلى قومٍ عاملُوا الله سرًّا فتكشفهم لآدميّ؟ مات اللَّيث

---

(١) في حلية الأولياء ٧/ ٣٢٢: إلا ديناراً.

(٢) في حلية الأولياء ٧/ ٣٢٣ أنه قرأ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن].

(٣) القُنْداق: صحيفة الحساب. لسان العرب (قندق).

ومات شعيب، أليس مرجعُهم إلى الذي عاملوه؟ فقمت من منامي وبكيت بكاءً شديداً، فلما طلعَ الصباح دخلتُ على الليث والقنداق في يدي، فلمَّا رآني تهلَّل وجهُه، فناولتُه القنداق، وليس فيه شيءٌ سوى البسملة فقط، فقال لي: ما الخبر؟ فأخبرته، فصاح صيحةً عظيمةً، بحيثُ اجتمع عليه الخلق، ثم غشي عليه، ثم أفاقَ وهو يبكي ويقول: صدق؛ مات الليث، ومات شعيب، أليس مرجعهم إلى الذي عاملوه[1]؟ وكان سعيدٌ من الأبدال.

ذكر وفاته:

مات في شعبان لأربعَ عشرة خلت منه سنة خمس وسبعين ومئة، وقيل: سنة أربعٍ وسبعين، وبلغ اثنتين وثمانين سنة.

أسند عن خلقٍ من التابعين حتى قيل: إنَّه أدرك نيِّفاً وخمسين من التابعين، وروى عنه جمٌّ غفير، وأثنى عليه الأئمة.

وقال الشافعيُّ رحمه الله: ما فاتني أحدٌ تأسَّفت عليه مثل ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبي ذئب.

واتفقوا على صدقِه وأمانتِه وثقته وفضله وزهده وكرمه، حتى قال الإمام أحمد رضي الله عنه: كانَ الليثُ كثيرَ العلم، صحيحَ الرواية، ثبتاً ثقةً. وكان يفضِّله على أقرانه من الأئمة.

واجتمعَ الليثُ بالمنصور في البيت المقدس، فقال: الحمدُ الله الذي جعلَ في رعيَّتي مثلك، ولقد سرَّني ما رأيت من سداد عقلك، وإني أريدُ أن أقلِّدك مصر، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي من الموالي، وأنا ضعيف، قال: فأشر عليَّ لمن أقلدها؟ فقال: لعثمان بن الحكم الجُذَامي، له صلاحٌ وعشيرة، فبلغ ذلك عثمان، فعاهدَ الله أن لا يكلِّم الليث، فلم يكلِّمه حتى مات رحمة الله تعالى عليه.



(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٥٣٤، وتاريخ دمشق ٦٠/ ٩٩، وليس فيهما أنه غشي عليه.

السنة السادسة والسبعون بعد المئة

فيها ظهر يحيى بنُ عبد الله بن حسن بن حسن بالدَّيلم، وقويت شوكتُه، واستفحلَ أمره، وجاءه الناس من الأمصار، فاشتدَّ ذلك على هارون، فجهَّز إليه الفضلَ بن يحيى ابن خالد، وولَّاه طبرستان وإرمينية وأذْرَبيجان ودنباوند والجبال، فسارَ في خمسين ألفاً من صناديد القوَّاد(١) ، ومعه الأموال والخزائن، وخرج إليه الشعراء والقصَّادُ، فأعطاهم فأكثر، وسارَ إلى الديلم، وكاتب يحيى ورفق به واستمالَه وناشدَه الله في نفسه، وحذَّره ما جرى على أهله، ونزلَ الفضل بالطالقان، والرسلُ تتردَّدُ بينه وبين يحيى، وجعل الفضل يكاتبُ صاحبَ الديلم، وجعلَ له ألفَ ألف درهم؛ على أنْ يُسهِّلَ خروجَ يحيى إلى ما قبله، وحُمِلت إليه، فأجابه يحيى إلى الصلح، على أن يكتبَ له هارون كتاباً بخطّه، فكتب [الفضل بن] يحيى إلى هارون، فسُرَّ بذلك وأجابَه، وكتبَ الكتاب بخطه، وأشهدَ عليه القضاةَ والفقهاءَ وجِلَّة بني هاشم وأشرافهم، كعبد الصمد ابن عليّ، والعباس بن محمد، [ومحمد](٢) بن إبراهيم، وموسى بن عيسى وأشباههم، ووجَّه به مع هدايا وألطاف، وعَظُم موقعُ الفضل عنده، فلمَّا وصل الكتاب إلى الفضل بعثَ به إلى يحيى، فقدمَ عليه يحيى، فقدمَ به إلى بغداد، فلقيهُ الرشيدُ بكلِّ ما أحبّ، وأمرَ له بمالٍ كثيرٍ، وأنزلَه في منزل يحيى بن خالد، وأمرَ الناس بالتسليم عليه، وأكرمَه الرشيدُ غايةَ الإكرام، فقال مروان بن أبي حفصة: [من الطويل]

ظَفِرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ برمكيَّةٌ ... رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذي بين هاشمِ
على حينَ [أعيا] الرَّاتقينَ التئامُه ... فكَفُّوا وقالوا ليسَ بالمُتلائمِ
فأصبحْتَ قد فازتْ يداكَ بخُطَّةٍ ... من المَجْدِ باقٍ ذكرُها في المواسمِ

من أبيات.

وقال أبو ثُمامة: [من الكامل]

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٢ : في خمسين ألف رجل، ومعه صناديد القواد.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣.

لـلـفـضـلِ يـومُ الـطَّـالـقـانِ وقـبـلَـهُ يــومٌ أنــاخَ بــه عــلــى خــاقــانِ
مـا مـثـلُ يـومَـيْـه الـلـذيـنِ تـوالـيـا فــي غــرزتــيــن تــوالــيــا سـيَّـانِ[1]
سـدَّ الـثـغـورَ وسـدَّ[2] ألـفـة هـاشـم بـعـد الـشَّـتـاتِ فـشَـعْـبُـهـا مُـتـدانِ
عـصـمَـتْ حـكـومـتُـه جـمـاعـةَ هـاشـمٍ مــن أن يــجـرَّدَ بـيــنـهـا سـيـفـانِ
تـلـكَ الـحـكـومـةُ لا الـتـي مـن أجـلـهـا عـظُـم الـمِـرَا وتـفـرَّق الـحـكـمـانِ

فأعطاه الفضل مئة ألفِ درهم.

ولما قُدِم بيحيى من الديلَم قال له عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن: يا عمّ، أخبرني خبرَك، فقال: يا ابن أخي، والله إنْ كنتُ إلَّا كما قال حُيَي بن أخطب: [من الطويل]

لـعـمـرُك مـا لامَ ابـنُ أخـطـبَ نـفـسَـهُ ولــكــنَّــه مــن يــخــذُلِ الله يُــخــذَلِ
يـجـاهـدُ حـتَّـى أبـلـغَ الـنـفـسَ عـذرَهـا وقـلـقـلَ يـبـغـي الـعـزَّ كـلَّ مُـقَـلـقـلِ

ثم إن الرشيد غضب على يحيى بن عبد الله وقيَّدَه وكبَّله بالحديد بعد الأيمانِ والمواثيق.

وفيها هاجت الفتنة بالشام بين النزاريَّة واليمانية، ورأسُ النزارية أبو الهيذام، وكان عاملُ الرشيد على الشام موسى بن عيسى، وقُتِل من الفريقين جماعةٌ كثيرة، فولَّى الرشيدُ موسى بن يحيى بن خالد، فسار إليها في القوَّاد والعساكر فأصلحَ بينهم، وأقدَمهم بغداد، فردَّ الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى بن خالد، فعفا عنهم، فقال إسحاق ابن حسان الخُريمي[3] من أبيات: [من الكامل]

فـلـكـل ثـغـرٍ حـارسٌ مـن قـلـبـهِ وشـعـاعُ طَـرْفٍ مـا يُـفَـتَّـرُ سـامـي
حـتـى تَـنَـخْـنَـخَ ضـاربـاً بـجِـرَانِـه ورَسَـتْ مَـراسـيـهِ بـدارِ سـلامِـي

وفيها عزلَ الرشيدُ موسى بن عيسى عن مصر، وولَّاها جعفر بن يحيى بن خالد.

وسببُه أنَّ الرشيد بلغه أنَّ موسى بن عيسى يريد أن يخلعه، فقال: والله لا عزلتُه إلَّا

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣: في غزوتين توالتا يومان.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٤٣: وردَّ.
(٣) في (خ): الحرمي. وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٥١: الخزيمي. والمثبت هو الصواب. انظر تبصير المنتبه ٢/ ٥٠٠.

بأخسّ مَن على بابي، فقال لجعفر بن يحيى: ولِّ مصر أحقر من على بابي وأخسّ، فنظر، فإذا عمر بن مِهْران كاتب الخيزران، وكان مشوَّه الخلقة، يلبس ثياباً خسيسة، ويركبُ بغلاً ويردفُ غلامه خلفه، فقال: أتولّي مصرَ على أن يكون إذني إذا صلحت البلاد، فقيل له: نعم، فسار، فدخلَها، وخلفَه غلامٌ على بغل الثقل[١]، فقصدُوا دار موسى بن عيسى، فجلسَ في أُخرياتِ الناس، فلمَّا تقوَّضَ المجلسُ قال له موسى: ألكَ حاجة؟ فرمى إليه بالكتاب. قال: لعن الله فرعون حيثُ قال: أليسَ لي ملك مصر، ثم سلَّم إليه مصر، فمهَّدهَا ورجعَ إلى بغداد وهو على حاله.

وفيها عزل الرشيدُ الغطريفَ بن عطاء عن خُراسان، وولَّاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وكان حمزةُ يلقَّب بالعروس[٢].

وفيها عقدَ الرشيدُ لابنه عبد الله المأمون العقدَ بعد أخيه الأمين، وولَّاه المشرق، وكتب بينهما كتاباً، وعلَّقه في الكعبة[٣].

وحجَّ بالناسِ سليمان بن المنصور، وحجَّت في هذه السنة زُبيدة، وأمرت ببناءِ المصانع والبرك.

فصل وفيها توفِّي

إبراهيم بنُ صالح

ابنِ عليِّ بنِ عبد الله بن عباس.

وليَ دمشق وفلسطين ومصر للمهدي، والجزيرةَ للهادي، وكان من وجوهِ بني العباس، وكان جواداً ممدحاً، وفدَ عليه عبَّاد بن عبَّاد الخوَّاص، فقال له: عظني، فقال: إنَّ أعمالَ الأحياءِ تُعْرَضُ على أقاربهم من الموتى، فانظرْ ماذا يعرضُ على رسول الله ﷺ من عملك، فبكَى إبراهيمُ حتى سالت دموعُه على لحيته[٤].

---

(١) نص الكلام ـ كما في تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٣ ـ : فدخل عمر بن مهران مصر على بغل، وغلامه أبو دُرَّة على بغل ثقل.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ١٩.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ (مخطوط).

إبراهيم بن علي

ابن سَلمة بن عامر بن هَرْمة، أبو إسحاق الفهريُّ الشاعر.

كان الأصمعي يقول: خُتِمَ الشعرُ بابن هَرْمة، هو آخر الحُجَج.

وقدم رجلٌ من أهل الشام المدينة، قال: فأتيتُ منزل ابن هَرْمة، فإذا ببنيةٍ له صغيرة تلعبُ بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا به علمٌ منذ زمن. قال: فقلت: أنا ضيفُك فانحري لي ناقةً، قالت: والله ما عندنا ناقة. قلت: فشاة، قالت: لا والله ما عندنا شاة. قلت: فدجاجة، قالت: والله ولا دجاجة. قلت: فبيضة، قالت: والله ولا بيضة. قلت: فباطل ما قال أبوك: [من المنسرح]

كم ناقة قد وجأتُ منحرَها ... بمُستَهل الشؤبوبِ أو جَمَلِ

قالت: فذاك الفِعال من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليسَ عندنا شيء[1].

صالح بن بشير القارئ

أبو بشر، من الطبقة الخامسة من أهل البصرة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت إذا ذكرتُ صالحاً المُرِّي لسفيان الثوري يقول: القَصص القصص، كأنَّه يكرهه، وكانت إذا كانت له حاجةٌ بكَّر فيها، فبكَّر يوماً وبكَّرتُ معه، فجعلتُ طريقنا على مسجد صالح، فقلت: يا أبا عبد الله، ندخلُ فنصلِّي في هذا المسجد، فدخلنَا فصلَّينَا، وكان يوم مجلس صالح، فلمَّا صلَّوا ازدحم الناس، فبقينا لا نقدرُ أن نقوم، وتكلَّم صالح، فبكَّى سفيان بكاءً شديداً، فلمَّا فرغَ وقام قلت له: يا أبا عبد الله، كيف رأيتَ هذا الرجل؟ فقال: ليس هذا بقاصّ، هذا نذير قوم.

وقال عفان بن مسلم: كنَّا نأتي مجلسَ صالح وهو يقصّ، وكان إذا أخذ في قَصصه كأنَّه رجلٌ مذعورٌ من كثرة حزنه وبكائه، يفزعكَ أمرُه، كأنَّه ثكلى، وكان شديدَ الخوف من الله تعالى، كثيرَ البكاء.

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٦ ـ ٥٠.

وكان صالح يقول: للبكاء دواعٍ؛ الفكرة في الذنوب، فإن أجابت القلوب، وإلَّا نقلتَها إلى الموقف وتلك الشدائدِ والأهوال، فإنْ أجابت إلى ذلك، وإلَّا فاعْرِض عليها التقلُّبَ في أطباق النيران، ثم صاح وغُشِيَ عليه، وتصايحَ الناس من نواحي المجلس.

وعزَّى رجلاً على ابنه فقال: لئن كانت مصيبتك[1] لم تُحدِث لك موعظةً من نفسك، فمصيبتك في نفسك أعظمُ من مصيبتك في ابنك.

وأقدمه المهديُّ إلى بغداد، فدخلَ عليه وهو راكبٌ على حِماره إلى بساط المهدي، فقال لولديه موسى وهارون ـ وهما وليا العهد ـ: قوما إلى عمِّكُما فأنزلاه، فلمَّا انتهيَا إليه، أقبلَ صالح على نفسه وقال: ويلك يا صالح، لقد خبتَ وخسرتَ إنْ كنت عملتَ لهذا اليوم.

وقال صالح: جاورتُ بمكَّة، فبينا أنا بالمسعى إذا برجلٍ قابضٍ على يد جارية حبشيَّة، وهو ينادي عليها: هل من زائدٍ على عشرة دنانير، مع البراءة من كل عيب؟ فنظرتُ إلى جاريةٍ مغمضة العينين، وعليها أنوار المعرفة، فقلت: وما عيبُها؟ قال: لا تأنسُ بأحدٍ، وتصومُ النهار، وتقوم الليل، وتبكي دائماً، فقلتُ في نفسي: ما أحسنَ هذه العيوب، فاشتريتُها، وأتيتُ بها المنزل، فلمَّا استقرَّ بها الجلوس فتحت عينها وقالت: يا سيدي الصغير، من أنت؟ قلت: من العراق، قالت: مرحباً وأهلاً معدن الزهاد والعُبَّاد، قلت: فمن تعرفين منهم؟ قالت: أعرفُ بشراً الحافي ومعروفاً الكرخي ورابعة العدوية، وعدَّدت جماعةً، قلت لها: وكيف عرفتيهم؟ قالت: ها أؤلئك هم الأدلَّاء وأطبَّاء القلوب، فكيف لا أعرفهم؟ ثم قالت: فما الاسم؟ قلت: صالح، قالت: أبو بشر القارئ؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أشوقني إلى لقائك، أسألك بالله أن تقرأ عليّ، فأخذتُ في الاستعاذة، فما أتممتُها حتى غُشي عليها، ثم أفاقت، فقالت: اقرأ، فقرأتُ البسملَة، فغُشي عليها، فلمَّا أفاقت قالت: هذا على الصفة، فكيف على المعاينة؟ ثم قرأتُ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ الآيات [غافر: ٧١ ـ ٧٢]، فقامت قائمة وصاحت: ولم هذا،

(١) في (خ) مصيبته. والمثبت من صفة الصفوة ٣/ ٣٥١.

وما قبَّلنا صليباً ولا شددنا زناراً، ومن قبل أن يُقْذَف بنا في بطون أمهاتنا وأصلابِ آبائنا اعترفنَا لك بالتوحيد؟ ثم قرأتُ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ فصاحت: وأين شفيعُ الكلِّ عنهم؟ ثم غُشي عليها، فلمَّا أفاقت قالت: اقرأ، فقرأت: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ فقالت: أي وحياتك، تعبُوا قليلاً، واستراحوا طويلاً، ثمَّ بكَتْ وقالت: يا سيدي الصغير، ألكَ حاجةٌ إلى سيِّدي الكبير؟ قلت: لا تفعلي، ودعيني أتلذَّذُ بخدمتك، فقالت: لابدّ، قد اشتقتُ إليه، ثم مدَّت يديها ورجليها واستقبلَت القبلة وماتت.

وتوفِّي صالحٌ سنة ست وسبعين، وقيل: اثنتين وسبعين ومئة.

أسند عن الحسن وابن سيرين وغيرهما، وخلق كثيرٍ من التَّابعين، ورَوى عنه عفَّان ابن مسلم، واتفقوا على زهده وورعه وصلاحه.

وكان صالح مولًى لامرأةٍ من بني مُرَّة، فأعتقته، وكان حسن الصوت بالقراءة، واسم أم صالح ميمونة، خراسانية[(١)].

يحيى بن عبد الله

ابن حسن بن حسن بن علي عليه السلام، من الطبقةِ الخامسة من أهل المدينة.

قال محمد بن سماعة: بعث الرشيدُ إلى محمد بن الحسن والحسن بن زياد، فدخلا عليه، وأتي برجلٍ من آل أبي طالب يقال له: يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن، وأحضرَ السيفَ والنِّطعَ، والطالبيُّ يناشدُه الله ويقول: أينَ أمانُكَ؟ فأمرَ بدفع كتابه إلى محمد بن الحسن، فتأمَّله وقال: أمانٌ صحيح ـ يرفَعُ بها صوته ـ ودَمُ هذا الرجل حرام، فتغيَّر وجهُ هارون وقال: هذا أمانٌ لم أكتبه، وإنما أمرتُ من كتبه، وأنت تقول: إذا أمرَ إنسانٌ إنساناً أن يَكتبَ كتاباً لم يلزمه حتى يكتبَه بنفسه، فقال محمد: إذا كان الأمرُ من العامَّة فنعم، وإن كان من الخاصَّة لزمَه ويحنث؛ لأنَّ كتابَ السلطان هو ما كُتِبَ بأمره، فقال له هارون: إنَّما يقوِّي هذا وأمثالَه في الخروج علينا أنت وأمثالُك، ثم رَمى محمداً

---

(١) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٦/ ١٦٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٥، والمنتظم ٩/ ٢٤، وصفة الصفوة ٣/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ١٦.

بالدواة فشجَّه، فسالَ الدمُ على وجهه، فقال محمد: دمُه حرام، دمُه حرام، فرمَى بالكتاب إلى الحسن بن زياد، فنظرَ فيه وقال بصوت خَفيّ: أمانٌ صحيح، ودخلَ أبو البختري القاضي، فرمى إليه هارون بالكتاب، فنظرَ فيه، وقال: ليس هذا بأمانٍ صحيح، ودمُ هذا حلال، فاقتله ودمُه في عنقي، فصاح الطالبيُّ: يا هارون، يقول لك محمد والحسن، وهما عالما الدنيا: هذا أمان صحيح، ولا تقبلُ منهما، ويقول لك هذا الفاسق الكذَّاب المدَّعي نسباً لم يقره أبوه عليه وتسمعُ منه؟! وأمر هارون بقتل الطالبيِّ فقتل، وقام محمدٌ فخرج، قال الحسن بن زياد: فجعلَ يبكي في الطريق وينتحب، فقلت: أتبكي من الشجَّة؟ فقال: لا والله، بل على قربي منهم وتقصيري في حقِّ الطالبيّ، وحيث لم أحقق في الحال فيه مع أبي البختري، قال: فقلت: لقد قمتَ مقاماً لم يقم أحدٌ على وجه الأرض أشرفَ منه.

وقال ابن سعد: يحيى[١] رجعَ إلى المدينة، ومات بها، وأمه قُرَيبة بنت ركيح[٢] بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد، فولدَ يحيى محمداً، وأمُّهُ خديجة بنت إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد[٣] الله بن معمر.



(١) في (خ): بن يحيى. وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١.

(٢) في (خ): رابح. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١، ونسب قريش ص٥٤.

(٣) في (خ): عبد الله. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤١، ونسب قريش ص٥٥ .

السنة السابعة والسبعون بعد المئة

فيها غزا الصائفة عبدُ الرزاق بن عبد الحميد التغلبي.

وولَّى هارون مصرَ إسحاقَ بن سليمان بن علي، وعزل عنها جعفر بن يحيى، وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولاها الفضلَ بن يحيى مع سجستان والري.

وهبَّت ريحٌ شديدةٌ، وجاءت ظلمةٌ عظيمةٌ فيها حمرة، وذلك ليلةَ الأحد لأربع بقين من المحرَّم، ثم عادت ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا منه، ثم عادتْ لليلة خَلَتْ من صفر[(١)].

وتحرَّكت الخوارجُ على هارون بالجزيرة.

وحجَّ هارونُ بالنَّاس.

شَريك بن عبد الله

ابن أبي شريك، أبو عبد الله القاضي النخَعيّ، من الطبقةِ السادسة من أهل الكوفة.

قال: كنت أضربُ اللبنَ بالكوفة، وأشتري دفاترَ أكتب فيها العلم.

وقال: أُكرِهتُ على القضاء، فقال له بعض أصحابه: أفأُكرِهت على أخذ الرِّزق.

وحجَّت الخيزران وهو على الكوفة، فخرجَ يتلقَّاها، فأبطأت عليه، فأقامَ بمكان يقال له شاهي، ويبسَ خبزُه، فجعل يبلُّه بالماء ويأكله، فقال العلاء بن المنهال: [من الوافر]

فإن كان الذي قد قلت[(٢)] حقًّا ... بأنْ قد أكرهوكَ على القضاءِ
فما لك مُوْضِعاً في كلِّ يوم ... تلقَّى من يحجُّ من النِّساءِ
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً ... بلا زادٍ سوى كِسَرٍ وماء

ولما ولي شريكٌ القضاءَ أُكرِهَ على ذلك، وأُقْعِدَ معه جماعةٌ من الشُّرَط، ثم طابَ الشيخ من نفسه فقعد وحدَه، وبلغَ سفيان الثوريّ، فجاءَ فتراءى[(٣)] له، فلمَّا رآهُ قام له

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٥، والمنتظم ٩/ ٢٩، والكامل ٦/ ١٤٠.

(٢) في (خ): كنت. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩١.

(٣) في (خ): فتزايا. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٢، والمنتظم ٩/ ٣١.

وأكرمَه وعظَّمه، وقال: يا أبا عبد الله، هل من حاجة؟ قال: نعم مسألة. قال: أوليسَ عندك من العلم ما يُجزيك؟ قال: أحببتُ أن أذكرك فيها. قال: قل. قال: ما تقولُ في امرأةٍ جاءت فجلسَت في باب رجل، ففتح الرجلُ البابَ واحتملَها فأدخلها وفجرَ بها، على من يجب الحدُّ منهما؟ فقال: على الرجل دونها. قال: ولم؟ قال: لأنها مكرهة. قال: فلمَّا كان من الغد جاءت فتزيَّنت وتطيَّبت وجلست على الباب، ففتحَ الرجلُ الباب واحتملَها ففجرَ بها، على من الحد؟ قال: عليهما جميعاً. قال: ولم؟ قال: لأنها جاءت بنفسها وقد عرفت الخبرَ بالأمس. قال: وأنت كذا، كان عذرُك واضحاً حيث كان الشُّرَط يحفظونَك بالأمس، أيُّ عذرٍ لك اليوم؟ فقال: يا أبا عبد الله، اسمع أكلمك، فقال سفيان: ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب، فلم يكلِّمه حتى مات.

وكان سفيان الثوري يقول: أي رجل هو لو لم يفسدوه!

وكان لا يجلس للقضاء حتى يتغدَّى، ثمَّ يأتي المسجد فيصلِّي ركعتين، ثم يخرج من جيبه رقعةً فينظر فيها، وفيها مكتوب: ويحك يا شريك، اذكر الصراط ودقَّته، والوقوفَ بين يدي الله تعالى.

وقال عمر بن الهيَّاج(١) : أتت امرأةٌ شريكاً وهو في مجلسِ الحكم، فقالت: أنا بالله، ثمَّ بالقاضي، أنا امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ، قال: وما الذي بك؟ قالت: ظلمَني الأمير موسى بن عيسى، وكان لي بستان على شاطئ الفرات، فيه نخلٌ، ورثتُه عن آبائي، فقاسمتُ إخوتي، وبنيتُ بيني وبينهم حائطاً، وجعلتُ فيه فارسيًّا في بيت يحفظُه، ويقوم بالبستان، فاشترى الأميرُ من إخوتي حصَّتهم، وساومني في حصَّتي فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعثَ بخمس مئة فاعل، فقلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرفُ من نخلي شيئاً، واختلطَ بنخلِ إخوتي، فقال: يا غلام، طينة فختم، ثمَّ قال لها: خذي هذه واذهبي إلى بابه حتى يحضُر معك، فجاءت المرأةُ إلى بابه بالطينة، فأخذها الحاجبُ ودخلَ بها إليه وقال: أَعْدَى شريكٌ عليك، فدعا بصاحبِ شرطته وقال له: امضِ إلى شريك وقل له: سبحان الله،

(١) في (خ): الصباح. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٥.

امرأةٌ ادَّعت بدعوى ولم تصح، أعديتَها عليّ؟ فقال: إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امضِ إليه ويلك، فقام وأمرَ غلمانَه أن يتقدَّموه إلى الحبس بفراشٍ وما يحتاجُ إليه، ثم جاءَ فوقفَ بين يدي شريك وقال: الأمير يقول لك: يا سبحان الله، ما رأيتُ أعجبَ من أمرك، وأدَّى الرسالة، فقال: يا غلام، خذ بيده واحملهُ إلى الحبس، فقال: قد عرفتُ والله أنَّك تفعل بي هذا، فقَدَّمت إلى الحبس ما يصلحني، وبلغَ موسى ابن عيسى، فأرسلَ الحاجب إلى شَريك يقول: هذا رسول أيشٍ عليه؟ فلمَّا جاء الحاجب وأدَّى الرسالة قال: ألحقُوه بصاحبِه، فحُبِس، فلمَّا صلى الأمير العصرَ بعث إليه بإسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعةٍ من وجوه أهل الكوفة من أصدقاء شَريك، وقال: امضوا إليه فأبلغوه السَّلام، وقولوا له: إنَّ هذا ليس كالعامة، وقد استخفَّيت به، فجاؤوا إليه وأبلغوه السلامَ والرسالةَ. قال: من هاهنا من فتيان الحيِّ، فليأخذ كلُّ واحدٍ بيد واحد إلى الحبس، قالوا: جادٌّ أنت؟ قال: إي والله؛ لئلَّا تحملُوا رسالةَ ظالم، فحُبِسوا.

فركبَ موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبسِ، فأخرجَهم جميعاً، فلمَّا كان من الغد جاء السجَّان إلى شَريك فأخبره، فختم قمطره وقال: يا غلام الحقني به إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولقد أكرهونَا عليه، وضمنُوا لنا الإعزازَ فيه، وركبَ بغلتَه ومضى حتى بلغ القنطرة، فبلغَ موسى فركبَ في موكبه ولحقَه، وجعلَ يناشده الله؛ يا أبا عبد الله، تثبَّت تحبسُ إخوانك! دعهم واحبس أعواني، فقال: إنَّما حبستُهم حيث مشوا في الظلم، والله لا أرجعُ حتى تردَّهم جميعاً إلى الحبس، فوقفَ مكانه حتى ردَّهم جميعاً إلى الحبس، ثم قال شريكٌ لأعوانه: خذُوا بلجامِ بغلةِ موسى إلى مجلس الحكم، فأخذُوا بلجامِه، وأتى المسجد فدخل وجلس للحكم، وقال: أين المتظلمة؟ فحضرت، فسوَّى بينهما في المجلس وقال: هذا خصمُك قد حضرَ، وهو جالسٌ معها بين يديه، فقال: أولئكَ يخرجونَ من الحبس قبل كلِّ شيء، قال شريك: أمَّا الآن فنعم، ثم قال: ما تقولُ فيما تدَّعيه هذه؟ قال: صَدَقَتْ. قال: فتردُّ عليها بستانها؟ قال: نعم. قال: وتعيدُ حيطانَها كما كان؟ قال: نعم أفعل، فقالت المرأة: وبيتُ الفارسي تبنيه، وتردُّ قماشه؟ قال: نعم. فقالت لشريك: جزاك الله من قاضٍ

خيراً، فقال لها: هل بقي شيء؟ فقالت: لا، فقام شريك من مجلسه، وأخذ بيد موسى، وقال: السلام عليك أيُّها الأمير، وأجلسَه معه، وقال: أتأمُرُني بشيء، فضحكَ موسى: وأيّ شيء آمر؟! وانصرفَ[(١)].

وقال عمر بن الهيَّاج: كنت في صحابة شَريك، فأتيتُه يوماً، فخرج إليَّ في فروٍ وليس تحتَه قميص، وعليه كساء، فقلت له: قد أصبحت[(٢)] عن مجلس الحكم! فقال: غسلتُ أمس ثيابي، فلم تجفّ، وأنا أنتظرُ جفافها، اجلس، فجلستُ وجعلنا نتذاكرُ باب العبد يتزوَّجُ بغير إذن مولاه، ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران قد وجَّهت على الطِّراز رجلاً نصرانيًّا، وكتبت إلى موسى بن عيسى: لا تعصي له أمراً، فكان مطاعاً بالكوفة، وإذا بالنصرانيِّ قد خرجَ من زُقاقٍ، وبين يديه أعوانه وعليه جبَّةُ خزٍّ وطيلسان خَزٍّ، وهو على برذونٍ فاره، وبين يديه رجل مكتوفٌ وهو يصيح: واغوثاه بالله، أنا رجل مسلم، أنا بالله وبالقاضي، وإذا آثارُ السياط في ظهره، فصاحَ شَريك بالنصرانيِّ: دعه، فنزل وجاء، فجلس إلى شريك، فقال شريك للمسلم: ما الذي بك؟ فقال: أنا رجل أعمل الوَشيَ، وكراءُ مثلي في الشهر مئةُ درهم، أخذَني هذا فحبسني أربعةَ أشهر في طراز، وقد ضاعَ عيالي، ولم يعطني شيئاً، وطلبتُ منه اليوم أجرتي، فمدَّني وضربني[(٣)]، وكشف عن ظهره، فإذا فيه آثار السياط، فقال شريك للنصراني: قم فاجلس مع خصمك، فقال: يا أبا عبد الله، أصلحكَ الله أنا خادم السيدة، مُرْ به إلى الحبس، فقال له: قم ويلك فاجلس مع خصمِك، فقام فجلسَ معه، فقال شريك: ما هذه الآثار التي في ظهره؟ فقال: أنا ضربتُه بيدي، فألقى شَريكٌ كساءه فدخل دارَه وأخرج سوطاً ربذيًّا، ثم ضربَ بيده إلى مجامع ثوب النصرانيّ، فألقاه، ثم جعل يضربُه بالسوط ويقول: والله لا ضربتَ بعدها مسلماً، فهمَّ أعوانُه أن يخلِّصوه، فقال شريك: مَنْ هاهنا من صبيان الحي، خذوا هؤلاء إلى الحبس، فهربوا، والنصرانيُّ يبكي ويعصر عينيه، والسوط يأخذه، ويقول: يا ملعون، والنصرانيُّ يقول: ستعلم، ثم ألقَى السوط

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

(٢) كذا في (خ)، وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٤ : أضحت، وفي أخبار القضاه ٣/ ١٦٩ أضحيت.

(٣) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٤، وأخبار القضاه ٣/ ١٦٩ : فأفلتُ اليوم منه، فلحقني ففعل بظهري ما ترى.

من يده في الدهليز وقال: يا أبا حفص، خُذْ فيما كنَّا فيه، ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مولاه؟ كأنَّه لم يصنع شيئاً، وقام النصرانيُّ إلى برذونه ليركبَه، فاستعصَى عليه، ولم يكن أحدٌ يأخذ بركابه، فجعلَ يضربُه وشريك يقول له: ويحك ارفق به، فإنَّه أطوعُ لله منك، فقلت له: سيكون لهذا عاقبةٌ مكروهةٌ، فقال: أَعِزَّ أمرَ الله يعزُّكَ الله.

ودخل النصرانيُّ على موسى بن عيسى فقال: من فعل بك هذا؟ فقال: شريك، فقال: لا والله ما لي على شَريك اعتراض، ولا أتعرَّض له بشيء، ومضى النصراني من فوره ذلك إلى بغداد فلم يعد.

وقال الأصمعيّ: كان الربيع يحملُ المهديَّ على شَريك، ويقول: هو فاطميّ، فدخلَ شريك يوماً على المهدي، فقال له: يا أبا عبد الله، أنتَ فاطميّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أُعيذُك بالله أن تكونَ غيرَ فاطميّ، فقال: معاذ الله، والله إنَّني أحبُّ فاطمة بنت محمد ﷺ، قال: ما تقول فيمن يبغضها؟ قال: لعنه الله، قال: فهذا يبغضها، وأشار إلى الربيع، فقال الربيع: لا والله، فقال شريك: ماجن فلم تذكرُ سيدةَ نساءِ العالمين في مجالس الرجال، فقال المهدي: أنت والله يا أبا عبد الله خيرٌ من الذي حملنِي عليكَ[١].

وقال المهدي: يا شريك خنتَ في مال الله، فقال: يا أمير المؤمنين لو خنتُ فيه لأتاكَ سهمك.

ودخلَ شريك على المهديّ، فقال: لا ينبغي لمثلك أن يقلَّد الحكم بين المسلمين، قال: ولم؟ قال: لخلافِك الجماعةَ وقولِك بالإمامة، فقال: أما قولك: إنَّني أخالفُ الجماعةَ، فعنهُم أخذتُ ديني، فكيف أخالفُهم؟ وأما قولك: لا ينبغي أن أقلَّدَ الحكم بين المسلمين فهذا أمرٌ ما طلبتُه، أنتم فعلتموه، فإنْ كان خطأً فاستغفرِ اللهَ منه، وإنْ كان صواباً فأمسكوا عليه. قال: فما تقول في عليّ؟ قال: ما قال فيه جدُّك العباس وابنه عبدُ الله، قال: فما قالا فيه؟ قال: أما العباس فمات وعليٌّ عنده أفضلُ الصحابة، وقد كان يرى كبراءَ المهاجرين يسألونَه عن النوازل، وما احتاج إلى أحدٍ قط، وما زالوا

(١) انظر الخبر بأوضح مما هنا في العقد الفريد ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

محتاجين إليه، حتى لحقَ بربِّه، وأما عبد الله فكان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حُروبه كلِّها رأساً متَّبعاً، وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامةُ عليٍّ جوراً لكانَ جدُّك أول من بعد عنها؛ لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله، فأطرقَ المهديُّ ولم يجبه.

ذكر سبب عزله:

تقدَّم إليه وكيلٌ لمُؤنسة جاريةِ المهدي مع خصم له، فجعلَ الوكيلُ يستطيلُ على خصمه إدلالاً بمكانه من مؤنسة، فقال له شريك: كُفَّ لا أبا لك، فقال: إليَّ تقول هذا وأنا وكيلُ مؤنسة؟ فأمر به فضرب عشر درر[(١)]، وبلغَ مؤنسة فقالت للمهدي: لا أنا ولا شريك، فعزلَه.

ذكر وفاته:

توفِّي بالكوفة يوم السبت مستهلَّ ذي القعدة سنة سبعٍ وسبعين ومئة، فشهدَ جنازته موسى بنُ عيسى وصلَّى عليه.

أسندَ شريك عن خلقٍ كثيرٍ من التابعين، ورَوى عنه ابن المبارك وغيره، وقد تكلَّموا فيه، فقال ابن سعد: كان شريك ثقةً مأموناً كثير الحديث، إلَّا أنَّه كانَ كثير الغلط[(٢)].

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: كان شريك من كبارِ العلماء الثقات، إلَّا أن قوماً قدحُوا في حفظه[(٣)].

وقال ابن المبارك: شريك أحفظُ بحديث الكوفيين من سفيان الثوري.

وقد أخرجَ عنه البخاريُّ ومسلم[(٤)].



---

(١) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٧ : عشر صفعات.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٠٠.

(٣) المنتظم ٩/ ٣٠.

(٤) قال المزي في تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٥ : استشهد به البخاريُّ في الجامع، وروى له في «رفع اليدين في الصلاة» وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون.

السنة الثامنة والسبعون بعد المئة

فيها سار الفضل بن يحيى بن خالد إلى خراسان عاملاً عليها لهارون، فأحسنَ السيرةَ بها، وبَنى المساجدَ والرِّباطات، وغزا ما وراء النهر، وخرجَ معه جماعةٌ منهم مروان بن أبي حفصة، ومدحَه بمقطَّعاتٍ منها: [من الطويل]

ألم ترَ أنَّ الجود من عهد آدم تحدَّرَ حتى صارَ في راحةِ الفضلِ
إذا ما أبو العباسِ راحتْ سماؤُه فيا لكَ من هَطْلٍ ويا لكَ من وَبْلِ[١]

قال مروان: فاستفدتُ في سفرتي هذه سبع مئة ألف درهم[٢].

وخرج معه إبراهيم بن جبريل فولَّاه سِجستان، فجبى من الخراج أربعةَ آلاف ألف درهم، وعزلَها إبراهيمُ في ناحيةٍ من داره، وعملَ للفضل دعوةً عظيمة، وقدم له هدايا وألطافاً لم يقدِّمها غيرُه، فقال له الفضل: لم آتك لأسلبك نعمتك، وردَّ الجميع، ولم يأخذ غيرَ سوط، وقال: هذا من آلةِ الفرسان، فقال إبراهيم: هذا مالُ الخراج، يأمرُ الأميرُ من يحمله، وكان أربعة آلاف ألف درهم، فقال الفضل: أما لكَ بيتٌ يسعُه؟ فأعطاهُ إيّاه.

ولما وصل الفضلُ بغداد استقبلَه الرشيد وبنو هاشم، فجعل يصل للرجل بألف ألف وأكثر، وبخمس مئة ألف[٣].



(١) ديوان مروان بن أبي حفصة ص٩٢.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.
(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

السنة التاسعة والسبعون بعد المئة

فيها لَمَّا عاد الفضلُ بن يحيى من خراسان ولَّى هارونُ خراسان منصورَ بن يزيد بن منصور الحميريّ.

وعزل هارون محمدَ بن خالد بن بَرْمك عن حجابته، وقلَّدها الفضل بن الربيع.

وفيها رجع الوليد الشاري من إرمينية إلى الجزيرة، واشتدت شوكته، وكَثُر تبعُه، ومال الناس إليه، وخافَ هارون منه، وجهَّز إليه الجيوشَ مع يزيد بن مزيد الشيباني، وتقاتلا، فبيَّتهُ يزيد على غرَّةٍ فقتلَه وقتلَ معظم أصحابه، وانهزم الباقون، وكان الوليد من الزهَّاد شجاعاً جواداً، فقالت أخته الفارعة ترثيه ـ وقيل اسمها ليلى ـ : [من الطويل]

أيا شجرَ الخابور مالك مُورقاً ... كأنَّك لم تجزعْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يحبُّ الزادَ إلَّا من التُّقَى ... ولا المالَ إلَّا من قناً وسيوفِ
خفيفٌ على ظهر الجواد إذا غدا ... وليسَ على أعدائِه بخفيفِ[1]

وكان هارون قد خاف منه خوفاً شديداً، ونذرَ إن نجَّاه اللهُ منه أن يعتمرَ في تلك السنة، فاعتمرَ في شهر رمضان شكراً لله تعالى، فلمَّا قَضى عمرتَه انصرفَ إلى المدينة فأقام بها إلى زمان الحجّ، وفرَّق في الحرمين أموالاً، ثم حجَّ بالناسِ وخرج ماشياً من مكَّة إلى منى وعرفات، ونسكَ المناسك كلَّها ماشياً.

مالك بن أنس

ابن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث[2] بن غَيْمَان بن خُثَيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن حِمير، وعِدادُه في بني تَيْم بن مُرَّة من قريش إلى عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ، وكنيتُه أبو عبد الله، إمامُ دار الهجرة، من الطبقة السادسة من أهل المدينة.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٦١ دون البيت الأخير، وانظر القصيدة بتمامها في العقد الفريد ٣/ ٢٦٩.

(٢) في (خ): بن الحارث بن عمرو. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧٠، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٩١ ـ ٩٢.

قال محمد بن عمر: سمعتُ مالكَ بن أنس يقول: قد يكونُ الحملُ ثلاثَ سنين، وقد حُمِل ببعضِ الناس ثلاثَ سنين، يعني نفسه[١].

ذكر صفته:

كان طويلاً عظيمَ الهامة، أصلع أبيضَ الرأس واللحية، شديد البياض إلى الشُّقرة، وكان لباسُه الثياب العدنيَّة الجياد، وكان يكرهُ حلق الشارب، ويراه من المُثَل، وكان نقش خاتمه: حسبي الله ونعم الوكيل، فقيل له في ذلك، فقال: سمعتُ الله يقول عقيب هذه الآية: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وكان يتختَّم في يساره، ويحوِّلُه إلى يمينه حين يتوضَّأ من الغائط والبول، وكان فصُّه حجراً أسود، ونقشُه سطران.

وكان إذا دخلَ بيتَه أدخل رجلَه وقال: ما شاء الله، فقيل له في ذلك فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩] وجنته بيته.

وقال: ما أفتيتُ حتَّى شهدَ لي سبعون أنِّي أهلٌ لذلك، منهم ربيعة ويحيى بن سعيد[٢]، قيل: فلو نهوك، قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أنْ يرى نفسَه أهلاً لشيءٍ حتى يسألَ من هو أعلم منه.

وقال معن بن عيسى: كان مالك إذا أرادَ أن يحدِّثَ بحديث رسول الله ﷺ اغتسلَ وتبخَّرَ وتطيَّبَ، فإذا رفعَ أحدٌ صوتَه عنده قال: اغضض من صوتك؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفعَ صوتَه عند حديث النبيِّ ﷺ، فكأنَّما رفعَ صوتَه فوق صوتِ رسول الله ﷺ.

وقال ابن مهدي: سأل رجلٌ مالكاً عن مسألة، فقال: لا أحسنُها، فقال الرجل: قد ضَرَبْتُ إليك من كذا وكذا لأسألكَ عنها، فقال مالك: إذا رجعتَ إلى أهلك ومكانك فأخبرهم أنِّي قد قلتُ لك: ما أحسنُها.

وقال عبد الله بن المبارك: ما رأيتُ رجلاً ارتفعَ مثل مالك بن أنس، ليس له كثيرُ صلاةٍ ولا صيام، إلَّا أن يكون له سريرة[٣] صالحة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧٠.

(٢) في (خ): يحيى وابن سعيد. والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٣١٦.

(٣) في (خ): شهرة. والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٣٣٠، والمنتظم ٩/ ٤٤.

وقال محمد بن عمر: لما دُعِيَ مالك بن أنس، وشُوور، وسُمِعَ منه، وقُبِلَ قولُه، شَنِفَ الناس له، وحسدُوه، وبَغَوْهُ بكلِّ شيء، فلمَّا وَلِيَ جعفرُ بن سليمان على المدينة سَعَوْا به إليه، وكَثَّروا عليه عنده، وقالوا: إنَّه لا يرى أيمانَ بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذُ بحديثٍ رواه عن ثابت الأحنف في طلاق المكره أنَّه لا يجوز، فدعا جعفر بمالك، وقد غضب، واحتجَّ عليه بما رُقِيَ إليه عنه، ثم جرَّدَه ومدَّه وضربَه بالسياط، ومُدَّت يدُه حتى انخلَعَ كتفاه، وارتُكِبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعد ذلك في رفعةٍ من الناس، وعلوٍّ من قدره، وإعظام الناس له، وكأنَّما كانت تلك السِّياطُ التي ضُرِبها حُلِيًّا حُلِّيَ به.

وكان مالك يأتي إلى المسجد، ويشهدُ الصلوات والجمعة والجنائزَ، ويعودُ المرضى، ويقضي الحقوقَ، ويجتمعُ إليه أصحابُه في المسجد، ثم تركَ الجلوس في المسجد، وكان يصلِّي ثم ينصرفُ إلى منزله، وترك شهود الجنائز، فكان يأتي أصحابَها فيعزِّيهم، ثم تركَ ذلك كلَّه، فلم يكن يشهدُ الصلوات في المسجد ولا الجمعة، ولا يأتي أحداً يعزِّيه، ولا يقضي له حقًّا، واحتملَ الناسُ ذلك كلَّه له، وكانوا أرغبَ ما كانوا فيه وأشدَّه له تعظيماً حتى مات، وكان إذا تكلَّم في ذلك يقول: ليس كلُّ الناسِ يقدرُ أن يتكلَّم بعذرِه.

وكان يجلسُ في منزله على ضجاعٍ له، ونمارق مطروحة يمنةً ويسرةً في سائر البيت لمن يأتيه من قريش والأنصار والناس، وكان مجلسُه مجلسَ وَقارٍ وحِلْم، وكان مَهيباً نبيلاً، ليس في مجلسه شيءٌ من المراءِ واللغَطِ، ولا رفع صوت.

وكان له كاتبٌ اسمُه حبيب يقرأ عليه الحديث، وكان قد نَسخَ كتبَه، فكان يقرأُ للجماعة، وليس أحدٌ ممن يحضرُه يدنو ولا ينظر في كتابه ولا يستفهم؛ هيبةً لمالك(١).

ولَمَّا خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة لزمَ مالك منزله، فلم يخرج منه حتَّى قُتِل محمّد.

وقال زيد بن داود: رأيتُ في المنام كأنَّ القبرَ انفرجَ، وإذا رسول الله ﷺ قاعد،

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧٤ _ ٥٧٥.

والناس مُنْقَصِفون[١] له، فصاح صائحٌ: أين مالك بن أنس؟ فجاءَ مالك حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فأعطاه شيئاً، فقال: اقسِمْ هذا على الناس، فخرجَ مالك يَقْسِمُه على الناس، فإذا هو مِسْكٌ يعطيهم إيَّاه.

وقلَّ أنْ سُئِل مالكٌ عن شيءٍ إلَّا قال قبل أن يتكلَّم: ما شاء الله. قالوا: فلو قال هذا في أخفى شيء لهُدِيَ فيه إلى الصواب.

وقال مالك: لما حجَّ المنصورُ دعاني فدخلتُ عليه، فحادثتُه، وسألني فأجبتُه، فقال: إنِّي قد عزمتُ أن آمر بكتبِك هذه التي وضعتها - يعني «الموطأ» - فتنسخَ نُسخاً، فأبعثَ إلى كل مصرٍ من أمصار المسلمين منها بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدونه إلى غيره، ويَدَعُوا ما سوى ذلك من هذا العلم المُحْدَث؛ فإنِّي رأيتُ أصلَ العلم روايةَ أهل المدينة وعلمهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا؛ فإن الناسَ قد سبقتْ إليهم أقاويل، وسمعُوا أحاديثَ ورَووا روايات، وأخذَ كلُّ قومٍ ما سبقَ إليهم، وعَمِلُوا به، ودانوا به من اختلافِ النَّاس، وإنَّ ردَّهم عمَّا اعتقدوه شديد، فدعِ الناسَ وما هُم عليه، فقال: لو طاوَعْتَني على ذلك لفعلتُه وأمرتُ به.

وقال مالك: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنَّه نورٌ يضعُه الله في القلب.

ذكر وفاته:

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس: اشتكى مالك أياماً يسيرةً[٢]، فسألتُ بعضَ أهلنا عمَّا قال عند الموت، فقال: تشهد، ثمَّ قال: لله الأمر من قبلُ ومن بعد، وتوفِّي صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة، وصلى عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وهو ابن زينب بنت سليمان ابن عليّ، كان يعرف بأمِّه، ودفنَ بالبقيع، وكان يوم ماتَ ابنَ خمسٍ وثمانين سنة، وقيل: مات في صفر وقال معن بن عيسى: رأيتُ الفسطاط على قبر مالك بن أنس. وقيل: صلَّى عليه ابنُ أبي ذئب، ومات عن ستٍّ وثمانين سنة.

---

(١) أي: مزدحمون كأن بعضهم يقصف بعضاً لفرط الزحام. انظر القاموس (قصف).

(٢) في (خ): كثيرة. والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧٥، والمنتظم ٩/ ٤٥.

أسندَ مالك عن أئمَّة التابعين، منهم الحسن وابن سيرين[١] والزهريّ والثوريّ[٢] وخلقٌ كثير، وروى عنه الأئمَّةُ الشافعيُّ وابنُ المبارك وابن وهب وغيرهم، ومعظمُ مذهبِ الشافعيِّ وأقواله القديمة عنه.

واتَّفقوا على صدقِهِ وثقته وأمانته، فقال حنبل بن إسحاق: سألت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل عن مالك، فقال: سيِّدٌ من ساداتِ أهلِ العلم، إمامٌ في الحديث وفي الفقه، ومن مِثْلُ مالك متبعٌ لآثار السلف مع عقلٍ وأدب.

وقال ابن سعد: كانَ مالك ثقةً مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجة[٣].



(١) لم أقف على رواية مالك عنهما. فالله أعلم.

(٢) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٢ أن الثوري ممن روى عن مالك من أقرانه، ومات قبله. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧٥، وجاء بعدها في (خ): آخر الجزء السابع ولله الحمد والمنة، يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثامن، أوله: السنة الثمانون بعد المئة، فيها هاجت الفتنة في الشام. غفر الله لكاتبه ولمالكه وللناظر فيه، وجميع المسلمين.
كتبه علي بن عيسى المرحومي، غفر الله له جميع ذنوبه.

الفهرس

